

نظريات الشخصية

إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

الأستاذ الدكتور
عادل محمد هريدى
كلية الآداب - جامعة المنوفية

الأستاذ الدكتور عادل محمد هريدى نظريات الشخصية الطبعة الثانية 2011

نظريات الشخصية

الأستاذ الدكتور

عادل محمد هريدى

كلية الآداب - جامعة المنوفية

٢٠١١

تقديم

يأتى كتاب نظريات الشخصية هذا ضمن جهود متواصة من قِبل أساتذة علم النفس المتخصصين فى هذا المجال ، الرواد منهم ، والمعاصرين ، وقد أفاد المؤلف من إسهامات العديد منهم ، سواء من تصدى منهم للكتابة فى موضوعات الشخصية ، أو تاريخ ومدارس علم النفس ،وقياس الشخصية ، أمثال طيب الذكر والذكرى الأستاذ الدكتور / سيد غنيم ،والأستاذ الدكتور فرج أحمد فرج وزملائه فى ترجمتهم لكتاب هول وليندزى ، والأستاذ الدكتور روبرت هاربر ، وترجمته للأستاذ الدكتور سعد جلال ، والأستاذ الدكتور جابر عبد الحميد ، والأستاذ الدكتور محمد شحاته ربيع ، والأستاذ الدكتور على عبدالسلام على ، إضافة لجهود جورج بويرى George Boeree المثابرة فى كتابه نظريات الشخصية ، والتى عكف الباحث على ترجمة جُلها ، حتى اكتملت للكتاب هيئته الشكلية والموضوعية والتنظيمية تلك ، مصنفاً إلى أجزاء خمسة ، خصص كل جزء منها لعرض نماذج نظرية ذات توجه مشترك ، ثم أتبعت بفصول ثلاثة ، لنظرية مقترحة ، ولوصف الشخصية ، ولقياس الشخصية والتى سننسب الفضل فى إعدادهاوتقنينها لرواد القياس النفسىفى الوطن العربى ، ونخص بالذكر منهم الأستاذ الدكتور لويس مليكة ، والأستاذ الدكتور عطية هنا وآخرين ، والتى آمل أن تكون نفعاً لكل من اطلع عليها ، وأن تكون قد ألقت مزيد ضوء على الموضوعات السابق تناولها فى كتب نظريات الشخصية بالمكتبة العربية ، وأن تكون قد عرضت لبعض جديد من نظريات لم ترد فيها من قبل .

وهذا الكتاب كغيره من المحاولات العلمية ، يحمل من الصواب مايحمل ، ومن بعض أخطاء لايخلو ، إلا أن المؤلف يسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم نفعاً بقدر ما لطلاب العلم فى مجال الاختصاص .

الأستاذ الدكتور
عادل محمد هريدى
النزهة الجديدة

يناير ٢٠١١

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر

إعداد/ الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

هريدى، عادل محمد

نظريات الشخصية/ تأليف :عادل محمد هريدي. ط ٢ ـ القاهرة: مكتبة إيتراك،

٢٠١١. ص؛ سم

تدمك ٢ ٢٣١ ٢٨٣ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الشخصية

أ- العنوان

١٥٥,٢

اســم الكتــاب: نظريات الشخصية.

اســم المؤلــف: عادل محمد هريدي

رقــم الطبعــة: الثانية

الســـــنة: ٢٠١١

رقــم الإيــداع: ٢٠١١/٣٦٠٧

الترقيم الـدولي: ٢- ٢٣١- ٢٨٣- ٩٧٧ - ٩٧٨

اســم الناشــر: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

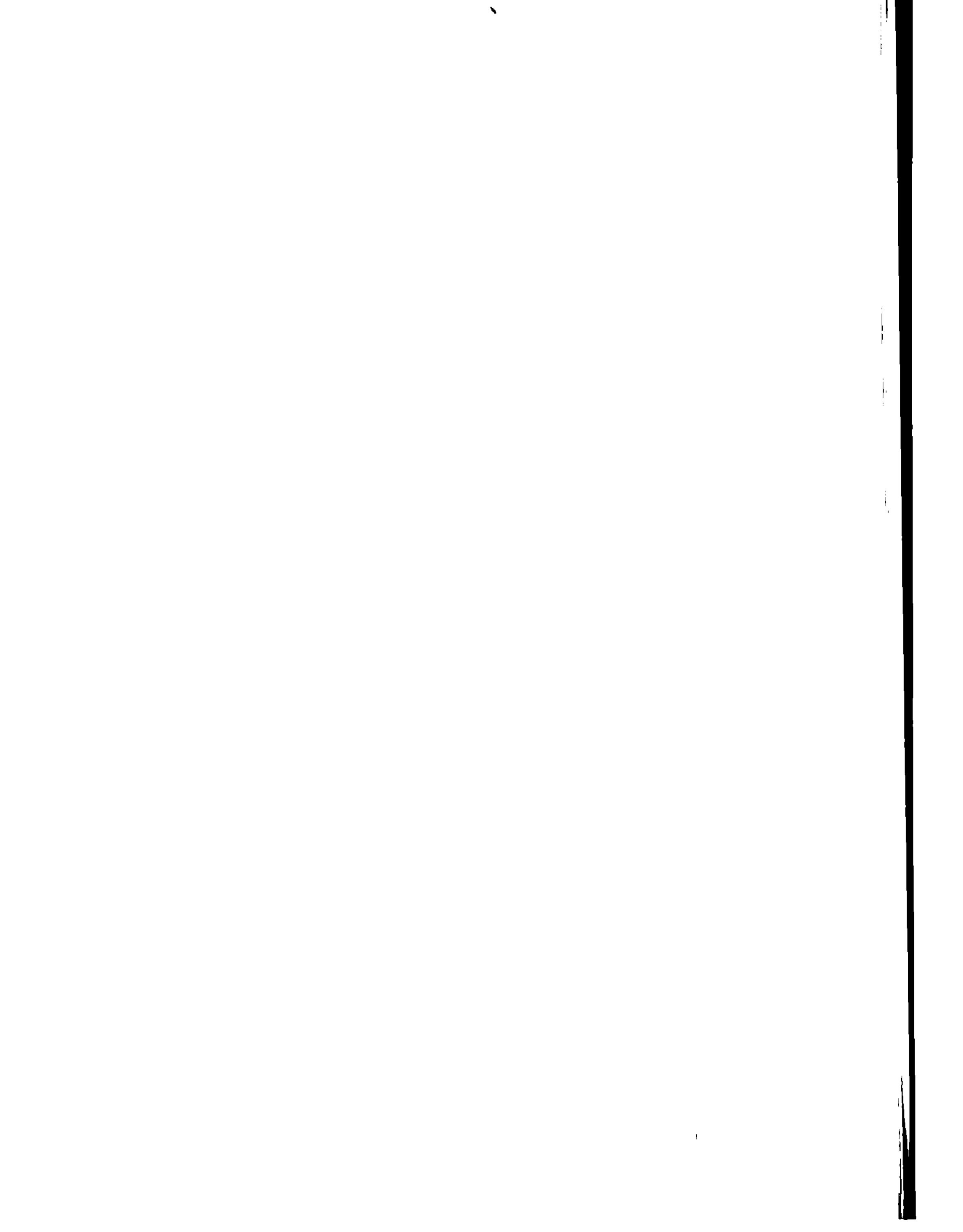
العنــــوان: ١٢ش حسين كامل سليم – ألماظة – مصرالجديدة

المحافظـــة: القاهرة

التليفــــون: ٢٩١٧٧٢١٣

اســم المطبعــة: الدار الهندسية

العنــــوان: زهراء المعادي – المنطقة الصناعية



الجزء الأول

- المداخل النظرية.
- الاتجاهات الفكرية الرئيسية والفرعية.
- محاذير تقوض وجهات نظر فى الشخصية الإنسانية.
- علاقة نظريات الشخصية بمنظريها.

الفصل الأول
علم نفس الشخصية
مداخل متعددة ، ونظريات متكاملة ، ومحاذير .

يتناول هذا المقرر ممثلاً فى كتابنا هذا ، عدداً من النظريات بدءاً من التحليل النفسى الشهير لسيجموند فرويد Sigmund Freud وحتى العلاج بالمعنى لفيكتور فرانكل، Viktor Frankl. ، كما يتضمن السّير الذاتية لهؤلاء ، والمصطلحات والمفاهيم الأساسية، وطرق القياس والعلاجات، ومناقشات، ومراجع وقراءات إضافية مقترحة قد يجد البعض منكم أن هذه المنطقة مشوشة جزئياً. والعديد من الناس يتساءلون "أيها الصائب". ومما يُؤسف له، أن هذا الجانب من علم النفس هو القدر القابل للبحث المباشر على الأقل عما يعيب نظرية عن غيرها. فالكثير منها يتضمن الأمور التى يمكن التوصل إليها فقط من قبل الشخص نفسه – من قبيل أفكارك ومشاعرك الداخلية . فبعضها ممايُعتقد أنه غير متاح حتى لصاحبه – كغرائزك ودوافعك اللاشعورية unconscious motivations. بكلمات أخرى، ما تزال الشخصية تقع فى كثير من جوانبها تقع فى مرحلة ماقبل العلمية"pre-scientific" أو المرحلة الفلسفية. وأن بعضا من جوانبها ستظل على هذا النحو.

إن بعض الطلاب يقدمون على دراسة نظريات الشخصية ، إعتقادا بأنه الموضوع الأسهل، واعتقاداً بأن كل إنسان – خاصة هم أنفسهم – يعرفون مسبقاً كافة الإجابات. حقاً إن نظريات الشخصية لاتتضمن رياضة حديثة ولا معادلات رمزية كالموجودة فى مقررات الفيزياء والكيمياء المعروفة بصعوبتها. وبالرغم من أن لدينا اتصالات مباشرة دقيقة مع أفكارنا ومشاعرنا الذاتية ، ومتسع من الخبرة للتعامل مع الناس. ولكننا نكون مخطئين فى ألفتنا بالمعرفة، وفى كثير مما نعتقد بأننا نعرفه قد يعود إلى تحاملات أو تحيزات تراكمت لدينا عبر السنين. وفى الحقيقة ، يُعد موضوع نظريات الشخصية بحق من أكثر المقررات صعوبة وتعقيداً لتناوله.

وهكذا، فإننا سنشرع الآن فى تناول النظريات theories بصيغة الجمع، بدلاً من علم الشخصية. science of personality وكلما تقدمنا فى تناول

النظريات المختلفة، ستجد واحدة منها متفقة تماماً مع خبرات ذاتك والآخرين – فستبدو تلك النظرية جيدة. كما أنه فى بعض الأوقات سيبدو العديد من النظريات جيداً بصورة مماثلة ، حتى وإن تناولناها من وجهات نظر مختلفة .

إن الذي يجعل نظريات الشخصية موضوعاً شيقاً على هذا النحو، أعتقد أن بوسعنا أن نشارك بالفعل فى تلك العملية. فأنت لن تحتاج لمعامل أو تمويلاً قومياً، تحتاج – فقط – لقدر من الذكاء، ودافعية ما، وعقلاً منفتحاً .

محاذير Pitfalls

توجد بعض الأمور التي يمكن أن تُخطئها نظرية ما، وينبغي أن تكون شديد الانتباه إليها . وينطبق هذا الكلام حتى على النظريات التي صاغتها العقول العظيمة. فإذا كان سيجموند فرويد قد ستر إحدى ساقيه بسرواله فى كل مرة (يعنى نظرية ناقصة)! إلا أن نظريته- ومن ناحية أخرى – هامة للغاية عندما نريد صياغة نظرياتنا الخاصة عن الناس وشخصياتهم. وفيما يلي بعضاً مما ينبغي الحذر منه :

التعصب للعرق Ethnocentrism

إن كل فرد ينمو فى ثقافة سبق وأن وُجدت قبل مولدهم جميعاً . وتلك الثقافة تؤثر فينا على نحو دقيق ومتقن، كلما نمونا يجعلنا نعتقد بأن تلك هي الهيئة التي تكون عليها الأشياء بدلاً من الاعتقاد بأن تلك الأشياء تتخذ هذه الهيئة فى هذا المجتمع بعينه."وإريك فروم Erich Fromm ، يسمى ذلك باللاشعور الاجتماعي ، ووصفه بأنه قوى جداً .

فعلى سبيل المثال، نشأ فرويد بفيينا Vienna وليس فى نيويورك ولا طوكيو. لقد وُلد فى عام ١٨٥٦ وليس ١٧٥٦ ولا ١٩٥٦. ومن ثم كانت هناك حينئذ عوامل أثرت عليه وكذلك أثرت على تنظيره، الذي يبدو مختلفاً عنا.

إن خصائص كل ثقافة يمكن التعرف عليها من خلال سؤال محدد هو " ما الذي يتحدث عنه كل الناس؟ وما الذي لا يتحدث عنه أحد من الناس؟ ففي أوروبا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، خاصة فى الطبقتين العليا والوسطى. كان الناس لا يكادون يتحدثون فى الجنس. لقد كان أقرب للمحرمات taboo . ولم يكن مفترضاً للمرأة أن تظهر كاحليها حتى ولو كان وضع رجليها على البيانو

سيتسبب فى ظهور أطرافها، إذ أنه ليس من الضروري إثارة أي شخص.ولم يكن من غير المألوف أن يقوم الطبيب بزيارة منزلية لزوجين حديثا الزواج للمساعدة فى إفاقة العروس من غيبوبة أصابتها. فهي التي لم تُسمع شيئاً عن طبيعة النشاط الذي ستباشره مع زوجها ليلة الزفاف بل إنها لتكاد يُغشى عليها كالأموات من ذاك المشهد! وبالطبع يختلف ذاك الوضع عن مثيله الأن أيما اختلاف.

ولقد حظى فرويد بتأييد جيد لطريقته ، ولقدرته على تجاوز ثقافته فى نظريته المقترحة. لقد رأى أنه من الغريب بمكان أن نتصور أن البشر (خاصة النساء) بوصفهم مخلوقات غير جنسية.إن الكثير من انفتاحنا الحالي على الجنس (سواء الجيد منه أو السيء) إنما يعود إلى الاستبصارات الأصيلة لفرويد فى هذا الشأن.

واليوم نجد أن معظم الناس لا يهلكون بسبب طبيعتهم الجنسية. وفى الحقيقة، لدينا نزعة لأن نتحدث عن حياتنا الجنسية طوال الوقت، لأي شخص مستعد لأن يسمعنا ! أن الجنس مُقحم فى الملصقات والإعلانات على شاشات التلفاز، وجزءٌ من أشعار أغانينا المفضلة، فى مسلسلاتنا، مجلاتنا، كتبنا، وبالطبع، على شبكة الإنترنت! وتُعد هذه خاصية لثقافتنا (يعني الأمريكية) ، وكلما مارسناها لذاتها، وجدنا صعوبة فى أن نلاحظ ما هو أكثر أهم وأبعد من ذلك.

وعلى الجانب الأخر، كان فرويد مُضللاً بثقافته باعتقاده بأن العصاب له جذور جنسية وكأن فرويد لم يتمكن من الإفلات من شرك ثقافته المنغلقة بشأن القيود المفروضة على الجنس) sexual root* وفى مجتمعنا "أي الأمريكي"، لدينا العديد من المشكلات المتعلقة بمشاعر اللاجدوى والخوف من الموت. بينما مجتمع فرويد تقبل الموت كمنحة، مُعتبراً التقدم فى السن علامة على النضج ، وتبوء مكانة بالقرب من عموم البشر .

التمركز على الذات Egocentrism

وشرك أخر من المحتمل أن يقع فيه المنُظر يتمثل فيما يتصف به الفرد بوصفه فرداً . فكل منا لديه تفاصيل خاصة لحياته تتخطى ثقافتنا المشتركة،

* المؤلف.

والجينات، بناء أسرته، والديناميات(جسمية أو نفسية)، خبرات خاصة، تعليمه، وما إلى ذلك – الأمر الذي يهيئنا للتفكير والشعور، وفى نهاية الأمر، يحدد لنا الطريقة التي نفسر بها الشخصية .

ففرويد، على سبيل المثال، كان أكبر إخوته السبعة (بالرغم من أن له إخوة غير أشقاء كانوا أكبر منه)، إلا أن أمه كانت ذات شخصية قوية، وأصغر من أبيه بعشرين سنة، وكانت شديدة التعلق بفرويد الذي كانت تناديه "Siggie." وكان فرويد عبقريا (ولا يمكننا أن نعُد ذلك ادعاءً !) لقد كان يهودياً، وإن كان لا هو ولا أبوه يمارسان طقوس دينهما. وهكذا ...

وبالمثل يُعد البناء المميز لعائلته والذي عاشه متمثلاً فى الروابط الوثيقة بأمه قد وجهت انتباهه لتلك القضايا عندما حان له الوقت لصياغة نظريته. فطبيعته التشاؤميةpessimistic nature واعتقاداته الإلحادية atheistic beliefs أدت به لأن يرى الحياة الإنسانية بوصفها محكومة بمبدأ البقاء للأفضل ، وأنها بحاجة لضبط اجتماعي قوى. وأنت أيضاً لديك خواصك، وسوف تلون اهتماماتك وفهمك ، حتى ولو بدون وعى منك.

جمود الرأي Dogmatism

والشرك الثالث هو جمود الرأي، فنحن كبشر نبدو لدينا نزعة طبيعية لمقاومة التغيير(للمحافظة) فنحن نتمسك بما ألفناه بالماضي. فلو أنفقنا حياتنا لتطوير نظرية ما للشخصية، وإذا أخلصنا الجهد فى ذلك ، فلك أن تتوقع أننا سوف نكون شديدي الدفاعية (وفقا لمصطلح فرويد) تجاهها .

وجامدي الرأي لا يسمحون لأنفسهم بالتساؤلات، الشكوك، والمعلومات الجديدة وما إلى ذلك. ولك أن تقول حين تتعامل مع الأشخاص جامدي الرأي بالنظر إلى الكيفية التي يتعاملون بها مع منتقديهم : سيميلون لاستخدام ما نسميه الحجة الدائرية circular argument

والحجة الدائرية هي عندما تثبت مقدمة ما بافتراض أمور لا تكون حقيقية إلا إذا كانت وجهة نظرك حقيقية فى المقام الأول (بداية) وتوجد أمثلة لا حصر لها على الحجج الدائرية لأن كل فرد يستخدمها على ما يبدو. ومثال مُبَسَّط على ذلك "أنا أعرف كل شيء!" لماذا أصدقك ؟ "لأني أعرف كل شيء!"

إن مثل هذا الأمر، يحدث دائماً في علم النفس، وبصفة خاصة في نظريات الشخصية. ولنعد لفرويد ثانية، إنه لمن غير المعتاد أن نسمع أن الفرويديين يجادلون بأن الناس الذين لا يقبلون آراء فرويد يكونوا كابتين البرهان الذي يحتاجونه لتصديق فرويد – مع أن فكرة الكبت تعد في الحقيقة مفهوماً فرويدياً ينبغي البدء به !

لذا ، إحذر أن تتخرط في نظرية لا تثير اعتراضاتك أو تساؤلاتك !

إساءات الفهم Misunderstandings:

مشكلة أخرى، بل مجموعة من المشكلات تتمثل في تضمينات غير مقصودة : يبدو أنك وفي كل مرة تقول شيئاً ما، فإنك تتجنب الكلمات غير المحددة (التي تحمل أكثر من معنى) والتي تحتمل مئات التأويلات المختلفة. أما لو استخدمت لغتك بتلقائية ، فسوف يسئ الأخرون فهمك بكل بساطة . وتوجد أمور عدة تؤدى لحدوث سوء الفهم .

١- الترجمة Translation:

لقد كتب فرويد ويونج وبنسوانجر Freud, Jung, Binswanger نظرياتهم باللغة الألمانية. وعندما تُرجمت، جاءت بعض المفاهيم غير دقيقة على نحو ما – وأحياناً تُترجم على نحو مُرض، إذ أن لكل لغة خصوصيتها.

إن الهي id، والأنا ego، والأنا الأعلىsuperego التي تنسب لفرويد ، والتي تسمع عنها كثيراً ليست سوى كلمات قد صاغها من ترجموا أعماله. بينما المصطلحات الأصلية كانت es, ich, and überich وهي الصياغات الألمانية التي تعنى أنا,I ، والأنا الغالبة over-I، و همThey are. بكلمات أخرى، بكلمات عادية، وبسيطة. ففي الترجمة، تحولت إلى كلمات لاتينية ذات مقاطع علمية غامضة، لأن المترجمين شعروا بأن القراء الأمريكيين سيكونوا أكثر قبولاً لفرويد إذا سُمع عنه بعلمية أكثر قليلاً، أكثر من أن يسمعوا كتاباته كشعر (كما كانت تبدو كشعر في صياغتها الألمانية !).

وذلك يعني بالطبع أننا نسمع عن فرويد كما صيغ في قوالب علمية، فقد جزأ النفس syche إلى حجيرات واضحة clear compartments ، وإن كان في

الواقع يتكلم بكناية metaphorically, أكثر ، وكان يعتقد بأنها تحجب بعضها البعض .

٢- التعبيرات اللفظية الجديدةNeologisms:

ويعنى كلمات جديدة. فعندما نضع نظرية ما ، قد تكون لدينا مفاهيم جديدة ليست لها مسميات من قبل ، وتوجد نشتق لها كلمات لنسميها بها، وأحياناً نستخدم اللغة الاغريقية أو اللاتينية، وأحياناً نستخدم ميجا من كلمات قديمة (كما الحال فى اللغة الألمانية) وأحياناً نستخدم جملاً(كما فى الفرنسية)، وأحياناً نستخدم كلمة قديمة بأسلوب جديد : كلمة self واصطلاحها الجديد فى علم النفس (الذات) بعد أن كانت تعنى حرفياً النفس – الضمير وغيرها. وكلمات أخرى مثل anxiety أوego والتي تحمل معاني كثيرة من وجهة نظر المُنظر !

٣- التشبيهات البليغةMetaphors:

وهى كلمات أو جمل، والتي ليست مطابقة للواقع حرفيا، وأن كانت تحمل جانباً من الواقع. وكل مُنظر يستخدم تلك الأساليب من التشبيه البلاغي للشخصيات الإنسانية بطريقة أو بأخرى، إلا أن ذلك يُعد خطأ يشوش النموذج الواقعي.

والمثال الجيد على ذلك هو الاستخدام الشائع للكمبيوتر ومعالجة المعلومات بصفة عامة على نحو تشبيهى للأداء الإنساني فهل نحن نعمل على نحو مشابه لأجهزة الكمبيوتر؟ حقا وإن كانت بعض جوانب أدائنا تعمل على نحو مشابه. فهل نحن أجهزة كمبيوتر ؟ لا بالطبع لسنا كذلك فإن التشبيه قد يفشل على المدى البعيد. لكنه مفيد، ثم كيف يتوجب علينا لنظر إليهم. إنها أشبه بخارطة: تساعدك لأن تتلمس طريقك ، وإن كنت ستعاني غموضاً مرهقاً بشأن تحديد المنطقة.(تعبير مجازى) .

البرهان(الدليل) .Evidence:

البرهان أو الافتقار للبرهان، يُعد مشكلة أخرى بالطبع، فأي نوع من الدعم (التأييد) يتوافر لديك بشأن نظريتك؟ أم أنه بمثابة شيء ما حلمت به وأنت تحت تأثير المخدر العصبي؟

وتوجد أنواع عدة من البراهين أهمها: قصصي، إكلينيكي، ظاهرياتي، وارتباطي، وتجريبي .

١- البرهان القصصي Anecdotal evidence

ويتمثل فى نوع من الدليل، يرد عادة فى القصص من قبيل القول : " أذكر أنه عندما ....،" "أنا سمعت أن.... " على سبيل المثال. وهذا النوع من الدليل غير دقيق على نحو مسئ للبحث العلمي . وإن كان يُفضل استخدامه فقط كتحفيز لبحث إضافي (في نفوس طلاب الدراسات العليا مثلاً).

٢-البرهان الإكلينيكي Clinical evidence

ويُجمع هذا البرهان (الدليل) من جلسات العلاج. إذ تكون مسجلة بعناية من قبل أناس على قدر كاف من التدريب. وتتمثل نقطة ضعفه الأساسية فى أنه ينزع بصورة واضحة نحو الفردية واللاسوية، وذلك نظراً لأنك تصف شخصاً هو فى الغالب – ووفقاً للتعريف المستخدم – فرد غير طبيعي ! إن البرهان الإكلينيكي يوفر الأساس لمعظم النظريات التي سنتناولها .

٣- البرهان الفينومونولوجى (الظاهرياتي) Phenomenological evidence

وهو نتاج لملاحظة دقيقة للناس فى سياقات متنوعة، إضافة للاستبطان الذي يتضمن العمليات النفسية psychological processes للشخص. والعديد من المنظرين الذين سنتناولهم أجروا بحوثاً فينومينولوجية، سواء كانت رسمية أم غير رسمية. وهي تتطلب تدريباً كافياً إلى جانب قدرة فطرية خاصة. ونقطة ضعفها تتمثل فى أننا نواجه مشقة فى تقرير ما إذا كان الباحث قام بها على نحو متقن ودقيق أم لا .

٤- البحث الإرتباطي Correlational research

نُضطر عادة في مجال الشخصية أن نصمم ونستخدم اختبارات الشخصية personality tests ونُقارن الدرجات التي نحصل عليها من تلك المقاييس بالجوانب القابلة للقياس من الحياة، وكذلك بالدرجات المستخرجة من المقاييس الأخرى. كأن نصمم مقياساً للخجلshyness (الانطواءintroversion) ونقارن

درجات الفرد عليه بدرجاته على مقياس الذكاء أو بمعدلاته على مقياس للرضا عن العمل. ومما يؤسف له، أن قياس تلك الجوانب لا ينبئنا بكيفية عملها، وأن الكثير من جوانب الشخصية لا يمكن بحال قياسها بالدقة المطلوبة .

٥ـ البحث التجريبي **Experimental research**

هو البحث الأكثر ضبطاً ودقة، وإذا كانت القضايا التي تهتم بها هي من ذاك النوع الذي يمكن إخضاعه للتجريب، يكون التجريب هو المنهج المفضل. والتجريب كما تعلم يتضمن اختياراً عشوائياً للمبحوثين، ضبط دقيق للظروف التجريبية، حرص شديد على تجنب التأثيرات الدخيلةundue influenc ، وقياس وإجراءات إحصائية عادة. وتتمثل نقطة ضعفه في صعوبة بالغة فى تحققه بالعديد من القضايا التي اهتم بها منظرو الشخصية. فكيف يتسنى لك ضبط أو قياس أمور كالحب، الغضب، والوعي ؟

تنظيم نظري

بعد استعراض كافة المحاذير المختلفة، والافتراضات، والمناهج ، لك أن تعتقد فى أن القليل جداً هو ما يمكن أن نعمله لتنظيم نظريات الشخصية . ومن حسن الحظ ،أن عقولاً مماثلة نزعت لإجهاد بعضها البعض. وتوجد اتجاهات رحبة ثلاثة ، بارزة فى الميدان هي:

١ـ **التحليل النفسي Psychoanalysis** ويُعرف بالقوة الأولى "first force."
ومع أن الحديث عن التحليليين النفسيين يشير بدقة إلى الفرويديين Freudians، إلا أننا سنستخدمه هنا إلى آخرين ممن تأثروا على نحو قوى بفرويد ،ومن – وإن كانوا لا يوافقونه على كل شيء تقريباً – فاسموه ذات التوجه : من يميلون لتصديق أن الإجابات على الأسئلة الهامة تكون مخبوءة فى مكان ما تحت السطح ، مخفية فى اللاشعور .

وسوف يعرض الكتاب لثلاث صيغ من ذاك المنحى. **<u>الأول لوجهة النظر الفرويدية الخالصة</u>**، والتي تضم سيجموند فرويد وأنا فرويد Sigmund and Anna Freud بالطبع، وعالم نفس الأنا ego psychologist ، إريك إريكسون Erik Erikson.

والصيغة الثانية هي ما يمكن أن نطلق عليها اسم المنظور الشخصي transpersonal perspective والذي تبنى نزعة أكثر روحانية ، والذي يُمثل هنا بكارل يونج Carl Jung .

والصيغة الثالثة هو ما يسمى بالنظرة النفسية الاجتماعية social psychological view ، وتضم ألفرد أدلرAlfred Adler ، وكارن هورنى Karen Horney ، وإريك فرومErich Fromm .

٢- **السلوكية Behavioristic أو القوة الثانية second force** ولدى هذا المنظور نجد التزاماً بالملاحظة الدقيقة للسلوك والبيئة وعلاقتهما ببعضهما البعض. والسلوكيون إضافة لأتباعهم المحدثين المعرفيين، يفضلون المناهج الكمية والتجريبية. وستُمثل السلوكية هنا بهانز أيزنك Hans Eysenck ، و سكنر B. F. Skinner ، وألبرت بندورا . Albert Bandura .

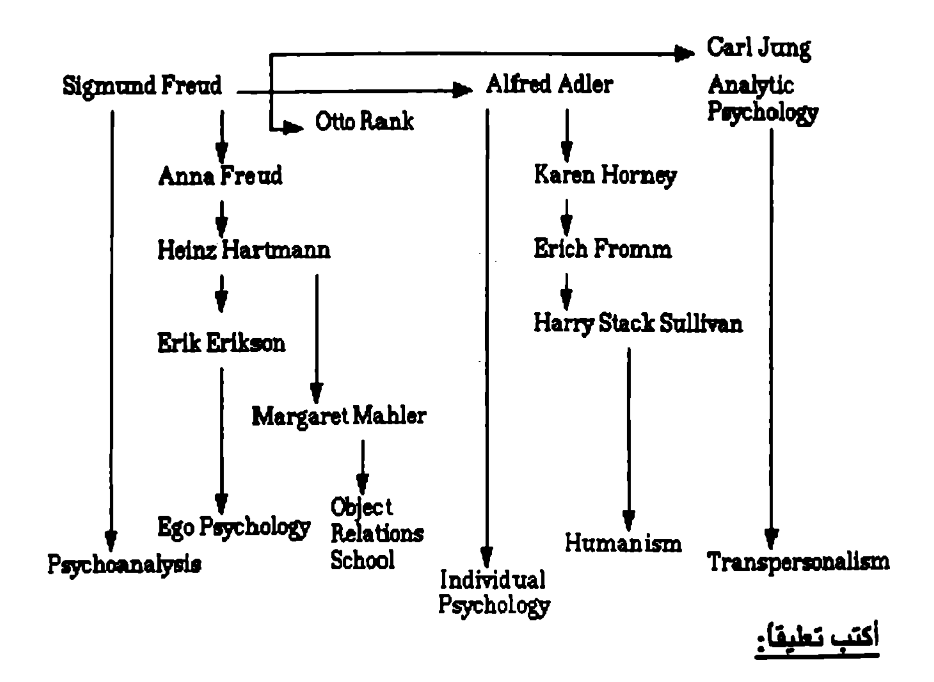
٣- **الإنسانية Humanistic أو القوة الثالثة third force** ، والمنحى الإنساني الذي يُنظر إليه بوصفه يضم علم النفس الوجودي، وهو أحدث القوى الثلاث . وهو بمثابة رد فعل لنظريات التحليل النفسي والسلوكية. والاعتقاد السائد هو أن الإجابات على ما يتصل بالشخصية الإنسانية توجد فى الوعي والخبرة. والمناهج الظاهراتية هي المفضلة لدى معظم الإنسانيين .

وسوف نتناول تيارين من المنحى الإنساني . **الأول** هو الإنسانية الصريحة ، ممثلة بأبراهام ماسلو Abraham Maslow، وكارل روجرزCarl Rogers ، وجورج كيلى George Kelly.

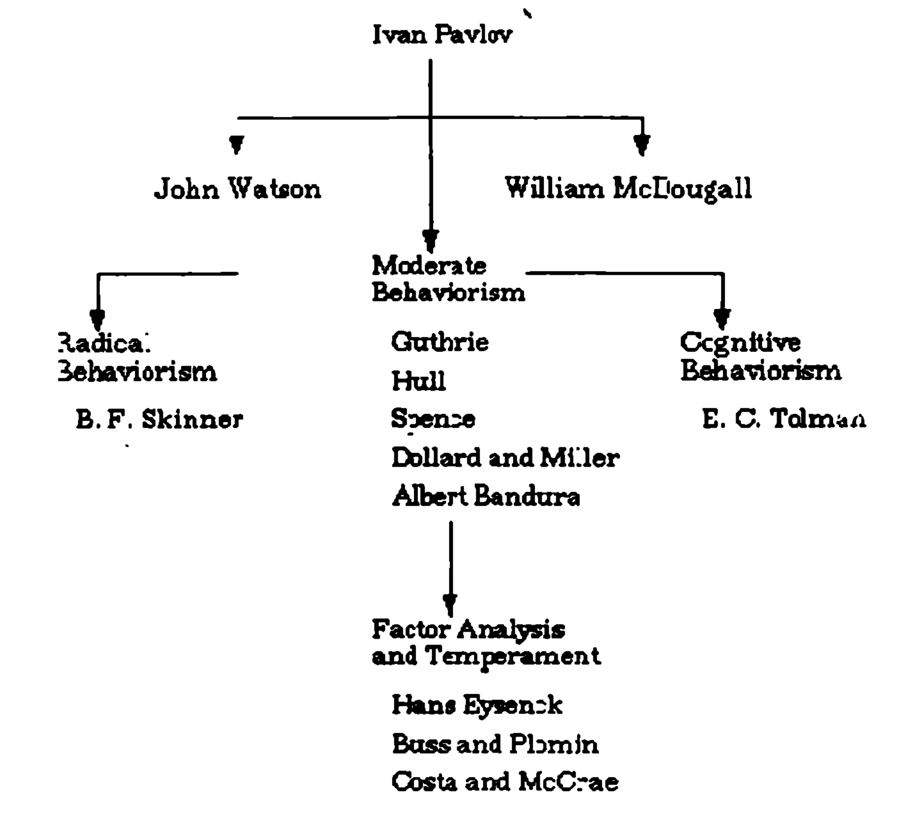
والتيار الثاني هو علم النفس الوجودي ، وهو التيار الإنساني ذو الأسس الفلسفية والأكثر شعبية فى أوروبا وأمريكا اللاتينية. وسوف نتناول من علماء النفس الوجوديين، وفيكتور فرانكل Viktor Frankl .

ونعرض فيما يلي ثلاثة مخططات إيضاحية لمجمل اتجاهات التنظير النفسي الأساسية والنظريات المنبثقة عن كل منها:

العلاقات بين نظريات الشخصية ومنظريها
"First Force"

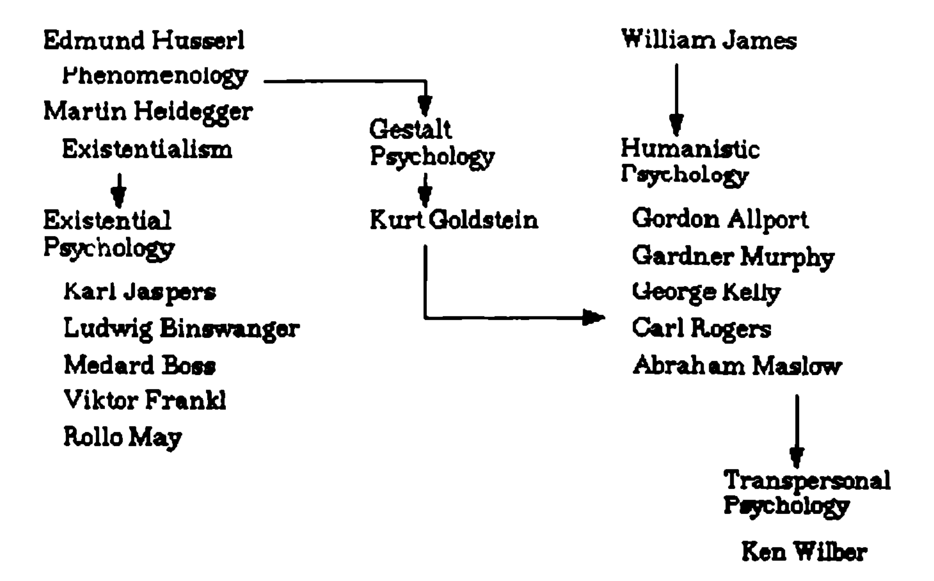


<u>أكتب تعليقاً:</u>



Second Force

اكتب تعليقاً:



"Third Force"

<u>أكتب تعليقاً:</u>

الفصل الثانى

الشخصية .. مقدمات وتعريفات

لعل واحدة من أهم المشكلات المحيرة التي واجهت بني البشر منذ ما قبل التاريخ المكتوب، تتمثل في محاولة فهم طبيعتنا Our oun nature ولقد استكشفت عدة مسارات، واستُخدمت مفاهيم متنوعة، إلا أن الإجابة المشافية satisfactory answer ما تزال غائبة عنا .

لعل سببًا واحدًا وهامًا لصعوبة التوصل لإجابة واضحة يتمثل في أن بيننا فروقًا لا حصر لها so many differences among us فالناس لا يتفاوتون في الحجم size والمظهر shapes فحسب، بل هم يتصرفون Behave بطرق مختلفة، ومتفاوتة، فبين ما يزيد عن ستة بلايين نسمة Six billion people يعيشون الآن على كوكبنا، لا يوجد شخصان متشابهان تمام التشابه Not are exactly alike . إن الاختلافات الهائلة vast differences فيما بيننا جعلت من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، تحديد فيم نشترك كأعضاء للجنس البشري members of the human race ، خذ في الاعتبار، على سبيل المثال، القاتل المحترف، والعالم المتفان ، ومدمن العقاقير drug addict ، والسياسي الفاسد، التقي الورع religious ، رئيس مجلس الإدارة فباستثناء الأعضاء الجسمية المتشابهة والنظم العضوية bodily organs and systems ، يكون من الصعب تصور الطبيعة الإنسانية "human nature" التي يشترك فيها مثل هؤلاء الأشخاص. وإذا ما وَسَعْنَا أفقنا ليشمل ثقافات أحرى لوجدنا تنوعًا أعظم في القيم values ، الطموحات aspirations ، وأساليب الحياة life-styles .

تقدم علوم التنجيم Astrology ، علوم الدين theologies، الفلسفة philosophy، الأدب Literature ، وعلوم الحياة life sciences بعضًا من التوجيهات directions ، اتُخذت سبلاً لفهم تعقد السلوك الإنساني complexity of human behavior ، ولفهم الطبيعة الإنسانية ذاتها، وبعض تلك الوسائل انتهت إلى طرق مسدودة بينما بدأت الاتجاهات الأخرى تزدهر، واليوم نجد المشكلة الأكثر إلحاحًا عن غيرها، ونظرًا لأن معظم اضطرابات العالم

ارتفاع حرارة Zooming population الانفجار السكاني - world's ills الأرض global warming، التلوث البيني ecological pollution الدمار النووي nuclear waste، الإرهاب terrorism، إدمان العقاقير drug addiction، التعصب العرقي racial prejudice، الفقر poverty – إنما نتجت عن سلوك الناس حقًا، فإن نوعية الحياة الإنسانية في المستقبل، بل وربما بقاؤنا نحن على نحو أفضل، يعتمد على فهمنا المتزايد لطبيعتنا الجوهرية لذواتنا وللآخرين، ويضطلع علم النفس بهذا المشروع .

علم الأشخاص : The science of persons

تمتد جذور علم النفس إلى اليونانيين والرومان الأقدمين، فقد ناقش الفلاسفة ومنذ أكثر من ألفي عام مضت بعضًا من ذوات الأسئلة التي ما يزال يتوقف عندها علماء النفس اليوم. وإن كانت البداية الرسمية لعلم النفس كفرع معرفي مستقل يؤرخ بعام ١٨٧٩ ، حيث أسس في ذلك العام أول معمل للدراسة التجريبية Experimental study للظاهرة السيكولوجية psychological phenomena على يد ولهيلم فونت Wilhelm wundt ، بألمانيا . وخلال السنوات التي تلت وجوده الرسمي formal existence ، تطور علم النفس عبر مسارات عديدة للبحث، وتوصل إلى نماذج مفاهيمية متعددة لتوجيه وتفسير العمل الذي يقوم به، ولعل أهم مظهر للانبثاق التدريجي لعلم النفس كعلم معاصر يتمثل في دراسة الشخصية الإنسانية Human personality ، فاليوم ، يُعَدُ علم نفس الشخصية مَعْنيٌ بصورة أساسية بتفسير لماذا يتصرف الأشخاص على هذا النحو من خلال منظور تجريبي وعلمي إذ يُعطي علم النفس العلمي Scientific psychology أولوية للتعامل مع المفاهيم الواضحة، البسيطة، والدقيقة القابلة للاختبار الأمبريقي Empirical test كما أنه يفيد من مناهج البحث search methods الراسخة والدقيقة قدر الإمكان ويحدد هذا التوجه بالضرورة أنواع المفاهيم concepts والمناهج methods التي بالإمكان استخدامها في دراسة الشخصية . ومع ذلك، يعتقد معظم السيكولوجيين في أن المنحى العلمي سيكون أكثر نفعًا إذا ما نجح بصورة جوهرية في حل لغز الطبيعة المعقدة complex nature للسلوك الإنساني، أي أن قيمة علم النفس كعلم إنما تتوقف على قدر ما يحققه من فهم وتفسير للسلوك الإنساني .

ولعل أهم ما يميز علم نفس الشخصية الحديث كعلم، يتمثل في عملية التحول من التخمين بشأن الطبيعة الإنسانية human nature إلى المفاهيم القابلة للدراسة الأمبريقية، في مقابل الاعتماد على الحدس Intuition والفلكور folkore بمعنى العام، فعلى سبيل المثال، بدلاً من التخمين بشأن لماذا يجنح المراهقون ويندفعون، نجد الباحثين ينقبون في طبيعة المراهقة nature of adolescence .

وبينما يبدو علم الأشخاص أمرًا في محاولة النفاذ إلى أسباب سلوكنا ونمونا، إلا أننا في الواقع قد نقاوم resist مثل تلك الجهود لرؤية ذواتنا بموضوعية ويوجد أيضًا قدر محدد من المقاومة للشخصية الموضعة objectifying personality داخل مجال علم النفس . إذ يفترض بعض السيكولوجيين أن التمادي في مثل هذا الاتجاه من شأنه أن يقوض التفرد الإنساني Haman uniqueness

والتعقد الإنساني Human complexity - وبدلاً من ذلك – يطالبوننا بالحاح أن نركز على الخصائص المعنوية لبني الإنسان ، كفاحاتهم struggles من أجل السمو الشخصي والروحي كالتصوير النابض بالحياة في الإبداعات الأدبية والفنية، كمسرحية لشكسبير، أو رسم لجويا أو سيمفونية لبيتهوفن. وبالرغم من أن الأدب، والفن والسينما، والتاريخ والدين، كل منها جدير بأن يوفر نفاذًا إلى السلوك الإنساني، إلا أنه من الضروري التمييز بين تلك المعلومات من هذه المصادر، وبين المعلومات التي تم الحصول عليها بالتدقيق العلمي زد على ذلك، أنه وبالرغم من أن العلم لا يقدم في الوقت الحالي جميع الإجابات وربما لن يستطيع ذلك أبدًا . إلا أنه يتوجب علينا توظيف المعلومات المتوافرة لدينا بفاعلية، واضعين في الأذهان تصورًا واضحًا عن المحاذير المتضمنة في المنهج العلمي حال تطبيقه في دراسة بني الإنسان .

وقد أنجِزَت هذه الدراسة من قبل علماء الشخصية personologists ، بالمصطلح الذي صكه هنري موراي Henry Murray 1938 وذلك لتصنيف الباحثين في الشخصية والمنظرين لها معًا .

الهدف الثاني لعلم نفس الشخصية يتمثل في مساعدة الأشخاص على الحياة حياة مُرْضِيَة satisfying lives وبينما يسعى العديد من علماء نفس الشخصية

للنظرية والبحث ، نجدهم معنيين بالطرق الناجعة لوضع استراتيجيات فعّالة ومثمرة لمواجهة أحداث الحياة وتشتمل جهودهم هذه على صيغ جديدة للعلاج النفسي psychotherapy ، برامج متنوعة للتعلم الخاص، وتغيرات في البيئة النفسية والاجتماعية والتي تسمح للناس بأن يكونوا أفضل ما يودون أن يكونوا عليه من حال، والبحث في هذه الموضوعات يزود الواحد بأسس الاختبار الأذكى للأفكار المتصلة بالتغير البنائي للشخصية والذي سنتناوله بالنقاش فيما بعد.

معنى الشخصية : The meaning of personality

لمصطلح الشخصية personality معانٍ عديدة، إنه يصنف على نحو جلي وعقلاني بوصفه أحد الميادين الفرعية لعلم النفس الأكاديمي (النظري) subfield of academic psychology يشتمل على عدد كبير من وجهات النظر النظرية المتعارضة . إضافة لكونه أحد فروع المعرفة التي تسعى إلى إرساء أفضل الأساليب للفهم من خلال استخدام استراتيجيات البحث المختلفة various rescarch strategies وفي الفصول التالية سنعرض لأمثلة بعينها تبين كيف أن الأفكار Ideas افتراضات assumptions والمبادئ (الأسس) principle والمقترحة من قبل علماء الشخصية personologists لفهم explain السلوك الإنساني قد أخضعت للاختبار باستخدام البحث الأمبريقي، والخاصية المميزة كذلك لعلم نفس الشخصية personality psychology هي تأكيده على أهمية المناهج لدراسة، فهم، التنبؤ، وإصدار أحكام صائبة valid decisions عن الأفراد، من بين المناهج إجراء المقابلات interviewing الاستعانة بالاختبارات السيكولوجية administrating sychological tests، ملاحظة، ومراقبة السلوك observing and monitoring behavior قياس الاستجابات الفسيولوجية Measuring psychological responses تحليل السير الذاتية والوثائق الشخصية analysis biographical and documents . وبالفعل فإن كل نظرية perspective في الشخصية والوارد ذكرها في الفصول التالية إنما تستخدم بعض الفنيات المقترحة أو غيرها، وفيما يتصل بذلك فقد خصصنا جزأ من الفصل التالية لتقييم الشخصية personality assisment وفي النهاية، وكما سنرى في الصفحات التالية، فإن الشخصية تعد ميدانًا للبحث field of

inquiry قد وفر قاعدة لفهم ومعالجة السلوك غير السوي abnomonal behavior وتقترح نظريات عديدة للشخصية مثل النظرية النفسية الديناميكية psychodynamic ، والمعرفيــــــــــة cognitive ، والظاهراتيــــــــــة phenomenological أساليب لدراسة الاضطرابات السلوكية behavioral disorders ومع ذلك فإن علم نفس الشخصية الحديث modern personality psychology لا ينبغي أن يكون خلطا مع علم النفس الإكلينيكي وعلم النفس المرضي clinical psychaloqy , abnomal وللتبسيط قدر الإمكان، فإن علماء الشخصية يميلون إلى حد بعيد لتركيز اهتمامهم على الأداء الوظيفي السوي أكثر من تركيزهم على الأداء غير السوي مفضلين الاهتمام بالسواء الوظيفي على الاهتمام باللاسواء. والأكثر من ذلك فإن سيكولوجية الشخصية يميز نفسه على نحو تقليدي عن بقية الفروع العلمية داخل علم النفس بتأكيده على الفروق الفردية بين الأشخاص individual differences in persons وبنفس القدر يدرك علماء الشخصية أن هناك أوجه للتشابه في الطرق التي يتصرف بها الناس، فهم يهتمون بداية بالتفسيرات العامة بشأن لماذا وكيف يختلف الناس عن بعضهم البعض How and why people differ from one another وإضافة لكونه حقلا للدراسة، فإن الشخصية بمثابة مفهوم تجريدي abstract concept يدمج عدة جوانب والتي تحدد ما يكون عليه الإنسان، ومن هذه الجوانب، الانفعالات، الدوافع، الأفكار، الخبرات، الادراكات، والتصرفات.

Personality is an abstract concept which integrates many aspects that characterize what the person is like, such aspects include emotions , motivations , thoughts , experiences and actions

وعلى أية حال ، فلا ينبغي أن نساوي بين الشخصية بوصفها مفهومًا وبين أي جانب من مظاهر التوظيف الفردي والتي وردت على سبيل الوصف، وبدلاً من ذلك، فأن المعنى الاصطلاحي conceptual meaning للشخصية هو بمثابة مركب multifaceted يشتمل على نطاق واسع من العمليات العقلية الداخلية internal mental processes تلك التي تحدد كيف يتصرف الشخص تجاه مختلف المواقف .

وفي ضوء المعني المركب المشار إليه complex meaning ، فليس بمقدور أحد أن يتوقع العثور على تعريفات مبسطة للشخصية -- simple difini-lons تصلح كمفهوم حتى داخل ميدان علم النفس سوف لا نجد إجماعا على تعريف واحد single difinition للمصطلح (يعني الشخصية) . فلربما وجدنا تعريفات عديدة مختلفة للمفهوم (شخصية) بقدر عدد علماء النفس الذين حاولوا تعريفه .

مصطلح شخصية مشتق من الكلمة اللاتينية persona والتي تشير إلى القناع الذي يرتديه الممثل في الدراما اليونانية the term "personality" is derived from the latin word "persona" which referred to a mask worn by an actor in Greek drama.

وينزع الناس لأن يساووا بين الشخصية وبين مفاتن الفرد، شعبيته، أو انطباع الناس عنه .

ما الشخصية ؟ إجابات متعددة

كلمة شخصية personality في اللغة الإنجليزية مشتقة derived من كلمة persona اليونانية ، والتي تشير بصورة أساسية للأقنعة masks التي يرتديها الممثلون في المسرحيات اليونانية القديمة، وقد أتى المصطلح ليشمل أوصاف ممثل لمشهد هزلي أو ماسوي كأحسن ما يكون التمثيل.

لذا ، فإن الصياغة المفاهيمية الأولى للشخصية كانت بوصفها الانطباع الاجتماعي الظاهري الذي يتبناه الفرد في لعبه لأدوار الحياة فالشخصية الاجتماعية a public personality هي تلك التي يسقطها الناس على من يحيطون بهم .

وتتطابق وجه النظر هذه مع وجهة نظر شخص معاصر من العامة والذي يساوي بين الشخصية وبين الجمال،الاتزان الاجتماعي، الشعبية الجاذبية الجسمية، وجمع من الخصائص الاجتماعية المقبولة الأخرى .

وهذا هو التعريف الذي تمخضت عنه تعليقات مثل: خالد ذو شخصية إيجابية وناهد ذات شخصية بغيضة هذا وبنفس المعنى أيضا، نجد معاهد الرشاقة تتعمد زيادة جمال أولئك المسجلين بها وتعدهم بشخصية إضافية ومثل هذا المفهوم

العام إنما يقع خارج إطار علم النفس العلمي لأنه يحدد عدد وأنواع السلوك التي يُنظر إليها بوصفها جديرة بأن تُتضَمن في دراسة الشخصية فحسب .

كما ينظر للشخصية أيضا كما لو كانت هي خصائص الفرد الأكثر جذبًا للانتباه ، وفي هذا المعنى، قد يقال عن الشخص بأن لديه شخصية منفتحة (منبسطة) أو ذو شخصية خجولة بما يعني أن الصفة الأكثر تمييزا له أولها تبرز لتكون الصداقة أو الخجل، وفي هذا المثال، تشير الشخصية إلى الانطباع الاجتماعي social Impression الذي يتركه الفرد أثناء تفاعله مع الآخرين (مثال ، قلة من الخصائص البارزة التي تتخلل معظم أو كل تفاعلات الفرد في مختلف الأوضاع الاجتماعية وما يؤسف له فأن هذا الاستخدام الشائع للمصطلح يغفل احتمالية أن الفرد ربما يكون منبسطًا أو خجولاً تبعًا للموقف . الأكثر من ذلك، فإن مصطلح الشخصية وكما هو مستخدم من قبل جميع علماء الشخصية all personologists لا يتضمن تقويمًا لشخصية الشخص أو المهارات الاجتماعية social skills . فعندما نصف نسرين بأن لديها شخصية رائعة (رهيبة) فلربما كنا نشير بذلك إلى مزاجها اللطيف، إخلاصها أو تطوعها لمساعدة الآخرين، وعلى أية حال، فإن هذا الاستخدام التقويمي للكلمة (مثال، الشخصيات كجيدة أو رديئة لم يُستَخدم من قبل علماء نفس الشخصية) .

إن نظرة شاملة للمعاني المتنوعة للشخصية في علم النفس يمكن تكوينها إذا أخذنا في الاعتبار وجهات النظر التي صيغت من قبل عدد قليل من النظريات المعروفة في الميدان .

وعلى سبيل المثال، وصف كارل روجرز Carl Rogers الشخصية بمصطلحات من قبيل الذات self ، بوصفها الكينونة المنظمة، الثابتة، والقابلة لأن تدرك على نحو ذاتي والتي تحتل أعمق خبراتنا جميعها .

Carl Rogers described personality in terms of self, an organized, permanent, subjectively perceived entity which is at the very heart of all our experiences .

وَعَرَّفَ جوردون ألبورت Gordon Allport "الشخصية هي ما يكون عليه الفرد حقيقة (في الواقع) ، وأنها المكون الافتراضي الداخلي والذي يحدد طبيعة تفاعلات الشخص مع العالم" .

Gordon Allport defined personality as that which an individual really is, an internal "something" that determines the nature of the person's interactions with the world.

بينما إريك اريسكون Erik Erikson يرى عوائد الحياة بمصطلحات تتصل بسلسلة من الأزمات النفس - اجتماعية، وأن الشخصية هي بمثابة نتاج لمخرجات هذه السلسلة من الأزمات .

Erik Erlkson, life proceeds in terms of a series of psychosocial crises with personality a function of their outcome.

ونظر جورج كيلني George Kelly للشخصية بوصفها الطريقة المتفردة والمميزة للفرد في استخلاص المعني من خبرات الحياة .

George Kelly regaeded personality as the indivsual's unique way of making sense" out of life experiences.

وما يزال هناك مفهوم أخر ذلك الذي صاغه ريموند كاتل Raymond Cattell، الذي وصف البناء المركزي للشخصية من خلال ١٦ ست عشرة زوجًا من السمات المتقابلة (الإضداد) .

Raymond Cattell, described, the core structure of personality as comparised of sixteen source traits .

وأخيرًا، نظر ألبرت بندورا Albert Bandura للشخصية بوصفها عملية معقدة فيها يكون السلوك، والشخص والموقف مؤثرة في بعضها البعض على نحو مستمر ودائم .

Albert Bandure Viewed personality as a complex pattern in which person, behavior, and situation continually influence each other.

وتشير تلك التصورات المتباينة divergent conceptions بوضوح إلى مدلول الشخصية بمصطلحات منظور سيكولوجي يمتد بعيدًا وراء مفهوم تصور

اجتماعي ظاهري أساسي إنها تشير إلى مكون افتراضي أساسي، وثابت إلى حد كبير بشأن الشخص .

وتكمن وراء نقطة الاتفاق الأساسية هذه ، أن معظم تعريفات الشخصية تتمتع بالخصائص (المشتركة) التالية :-

١ - تؤكد معظم التعريفات على أهمية التفرد individuality أو التميز distinctiveness وتعكس الشخصية الخصائص المميزة والتي تجعل من الشخص بارزا عن جميع الآخرين، إضافة إلى أنه من خلال دراسة الفروق الفردية Individual differences يمكن للصفات الخاصة Qualitles أو مجموع الصفات الخاصة Combination of Qualities والتي تميز الشخص عن الآخرين أن تتضح وتفهم .

٢ - تصور معظم التعريفات الشخصية بوصفها نوع ما من بناء أو تنظيم افتراضي some kind of hypothetical structure or organization ويصورون السلوك الظاهري Overt behavior ، بوصفه في جانب منه على الأقل - يبدو وكأنما نُظِمَ وتكامل بالشخصية أي أن الشخصية هي المسئولة عن تكامل وتنظيم السلوك، بعبارة أخرى، فالشخصية بمثابة تجريد مؤسس على استنتاج مشتق من الملاحظة السلوكية .

٣ - تركز معظم التعريفات اهتمامها على أهمية النظر للشخصية بمصطلحات تطور الحياة أو بمنظور تطوري (نمائي) developmental perspective وتمثل الشخصية عملية نمائية معتمدة على عوامل مؤثرة داخلية وخارجية، مشتملة على نزعات جيلية وبيولوجية، وخبرات اجتماعية، وظروف بيئية متغيرة .

٤ - تصور معظم التعريفات، الشخصية بوصفها خصائص الشخص، والتي تُعَدُ مسئولة عن النماذج الثابتة (المتسقة) للسلوك consistent pattens of behavior ، كما لو كانت الشخصية ثابتة نسبيا بمرور الوقت وعبر المواقف personality is relatively enduring and stable over time and across situations .

ومن جانب آخر في هذا الموضوع العام (الشائع) Common themes .
تختلف تعريفات الشخصية على نحو جوهري من مُنظرٍ لآخر أي المنظرين على وجه التحديد يعني بمصطلح شخصية personality ينبغي أن تفحص النظرية بتفصيل وعناية. أن الفحص الدقيق للنظرية يكشف عن أنواع السلوك التي يركز عليها المُنظر، والمناهج الخاصة التي استخدمت لدراسة هذا السلوك. وتوجب علينا إضافة أن تعريفات الشخصية ليست بالضرورة من قبيل الصواب أو الخطأ ولكنها ينبغي أن يُنظر إليها من حيث كونها مفيدة بدرجة اكبر أم أقل للسيكولوجين في بحثهم الدؤوب ، وفي تفسيرهم للاتساقات في السلوك الإنساني، وفي ربطهم بين استنتاجاتهم ، وسوف نعني بالعديد من المفاهيم النظرية theoretical conceptions للشخصية في الفصول التالية ،والملاحظة الواجب تسجيلها هاهنا أن تعريفات الشخصية definitions personality تتنوع وفق التوجه النظري الخاص للمنظر.

الشخصية كميدان للدراسة Personaity As a field of study

كأي دارس لعلم النفس سوف يلاحظ عندما يتأمل المواد الدراسية بقسم علم النفس في اللائحة الدراسية، أن علماء النفسي الأكاديمي يدرسون قطاعًا عريضًا متنوعًا من المواد يشمل، علم النفس الاجتماعي social psychology علم النفس الحيوي biopsychology، الإدراك perception، علم النفس النمائي devalopmontal psychology والسلوك التنظيمي Organizational behaviorوتمثل تلك جميعها ميادين فرعية لعلم النفس، والشخصية واحد منها . فما الذي يميز الشخصية عن بقية الحقول السيكولوجية، اللهم إلا محاولته التأليف وأحداث التكامل بين معطيات المجالات الأخرى لعلم النفس. فعلى سبيل المثال، في سيكولوجية الإدراك psychology of perception ، تعطي أولوية للأبنية الأساسية basic structures والعمليات الأساسية processes الطريقة التي يدرك بها الناس ويفسرون العالم المحيط بهم وكمجال للدراسة فإن البحث في الإدراك قد كشف عن مبادئ هامه وأساسية ونفس الشيء قد تحقق بمختلف المناطق التي يتضمنها علم النفس، مثل التعلم learning وعلم النفس المعرفي، ولكن الشخصية بمثابة الميدان الذي يدرس جُمَّاع تلك المبادئ جميعها في سعي لفهم الشخص ككيان متكامل .

But it is personality as a flied of study that combines all these principles in an effort to understand the porson as an integrated totality.

ويُعد فهم تعقد السلوك الإنساني مهمة عصيرة فغالبا ما توجد أسباب مختلفة للسلوك الواحد والذي يصدر من فردين في نفس الوقت أو يصدران عن نفس الفرد في أوقات مختلفة وللإيضاح نضرب مثالا بشخصين يلطخان إعلانات الأفلام بالقار، أو بطلاء أسود فقد يكون الأول مدفوعًا بقناعات دينية قوية، بينما قد يكون الأخر مجرد باحث عن الإثارة .

كما أن التعقد ينشأ بسبب أن السلوك إنما يصدر عن مصدرين two sources أسباب داخلية internal causes ، والموقف الذي يظهر السلوك من خلاله the situation in which the behavior occurred يضاف لذلك، أن في بعض الأحيان لا يتمكن الأشخاص من تعليل لماذا يتصرفون بأساليب تتناقض مع نواياهم المعلنة، هذه وغيرها من تعقيدات الوظيفة الإنسانية إنما يؤكد حقيقة أن سيكولوجية الشخصية personality psychology عليها أن تكافح لتكون ذات إدراك شمولي في تناولها للعمليات السلوكية behavioral processes وحتى تصبح شمولية، ينبغي على عالم الشخصية personolgist أن يجمع بين جميع مبادئ علم النفس العام، والعلاقات التفاعلية القائمة بين هذه المبادئ التي يجب أن تؤخذ في الحسبان، فنحن بحاجة لأن تعرف كيف يرتبط الإدراك بالتعلم ، وبالكيفية التي يرتبط فيها التعليم بالدافعية ترتبط الدافعية بالنمو، وهكذا تحاول سيكولوجية الشخصية صياغة مفاهيم نظرية formulate theoretical concepts من شأنها أن تصف describe وتفسر explain تلك الأنواع من العلاقات المعقدة Complex relationships ، جميع العوامل المؤثرة أو المحددة لسلوك وخبرة فرد ما ، جميعها داخل اهتمام عالم الشخصية

all the factors that influence of determine an individual's behavior and experience fall within the domain of the personologist.

مع الوضع في الاعتبار أنه لا يوجد مجال في علم النفس يحاول أن يكون شموليًا كمجال الشخصية فبالفعل فإن الشخصية تقع في ملتقي طرق معظم

مجالات علم النفس . إنها نقطة التقاء دراسة النمو الاجتماعي والعقلي it's the
. conerning point of the social and intellectual development

وعلم النفس المرضي psychopathology وتحقق الذات self actual-
ization ، التعلم learning والعلاقات بينشخصية interpersonal ، وجمع من
منظومات هامة أخرى تلك التي تشكل بناء علم النفس الحديث Modern
psychology إن اتساع بقعة التفسير – من وجهه نظر سيكولوجيين عديدين –
ليست أمرًا مدهشًا لأن ما تركز عليه نظرية ما في دراستها، سيظل أقل من الفرد
ككل الذي يُعد هدفًا طموحًا .

الفصل الثالث

محددات الشخصية

تأمل نفسك للحظة .. مثل من أنت بحق ؟ أنت جرئ (مقدام) Outgoing أم خجول shy ؟ عدواني أم هادئ؟ aggressive or calm عقلاني أو غير عقلاني intellectual or non intelleutual ، مراعيا " لمشاعر وحقوق الآخرين considerate أم غير مبال ؟ Uncaried ، حاول إحصاء سبع أو ثمان سمات traits والتي تعكس الطريقة التي تستجيب بها لعالمك .

ولصياغة هذه القائمة، عليك اختيار خصائص الشخصية personality Characteristics التي تكون قد شعرت بتيقن أنها تمثل جزءا ثابتًا مستديمًا من بنيتك الجسدية والعقلية والخلقية.

فعلى سبيل المثال، إذا قلت إنك شخص مقدام ، فليس بإمكانك في نفس الوقت أن تقول بأنك كنت مقدامًا منذ سنة مضت وأنك لذلك على يقين من أنك ستكون شخصًا مقدامًا لمدة عام أو خمس أو عشر سنوات منذ الآن ؟ .

إذ يعتقد معظمنا بأن لدينا خصائص شخصية ثابتة .

Psycholoists define persondity as an enduring, distinctive thoughts, emotions, and behaviors that characterize the way an individual adapts to the world.

وتتساءل النظريات التي نطرحها قائلة : لماذا يستجيب الأفراد لنفس الموقف بطرق مختلفة، فمثلاً لماذا نجد متحدثا لبقًا talkative واجتماعيا gregarious وأيضًا خجولا Shy وهادئا quiet عندما يواجه شخصًا ما للمرة الأولى، ولماذا تكون (ليلى) واثقة confident ، بينما (ناهد) غير آمنة وغير مستقرة insecure في مواقف المقابلة للاختيار المهني لهم .

بعض النظريات تنص على أن العوامل البيولوجية والوراثية genetic هي المسئولة. وتفترض نظريات أخري أن خبرات الحياة life experiences هي الأكثر أهمية، وبعض النظريات تدعى أن الطريقة التي نفكر بها ونتصرف بها نحو كل شخص آخر هي الأهم .

إن الشقاق بين النظريات جعل تناول الشخصية إنما يُمَثّل تحديًا فبمجرد أن تعتقد في نظرية ما على أنها تفسر الشخصية على نحو صحيح، فسرعان ما تبرز نظرية أخرى تجعلك تعيد النظر في استنتاجك السابق، وحتى تجنب نفسك الإحباط ، تذكر أن الشخصية إنما هي موضوع معقد Complex topic ، وأن ليست هناك نظرية تستطيع بمفردها تناول جميع جوانبها. وإنما أسهمت كل نظرية بجزء هام في تفسير تكوين الشخصية المتشابك Personality puzzle ، ومع أن النظريات تختلف أحيانًا بشأن بعض جوانب الشخصية إلا أن الكثير من معطياتها، يتمم بعضه بعضًا، بالرغم من أنها متناقضة وهي مجتمعة (أي النظريات)، تجعلنا ننظر إلى المنظر العام للشخصية بكل ما يشتمل عليه من ثراء .

ونرى النظريات في مجملها تؤكد على أن كل شخصية هي صورة فريدة لا يمكن أن تتكرر أو هي (كالبصمة) والسؤال الذي يطرح نفسه بالحاح (ما العوامل التي تؤدي إلى تفرد الشخصية والتي تحددها ككل مميز)؟

حدد كلوكهوهن وموراى وشنيدر Kluckhohn Murray and schnider محددات أربعة متفاعلة للشخصية هي :-

أ – المحددات التكوينية (البيولوجية) وراثية بالدرجة الأولى .
ب – محددات عضوية الجماعة .
جـ - محددات الدور الذي يقوم به الفرد في بيئته .
د – محددات الموقف .

المحددات البيولوجية

ويركز البيولوجيون جهودهم في مجالات رئيسية ثلاثة هي :

١ – دراسة أثر الوراثة في الشخصية
٢ – دراسة الأجهزة العضوية والعلاقة بين وظائفها وأنماط الشخصية .
٣ – دراسة التكوين البيوكيمياني والغددى للفرد .

أولا:دراسة أثر الوراثة في الشخصية مورفولوجيا "وفسيولوجيا"

فالأفراد يختلفون بعضهم عن بعض تحت تأثير العوامل الوراثية ، وبصرف النظر عن الظروف والتأثيرات البيئية المحيطة بهم في النواحي الجسمية

(بنيـة الجسم وهيئتـه، الجهـاز العظمـي، الـدوري، التنفـسي، العـصبي، وتركيب الدم ... إلخ)، وبعض الاستعدادات والقدرات والنواحي المزاجية. ومن المعروف أن الصفات المورثة تنتقل للجنين منذ اللحظة الأولى للتخصيب ومعها كل إرثه من والديه وأجداده، وتقوم الكرموسومات بهذه الوظيفة.

بعض أساليب دراسة أثر العوامل الوراثية في الشخصية :

١ – شجرة العائلة.. وتعتمد على الملاحظة المباشرة لأفراد عائلة ما .

٢ – دراسات التوائم .. إذ قام جالتون بمقارنة التوائم المتشابهة بالتوائم غير المتشابهة وأستخلص أن التوائم غير المتشابهة لا تختلف كثيرًا عن الأخوة العاديين .. بينما التوائم المتشابهة هي كذلك بالفعل (متشابهة إلى حد بعيد).

٣ – وراثة بعض السمات العادية :

- الذكاء : دراسة لجالتون.
- معامل ارتباط درجة ذكاء التوائم المتشابهة بين ..٨ ، ..٩ .
- معامل ارتباط درجة ذكاء التوائم غير المتشابهة ..٧ .
- معامل ارتباط درجة ذكاء للأخوة العاديين ..٥ .

٤- المهارات والاستعدادات الخاصة: كالقدرة الميكانيكية، والاستعداد والقدرة الموسيقية خاصة وأنها تحققت في أسر عبر أجيال مختلفة كأسرة موزارت وباخ وأسرة صديق المنشاوي ، وأسرة الحجار.

وراثة الانحراف الاجتماعي لدى بعض الأسر :

مثال (١) : أسرة مارتن كاليكاك (جندي أمريكي في حرب التحرير الأمريكية) حيث اغتصب فتاة متخلفة عقليًا .. ثم تزوج من فتاة سَوِيّة، وبتتبع العديد من أفراد ذريته من المتخلفة عقليًا وُجِدَ أن معظمهم من المختلفين عقليا؟ ومن المجرمين . وبتتبع ذريته من الزوجة السوية وجد أن معظمها أسوياء، وقلة من المنحرفين .

مثال ٢ : دراسات جورنج ١٩٢٥ حيث أسفرت عن وجود ارتباط بين السمات الإجرامية لدى الأقارب المجرمين .

مثال ٣ : دراسة روزانوف ١٩٤١ على التوائم الذين كان أحدهما متهمًا بجريمة قتل ، وكشفت عن نزعة عائلية نحو الجريمة .

ملاحظـة ناقـدة : تـشير بعـض الدراسـات إلـى أن تحـسين الظـروف المعيـشية لمجموعـات مـن المجـرمين بـشيكاغو ، إنمـا أدت إلـى اختفـاء نزعـاتهم المضادة للمجتمع .

بين الوراثة والبيئة

صراع أزلي ابدي بين أنصار الوراثـة وأنـصار البيئـة فـي تأكيد كل فريق منهم على الأهمية المطلقة لأحد الجانبين في تحديد خصائص الشخصية الإنسانية ونذكر رمزًا لكل فريق من هؤلاء .

- ويجام wiggam : الوراثة هي الصانع الرئيسي للإنسان والفروق الفردية ترجع إلى اختلاف في الخلايا الجوثومية الموروثة والتي نولد مزودين بها .
- واطـسن Watson ، البيئـة هـي الأسـاس فـي تـشكيل شخـصية الإنـسان، أعطوني مجموعة من الأطفال الأصحاء سليمي البنية وأنا كفيل أن أخرج منهم الطبيب والمهندس والمحامي ، واللص كذلك ..

ملاحظة ناقدة : ماذا يعني واطسن بتعبير (سليمي البنية وأصحاء) أليس معنى هذا أن لهم إرث بيولوجي سَوِيّ ..

وفي خِضَم العراك الفكري والنظري بين أنصار الوراثـة وأنـصار البيئـة تظهر فئة من العلماء المعتدلين الموضوعيين في تقدير أهمية كل عامل منهما، وفي مجال علم نفس الشخصية يبرز أسم جوردون ألبورت Allport G الذي يرى أن الشخصية هي دالة أو وظيفة للعوامل الوراثية والبيئية معًا ، وأن العلاقة بين هذين العاملين هي علاقة ضرب (×) وليست علاقة جمع (+) ، بمعنى لو كان أحد طرفي المعادلة يساوي صفرًا لكان الناتج يساوي صفرًا كذلك .

وبعدما كان الخلاف منصبًا على أي العاملين مسئولاً مباشرًا في تحديد الشخصية أصبحت القضية تتعلق بتقدير الأهمية النسبية لكل من الوراثة والبيئة في بعض جوانب الشخصية .

ومن الطبيعي أن تكون دراسات التوائم المتطابقة وغير المتطابقة في بيئة واحدة أو بيئات مختلفة هي الأرض الخصبة لإجراء مثل هذه الدراسات .

دراسة هولزنجر :

أجراهـا علـى مجموعـات مـن التـوائم المتـشابهة والتـوائم غيـر المتشابهة ويلخصها الجدول التالي:

الصفات	متوسط معامل الارتباط للتوائم المتحدة	متوسط معامل الارتباط لتوائم غير متحدة	الفرق
جسمية	..٩٤	..٥٨	..٣٦
عقلية	..٨٨	..٦٤	..٢٤
خلقية	..٤٧	..٤٥	...٢

دراسة أيزنك:

أجراها كذلك على مجموعات من التوائم متشابهة ومجموعات من التوائم غير المتشابهة ، ويلخصها الجدول التالي:

الصفات	التوائم المتحدة	التوائم المختلفة
الذكاء	+..٨٢	+..٢٨
الانبساط	+..٥٠.	-..٣٣
النشاط التلقائي	+..٩٣	+..٧٢

دراسات نيومان وفريمان وهولزنجر:

توائم متشابهة في بيات مختلفة: افترقت عند ١٨ شهراً والتقت بعد ١٨ عامًا (تشابه في المزاج والثبات الانفعالي واختلاف في النمو التحصيلي والعقلي).

دراسات على الحيوان :

وراثة بعض السمات الانفعالية الخاصة :

- العدوان مثلاً .. لدى بعض سلالات الكلاب .. والدليل الإقبال على شرائها

- الخوف عند الفأر مثلاً ...

ثانيًا: دراسة الأجهزة العضوية والعلاقة بين وظائفها وأنماط الشخصية

الجهاز العصبي للإنسان

ويتكون من الجهاز العصبي المركزي والجهاز العصبي المستقل، وهذا الأخير يتكون بدوره من الجهاز العصبي السمبثاوي وهو المسئول عن تعبئة طاقة الجسم وقت الطوارئ والتعرض للخطر، فهو على علاقة وثيقة بالحالة الانفعالية،

والمسئول الأول عن ردود الأفعال في حالة المثيرات الخطيرة، وبعد ذلك يعود إلى حال التوازن الداخلي، ويؤثر هذا الجهاز بوظيفته في شخصية الفرد تأثيرًا مباشرًا، ولعل دراسة فريمان خير مثال على إيضاح ذلك .

دراسة فريمان Freeman

عَرَّضَ مفحوصية لإحباطات تجريبية معينة ثم قاس عودتهم إلى حالة التوازن الداخلي خلال نشاط الجهاز العصبي المستقل .. وتوصل من ذلك إلى نظرية تصنيف الناس من الناحية المزاجية وفق موضعهم من متغيرات ثلاثة هي :

- إثارة الدافع - التحكم في تفريغ الطاقة -القدرة على التمييز

وبالتالي تتأثر الشخصية وفقا لاستجابة الجهاز السمبثاوي فتكون على وجه من الأوجه الثلاثة التالية :

- استثارة الحافز قوية وسريعة + التحكم في تفريغ الطاقة ضعيف = سيكوباتية عدوانية
- استثارة الحافز قوية وسريعة + التحكم في تفريغ الطاقة قوى = شخصية سوية ناجحة
- استثارة الحافز ضعيفة + التحكم في تفريغ الطاقة قوي = شخصية مريضة متبلدة

النشاط الكهربي للمخ :

بين رسام المخ الكهربائي علاقة ارتباط موجب بين الذبذبة (ألفا) وبين حدة المزاج

(زيادة ← زيادة، ← نقصان نقصان) وبالتالي يُستَخدم العلاج الكهربي لتثبيط نشاط المخ .

أثر إصابات المخ على الشخصية بصورة مباشرة أو غير مباشرة :

بدءًا من صدمات المخ التي تؤثر في الشعور والوعي لفترة وجيزة ومرورًا بالالتهاب السحائي أو الأورام أو النزيف أو الانسداد .. أو الارتجاج الشديد، ومن أبرز آثار إصابات المخ على الشخصية .. الشكوى من الصداع المستمر يزداد مع

استخدام العين .. وتجنب وضع الميل إلى أحد الجوانب تجنبًا للشعور بالدوار، وسرعة القابلية للتعب ونقص المبادأة والخمول .. ثم بعض الإعاقات الحسية العصبية ...

وما ينطبق على الجهاز العصبي ينطبق على بقية الأجهزة وأبرزها التنفسي والدوري والهضمي .

ثالثًا : دراسة التكوين الكيمياني والغددي للفرد:

يرى لويس ترمان أن (الغدد منظمة للشخصية) . واتخذت الدراسات في هذا المجال مناحي ثلاثة أساسية هي :

١ – دراسات لأشخاص لديهم نقص في إفراز غدد .
٢ – دراسات لأشخاص أزيلت عنهم بعض الغدد .
٣ – دراسات لأشخاص حقنوا بهرمونات تحت ظروف تجريبية مضبوطة .

ونعرض فيما يلي لبعض الغدد وأثر افرازاتها على شخصية الفرد :

<u>الغدة الدرقية :</u> في مقدمة الجزء الأسفل من الرقبة، وظيفتها تخزين مادة اليود وإفراز هرمون الثيروكسين المؤثر في عمليات النمو وعمليات الهدم والبناء .. وتؤثر وتتأثر بالغدة النخامية بصورة أساسية .. والاضطرابات التي تصيب وظيفة الغدة الدرقية تكون إما بنقص إفراز هذه الغدة مما يسبب الخمول والبلادة والغباء ، الاكتئاب ، الشك، التبرم، أو بزيادة مما يسبب التوتر العصبي الزائد، شدة الاستثارة والقلق،كثرة الحركة والنشاط الزائد عن الحد .

<u>ملاحظة :</u>

هناك علاقة تأثير وتأثر سيكوسوماتي بين الحالة الانفعالية ونشاط الغدة الدرقية ... كيف ؟ ..

<u>الغدة الأدرينالية أو فوق الكلوية (الكظرية) :</u>

تتكون من القشرة واللب ، ولهرمون القشرة دور هام في تمكين الفرد من مواصلة بذل الجهد العضلي ومقاومة العدوى في حال إفرازاته العادية، أما نقص إفراز هرمون القشرة فيصيب الفرد بالإحساس بالضعف والكسل وعدم الاهتمام بالجنس الأخر، وقلة الصبر، وفي حالة زيادة هرمون القشرة عن معدله ، نلاحظ

على الشخص زيادة مظاهر الحيوية، وزيادة خصائص الرجولة سواء عند الرجل أو المرأة .

ويفرز لب هذه الغدة هرمون الأدرينالين الذي يُنَشّط الإنسان تنشيطا عامًا يساعده على التخلص من مواطن الخطر المفاجئة وزيادة إفراز هذا الهرمون يؤدي إلى زيادة ضربات القلب وعمل الرئتين وزيادة إفراز السكر من الكبد واتساع حدقة العين واندفاع الدم للمخ والعضلات ، ونقصه يؤدي إلى زيادة البلادة .

الغدد الجنسية :

ولعل الأثر الأكثر وضوحا " يكون في حالات استئصال الغدد الجنسية الذكرية (الخصيتين) من إحداث تغيير في شخصية الرجل ، ولعل خير شاهد على ذلك سجلات الأغاوات في بلاط الملوك والسلاطين حيث لا رغبة ولا اشتهاء لحريم السلطان مما كان يجعلهم مأموني الجانب .

ومن العرض السابق نتبين مدى ما يمكن أن تُحدِثه الوراثة والعوامل البيولوجية من اختلاف وفروق بين الأفراد سواء في النواحي الجسمية أو العقلية أو المزاجية، وحتى الاجتماعية .. وهذا يؤكد بصورة مبدئية تمايز شخصيات الأفراد واختلافها، ومع بقاء هذه الصفات الموروثة أو الأداءات الوظيفية العضوية باعتدال أو بنقص أو بإفراط ستبقى توابعها ممثلة خصائص ومميزات ثابتة إلى حد بعيد في شخصية صاحبها .

محددات عضوية الجماعة

رأينا في عرضنا للعوامل البيولوجية وأثرها في تحديد شخصية الفرد ، كيف أن هذه العوامل والتي تشمل الصفات الموروثة ، الأجهزة العضوية ووظائفها، ثم التركيب الكيمياني والغددي للفرد تحدد إلى حد كبير الخصائص الجسمية والمزاجية وإلى حد ما الخصائص العقلية لشخصية الفرد .. إلا أن هذا لا يعني أن الشخصية شيء ثابت لا يقبل التغير منذ الميلاد .. بل أن أهم الخصائص الإنسانية هي القدرة على التغير نتيجة ما يمر به من خبرات وتعلم .. وهذا أهم ما يميزه عن الحيوان الذي تحكم الغريزة سلوك نوعه بأسره إلا في حالات نادرة، أما دراستنا للإنسان وسلوكه ونمو شخصيته لا يمكن أن تتم بصورة علمية سليمة إلا إذا توافرت لدينا معرفة تفصيلية عن خبرات الفرد الماضية وبيئته وثقافته التي نشأ فيها، وبدون هذه المعرفة يتعذر علينا فهم حتى أبرز الخصائص في شخصية الفرد .

مثال : اللغة التي يتحدثها الشخص هي نتاج مباشر لبيئته التي نشأ وتعلم فيها .. وهل اللغة من محددات الشخصية .. نعم بالتأكيد .. كيف ؟!

إذا للبيئة أثرها الواضح في تحديد شخصية الفرد، ولسهولة دراسة هذا التأثير البيئي يُقسّم ثورب البيئة إلى أقسام ثلاثة هي : البيئة الطبيعية والبيئة الثقافية والبيئة الاجتماعية :

البيئة الطبيعية : ومن أهم عناصرها : التضاريس والمناخ والموارد المائية والحيوانية والنباتية ... إلخ .

وهل لهذه البيئة من تأثير يذكر على شخصية الإنسان .. ؟!

مثال : هل شخصية البدوي كشخصية مواطن الاسكيمو .. كشخصية قاطن الساحل، كشخصية قاطن الوادي ..

هناك اختلافات في نمو أجسامهم ، وطرق معيشتهم، وأساليب حياتهم، حتى بشرتهم، ومزاجهم يتأثران بالظروف البيئة الطبيعية، فنجد منهم سمر البشرة، حادي المزاج، ومنهم بيض البشرة فاتري المزاج .. وهكذا ..

البيئة الثقافية : تُعَرَّفُ الثقافة Culture بأنها كل متكامل من الأفكار والمعايير ونماذج التصرف وطرق كسب الرزق وتربية الأبناء التي تنتقل عبر الأجيال ولها جانبان مادي كالمباني والآلات .. إلخ، معنوي كالقيم والفنون .

يعتبرها البعض العامل الأساسي في تشكيل الشخصية بالمعنى الدقيق .. ولعل أبلغ تعبير عن ذلك القول بأنه "بدون الحياة الثقافية لا يكون لدينا أفراد (أشخاص)، بل كائنات حية عضوية أو أدوات سيكوبيولوجية، وبذلك تنتفي الصفة الاجتماعية عن الإنسان والتي تجعله كائنا سيكوسوسيولوجيا من خلال عملية التطبيع الاجتماعي (أو التنشئة الاجتماعيةَ) socialization التي تُعَرّف بأنها الميلاد الثاني لفرد الإنسان، والتي تمنحه الكينونة الاجتماعية .

البيئة الاجتماعية : فتشير إلى المجتمع الإنساني الذي يُعَرَّف بأنه جماعة منظمة تعيش في مكان معين وتشترك في مجموعة من الاتجاهات وأنماط السلوك والأهداف، فالأسرة مجتمع، والمسجد مجتمع، والمدرسة مجتمع ... إلخ .

فهل لهذه المجتمعات من أثر في شخصية الفرد ..؟

يؤكد أكرمان Ackerman أن المجتمع هو الوسط الذي تنمو فيه وحدة الفرد وشخصيته بالتدريج فيصبح وحدة فردية واجتماعية في آن واحد، وهذان المظهران الوحدة الشخصية يتمثلان في المظاهر الأكثر استمرارًا والأقل قابلية للتعديل في بناء الشخصية .

وفيما يتصل بموضوع المحددات الاجتماعية للشخصية فإننا سنتناول أثر الثقافة على الشخصية، وأثر الطبقة .. كذلك أثر الأسرة على الشخصية ..

والثقافة هي الوسط الاجتماعي الرحب والأشمل الذي يتأثر به الفرد

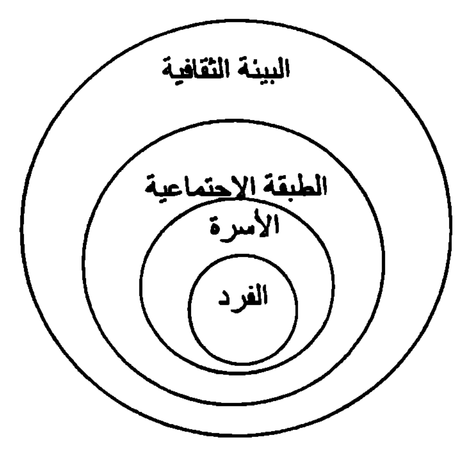
بطريق غير مباشر عبر الأسرة والتي هي الوسط الاجتماعي المباشر للشخص والتي يمكن التعبير عنهما بالشكل المبسط التالي :

<u>أثر الثقافة على الشخصية :</u>

هل سمعتم عن الدراسات والبحوث عبر الثقافية عن الشخصية أو بعض جوانبها Cross cultural studies

إن ازدهار هذه الدراسات يؤكد على وجود تفاعل متبادل بين الشخصية والثقافة هل سمعتم عن الثقافات الفرعية... ما هي ؟؟ أمثلة عليها ...

وستناول أثر الثقافة على الشخصية في بعض الجوانب منها :



الجانب العقائدي :

ما تزال توجد صور للطوطمية حتى الآن، وعشرات الديانات بالهند (مثال) وهي مورثة اجتماعيًا إلى حد بعيد .

- الدروز .
- التوحيد وأثره في شخصية المسلم .

الجانب الانفعالي والمرضي :

فالثقافة تحدد مثيرات الانفعال، كذلك تحدد طريق التعبير عنه . (انفعال الدهشة .. انفعال الخوف ... إلخ) .

وفيما يتصل بالاتجاهات والقيم نجد تفاوتاً واضحًا في نظرة المجتمعات للخمر ونظرتها للمرض والموت وفقدان الوالدين (فنمط إدمان الخمر يختلف من ثقافة لأخرى كما لاحظ Opler ١٩٥٩) إذ لاحظ أن جماعات معينة كالصينيين في نيويورك أو جماعات الإيطاليين واليهود توجد لديهم نسبة منخفضة بشكل غير عادى تتصل بمشكلات شرب الخمر (وبالطبع لو لاحظ المصريين عموما مسلمين ومسيحيين لوجد النسبة أقل كثيرًا)، بينما ترتفع نسبة هذه المشكلات بين الأيرلنديين، مما يتبعه اضطرابات شخصية مرتبطة بالإسراف في تعاطي المشروبات الكحولية.

واليابانيون يشربون الخمر بكثرة ولكن إدمانهم محدد باتجاهات قومية نحو شرب الخمر، فهم يشربون أنواعا أقل في تأثيرها الضار على الشخصية، كما أنهم منظمون في تعاطيها في أوقات الفراغ، وليس مصاحبًا لمسئوليات الحياة العادية، فليس في اليابان ما يُعرف في أمريكا وأوربا بـ(شارع السقوط) *

وفيما يتصل بتأثير الثقافة في نظرة أبنائها للمرض قام Zola ١٩٦٦ بدراسة لمقارنة الأمريكيين الايرلنديين والإيطاليين، لاحظ فروقا واضحة بين المجموعتين في تقديمهم شكواهم عن المرض حتى ولو كان التشخيص واحدًا، إذ كان الأمريكيون الايرلنديون يركزون في شكواهم المرضية حول العين والأذن والأنف والزور، بينما الأمريكان الإيطاليون يشكون من أجزاء أخرى من الجسم .

---

* منطقة حافلة بالحانات والفنادق الرخيصة ووكالات الاستخدام يألفها العمال المهاجرون السكيرون والمتشردون .

الأكثر من هذا أن الثقافة تحدد الأنماط المرضية ، وهذا ما أشارت إليه نتائج سنجر وأوبلر singer and Opler في دراسة عن مميزات الشخصية والأعراض المرضية التي لوحظت على المرضى بالفصام من الأمريكيين الأيرلنديين والأمريكيين الإيطاليين، واستندت المقارنة بين الأعراض الفصامية بين المجموعات العنصرية تلك إلى معرفة واضحة بوجود فروق معينة بينهما في الأسرة والقيم الشخصية وهي فروق قد تنعكس في الأسلوب المحدد الذي قد تعبر به أعراض المرض العقلي الخطير عن نفسها فمثلاً :

- السيطرة في الأسرة الإيطالية للأب والأم تذعن له .
- السيطرة في الأسرة الإيرلندية للأم والأب يذعن لها .
- النشاط الجنسي في المجتمع الإيطالي يُعَبرُ عنه كجزء متقبل في الحياة، ويميلون لغرسه كجزء من توكيد الذكورة الصحية عند الفرد .
- النشاط الجنسي عند الأيرلنديين يخضع لهدف الانجاب ، ويتأخر الزواج كثيرا وتُشَجِّعُ العزوبة ، وتُعتَبَرُ المشاعر الجنسية أساسًا كخطيئة وهي مصدر للشعور بالذنب .

وعلى صعيد الأعراض المرضية انعكست تأثيرات الفروق الثقافية بصورة جلية .. فكان المريض الايرلندي أكثر كبتا وتأثرا بالقلق والشعور بالذنب، بينما كان المريض الإيطالي أكثر تعبيرا من الناحية الانفعالية . أضف إلى ذلك أن الفصامي الايرلندي كان أكثر شعورا بالعدوان تجاه الصور الوالدية الأنثوية ولكنه يتحكم فيه إلى حد بعيد، بينما يميل المريض الإيطالي إلى أن يكون أكثر صراحة في التعبير عن عدوانه، ويوجه هذا العدوان نحو الصورة الوالديه الذكرية ، وكان إدمان الخمر من الأعراض المُلاحَظة بكثرة على حين كان نادرا للغاية عند المرضى الإيطاليين .

وتشير الدراسات الأنثروبولجية عن المراهقة والتي قامت بها "ميرجريت ميد" إلى أن المراهقة ليست كما وصفها "ستانلي هول" بأنها تتحدد بيولوجيا لدى جميع المراهقين على حد سواء بصرف النظر عن الإطار الثقافي الذي يوجد فيه المراهق .. فهي أزمة يعاني فيها المراهق من التوتر الانفعالي الناشئ عن التغييرات البيولوجية والغددية التي تحدث للمراهق في هذه الفترة .

قامت ميد بجمع ملاحظاتها عن مجتمع "الساموا" حيث لا قيود على الجنس ووجدت أن فترة المراهقة في هذا المجتمع "المتخلف" هي فترة سرور وبهجة بالنسبة للمراهق .

ومن أعمال مرجريت ميد الجديرة بالذكر فيما يتعلق بتأثير الثقافة على الجانب الانفعالي ما جمعته من ملاحظات تشير إلى تمتع أطفال الأرابش بالثقة والطمأنينة حيث الحياة الوالدية الحانيه، بينما أطفال قبائل "منديجمور" . يتميزون بالقلق وعدم الطمأنينة والتحفز الدائم للدفاع عن النفس حتى لو لم يكن هناك خطر يتهددهم حيث الوالدية القاسية المهملة .

مفهوم الشخصية الأساسية

Basic personality

أو الطابع القومي للشخصية

وتشير إلى هذا القدر المشترك من السمات الأساسية بين أفراد المجتمع الواحد أو أفراد الثقافة الواحدة، فأساليب التنشئة المتشابهة ودرجات الإشباع أو الإحباط المتقاربة، والخبرات المتشابهة تميل إلى إنتاج شخصيات متشابهة.. ويذهب ألبورت إلى القول بأن هذه الفكرة تتضمن دورة متسمرة متصلة من جيل إلى جيل دون انقطاع فالثقافة تحدد الأهداف والأساليب التي تتبع بوجه عام في تربية الطفل وتنشئته وهذه تؤدي بدورها – وداخل الإطار الثقافي ذاته – إلى تكوين نمط الشخصية الأساسية .

وحسب هذه الفكرة التي قال بها كاردينر Kardiner ١٩٣٩ فإن الشخصية الأساسية تتحدد بواسطة الجماعات الأولية – كالأسرة وعاداتها في التربية وتقاليدها ونظمها الأساسية – كما تتحدد بالجماعات الثانوية، كالمدرسة والمنظمات الاجتماعية الأخرى – والدين والعرف والقيم والمثل، وبشكل تصبح معه بمثابة همزة الوصل في التفاعل المتبادل بين الفرد والجماعة.

<u>الطبقة الاجتماعية وأثرها على الشخصية ..</u>

تؤثر الطبقة الاجتماعية في الشخصية عن طريقين :

<u>الأول :</u> أن القيم وأسلوب الحياة يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية.

الثاني : أن اختلاف الطبقات الاجتماعية يضع حواجز بين أبناء كل طبقة وأخرى .

... أمثلة ... الهند – أمريكا

وفيما يتعلق **بالعنصر الأول** فإنه من الواضح أن الذين ينشأون في أحياء مختلفة من المحتمل أن يكشفوا عن شخصيات ذات قيم واتجاهات مختلفة نحو التعليم – الزواج والدين – والفكر السياسي ... إلخ .

وفيما يتصل **بالعنصر الثاني** قام كاهل وديفز Kahl and Davis ١٩٥٥ بدراسة ١٩٩ رجلا من ولاية ماساشوتس وقد طلبا إلى كل واحد منهم أن يذكر أسماء أحسن ثلاثة أصدقاء، ثم فُحِصَت المستويات المهنية والطبقات الاجتماعية لهؤلاء الذين ذكرت أسماؤهم وقورنت بالطبقة الاجتماعية للمبحوث ووجد أنهم بوجه عام ينتمون لطبقة واحدة . أضف إلى ذلك أن الاختيار للزواج كثيرا ما يكون من نفس الطبقة.

أثر الأسرة على شخصية الطفل :

والأسرة هي بمثابة الحبل السري الذي يربط الفرد بمشيمة الثقافة المجتمعية، فهي توفر له من جهة مقومات البقاء البيولوجي وفي نفس الوقت تبنيه سيكولوجياً وتشبعه بالثقافة بمختلف جوانبها المادية والمعنوية، وتعرف الأسرة بأنها الوسط الاجتماعي المباشر للفرد وبتأثيراتها المباشرة عليه تشكل شخصيته .

وعلاقة الطفل بأفراد الأسرة ليست واحدة .. فتأثير الأم لا يعادله تأثير آخر خاصة خلال الفترة الأولي من حياة الطفل ، ثم دور الأب ، فالأخوة، وتغطي موضوعات علم النفس الاجتماعي هذا الجانب بالتفصيل .

محددات الدور

وهي إحدى المحددات الأساسية في تمايز شخصية الفرد، إذ تتأثر أنماط الاستجابات إلى حد بعيد بأدوار الشخص ، وبالتالي تتأثر شخصيته بهذه الأدوار .

تعريف الدور :-

يعرفه بأنه ما يتوقع من كل فرد أن يؤديه في موقف اجتماعي ما ويعد معياريًا ، وبالتالي يشير مفهوم الدور إلى كل من الفرد والمحيط الاجتماعي، وأنه لفهم سلوك فرد ما فإنه ينبغي أن ننتبه إلى خصائص شخصيته وإلى الموقف

الاجتماعي الذي يوجد فيه . وقد يلعب أي فرد أدوارًا مختلفة في جماعات مختلفة وبالتالي قد يمر بخبرة صراع الدور عندما تتصادم جماعتان معاً .

Any individual is likely to play different roles in different groups and may therefore experience role conflict when the two groups come into contact .

وكل فهم لأدوار يفيدنا في تحليل عملية التطبيع الاجتماعي والتأثير الثقافي على الفرد .. إذ أن الأدوار تؤدي على الأرجح في ظل ما ارتضاه المجتمع وما نشأ أفراده عليه.

فالأدوار تسمح لنا بربط السلوك الفردي بمعايير جماعة معينه .

ويحدد كل مجتمع من المجتمعات الأدوار الاجتماعية التي يتوقع من أفراده القيام بها في حياتهم الاعتيادية .. مثال .. الأدوار الخاصة بأفراد الأسرة، وتفاوت هذه الأدوار بتفاوت الثقافات (أفريقية-أمريكية).

- الأب:
- الأم:
- الأبناء الذكور :
- الأبناء ..الإناث:
- الإبن الأكبر :
- البنت الكبرى :
- وأحياناً يضاف الجد والجدة ..

وهذا التفاعل المتبادل بين هذه الأدوار المختلفة دقيق للغاية ويكون ما نُسميه باسم النظام الاجتماعي للأسرة . فالنظام الاجتماعي ما هو إلا مجموعة من المراكز لكل منها دور موسوم .

<u>تعدد الأدوار وصراع الأدوار :</u> قد يلعب .. بل يلعب كل فرد أدوارًا مختلفة في جماعات مختلفة .. فالأب هو المدرس، وهو الزوج، وهو الإبن، وهو الزميل، وهو الجار، وهو المشتري، وهو .. إلخ.

وأثناء لعبه هذه الأدوار قد يُعاني صراعًا في قيامه بها خاصة إذا تصادمت بعض الأدوار مع بعضها البعض .

مثال : هو يعمل في مؤسسة لها نظامها وبرنامجها الزمني .. ولديه طفل مريض .. أو زوجة بحاجة لرعاية .. أو .. ... إلخ .

مثال : المرأة العاملة ودورها الوظيفي .. وأدوارها الأسرية (أمومة – زواج ...إلخ). وينبغي التمييز بين لفظين يكثر الخلط بينهما وهما :

- وظيفة (مركز) position
- دور Role

ويعرف لينتون Linton **المركز بأنه** : المكان الذي يشغله فرد معين في نظام معين في وقت معين.

الدور الاجتماعي : هو المجموع الكلي للأنماط الثقافية (الفكرية والسلوكية) التي ترتبط بمركز معين فالجماعة كمؤسسة علمية تربوية يمكن وصفها عن طريق وصف المراكز التي أوجدتها لتحقيق أهداف المجتمع .. فهناك رئيس الجامعة، ونوابه، وعمداء الكليات ورؤساء الأقسام وأعضاء هيئة التدريس والمعاونون والإداريون وعمال الخدمات.. إلخ . وكل شخص من هؤلاء يختل (مركزاً معينا). وحينما بنشط كل منهم لإنجاز ما أنيط به وما يتوقع منه فإنه في هذه الحال يكون مؤديا (للدور المُعَيَّن).

فالمركز يرتبط بالبناء الاجتماعي، والدور يرتبط بسلوك الشخص الذي يشغل مركزا" ما، ولا يمكن بحال وصف الدور بمعزل عن المركز الاجتماعي .

الفروق الثقافية في الأدوار الاجتماعية :

الحضر .. الريف والبدو .. وتحمل صغار الشباب للمسؤلية .

- **الحضر :** ما يزالون يحتاجون لرعاية فهم صغار
- **الريف والبدو :** قادرون على العمل والعطاء، بل والزواج والإنجاب

وتتعلق بالدور متغيرات أربعة كما يميزها ألبورت هي :

١ – توقعات الدور :

ما تقرره الثقافة أو الثقافات الفرعية من توقعات من الفرد في ضوء المركز الاجتماعي الذي يشغله.

مثال : الجار في الأحياء الشعبية وفي ناطحات السحاب الشاطئية .

مثال : الموظف الحكومي الجماهيري .

٢ ـ تصور الدور :

ما لدى كل فرد من أفكار وأساليب ووجدانات خاصة يؤدي الدور من خلالها .. ولا شك أن تصور الدور يتفاوت من شخص لأخر في ظل التفاوت بينهما في الخبرات والاستعدادات والواقع والاتجاهات والقيم ..

مثال : تصور المدرس الحديث عن دوره .

- تصور المدرس المنقول عقاباً – عن دوره .
- تصور المدرس الخبير عن دوره .
- تصور المدرس في مدرسة إعدادية .
- تصور المدرس في مدرسة ابتدائية .. إلخ .

مثال : الموظف الحكومي وتصوره (أحيانًا) للرشوة بأنها العنصر المتمم لواجبات دورة ..

٣ – تقبل الدور :

ويتفاوت الناس بصدد دورهم الاجتماعي ويكون موقف الواحد منهم أحد ثلاثة :

أ – الرضا عن الدور وأدائه وفق توقعات الآخرين أو وفق تصورهم هم .

ب – اللامبالاة بالدور المتصل بمركزهم .. لا في ظل توقعات الآخرين .. ولا غيره، بل وربما ليس لدى هؤلاء تصور عن دورهم .

جـ - النفور من الدور الاجتماعي .. ويعود ذلك لأسباب عديدة منها اللاسواء النفسي – سوء الاختيار أو التوجيه التعليمي والمهني ، عدم تكافؤ الفرص .. إلخ وعدم تحقق الرضا عن العمل..

٤ – أداء الدور :

وهو الجانب السلوكي القابل للملاحظة في اضطلاع الفرد بدوره (أدواره الاجتماعية) وكما أن السلوك يتأثر بالوجدان والأفكار، فإن الكيفية التي يؤدي بها

الفرد دوره تتوقف إلى حد بعيد على إلمامه بتوقعات الدور (اجتماعيا)، وعلى تصوره الشخصي لواجبات هذا الدور، ثم على اتجاهاته الإيجابية أو السلبية نحو هذا الدور المناط به . وكلما تشابهت تصورات الفرد عن دوره مع توقعات هذا الدور من قِبَل أفراد المجتمع .. كلما كانت اتجاهاته نحو هذا الدور أكثر تقبلاً وإيجابية كلما تمتع الفرد بتوافق نفسي واجتماعي خاصة إذا تحقق ذلك في إطار من القيم الإيجابية المشتركة.

ولا يتصور توافق كل أفراد المجتمع مع أدوارهم كما يدركها المجتمع وكما يتصورونها هم وكما يؤدونها والأرجح أن نجد حالات من التجاوز يميناً ويساراً .

التنشئة الاجتماعية وتعلم الأدوار :

يتشرب الطفل مع ما يتلقاه من تغذية ورعاية والديه العديد من المعايير الاجتماعية التي تحدد له أساليب الضبط المقبولة للإخراج وللعدوان، والعديد من الاستجابات الانفعالية للمثيرات الاجتماعية كالابتسامة والغضب للعدوان .. وغير ذلك ، وشيئا فشيئًا يتعلم ما يصفه بوجمان وولش Baughman and Welsh باسم سلوك الدور Role behavior وقدر كبير من هذا التعلم يتم داخل الأسرة، سواء بالتلقين أو المحاكاة، أو الاقتداء بصورة مقصودة أو عرضية ويمكن ترتيب نمو الأدوار لدى الشخص على النحو التالي : طفل – ذكر .. أنثى – مراهق – ابن أصغر – أكبر – أوسط – ابن يتيم – ابن المطلقة – شاب – طالب – موظف – زوج – أب – إلخ ..

ولا يمكن إغفال المستوى الاقتصادي والتعليمي والاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد إذ تشكل تلك الانتماءات مؤثرات بليغة في الأدوار وتوقعاتها وتصوراتها وأداءاتها

أثر القيام بالدور في نمو الشخصية :

١ – الضبط :

فالقيام بسلوك الدور معناه إذن وجود قدر من الضبط والتحكم وقدرة على تشكيل سلوك الفرد بما يتفق والأدوار التي يفترض القيام بها، إذ يرجئ بعض الحاجات، أو يضحي بالعاجل في سبيل الأجل .. وليس ثمة شك أن مثل هذا الضبط يُعَدُ مقياسًا من مقاييس نمو الشخصية خاصة لو أخذنا في الاعتبار أن شخصية الطفل تتميز بالإلحاح في طلب الإشباع وعدم تحمل الإرجاء .

٢ – تنمية سمات الشخصية :

والسمات هي ما يميز شخصية فرد عن الآخرين .. فهل يؤثر أداء الفرد لدوره أو لأدوار معينة لفترة طويلة على سمات شخصيته .. إليكم هذه الأمثلة :

- ما يشاع عن معلم الصبية والاعتداد بشهادته أم لا !!
- ما يقال عن سمات شخصية رجال المباحث نتيجة تعاملهم لسنوات طوال مع المجرمين !!
- سمات شخصية الأباء ممن ليس لديهم أبناء ذكور !! إلخ .

كما أن لأداء الأدوار تأثير في تنوع سمات الشخصية حيث الأدوار المتعددة :

أب	حنو – حزم
مدير	حزم وقيادة
زوج	عطوف
ابن	بار
زميل	مشاركة وجدانية
صديق	.... إلخ .

<u>نمو فكرة الذات (مفهوم الذات) self – concept</u>

مع أداء الأدوار يتطور مفهوم الذات لدى الشخص نتيجة استجابات الآخرين .. احتراماً أو ازدراءاً .

كما أن تطور مطالب الدور تجعل المحيطين بالشخص مؤثرين بصورة أو بأخرى في نمو فكرته عن ذاته .

الطالب – الخريج – الموظف المجود لعمله ... إلخ .

محددات الموقف Situation

ما الحياة الإنسانية الاجتماعية إلا سلسلة لا حصر لها من المواقف، ومما لا شك فيه، تأثر شخصية الفرد بهذه المواقف الخبراتية الحياتية .. وإذا تصورنا

كيف أن العمليات الفسيولوجية تتحدد في ظل الموقف لما دهشنا لتأثير الموقف على الجوانب الشخصية، والسيكولوجية منها على وجه الخصوص ..

فالهضم عملية بيولوجية فسيولوجية لا تتم إلا في موقف عناصره هي : الشعور بالجوع توافر الطعام – بلع الطعام . وهكذا. وقد لا تتم في حالة تناول بعض المواد غير القابلة للهضم .

بل أن سمات الشخصية من كرم وبخل وشجاعة وجبن إنما لا تعدو أن تكون صورًا للسلوكيات التكيفية مع المواقف البيئية.

مثال : نُشّئ طفلٌ في أسرته على تحمل أية مصاعب أو إزعاجات أو معيقات في سبيل النجاح الدراسي .. ربما يُنَشأ ضمن ما يُنَشَّأ عليه التجاوز عن إساءة الغير من الحاقدين عليه.. مهما بلغت تلك الإساءات شدتها. نجده وبعد فترة أميل للمسالمة بل وربما للجبن .

فليس هناك شيء ذاتي محض ولا شيء بيئي محض وإنما تفاعل الكائن الإنساني مع المواقف بمتغيراتها المتشابكة مما قد ينتج عنه تعدد الاستجابات بتعدد المواقف والذي عبر عنه وليم جيمس بقوله (لكل فرد منا ذوات متعددة بقدر ما هنالك من جماعات مرجعية ومواقف متعددة نتعامل معها).

أمثلة :

- التفاوت بين الاتجاه اللفظي والاتجاه السلوكي .
- الانصياع لرغبة المجموع .

ويمكن إيجاز تأثيرات الموقف في السلوك والشخصية على نحو ما أورده ألبورت في ثلاث حالات:

١ – مواقف جديدة تحفظ أو انسحاب

مواقف مألوفة ايجابية (تأييد أو معارضة)

٢ – صغار الأطفال والمتخلفين عقليا : موقفيون، التطرف مرحًا، أو صراخا، وذلك لأنهم يفتقرون للشخصية الداخلية (المعايير والضبط).

٣ – معظم الناس يهينون (على نحو شعوري أو لا شعوري) المواقف التي تنسجم مع سمات شخصيتهم (مهارة خلق جو من الكآبة مثلا) . (مهارة خلق جو من المرح مثلا).

وقد تكون المواقف بتوافرها صبغت شخصياتهم بهذه السمات ؟.. فهل يمكن التنبؤ بسلوك الفرد في ضوء محددات الموقف فقط ؟..

بالطبع لا، لأن محددات الموقف بمعزل عن شخصية الأفراد المعنيين بهذا الموقف تتصف بالموضوعية والحيادية التامة كسقوط المطر مثلاً – ولكن تكتسب المواقف أهميتها وتأثيرها من خصائص شخصية المتفاعل مع هذا الموقف الصبغة الاجتماعية والأهمية المعطاة لهذا الموقف، وبالتالي يلزم معرفة محددات الموقف إلى جانب معرفتنا بسمات شخصية الفرد حتى يمكننا التنبؤ بالسلوك بصورة أكثر دقة، وقد وضع ألبورت شروطا أربعة للتنبؤ بالسلوك الموقفي هي :

١ – خصائص الشخصية الثابتة نسبيًا .

٢ – الأساليب الدفاعية التي يستخدمها الفرد .

٣ – كيف يدرك الموقف الراهن ومقدار تبنيه لهذا الموقف .

٤ – ما الدور الفعلي الذي يقوم به في هذا الموقف وما الدور المنتظر منه القيام به .

ويتحدد الشرطان ٣ ، ٤ في ضوء الشرطين ١ ، ٢ ...كيف ؟ ..

عوامل أخرى تؤثر في شخصية الفرد خارج إطار الأسرة

١ – المدرسة .
٢ – المسجد .
٣ – جماعات الرفاق .
٤ – وسائل الإعلام، بما فيها معطيات العولمة.
٥ – الكتب والمجلات والصحف.
٦ – التلفزيون والسينما والمسرح والراديو .

الفصل الرابع
افتراضات أساسية متعلقة بالطبيعة الإنسانية

Basic Assumptions concerning Human Nature

يضمر كل الناس والمفكرون افتراضات ضمنية خاصة عن الطبيعة الإنسانية، وعلماء نفس الشخصية ليسوا بمستثنين من هذا المبدأ، وتكون الافتراضات التي ننشئها عن بني الإنسان، مستمدة – على الأرجح – من الخبرات الشخصية، وتؤثر على الافتراضات الأساسية بصورة عميقة Profoundly في الطريقة التي يدرك بها الأفراد بعضهم البعض، التعامل بين الفرد والآخرين. وقد تكون هذه الافتراضات ذاتها مُدركة تمامًا أو غير مدركة من قبل الفرد، سواء كان باحثا في الشخصية Personologist أو لا .

وفي هذا الجزء سوف نعرض لكل واحدة من تلك الافتراضات، وسنتناوله بالشرح ونحن على قناعه بأن جميع النظريات الكبرى للشخصية قد شُيدت على تنظيمات مختلفة لتلك الافتراضات الأساسية، ولا يمكن أن تكون مفهومه على نحو تام أو متقن بغير الرجوع إليها.

إن الاختلافات بين نظريات الشخصية، إنما يعكس فروقا جوهرية – على نطاق واسع – بين النظريات في هذه الافتراضات .

وتصدر الافتراضات المتصلة بالطبيعة الإنسانية عن القطبيات التالية :-

1 – Freedom	الحرية	Determinism	الجبرية
2 – Rationality	العقلانية	Irrationality	اللاعقلانية
3 – Holism	الكلية(الشمولية)	Elementalism	التجزيئية (العنصرية)
4 – Constitutionalism	الجبلية	Environmentalism	البيئية
5– Changeability	القابلية التغيير	Unchangeability	عدم القابلية للتغير
6 – Subjectivity	الذاتية	Objectivity	الموضوعية
7 - Proactivity	الارجائية	Reactivity	الارتجاعية
8 – Homeostasis	الاتزان الحيوي الداخلية	Lieterostasis	التغاير الحيوي الداخلي
9 – Kowability	القابلية للمعرفة	Unknowability	عدم القابلية للمعرفة
1.- Universality	العموية	Uniqueness	التفردية

11- Purposive	الدافعية الغرضية	Physiological	الدافعية الفسيولوجية
12- Conscious	الدافعية اللاشعورية	Unconscious	الدافعية الشعورية
13-non-stage	نظريات النمو غير المرحلية	Stage	نظريات النمو المرحلية
14-Cultural Determinism	تجاوز الثقافية	Cultural	الحتمية الثقافية
15- Optimism	التشاؤم	Pessimism	التفاؤل

وكما سترى، فإن القضية تتخذ صيغًا عديدة، تتضمن الوجود المحتمل لغرائز لدى أبناء الجنس البشري وطبيعة المزاج nature of temperament ، وهي خصائص للشخصية ذات أساس وراثي .

إن الافتراضات المُقدمة هنا بوصفها متصلات على نحو نسبي relatively continuous ، أي كأبعاد ثنائية القطبية والتي على امتداد أي منها، بمقدور أي منظر للشخصية أن يجد مكانًا لنفسه أو يحدد موقعه بمصطلحات في ضوء ذاك الافتراض؛ بمعنى أخر، كل افتراض يمكن أن يوصف كمتصل as a continuum له طرف pole أو موضعا "أقصى، ونقيضيه على الطرف الآخر (مثال .. الحرية تقع على الطرف الأول لمتصل رقم (١) في القائمة، بينما الجبرية تقع على الطرف ← المقابل في النهاية (جبرية حرية).

ومن وجه النظر الفلسفية فإن القضايا المتضمنة في هذه الافتراضات كانت تعد ثنائيات متشعبة أكثر من كونها continuous، ومثال على ذلك ، فالناس أما أن يكونوا أحرارا (free) أو مجبورين (determined) .

وعلى أية حال، يوجد بين المنظرين للشخصية Personologists اختلافات متنوعة، في المدى الذي في ضوئه تتحدد مقبولية أي من هذه الافتراضات الأساسية الواردة سلفا – كمحدد للجنس البشري – فعلى سبيل المثال – قد يرى المنظر (س) الأشخاص بوصفهم مجبورين بدرجة أقل less determined مما يراه المنظر (ص) لذا من الأفضل أن نضع مفاهيمنا لهذه الافتراضات متصلات as contlinuous

وبذلك تصبح الاختلافات بين المنظرين أكثر وضوحاً، وفيما يلي عرض موجز لكل افتراض منها :

١ ـ الحرية في مقابل الجبرية Freedom – Determinism

أن من بين الأسئلة الأساسية التي يمكن أن يوجهها الأفراد لأنفسهم هو ما درجة الحرية الداخلية Internal Freedom، التي يتمتعون بها في توجيه أفكارهم والتحكم فيها، ومشاعرهم Feelings، وأفعالهم actions ، كيف تُكَوِّنَ فعله وإلى أي مدى يكون الشعور الذاتي بالحرية محسوساً من قِبَلَ الناس في اتخاذ القرارات "decision amaking . وإلى أي مدى يكون سلوكهم مجبورا بالعوامل الموجودة على نحو جزئي أو كلي خارج منطقة إدراكهم الشعوري؟ وقد ناقش الفلاسفة وغيرهم من المفكرين هذه القضية الجدلية Critical issue لعدة قرون. لذا لم تكن مفاجأة أن لا نجد أحدًا يعني بقضية الموت dead Issue في علم النفس الحديث (Deci & Ryan, 1985)

وتختلف النظريات الكبرى في الشخصية على نحو حاد عن بعضها البعض بشأن هذا الافتراض الأساسي المتعلق بالطبيعة الإنسانية اختلافاً واضحًا. فعلى سبيل المثال، أقر روجرز Rogers بأن الإنسان لا يستمد خصائصه من الآلة ببساطة وأنه ببساطة ليس أسيرا في قبضة الدوافع اللاشعورية Unconscious motives ، إنه شخص He is a person الشخص الذي يجسد الحرية الشخصية(الذاتية) وفي الاتجاه المضاد لذلك يجزم سكنر Skinner بأن سلوك الإنسان ما هو إلا نتيجة حتمية للمؤثرات البيئية التي لولاها ما ظهر السلوك .

إذا وجدت مُنَظِّرة أو مُنَظِّر للشخصية Personslity theorist ، تعتمد على الخبرة الشخصية personal experience وكثير من التأثيرات influences تمسنا ونلمسها بوصفها وثيقة الصلة بالنمو العقلي intellectual development، تفترض أننا ككائنات إنسانية جديرين بصورة أصلية – بخيار الحرية، ستصبح نظريتها فعالة إلى حد بعيد، وستكون المُنَظِّرة أميل إلى بناء نظرية يكون النلس فيها مسئولين مسئولية مباشرة وأولية عن تصرفاتهم الخاصة، وقادرين إلى حد ما على التغلب على التأثيرات البيئية المختلفة على سلوكهم .

وسوف تميل هذه المنظرة لأن ترى الاختيار الحر يمثل جانبًا جوهريًا فيما نسميه بالكائن الإنساني Human being .

ومن جهة أخرى، لو أن منظرا للشخصية نزع نحو الجبرية determinism ، فإن نظريته ستصف السلوك الإنساني بوصفه محكومًا controlled، بعوامل قابلة للتحديد، عندئذ تمثل عنصر ضغط incumbent على أي عالم للشخصية لتحديد هذه العوامل، وعلى سبيل المثال، قد يكون السلوك الإنساني مُحدداً بالدوافع اللاشعورية unconscious motives ، والمعززات الخارجية External reinforcements ، والخبرات المبكرة والعمليات الفسيولوجية physiological processes، العوامل الجينية (الوراثية) Genetic factors ، التأثيرات الثقافية Cultural influences، والتي يتسع كل منها لتفسيرات متعددة، وفي هذا السياق، فإن المصدر الرئيسي للاتفاق بين تلك التوجهات هو أن السلوك الإنساني جبريًا .

إن الافتراض الذي يفترضه المنظر للشخصية في البعد الخاص بالحرية والجبرية freedom determinism إنما يؤثر على نحو كبير في طبيعة نظريته أو نظريتها وتضميناتها بشأن النظرية المتصلة بماهية البشر. لذلك تعكس نظرية الشخصية نوع ومقدار ما يعتقد به المُنَظّر من الافتراضات الأساسية بشأن الطبيعة الإنسانية .

٢- العقلانية (المنطقية)- اللاعقلانية (الغيبية) Rationality- Irrationality

إن الموضوع المعنون ببعد العقلانية – اللاعقلانية، إنما يعني الدرجة التي نُعَلّل (نبرر منطقيا) بها القوى التي من شأنها إحداث تأثير في سلوكنا اليومي. هل الناس بمثابة كائنات عقلانية منطقية بالمقام الأول. أم أنهم محكومون بقوى غيبية (لا عقلانية) أساسًا.

وبالرغم من أنه لا يوجد مُنَظّر لأي من نظريات الشخصية المعروفة يجزم بأن الناس عقلانيون تمامًا أو ١٠٠% - purely rational أو غير عقلانيين تمامًا irrational purely ونجد اختلافات واضحة وقاطعة بين مُنَظّري الشخصية بشأن هذا الافتراض الأساسي. مثال على ذلك أكد كيلي killy 1963 على المعالجات العقلانية (المنطقية) التي يستخدمها الناس كنموذج للتصور، وجعلها

أساسًا لنظريته في الشخصية، وافترض أن كل شخص بمثابة عالم "Scientist" ، وأن المعالجات العقلية Intellectual processes ذات قيمة لا تقدر بمال في فهم السلوك الإنساني Human behavior ، وفي الاتجاه المعاكس لوجهة النظر هذه، نجد النظرية السيكودنيامية لفرويد freud's psychodynamic theory، واعتقادها القوى باللاشعورية كأساس للأنشطة العقلية .

ويؤكد فرويد أن اعتبارنا المتضخم للذات inflated self – esteem والذي يرفض أن يعترف بإمكانية ألا نكون مسيطرين أو متحكمين في إدارة عقولنا الخاصة بنا (فهل نحن متحكمون بعقلانية في قدرنا، أم أننا محكومون بقوى لا عقلانية عميقة لها وجود حقيقي ولكننا لا ندركها ؟.

ويؤثر افتراض مُنَظِّر ما لهذه القضية على نحو قوى بطبيعة مركز نظريته. فمثلاً، لو أن مُنَظِّرة تفترض أن العقلانية المنطقية بمثابة قوة كامنة بالفعل في الناس potent force، فإن نظريتها للشخصية تأتي وقد وصفت السلوك بوصفه محكومًا على نطاق واسع بالعمليات المعرفية وعلى هذا الأساس وإذا لم تكن على هذا النحو تمامًا فإنها تكون كذلك بدرجة ما، وتصبح نظريتها معنية بطبيعة وتنوع variety وتطور العمليات المعرفية بالشخصية، أما لو انجذب نحو الوضع المقابل، فإن نظريته ستكون أكثر ميلاً لتصوير الشخص بوصفه مدفوعًا بدرجة أساسية بقوى لاعقلانية والتي ليس بمقدور الشخص أن يكون على وعي بها، لا بصورة جزئية ولا كلية .

واعتمادًا على محتوى النظرية theory's content ، فإن العلاقة بين الشعور، والعمليات العقلانية المنطقية وبين العمليات اللاشعورية، واللاعقلانية، من الممكن أن تصور على نحو مناظر لجبل الجليد (الثلج) Iceberg ، فمع الشعور، تكون العمليات العقلانية المنطقية فوق خط الماء المتموج والذي يفصلها عن الأعماق الواسعة وغير المدركة في القاع فإن التركيز الأساسي لهذه النظرية سيكون متمثلا في أن محتوى القوى (الخفية) (المغمورة في الماء) إنما تعمل عملها إلى أبعد حد في السلوك الإنساني.

بينما قد يختلف المنظرون ذوي التوجه العقلاني وذوي التوجه اللاعقلاني فيما بينهم في ضوء طبيعة العوامل العقلانية أو اللاعقلانية في الشخصية، وتؤدي

الفروق بينهم بشأن الافتراض الأساسي للعقلانية – اللاعقلانية إلى وجهات نظر متعارضة للإنسانية (للنفس البشرية) .

٣- الكلية – الجزئية : Holism – Elementalism

يعني الافتراض الخاص بالكلية أن الطبيعة الإنسانية أن أي سلوك إنساني يمكن أن يفسر فقط – بدراسة الأشخاص ككليات متكاملة Integrated totalities .

وعلى النقيض . يفترض الموقف الجزئي أن الطبيعة الإنسانية والسلوك الصادر عنها يمكن أن يفسر فقط بتناول كل جانب خاص وأساسي بالبحث وهلم جرا .

والمسألة العلمية المحورية هنا هي مستوي ووحدة التحليل التي سيعتمد عليها في دراسة الأفراد فهل الناس يكونوا مدروسين أفضل ككليات أم بالإمكان أن يُفهَموا بصورة أفضل بدراسة كل خاصية من خواصهم على نحو منفصل Separately .

وتعكس معارضات قضية البحث هذه بين المنظرين للشخصية الاختلافات الجوهرية المثيرة بينهم بشأن هذا الافتراض .

تفترض وجهة النظر الكلية The holistic view أن الأشخاص يمكن أن يُفهَموا فقط ككيانات كلية، ولو أخذنا بتفسير الأجزاء، فمن المؤكد، أنها غير مفسرة للوضع النسبي للجزء في الكل (للجستالت or gestalt)النتائج ككل الناشئ عن الأجزاء هذه .

ويؤكد الكليون وبالأدلة بأن العديد من أجزاء الفرد، الكثير منها يزودنا بمستخلصات abstractions وليس عن الكيانات الإنسانية، أي أن دراسة الجزء لا تفيد بشيء لفهم الكل .. إذ أن الجزء تجريد وبتر وكما ذكر أحد باحثي الشخصية Half a piece of chalk is still a piece of chalk .

أي أن نصف أصبح الطباشير يظل قطعة من الطباشير، وكذلك يظل مجرد الأصغر ونصف الرجل لا يكون رجلا كاملاً بأي حال من الأحوال (Shlien , 1963 , P. 3.5)

هذا عن رأى الكُليين، حاول إذن أن تصف وتَدرس الشخصية . وعلى نحو معاكس يؤكد المؤيدون للتجزينية elementalism أن الفهم المنظم للسلوك الإنساني يمكن أن يتحقق فقط عن طريق التحليل التفصيلي لأجزائه المؤلفة له. ويعتقد التجزينيون Elementalists أن لا أحد يشك في أهمية الأبنية الخلوية عند دراسة تشريح الجثة (الجسم)، ولا يستطيع أحد أن ينكر الأهمية البالغة لدراسة العوامل الخاصة المسئولة عن السلوك العام للناس . وفي الحقيقة، يتبنى التجزينيون ومنذ مدة طويلة تلك الافتراضات التي تَعد غامضة، وغير قابلة للقياس Untestable على المستوى السلوكي العام، وتكون قابلة للقياس على مستوى أكثر جزئية.

لذا، فمن المؤكد أن التوجه العلمي الحقيقي للشخصية يجب أن يكون مؤسسًا على مفاهيم تجزينية خاصة ودقيقة والتي تكون قابلة للاختبار الأمبريقي على نحو واضح. يحاول المنظرون التجزينيون للشخصية استنباط وبحث هذه الأنماط من المفاهيم .

٤-الجبلية– البينية: Constituteionalism-Environmentalism

إن الدراسيين لمقررات الشخصية، يوجهون هذا السؤال غالبا إلى أي مدى يمكن اعتبار ما نسميه (شخصية) كنتاج لتكامل وراثي (جيني) ، وإلى أي مدى تكون نتاجًا للبينة ؟ هذا السؤال (الطبيعة – التنشئة nature – nwture) سُئل من قِبَل شخص أو أخر منذ ماض بعيد . وهذه القضية التي ما زالت قائمة بيننا الأن، وتسربت على نحو خفي إلى تفكير المنظرين المعاصرين للشخصية لدرجة أثرت في مفاهيمهم بشأن الطبيعة الإنسانية . ومن ثم صياغتهم لمفاهيم بناء ونمو الشخصية.

وللجبليون القائلون بالسمات الموروثة تاريخ طويل في علم النفس فقد اعتقد كل من هيبوقراط llippocrates وجالن Galen ، وكلاهما من أطباء اليونان القدامى، اعتقدا بأن مزاج الفرد individual's temperament إنما ينشأ عن

توازنه الفريد لأربعة أخلاط جسمية . وقد طور نظراؤهم بالقرن العشرين فنيات متطورة ليحددوا بها تأثير المُوَرِّثات على النزعات السلوكية العامة أو الأمزجة.

إضافة لذلك، وجهات النظر، التي طورت على يد كاتل وايزك Cattel & Eysenck والتي تؤكد على أهمية الاستعدادات الجينية الموروثة والتأثيرات الفسيولوجية في نمو السمات الأساسية للشخصية . فالرصيد البيولوجي للفرد يمثل عاملاً هامًا أيضًا في النظريات الرئيسية للشخصية، مثال على ذلك، مفهوم فرويد بشأن الهو Id ، الذي يعده فرويد مكونًا أساسيًا موروثًا، وهذا (محدد) بما يرثه الفرد .

والبيئة لا تعد – أيضًا – وافدًا جديدًا على التفكير لدى علماء النفس . فتأكيد واطسن wastson's على عمليات أساسية basic processes من قبيل التشريط conditioning أو التعلم learning إنما يعتمد على مقدمة منطقية أساسية مفادها أن البيئة ذات أهمية عظمى في تحديد السلوك الإنساني وفي الحقيقة، يُنظر للتعلم learning على أنه ذو أهمية مطلقة، وذلك لأنه العملية النفسية التي من خلالها تشكل البيئة السلوك .

وهناك قائمة طويلة ومميزة من أبرز المساهمين في علم النفس تبنوا وجهة النظر هذه سلفا، ومجموعة مماثلة مميزة من السيكولوجيين اتبعوهم ، وبطرق متنوعة، طوروا مضامينها، والمضامين الخاصة بالشخصية واضحة للغاية في النظرية المعاصرة للتعلم السلوكي، ومع ذلك فليست السلوكية وحدها صاحبة الاحتكار للتوجه البينوي في النظرية الشخصية، فقد توجد أثار التوجه البينوي على نحو عملي في جميع نظريات الشخصية .

ماذا عن تأثير التعلم لدى عالم الشخصية بشأن بُعد أو آخر من متصل البيئة - الجبلية، سنجد علماء الشخصية المنحازين نحو الجبلية سوف يميلون لرؤية الطبيعة الإنسانية أكثر ما تكون – نتاجا للقوى الفسيولوجية الداخلية عن كونها نتاج لعوامل بينية خارجية (مثال على ذلك ، جان وجون عدوانيان بدرجة عالية highly aggressive لأنهما مريضان بالإيدز بدرجة متقدمة Ids أم لأن العدوان بمثابة سمة مورثة inherited trait في حين قد تعترف مُنَظّر أخر theorist ببعض تأثيرات بينية على السلوك ، فإن المفاهيم التي سنشنها لوصف الشخصية ستعكس افتراضا جبليا. وعلى النقيض من ذلك ، فإن المُنَظر الذي يميل

نحو البينية سوف يرى الطبيعة الإنسانية أكثر ما تكون بمثابة حتمية بينية، مثال، جان وجون Jane and John عدوانيان ، بدرجة كبيرة highly aggressive بسبب سوابقهم التشريطية – بصورة جوهرية ، فقد جعلتهم بينتهم على هذا النحو .

وسوف يعكس المُنَظِّر المؤيد للمنحي البيني هذا التوجه، إضافة لكونه سيركز على عمليات التعلم learning process والتي من خلالها تمارس البيئة تأثيراتها في نمو الشخصية .

وختامًا، يجب أن يكون معلوما أن كل علماء النفس تقريبًا سيتخذون موقف التفاعل بشأن هذا الافتراض (Blass 1984: Kihlstrom, 1987. Magnusson, 1981) وانطلاقا من وجهة النظر الأفضل عنه، سينظر للسلوك كما لو كان نتاجًا للتفاعل القائم بين الجبلية والبيئة .

فعلى سبيل الإيضاح، يعمل العامل الجبلي على نحو متفاوت في ظل الظروف البينية المتفاوتة .

ويختلف التأثير البيني في مفعوله اعتمادًا على جبلة الشخص الذي تؤثر فيه، وعلى أية حال فبالنسبة لغايات الشرح والتفصيل ، فسوف تصاغ الجبلة مفاهيميا على نحو مفصل separted عن البيئة وذلك نظرا لأن الدور الواضح لكل منهما في فكر المنظر قابل لأن يكون مفهوما بوضوح .

٥- القابلية للتغير – عدم القابلية للتغير : Changeability

والقضية الأساسية المتضمنة في هذا الافتراض هي الدرجة التي – لها - يكون الفرد مؤهلاً للتغير، وبصياغة أكثر بساطة، إلى أي مدى يمكن لشخصية الفرد الأساسية individual's basic personality أن تستجيب بمرور الوقت، لتغير حقيقي. إضافة لذلك، هل حدوث تغير أساسي يُعَدُّ مكونا ضروريًا في تطور أو نمو الشخصية ؟ أم أن التغيرات السطحية التي نلحظها في ذواتنا وفي الناس الآخرين لا تزيد عن كونها تغيرات سطحية في السلوك بينما يظل البناء الأساسي للشخصية راسخًا وسليمًا لا يمس .

وكما الحال في بقية الافتراضات الأساسية، فإن الاختلافات بين علماء الشخصية بشأن هذه القضية إنما تظهر انعكاساتها فيما تختلف في التأكيد عليه

نظرياتهم الخاصة، وكما ذكر آنفا، تؤكد معظم تعريفات الشخصية على منظور تاريخ الحياة life history ، أو على المنظور التطوري developmental prespective - إن الافتراض المتصل بالقابلية للتغير – عدم القابلية للتغير، يقدم سؤالاً عن ما مقدار التغير الجوهري fundamental change الذي يمكن أن يطرأ على الشخصية بصورة فعلية عبر سنوات العمر، حتى أن المنظرين داخل نفس التوجه المشترك في علم الشخصية من الممكن أن يكونوا مختلفين، الواحد عن الآخر بشأن هذه القضية، وعلى سبيل المثال، نجد فرويد واريكسون يمثلون الاتجاه السيكوديناميي التقليدي في مجال نظرية الشخصية نجدهم ما يزالا مختلفات بصدد هذا الافتراض الأساسي .

فاريكسون يفترض درجة أكبر بكثير لإمكانية التغير في الشخصية مما يراه فرويد ، مؤكدا (اريكسون) على أن الحياة تغير دائم constant change ، ويصور الأشخاص بوصفهم منتقلون بالضرورة عبر مراحل نمائية وأن كلا من مراحل النمو هذه مميزة بأزمة نفسية اجتماعية خاصة بها a particular psychosocial Crisis واعتمادًا على الكيفية التي يحل بها الناس تلك الأزمات، فإن نموهم يأخذ مسارًا مرغوبًا فيه أو غير مرغوب فيه .

وعلى النقيض من ذلك تمامًا ، صور فرويد freud البناء الأساسي لشخصية الأفراد بوصفه محكومًا بخبرات مرحلة الطفولة المبكرة . وبينما يتغير السلوك الظاهري عبر الحياة، إلا أن البناء الأساسي للشخصية يظل ثابتا إلى حد بعيد، وأن التغير الحقيقي في الشخصية يمكن أن يتحقق فقط بصعوبة بالغة في أحسن الأحوال ، ويحدث ذلك فقط خلال عملية طويلة وشاقة غالبًا أثناء العلاج بالتحليل النفسي . وقد يدلي المنظرون للشخصية الذين أقروا بقابلية الشخصية للتغير، بعدة طرق فعلى سبيل المثال ، ينبغي لنظرياتهم أن تتضمن:

(١) مفهوم مراحل النمو المميزة لمدى الحياة .
(٢) التركيز على القوى التي تؤدي إلى تغير السلوك .
(٣) المفاهيم التي تفسر كيف يمكن للناس أن ينفصلوا (غير متواصلين) مع ماضيهم .
(٤) تأكيد على النمو الشخصي المطرد .

وبصرف النظر عن الاتجاه الذي تتخذه نظرية بعينها ، فإنها تعكس الافتراض الأساسي بأن تغيرات هامة بالشخصية يمكن أن تحدث وتظهر، وهذا يجعل من الواجب أن تكون مشروحة في مصطلحات نظرية. وعلى العكس من ذلك، نجد المنظرين للشخصية والمنحازين لافتراض عدم القابلية للتغير نجدهم أميل لأن يعبروا عنه بتأكيد وجود أبنية ثابتة للشخصية المركزية الجوهرية والتي تشكل سلوك الفرد عبر حياته .

وسوف يؤكد مثل هؤلاء المنظرين على وثاقة الصلة بين تلك الأبنية، فالعوامل الجبلية constitutional factors أو العوامل البيئية environmental factors مسئولة عن تشكيلها ، ومسئولة كذلك عن الطريقة التي تميز بها تلك الأبنية على نحو أساسي – سلوك الفرد عبر الحياة .

٦- الذاتية – الموضوعية Subjectivity – objectivity

هل يعيش الناس في عالم شخصي ذاتي من الخبرة – إلى حد بعيد ذاك الذي يمارس تأثيرا عظيما على سلوكهم؟ أم أن سلوكهم يكون متأثرا بالمقام الأول بالعوامل الخارجية ، الموضوعية ؟

هذا هو جوهر قضية الذاتية - الموضوعية، ولقد اختلف علماء الشخصية اختلافا بيناً بصدد هذا الافتراض مع بعض الاختلافات التي انعكست على نحو واضح من خلال نظرياتهم، وحقيقة، فإن الاختلاف الكبير على هذا الافتراض، ربما يفوق كل الاختلافات الأخرى، ويبدو أنه متأصل في الجذور الفلسفية للانقسام الحاد بين السلوكين behaviorism والظاهراتين phenomenology في علم النفس المعاصر contemporary psychology ، وبعض الأمثلة الاجتماعية نوردها فيما يلي .

روجرز Rogers والذي يمثل المنظور الفينومونولوجي phenomenological prespective في الشخصية قد قرر : "يبدو العالم الداخلي للفرد وله مزيد من التأثير على سلوكه أكثر مما لمثيرات البيئية الخارجية".

فمن وجهة نظر روجرز Rogers ، والفينومينولوجيين ، يعد إطار المرجع الشخصي والذاتي ذو أهمية غير محدودة ، ويكون سلوكه الملاحظ observable behavior غير قابل للفهم على الإطلاق إلا بالرجوع إليه، أي الرجوع للإطار الشخصي المرجعي بمعنى ... سل الشخص ماذا تعني بسلوكك هذا ؟ ، وكما هو الحال غالبًا ، نجد سكنر skinner في الاتجاه المعاكس لروجرز Rogers فسكنر (١٩٧١) ، أبرز السلوكيين وأكثرهم تأثيرًا ، قرر أن المهمة المنوطة بالتحليل العلمي هي تفسير كيف أن سلوك شخص ما ، كنظام جسماني (فيزيقي) يكون مرتبطًا بالظروف (الشروط) conditions التي تَنشأ في ظلها أبناء الجنس البشري ، والظروف التي يعيش الأفراد في ظلها .

وبامكاننا أن نتبع المسار الذي سلكته الفيزياء physics والأحياء piology بأن تحول مباشرة للعلاقة بين السلوك والبيئة ونتجاهل حالة توسط العقل المزعومة، وهذا تأكيد على بساطة العلاقة بين المثير والاستجابة السلوكية وعدم أخذه في الاعتبار للعوامل الوسيطة.

ومن وجهة نظر سكنر وقطاع من السلوكيين المعاصرين يُعد السلوك الإنساني على نطاق واسع – نتاج لعوامل خارجية، وموضوعية تُمَارس فِعلَها فينا، وتلك هي العلاقات الحقيقية بين هذه المتغيرات وبين سلوك الكائن الحي والتي يتوجب على علم النفس أن يكون معنيا بها وكفي .

ولقد كانت النظرية التي بلورها علماء الشخصية المنحازين نحو الذاتية subjectivity ، معنية بالمقام الأول، بطبيعة الخبرة الذاتية للشخص، وفي الحقيقة، كان هذا الفريق أكثر ميلا لأن يُعني بالدراسة العلمية للخبرة الإنسانية human experience ، بوصفها تمثل الجانب الأكثر أهمية في علم النفس .

وعلى النقيض من ذلك، نجد عالم الشخصية المناصر للموضوعية objectivity يميل لبناء نظرية معنية بصورة أساسية بالوقائع السلوكية الموضوعية Objective behavioral events ، وبعلاقاتها العِلّية بمتغيرات قابلة للقياس Measurable factors موجودة بالعالم الخارجي ومن وجهة نظر مثل هذا المُنظّر ، ينبغي لعلم النفس فقط أن يكون علم السلوك Psychology would truly be the science of behavior ولا يُعوّل إلا قليلاً جدا على الخبرة الذاتية في حد ذاتها .

٧- الارجائية – الارتجاعية Proactivity – Reactivity

وتتصل قضية الارجائية – الارتجاعية مباشرة بموضع العِلّية في تفسير السلوك الإنساني، بمعنى، أين توجد الأسباب الحقيقة للتصرفات الإنسانية ؟ فهل يُولّد للناس سلوكهم الذاتي داخليا أي أن سلوكهم ببساطة، عبارة عن سلسلة من الاستجابة لإثارة خارجية ؟

وفي موقع من وجهة النظر الارجائية proactive view للإنسان، يقع الاعتقاد بأن مصادر جميع السلوكيات إنما هي كامنة reside داخل الشخص وأن الناس يفعلون أكثر من كونهم أصحاب رد فعل people act rather than react ويعتقد علماء الشخصية المؤيدون للنظرة الارجائية للطبيعة الإنسانية اعتقادا راسخا بأن أسباب السلوك تكون داخلية وتحدد سلوك الأشخاص على نحو داخلي.

وقد عرض ماسلو maslow وجهة النظر الارجائية التالية، للإنسان "يمتلك الإنسان مستقبله في داخله، نشطاً على نحو تفاعلي في هذه اللحظة الحالية"، ويصيغ علماء الشخصية المؤيدون لوجهة النظر الإرجائية مفاهيم نظرية التي من شأنها أن تساعد في تفسير كيف يستهل الناس أفعالهم Actions

أما نظرية رد الفعل، على الجانب الآخر، فتتعامل مع السلوك بوصفه رد فعل بالدرجة الأولى لإثارة من العالم الخارجي، وليس بوسع الناس أن يُحدثوا تصرفاتهم على نحو داخلي . هم ببساطة يُرجعون لقوى خارجية . وأن الأسباب الحقيقة للسلوك يُنظر إليها على أنها خارجية تمامًا عن الشخص ولقد عبر skinner بوضوح عن النظرة الارتجاعية، "لا قيمة لما يحدث في داخل الجسم الإنساني، فليس لأي واقعة مهما كملت أن تفسر مصادر السلوك الإنساني" ؟

وعلماء الشخصية ذوو التوجه الارتجاعي يشجعون المفاهيم التي تُظهر العلاقات بين المثيرات – الاستجابات stimulus – response أو السلوك – البيئة behavior – environment ويفترض أمثال هؤلاء المنظرين أن مصدر السلوك الإنساني هو البيئة التي ينبثق من خلالها.

٨- الاتزان الحيوي الداخلي – التغاير الحيوي الداخلي: Homeostasis – Heterostasis

ويتصل متغير الاتزان الداخلي – التغاير الداخلي، بصورة أساسية بالدافعية الإنسانية Human motivation . فهل الأفراد مدفوعون بصورة أولية أو بحتة لخفض التوترات to reduce tension وللمحافظة على حالة داخلية من الاتزان Homeostasis ؟ أم أن دافعيتهم الأساسية موجهة مباشرة تجاه النمو، والبحث عن الإثارة stimulus seeking وتحقيق الذات self actualization أي التغاير Heterostasis .

ويتبنى علماء الشخصية المؤيدون للمواقف المختلفة للاتجاه الآخر من هذه القضية وجهات نظر مناقضة تمامًا بشأن الأسس الدافعية للسلوك الإنساني .

وكما أكد بوهلر Buhler : ليس بمقدور أحد أن يعتقد في نهاية الهدف النهائي end goal للتوازن الداخلي ، والهدف النهائي لبلوغ تحقيق الذات ، في وقت واحد معًا .

بمعنى أنهما عمليتان متعارضتان تماما يتعذر الوفاء بهما معا على الوجه المطلوب .

وفي أواسط هذا القرن ، تحدث كل من جون دولارد John Dollard ونيل ميلر Neal Miler (195.) عن موضوع التوازن الداخلي ، ومن وجهة نظرهم تتحدد خصائص الشخصية من خلال التعلم ، تلك العملية التي تتضمن أيضا علاقة ما بين عوامل حافز ما (مثال : الجوع) والتعزيز(مثال : الطعام) فالتعزيز، في نظرية دولارد وميلر، يخفف (تخفيض) من شدة المثيرات المحركة للحافز، وبالتالي، فإن الناس هم ما يكونون عليه إلى حد بعيد وذلك لأنهم قد اكتسبوا خصائص ثابتة acquired stable characteristics والتي تخفض دوافعهم المختلفة وتبقى على حالاتهم الداخلية من التوازن، وأنه بدون الأسس الدافعية للتوازن الداخلي، يستحيل تطور الشخصية .

وفي نفس الوقت – تقريبا – الذي يعظم فيه دولارد وميللر دور التوازن الداخلي (195.) Dollard and Miller نجد ماسلو Maslow 1987 وروجرز 1951 يروجون لمفهوم مختلف تماما للدافعية ، وقد صور منظورا التغاير الأفراد بوصفهم مدفوعين – بصورة أساسية – بالبحث المستمر عن النمو وتحقيق الذات .

فالإنسان لا يحيا بتخفيض الدافع فقط ، وبدلا من أن يُوَجِّه بنو الإنسان سلوكهم تجاه خفض التوتر tension reduction ، وإنما هم وبالطبع يبحثون بدأب عن إثارة جديدة constantly seek new stimuli والبحث عن فرص للتحدي challenging opportunities من أجل تحقيق الذات self – fulfillment . وأن نمو الشخصية يتحقق بسبب هذه النزعة الدافعية الأساسية .

وقد ولّدَ هذا الافتراض الهام عددًا من الاستنتاجات . أن نظريات الشخصية التي تشكلت على يد معتنقي المذهب التوازني قد عُنِيَت بطبيعة وتنوع الدوافع أو الغرائز الأساسية للناس، وأن ميكانيزمات الشخصية المختلفة التي يطورها الأفراد لتخفيض التوتر إنما تتولد عن هذه الدوافع drives، وأن المعالجات التي بواسطتها تعمل ميكانيزمات خفض التوتر إنما هي مكتسبة (متعلمة) .

وعلى العكس من ذلك ، فقد أكدت نظريات الشخصية التي طورَت على يد أصحاب الاتجاه التغايرى على تكامل الدوافع الإنسانية في ظل تحقق الذات، الكفاحات من أجل المستقبل. ومختلف الوسائل التي يبحث بها الإنسان عن النمو وإثبات ذاته .

٩- القابلية للمعرفة – عدم القابلية للمعرفة Knowability- Unknowability

كتب وليم جيمس William James الفيلسوف الأمريكي الكبير يقول،علمنًا قطرة، وجهلنًا بحر (our science is a drop, our ignorance a sea 1956, P.54)

يتمثل جوهر الموضوع هنا "(أي في مقالة جيمس) في قضية القابلية للمعرفة، وعدم القابلية للمعرفة خاص ومتعلق بالطبيعة الإنسانية .

هل الطبيعة الإنسانية قابلة للمعرفة على نحو تام بمصطلحات علمية، أم أن هناك بعض جوانب تتجاوز احتمالات الفهم العلمي؟ يعني هل هناك جوانب بالشخصية لن يصل العلم إلى تفسيرها ؟

من الواضح أن العلماء المتخصصون في الشخصية لا يعرفون – حاليًا كل ما هو موجود وواجب معرفته بشأن بني البشر والسؤال الذي يبرز هاهنا هو ما إذا كانوا سيستطيعون ذلك .

يختلف المنظرون بصورة حادة بشأن هذا السؤال ، وإلى حدٍ ما ، تكون اختلافاتهم مرتبطة بمواقفهم من الافتراضات الأساسية الأخرى.

مثال على ذلك ....

كثيرا ما يرى المُنظرون المؤيدون للجبرية determinism والموضوعية objectivity ، يرون الناس قابلين للمعرفة العلمية، وهذان الافتراضان، بتأثيرهما، يجعلان السلوك الإنساني مُتضمَنًا في الحقل التقليدي للمعرفة العلمية.

ويعد واطسون Watson نموذجًا تاريخيًا يجسد الشق المتصل بالقابلية للمعرفة من هذا الافتراض الفلسفي ووفقًا لما يراه ليندين (Lundin (1963 ، أن واطسن كان مقتنعًا بصورة مطلقة بأن الملاحظة المنظمة والتجريب من شأنهما أن تكشفا عن الأسس المتضمنة بالسلوك الإنساني وفي ضوء استخدام هذا المنحى، طور علماء النفس الشخصي منذ عهد واطسن ، طوروا مفاهيم قابلة للتطبيق في مجال الشخصية.

أما المنحي السلوكي المعاصر لسكنر في الشخصية، على سبيل المثال، قد نظر للناس بوصفهم قابلين للمعرفة ، بصورة أساسية، بمصطلحات علمية scientific terms .

وعلى الطرف المناقض لهذا المتغير نجد النظرية الظاهراتية Phenomenological theory لروجرز Rogers ، ففي كتابه العلاج المتمركز حول العميل client – centered therapy ، أكد روجرز (١٩٥١) أن كل فرد يعيش في عالم دائم التغير continually changing world من الخبرات الذاتية subjective experience التي يتمركز حولها . ولقد طُورَ هذا الاعتقاد على اعتبار أن هذا العالم الشخصي من الخبرة إنما هو خاص private ويمكن أن يكون معروفا فقط على نحو أصيل وكامل في شعور الفرد ذاته فقط . (وإذا ما استطعنا أن نحصل على معلومات كاملة عن الأشخاص، (يكون قد توافر لنا علم نفس مَعْنيٌ بجميع الناس) .

وإذا كان علم نفس الشخصية يعتقد في أن الأفراد قابلين للمعرفة بصورة أساسية بمصطلحات علمية، فإنه يتقدم لتطوير واختبار نظريته بإجراءات منهجية بحثية دقيقة، مؤيدًا أن طبيعة الإنسان ستكون قابلة للفهم على نحو واقعي من خلال

هذا المنحي، ولكن ذلك ربما لا يتحقق في حياته إلا إذا لم تُعَقْ جهوده وما دام يعتقد أن عمله سيكون مُعَجلاً لتقدم علم النفس بلوغاً لتلك الغاية الأساسية.

وعلى النقيض من ذلك، ربما افترض أحد المنظرين أن الأفراد غير قابلين لأن يُعرفوا بمصطلحات علمية. فإنه يكون أكثر انجذابا ليبحث فيما وراء نطاق العلم عن ضالته المنشودة بشأن فهم بني الإنسان.

وفي الحقيقة، ربما يكون حاول دمج مفاهيم لا علمية unscientific ، مع بعضها على نحو بدائي traditionally ليكون نظريته عنه، أو ربما يحاول بذل جهده – بكل قوة – بشأن إعادة تعريف علم النفس، بما في ذلك المفاهيم التي تتمتع بمقبولية كبيرة بين السيكولوجيين، وفي هذه الحال، يعكس نظريته ومنهج بحثه للفرض القائل بأن الطبيعة الإنسانية غير قابلة للمعرفة بمصطلحات علم النفس المعاصر .

١٠- التفردية / العمومية Uniqueness vs. universality

هل يُعد الشخص كياناً فريداً unique ، أم أن بمقدورنا أن نتوصل فى النهاية إلى قوانين عامة ستفسر كل السلوك الإنساني ؟ مرة أخرى، إن الكثير من الأوضاع المعتدلة موجودة: ربما هنالك قواعد واسعة للطبيعة الإنسانية مع وجود حيز للتفاوت الفردي فيما بينهم ؛ أم ربما تتفوق فرديتنا Individuality على خصائصنا المشتركة .commonalities.

وأنا على يقين من أنك ربما تنظر لهذا الافتراض بوصفه يرتبط بالافتراض الخاص بالجبرية والحرية، إذ أن الجبرية تشير إلى احتمالية وجود قوانين عامة universal laws بينما تمثل الحرية المصدر الوحيد للتفردية؛ إلا أن العلاقة ليست تامة أو مؤكدة، كما يوجد فى الصيغ المعتدلة تعقد شديد .

١١- الدافعية الفسيولوجية / الدافعية الغرضية Physiological vs. purposive motivation

هل نحن مدفوعون أكثر بالحاجات الفسيولوجية الأساسية، كالحاجة للطعام، والماء، وللنشاط الجنسي؟ أم أننا مدفوعون أكثر بأغراضنا وأهدافنا وقيمنا، ومبادئنا،وما إلى ذلك؟ إن الاحتمالات الأكثر اعتدالا تتضمن الرأي القائل بأن السلوك الغرضي purposive behavior يكون قوياً ولكنه منبثق عن الحاجات

الفسيولوجية، أو ببساطة أن تلكما النوعين من الدوافع يكون هاماً، ربما فى بعض الأوقات والمواضع .

والصيغة الأكثر فلسفية تنقسم إلى رأيين متناقضين، هما العِلية causality والطبيعية teleology ، يذهب الأول إلى أن حالة عقلك الآن محكومة بالأحداث السابقة prior events ؛ ويذهب الثاني إلى القول بأن حالتك العقلية محكومة بتوجهها نحو المستقبل. ويُعد موقف العِلِيّة هو الأكثر شيوعاً فى علم النفس عامة، بينما نجد الموقف الطبيعي teleological position أكثر قوة فى مجال علم نفس الشخصية personality psychology .

١٢ـ الدافعية الشعورية / الدافعية اللاشعورية. Conscious vs. unconscious motivation

فهل غالبية، بل كل السلوك والخبرة تكون محكومة بالقوى اللاشعورية unconscious forces ، أي القوى التي لا نكون واعين بها؟ أم أن القليل جداً يكون كذلك؟ أم أي من السلوك والخبرة لا يكون محكوماً بالقوى الخارجية. أو بعبارة أخرى كم من المحددات التي تحكم سلوكنا، نكون على وعى بها؟

إن هذا السؤال مما يمكن الإجابة عليه، إلا أن الشعورية واللاشعورية من الأمور الزلقة slippery . مثال على ذلك، لو كنا على وعى بشيء ما وقع منذ لحظة، وأحدث فينا تغييراً ما ، ولكنا غير قادرين الآن على استحضاره للوعي، فيا ترى نكون مدفوعين فى هذه الحالة على نحو شعوري أم لا شعوري ؟ أم إذا كنا ننكر واقعاً ما، ونحجبه عن وعينا، يتوجب ألا نراه وهو يحدث منذ بدايته؟

ـ الفطرة/ التنشئة Nature vs. nurture

وتلك سؤال أخر ربما تسهل الإجابة عليه يوماً ما: إلى أي درجة نمثل نتاجا للوراثة الجينية genetic inheritance أي للفطرة nature أم لتربيتنا وخبراتنا الأخرى (التنشئة)?nurture ويُعد السؤال صعباً لأن الفطرة والتنشئة لا يوجدان على نحو منفصل عن بعضهما البعض. فكل من الجسم والخبرة ضروريان بالفعل لأن يصبح الفرد شخصاً، ومن الصعوبة بمكان أن نفصل تأثيراتهما عن بعضهما .

١٣ - نظريات النمو المرحلية / نظريات النمو غير المرحلية . Stage vs. non-stage theories of development.

إن جانباً من قضية الفطرة/ التنشئة على قدر كبير من الأهمية لعلم نفس الشخصية يتمثل فيما إذا كنا جميعاً نمر بمراحل حتمية من النمو أم لا . فإذا كنا نمر بمراحل محددة من النمو الفسيولوجي -- الجنينية fetal ، الطفولةchildhood ، البلوغ puberty ، الرشد adulthood، الهرم senescence – والمحكومة بالجينات إلى أبعد مدى ممكن . فهل لنا أن نتوقع نفس الشيء لنمونا النفسي ؟

سنرى مدىً واسعاً من المواقف فى هذه القضية ، يتراوح بين نظريات المراحل المُسلم بها من قبل أصحابها، كنظرية فرويد، الذي رأى المراحل بوصفها إنسانية عامة universal وذات خصائص متمايزة، إلى النظريات السلوكية والإنسانية والتي تبرز المراحل بوصفها نتاجات مُصنّعة لنماذج خاصة من التنشئة والثقافة .

١٤ - الحتمية الثقافية / تجاوز الثقافة Cultural determinism vs. cultural transcendence.

فإلى أي مدى تقولبنا ثقافتنا ؟ أم أن بمقدورنا أن نتجاوز تلك التأثيرات ؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما مدى سهولته أو صعوبته. واعلم أن هذه القضية ليست هي قضية الجبرية / الحرية ذاتها: فإذا لم نكن محكومين بالثقافة، فإن تجاوزنا لها "transcendence" قد لا يكون أكثر من جبرية من نوع أخر، سواء بالحاجات الفسيولوجية مثلاً، أو بالجينات .

ويمكن النظر لهذه القضية بطريقة أخرى بأن تسأل نفسك، ما مدى صعوبة أن تعرف شخصاً ما ينتمي لثقافة مختلفة ؟ فإذا كان من الصعب التحرر من ثقافتنا ونتواصل معاً كبشر، عندئذ تصبح الثقافة محددة على نحو طاغ لهويتنا . وإذا كان ذلك أمراً ميسوراً نسبياً، ربما لا يكون تأثير الثقافة قوياً بهذه الدرجة .

❖ - التشكل المبكر/ التشكل المتأخر للشخصية .(يضاف للافتراض الخامس بالكتاب القائل بالتغير / عدم التغير) Early or late personality formation



هل تكون خصائصنا الشخصية مؤسسة منذ طفولتنا المبكرة early childhood ، لتظل ثابتة نسبياً خلال بقية عمرنا ؟

١٥ - التفاؤل/ التشاؤم Optimism vs. pessimism

وأخيرا، نصل لهذه القضية ، والتي أعتقد أنها غير قابلة للحل على الإطلاق : هل بنو البشر جيدون بالأساس أم أنهم سيئون بالأساس؛ هل يتوجب علينا بأن نُفعم بالأمل بشأن امكاناتنا، أم أن نكون مُثَبَطين، هل نحن بحاجة لمزيد من المساعدة ، أم أن حالنا سيكون أفضل لو تُركنا وحدنا وشأننا ؟

خاتمة

تلك هي أبرز القضايا الفلسفية، والدينية، أو الشخصية. والتي ما تزال جميعها مؤثرة. والاتجاه يحدد ما تراه عندما تنظر للإنسانية، وما تراه يؤثر بالتالي في الاتجاه. وبالتالي يؤثر في بقية القضايا: فمثلاً، الاعتلال العقلي لا يعني بُعداً شديداً عن الصحة ، فإذا كانت الشخصية قابلة لأن تكون متغيرة فيما بعد، إذا كانت الثقافة والجينات ليست قوية بالدرجة الكافية، وإذا ما كانت دوافعنا يمكن أن تعمل على نحو شعوري، فستتوفر لنا مساحات أكبر للتفاؤل. والنظريات التي سنتناولها متفائلة بدرجة كافية- على الأقل- لبذل الجهد لفهم الطبيعة الإنسانية.

الفصل الخامس

نظريات الشخصية

يوجد قدر قليل من الاتفاق فيما يتعلق بنمط المنحى الواجب على علماء الشخصية أن يسلكوه لتفسير الجوانب الأساسية للسلوك الإنساني. وفي الحقيقة، وحتى هذه المرحلة من نمو علم الشخصية Personology، يوجد عدد من النظريات البديلة (المتنوعة) لفهم الشخص ككيان متكامل integrated totality يعكس بصورة جلية الفروق بين الناس. لهذا السبب. فسوف نولي قدرًا من الانتباه (الاهتمام) بشأن ما النظرية، وما الوظائف التي تؤديها عند دراستها وفهما للأشخاص.

النظرية Theory

لعله من المناسب أن نبدأ بعرض تعريف نظريات الشخصية. وبداية، النظرية: هي نموذج للواقع من شأنه أن يسهم في مساعدتنا على فهم وتفسير الواقع والتنبؤ به والتحكم فيه. وفي مجال دراسة الشخصية، تكون تلك النظريات – عادة – لفظية. وإن كان بين الحين والآخر يقدم البعض نموذجاً بيانياً، مع بيان بمثال رمزي، أو نموذجاً رياضياً ، أو حتى نموذجاً حاسوبياً. إلا أن الكلمات تظل قالبها الصياغي الأساسي .

وتركز المناحي المختلفة على الجوانب المختلفة للنظرية. فالإنسانيون والوجوديون يميلون للتركيز على جانب الفهم . وهم يعتقدون بأن الكثير مما كون عليه يصعب التنبؤ به والتحكم فيه، إذ أنه بمثابة طريق معقد ممتد إلى أعماق التاريخ والثقافة. وإلى جانب ذلك، يرون أن التنبؤ والتحكم في البشر يُعد – إلى درجة كبيرة – أمراً غير أخلاقي. والسلوكيون والفرويديون، من جهة أخرى، يفضلون تناول التنبؤ والضبط. فإذا كانت بتلك النظريات فكرة مفيدة ، قابلة للتطبيق ! اذهب معها ، أما فهمها فيعد أمراً ثانوياً .

وتعريف أخر يقول أن النظرية بمثابة دليل(موجه للتصرف) ونحن نتصور أن المستقبل يكون شبيهاً على نحو ما بالماضي. ونتصور كذلك أن نتائج ونماذج معينة من الأحداث التي يتكرر وقوعها قبل سلوك ما، يُرجح أن تظهر مرة أخرى. فإذا دققنا في الظروف المؤدية إلى نتيجة ما، أو الأجزاء الأكثر حيوية في نموذج



مـا، لكانـت لنـا بمثابـة علامـات الحـدود أو الإشـارات التحذيريـة. والنظريـة ذ
وجيزة كالخارطة . . إنها ليست مطابقة للريف الذي تصفه؛ فبكل تأكيد لا تتيح
كافة التفاصيل ، وبالرغم من أنها لن تكون واضحة بدرجة كافية. إلا أنها ؛
دليلاً للتصرف ــ وتمكننا من التصويب عندما تخطئ الخريطة.

النظرية هي مجموعة من الأفكار المترابطة فيما بين التصورات، والأ
المقترحة لتفسير ملاحظات بعينها من الواقع .

Theory is a set of interrelated ideas, constructs, and
ıciples proposed to explain certain observations of reality.

والنظرية أيضا بمثابة جهد تأملي Sepeculative في الطبيعة ومن ثم
كلام، لا يمكن الإقرار بصحته أو خطأه "wrong" or "right" ı not be
وعلى أية حال. فإن النظرية تعتبر بصفة عامة، مقبولة وصادقة أو يعتمد ء
من قِبَل المجتمع العلمي بقدر ما تحرزه من ملاحظات حقيقية عن الظاهرة (و
غالبا ما تكون مؤسسة على بيانات مشتقة من تجارب دقيقة) وتكون مدعمة بتة
لنفس الظاهرة المشار إليها بالنظرية .

وإذا ما أصبح السلوك الإنساني مفهوماً على نحو تام في مختلف أوضـ
اليومية فسوف لا تكون هناك حاجة لنظريات الشخصية. إن مثل هذه النظر
تطور تخمينات أو فرضيات Hypotheses عما يكون عليه الناس من حال، ؛
يصبحون على هذا المنوال How they become that way ولـ
يتصرفون بطريقتهم هذه ؟ .

وسوف نتعرض لبعض هذه النظريات، واختبار افتراضاتها الأساس
وعرض لتطبيقات واقعية لكل منها وثيقة الصلة بجوانب السلوك الإنـ
Human bchauior وكم هو كثير ما يمكن الحصول عليه من دراسة نظري
الشخصية.

إن موضوعنا العام هو الطبيعة الإنسانية، وهدفنا هو فهم التنوع والت
للتوظيف الكامل للشخص في عالم الواقع .

وتقدم النظريات وظيفتان أساسيتان: تفسير السلوك والتنبؤ به plain
and predict behavior . وتكون نظرية الشخصية بمثابة مفسر في جه

لتنظيم السلوك الإنساني على نحو تنظيمي to organize human behavior كما لو كانت تصورها بوضوح بعبارة أخرى، تمدنا النظرية بإطار عمل ذي معنى أو بخارطة تبسيط Simplifying ودمج Integating ما نعرفه عن أنواع الأحداث المتصلة بالشخصية . فعلى سبيل المثال. وبغير مساعدة النظرية، يكون من الصعب تفسير لماذا نجد لدى هاني ذي الأعوام الخمسة جاذبية رومانسية قوية تجاه أمه وامتعاض مفرط على طول الخط تجاه أبيه. وقد تتضاعف المشكلة إذا ما كنا نعلم أن الأطفال الصغار (الذكور) يحملون نفس المشاعر .

أن التسلح بنظرية كهذه تثبت عمومية تلك الانفعالات في مرحلة بعينها من نمو الشخصية مزودة بتبرير منطقي لظهورها، من شأنه أن يجعل من الميسور جدا فهم هاني وقد نكون على وصواب أو مخطئين، ولكن أقل ما يمكن أننا ربما نتسق في صياغة معنى لتلك المشاعر لدى الأطفال. إن الوظيفة التفسيرية على قدر خاص من الأهمية إذا أخذنا في الاعتبار ذاك المدى الهائل من الحقائق والملاحظات المتعلقة بالسلوك الإنساني. إن النظرية الجيدة للشخصية تزود بمحتوى يمكن من خلاله للسلوك أن يكون موصوفًا ومُفسرًا على نحو دقيق .

ولا ينبغي للنظرية أن تفسر الأحداث (الوقائع) الماضية والآنية فحسب، بل ينبغي أيضا أن تتنبأ بالأحداث المستقبلية. ويجب أن تزودنا بأسس للتنبؤ بالأحداث والمترتبات التي لم تظهر بعد وهذا الهدف يلمح بوضوح إلى أن مفاهيم نظرية ما لا يجب أن تكون ثابتة فحسب. ولكنها تكون قابلة لأن تصبح مثبته أو غير مثبتة، لذا، فإنا نتوقع تغيرا خاصا يطرأ على سلوك هاني كنتيجة للمعاملة الوالدية . ماذا يمكن أن يحدث لو كانت الأم تشجع على نحو نشط مبادرات هاني الرومانسية أم ماذا يمكن أن يحدث لو أن أباه ينبذه بسبب هذه المشاعر ؟

ولكن لا ينبغي الاكتفاء باحتمال وقوع مثل هذه التنبؤات العلمية، ولكن أيضا، وعلى نحو مثالي، فإن مفاهيم نظرية ما يجب أن تكون مصاغة على نحو يسمح لنا بقياس أمبريقي دقيق ومضبوط ، إن نظرية جيدة للشخصية إنما تستثير - على نحو مباشر- البحث السيكولوجي؛ وعلى النقيض من ذلك فإن القيمة العلمية scientific value للنظريات التي لا تقبل الاختبار، بمعنى أنها غير قادرة على توليد تنبؤات (توقعات) للبحث، إنما تظل غير معروفة. وينبغي أن تتمتع

النظريات بإجراء بحثي (نحتكم إليه) لنعرف ما إذا كانت تساعدنا على فهم الطبيعة الإنسانية في جميع مظاهرها المختلفة من فرد لآخر، أم لا .

الشخصية Personality

عادة، عندما نتكلم عن شخصية فرد ما ، فإننا نتحدث عن ما يجعل هذا الفرد مختلفاً عن الآخرين، بل وفريداً. وهذا الجانب من الشخصية هو ما يعرف بالفروق الفردية individual differences . والتي تمثل قضية مركزية عند بعض النظريات . ولقد أولت تلك النظريات اهتماما بالغاً بأمور من قبيل الأنماط types والسمات traits وبالمقاييس tests التي نتمكن بها من تفيئ الناس أو نقارنهم ببعضهم البعض ك فبعض الناس عُصابيون، وبعضهم ليسوا عُصابيين ، وبعض الناس أكثر انطوائية ، بينما نجد آخرون أكثر انبساطية ، وهكذا .

وعلى أية حال، فإن نظريات الشخصية تُعنى بالقواسم المشتركة بين الناس. ما المثال على ذلك، هل يمكن أن يشترك الشخص العصابي والشخص السوي فى شيء مشترك ؟ أو ما هي البنية المشتركة الموجودة فى الناس والتي تعبر عن نفسها كانطواء لدى البعض وكانبساط لدى الأخرين .؟

إنك لو وضعت الأشخاص على بُعدما – كالسوية – العصابية،أو الانطواء- الانبساط فسيمكنك القول بأن كل شخص يجد له مكاناً على كل بُعد سواء كانوا عصابيين أم لا، فكل الناس لهم نصيبهم من المرض ومن الصحة. وسواء كانوا انطوائيين أم انبساطيين، فإن كلاً منهم متغير على نحو أو آخر .

أي يمكننا القول بأن نظريات الشخصية تكون معنية ببنية الفرد، وبنيته النفسية على وجه التحديد . كيف يرتبط الناس بعضهم ببعض put together ، كيف يعملون، وكيف يتباعدون ويتفككون fall apart .

ولقد ذهبت بعض النظريات إلى ما هو أبعد، وأخذت على عاتقها البحث عن الجوهر الذي يجعل الفرد شخصاً. أو البحث عما يعنيه أن يكون الفرد كائناً بشرياً. إن مجال علم نفس الشخصية ممتد من مجرد البحث الموضوعي الامبريقي البسيط فى الفروق بين الأشخاص وحتى البحث الفلسفي عن معنى الحياة .

إن علماء نفس الشخصية يميلون للاعتقاد بأن مجالهم أشبه بمظلة تنضوى تحتها كافة فروع علم النفس. فهم معنيون بالجينات وبوظائف الأعضاء، وبالتعلم

والنمو، وبالتفاعل الاجتماعي والثقافة، وبعلم الأمراض. كل تلك الموضوعات توجد مجتمعة داخل الفرد .

تؤدي نظريات الشخصية – إذن – وظائف عملية واضحة في علم النفس . فالنظريات تمكننا من معرفة إلى أي حد يتشابه الناس "خصائص ثابتة نسبيًا" وكيف ينتظمون في علاقات مع بعضهم البعض وكيف أن أناسا بعينهم يسلكون على هذا النحو، وتسمح لنا النظريات أيضاً بأن نتنبأ بعلاقات جديدة والتي لم يسبق من قبل وأن بحثت . ويُستَكشَف في ضوء ذلك، أن النظريات تقترح الاتجاهات التي يمكن للبحث المخطط أن يكشف بها عن استبصارات جديدة بمختلف المناطق التي لم تُكتَشَف بعد . وعلى أية حال فإن النقطة ذات الأهمية البالغة هي أن كل نظريات السلوك الإنساني قد صيغت بالكائنات الإنسانية بمعنى أن كل البشر ساهموا فيها فعلماء الشخصية بشر، كسائر البشر يتبنون وجهات نظر متباينة بشأن الطبيعة الإنسانية. فبعض النظريات، على سبيل المثال تعتقد أن السلوكيات الإنسانية تستمد جذورها من دوافع لا شعورية والتي بطبيعتها تقع خارج نطاق وعي الفرد، والتي تكون مصادرها (أسبابها) مستقرة في أعماق الماضي البعيد.

وتعتقد نظريات أخرى في أن الناس يكونون على وعي عِليّ بدوافعهم ولذا فإن سلوكهم يكون في المقام الأول كما لو كان نتيجة للظروف الراهنة وأيا كانت المعتقدات الخاصة بكل مُنَظِّر، فإنه من الجلي أن علماء الشخصية لديهم افتراضات أساسية مختلفة بشأن الطبيعة الإنسانية، وبذلك يتمايزون الواحد عن الآخر. وقد يدرك المُنَظِّر ويشرع في إيضاح هذه التصورات الأساسية، وقد يُقصّر في إيضاحها، أو أن يدمجها ببساطة فتصبح مدمجة بكل معنى الكلمة ومن ثم يصعب التعرف عليها كافتراضات .

وتؤثر الافتراضات الأساسية بصورة عميقة في أفكار عالم الشخصية بشأن طبيعة الشخصية. فعلى سبيل المثال، اعتقد إبراهام ماسلو Maslow أن معظم تصرفاتنا (سلوكياتنا) actions إنما تصدر عن اختيار حر ومقبول، لذا ركزت نظريته على ما شعر به بوصفها جوانب أعلي للطبيعة الإنسانية، وطور نظريته في الشخصية في ضوء ذلك .

ومن جهة أخرى، اعتقد سيجموند فرويد Sigmund freud بأن السلوك . يكون مُحَدّدا على نحو واسع بعوامل غير منطقية، ولا شعورية... وتذهب نظريته

للشخصية إلى أن التصرفات الإنسانية تكون محددة سلفا إذ أكدت نظريته على التحكم اللاشعوري بكل السلوك .

ولقد اقترح ماسلو وفرويد وجهات نظر على طرفي نقيض فيما يتصل بالطبيعة الجوهرية Fundamental nature للكائن الإنساني وهذا في حد ذاته ليس بالأمر الواجب التأكيد عليه هنا.

القضية ببساطة هي أن أسس أية نظرية للشخصية إنما تكون ضاربة بجذورها بعمق في الافتراضات الأساسية لعالم الشخصية بشأن الطبيعة الإنسانية مما يعطي أهمية خاصة لعرض الخلفية الشخصية لكل عالم.

المكونات الأساسية لنظرية في الشخصية

Components of a personality theory

أن أهم الوظائف لنظرية ما تتمثل في أن توضح ماذا توصلت إليه من معرفة بالفعل Already known، والتنبؤ بالأمور التي لم تُعْرَفْ كواقع بعد. وأيًا كانت أغراض النظرية التفسيرية والتنبؤية والقضايا الحيوية والمشكلات التي عُنيتْ بها نظرية الشخصية؟. ما المكونات الأساسية التي تؤلف نظرية ما للشخصية؟ وكيف تتجمع هذه المكونات لاستحداث تناول متكامل للسلوك الإنساني ؟.

هذه بعض الأسئلة التي يطرحها الطلاب بفضول عندما يبدأون في دراسة مقرر ما في علم نفس الشخصية Personality psychology .

أن الأهمية المعطاة بصورة ملائمة في هذا الفصل التمهيدي تبدو وكأنها مجرد محاولة للتعريف بداية بالقضايا البارزة التي واجهت جميع المنظرين .

ببساطة يمكن الإقرار بأن، نظرية الشخصية مؤلفة من (نظريات مصغرة) متنوعة "minitheories" ركزت كل منها على قضايا بعينها specific issues أو على أسئلة تتعلق بالفاعلية السيكولوجية – psychological functioning ، ويتضمن هذا الجزء ستة قضايا والتي من الواجب أن تتضمنها النظرية الكاملة للشخصية The complete theory of personality وأن تبحث لها عن

حلول. وتمثل هذه القضايا المكون المفاهيمي لنظرية الشخصية وتكشف عن محتواها وسعة أفقها في تغطيتها لهذه القضايا .

١ – بناء الشخصية : Personality Structure

وهي المكون الأعظم لأية نظرية في الشخصية ، وتشير المفاهيم البنائية structural concepts إلى الخصائص الثابتة نسبيًا relatively enduring characteristics والتي يبديها الشخص خلال الظروف المختلفة وعبر الزمن، وهي تمثل لبنة البناء الأساسية للحياة النفسية .

وبهذا المعنى فهي متشابهة مع المفاهيم من قبيل الذرة والخلايا في العلوم الطبيعية وعلى أية حال فإن المفاهيم البنائية ذات طبيعة افتراضية تامة، وغير قابلة للملاحظة الميكروسكوبية مثلها في ذلك مثل نيرونات المخ.

ولقد اقترح علماء الشخصية خليطًا من المفاهيم ليفسروا بها ما يكون عليها الناس من خصائص . وواحد من أهم الأمثلة الشائعة للمفهوم البنائي هو السمة trait .

وتشير سمة الشخصية A personality trait إلى خاصية قوية أو نزعة للسلوك على نحو خاص في مختلف المواقف .

A personality trait refers to a durable quality or disposition to behave in a particular way in a varity of situations.

إنها، أي السمة، تشبه ذاك النوع من المفاهيم التي يستخدمها رجال الوعظ عندما يصدرون أحكامًا على الخصائص الثابتة لدى الناس الآخرين. والأمثلة الشائعة للسمات تتضمن، التهور impulsiviy ، الأمانة Honesty، الحساسية sensitivity ، الجبن timidity.

ولقد قاد كل من جوردن البورت Gordon Allport، ريموند كاتل Baymond Cattall ، وهانز إيزنك Hans Exsenck ، قادوا علماء السمات traitologists ، ونَظَّرُوا بأن بناء الشخصية personality structure هو أفضل ما صيغ مفاهيميًا بمعاني الخصائص التنظيمية الافتراضية الكامنة وراء السلوك .

وعلى مستوى أرحب من التحليل، قد نجد بناء الشخصية وقد وُصِفَ في ضوء مفهوم النمط Type . ويشير نمط الشخصية إلى تجمع لعديد من السمات المختلفة في فئات متميزة ومترابطة .

ومقارنة بمفاهيم السمة trait concepts المتصلة ببناء الشخصية، تتضمن المفاهيم النمطية typological conceptions درجة أكبر من الاتساق (الثبات) consistency العام، والعمومية للسلوك. وبينما يمتلك الأشخاص درجة أو أخرى من سمات متعددة، إلا أنهم يوصفون على نحو شائع بكونهم من نمط خاص. فعلى سبيل المثال، قرر كارل يونج carl jung أن الناس جميعهم يُصنَّفون ضمن واحدة من فئتين حتميتين: منطوون introverts ومنبسطون extroverts وفي ضوء وجهة النظر هذه، فالشخص إما أن يكون هذا أو ذاك، ولا ثالث لهما .

ويختلف المنظرون للشخصية في كلٍ من أنواع وعدد المفاهيم التي يستخدمونها في تحديد ملامح بناء الشخصية .

فبعض المنظرين يقترحون نظاما "بنائيا" غاية في التعقيد والإتقان، واحد من هذه النوعية، ربط بين الأجزاء المكونة ، الواحد بالآخر بطرقٍ لا تُعد ولا تُحصى. فتقسيم فرويد الثلاثي للشخصية إلى "هي، أنا، أنا أعلى id . Ego, and superego " يمثل واحدًا لأكثر الأوصاف تعقدا لبناء الشخصية وتنظيمها .

وعلى النقيض من ذلك نجد بعض المنظرين، يقترحون نظاما بنائيا غاية في البساطة يحوي عددا محدودًا من الأجزاء المحددة والتي لها اتصال محدود بين بعضها البعض، مثال على ذلك كيلي Kelly ، المنظر المعرفي الشهير والذي استخدم مفهوما واحدًا هو التصور الشخصي personal construct في تناول الأبعاد الثابتة نسبيًا في بناء الشخصية .

وباختصار فإن أي مدخل لتناول الشخصية حتى يُعد مُفيدا، ينبغي أن يُعنى على نحو أو آخر بقضية أي جوانب الشخصية تتصف بالثبات وغير المتغيرة للسلوك الإنساني، أي قضية البناء، والقضية الأكثر أهمية من ذلك، طبيعة تنظيم هذا وتأثيره على الفرد وفعّاليته . هذا هو المكون المحوري لجميع نظريات الشخصية .

٢ – الدافعية : Motivation

ينبغي لأي نظرية متكاملة للشخصية أن تبحث في قضية لماذا يفعل الناس ما يفعلونه. وتُعرف المفاهيم الدافعية، من جهة أخرى، بوصفها تتناول جوانب عملية معالجة فعالية الفرد إذ تُركّز على الخصائص المتفاعلة والمتغيرة للسلوك الإنساني .

ومن نماذج هذه الأسئلة.. لماذا يختار الناس أهدافًا بعينها يناضلون من أجلها؟ وما هي الدوافع الخاصة التي تزود سلوكهم بالطاقة وتوجهه ؟

هذه الأسئلة إنما تمثل نمط القضايا الواجب تضمينها في المكون الثاني لنظرية ما في الشخصية.

وقد بُذلت جهود لفهم جوانب السلوك اللحظية والمرنة واستُخلصت نتائجها من خلال الاستبصار النظري الهائل. فتقترح بعض النظريات أن مناشط الشخصية بدءًا من ممارسة الجنس إلى الاستمتاع بالفاكهة .إنما تُشتق من جهود الفرد لخفض التوتر .

وهذا ما يُعرف باسم نموذج الدافعية لخفض التوتر (القلق) والذي صيغ لأول مرة على يد فرويد مُفترضًا أن حاجات الفرد الفسيولوجية والحيوية الجينية إنما تُولّد التوتر، والذي يجبر Compel الفرد على العمل على تخفيضه بإشباع حاجاته .

وتوجد أنواع عديدة من الحاجات الأساسية منها على سبيل المثال، الجوع والعطش، والنوم، والجنس hunger, thirst, sleepiness and sex فتنطبق عليها نظرية الدافعية الإنسانية لخفض التوتر .

وعلى النقيض من ذلك، تؤكد بعض نظريات ديناميات الشخصية على كفاح الفرد للسيطرة على البيئة والتطلع لخبرات جديدة من أجل متعتهم الشخصية.

ويذكر المؤيدون لهذه الوجهة من النظر أنه كلما نضج الأفراد، كلما أصبحت معظم سلوكياتهم مستمرة في مهارات نامية developing skills من أجل تحقيق الكفاية Competency أو من أجل التعامل الفعال مع البيئة ، وأن مقدارًا أقل من سلوكهم يكون مقصورا في غاية التخفيف من التوتر .

وبالطبع لسنا مضطرين للتقيد بأي من نموذجي الدافعية الإنسانية، سواء نموذج خفض التوتر، أو نموذج الكفاية. فقد افترض ماسلو، كواحد من أبرز المنظرين الدافعيين، افترض أن الفرد في أوقات معينة يكون محكوما بحاجات النقص deficit needs والعمل على خفض التوتر seeks to reduce tension، بينما في أوقات أخرى، يكون الفرد محكومًا بحاجات النمو Growth needs والعمل على زيادة التوتر، كوسيلة لغاية تتعلق بالإنجاز الشخصي personal fulfillment .

وبالرغم من أن مثل هذه الوجهة من النظر والمتكاملة تبدو جديرة بالتصديق إلا أن معظم المنظرين قد مالوا لاستخدام واحدٍ أو آخر من النماذج الدافعية لتفسير ما يدفع الناس للتصرف على هذا النحو. بمعنى أن كثيرا من الباحثين لم يحاولوا الجمع بين أكثر من وجهة نظر للتكامل فيما بينها.

٣ – نمو الشخصية : Personality Development

إذا كانت الشخصية تشير إلى الخصائص، الثابتة، والدائمة، فإن معرفة كيف تتطور مثل هذه الخصائص تصبح فضولاً لا قيمة له. بمعنى، ربما يتصور البعض أن الحديث عن تطور الشخصية أمرًا لا قيمة له خاصة وأننا نؤكد دومًا على ثبات خصائص الشخصية .

أن المفاهيم النمائية developmental concepts تركز على مسألة كيف أن الجوانب البنائية والدافعية لفعّالية الشخص إنما تتغير من الطفولة إلى مرحلة الرشد إلى مرحلة المسنين. وأن تناول هذا التغيير يعد مكونًا أساسيًا لمعالم أي نظرية للشخصية .

يظهر نمو الشخصية جليا عبر الحياة. وبناء عليه افترضت بعض النظريات نموذج مراحلي لتفسير نماذج النمو (التغير) في حياة الشخص وتُعد نظرية فرويد بشأن نمو الشخصية بمصطلحات تتصل بسلسلة مراحل جنسية نفسية مثال على هذه النظريات. وصياغة المراحل الثمانية لاريسكون، إنما يعطي مثالاً آخر لهذه النظريات. بينما منظرون آخرون عل عكس ذلك. يؤكدون على دور علاقات الوالدين بالطفل كعامل هام في فهم قضية النمو فروجرز Rogers، على سبيل المثال، عَلقَ أهمية كبرى على مفهوم الذات لدى الفرد – individual's selif

concept وكيف يتشكل، على نحو معرفي وانفعالي باتجاهات الوالدين وسلوكياتهم أثناء سنوات التشكل من الحياة .

ويتأثر نمو الشخصية بخليط من المحددات الخارجية والداخلية external and internal determinants، وعلى الجانب الخارجي أو البيئي، توجد بعض المحددات، منها عضوية الفرد في ثقافة خاصة، الطبقة الاجتماعية الاقتصادية social economic class، والوضع الفريد للأسرة unique family seeting والمحددات الداخلية على الجانب الآخر- تشمل القوى الجينية، البيولوجية، والفسيولوجية - genetic, biological, and physiological forces ذلك إضافة للتسليم بالتغيرات التي تصاحب نمونا – جسميًا، اجتماعيًا، عقليًا ، عاطفيًا، وخلقيًا، وذلك لتحديد، بل على الأقل لمجرد الكشف، كم أن قضية النمو الإنساني في الواقع معقدة للغاية .

وتؤدي العضوية في ثقافة بعينها وفقا لتنشئة اجتماعية، إلى نماذج معيارية normatic Patterns للتفكير thinking، الشعور feeling، والسلوك behavior سواء كنا على وعي بذلك أم لا، فإن القوى الثقافية تُحدد تصوراتنا عن ذواتنا، وعلاقاتنا بالآخرين، وحاجاتنا وأساليب إشباعها، والأهداف التي نناضل لبلوغها، وبطريقة مماثلة، فإن العضوية في طبقة اجتماعية اقتصادية بعينها من شأنه أن يؤثر على نحو دال في القيم values، الاتجاهات Attitudes وأنماط الحياة التي نكتسبها. ومن الغريب حقا أن القليل من جوانب نمونا يمكن أن تفهم بغير الرجوع للجماعات التي ننتمي إليها. حتى في المجتمع التعددي مثل المجتمع الأمريكي، فإن الانتماء لطبقة اجتماعية social class كثيرا "ما يمنح الأفراد مكانتهم status، والدور الذي يضطلعون به والامتيازات privileges والفرص Opportunities التي يتمتعون بها. وتمارس عوامل الطبقة الاجتماعية social class factors تأثيرًا لا يُستهان به على خبراتنا بمختلف صور الانضغاط Stress ، والصراع conflict وأساليبنا للتعامل معها.

وهناك دليل على أن طبقتنا الاجتماعية مرتبطة بانتشار المرض العقلي mental illness، وبأنماط الاضطراب العقلي الموجودة بين السكان، ففي مسح أجراه ماير وآخرون (Myers et. al .. 1984) في خمسة مجتمعات محلية communities تشمل نحو ١.... عشرة آلاف أمريكي، أسفر عن أن خريجي

الكليات لديهم مشكلات صحية عقلية أقل بكثير من غير خريجي الكليات، وبالتوازي مع هذا الخط تشير الأدلة إلى أن انتشار الاضطراب العقلي كان أعلى في المجتمعات المحلية الفقيرة، والسوداء، كما أن الانتماء لمحيط أسرة معينة ذو تأثير على نمو شخصية الفرد .

ولعل الأهمية الخاصة هنا تتمثل في نموذج السلوك الوالدي والمستخدم في تنشئة الطفل، فيما يتعلق بالقيم Values ، الاعتقادات Beliefs والأهداف Goals، إذ أن الوالدين يمثلون نماذج للتوحد medels for identification، ومن خلال الاتصال الدقيق بسلوكياتهم الخاصة ينقلون لأبنائهم نماذج السلوك والتي سوف تؤثر في الأطفال طيلة حياتهم.

والعوامل الجينية Genatic factors هي المؤثرات على السلوك والتي تكون موروثة من الوالدين للأطفال من خلال ميكانيزمات الوراثة Mechanisms of heredity وأيضا تكون منقولة بفعل البيئة وهي تلعب، أي العوامل الجينية، دورًا محوريًا في تحديد نمو الشخصية. فعلى سبيل المثال، هناك برهان قوي مستمد من دراسات على التوائم يبين أن الاتزان الانفعالي emotional stability والانبساط extraversion، والإيثار altruism إنما تعد موروثة إلى حد بعيد (Rose, et al, 1988, Rushtan et al ., 1986)

أما بقية النزعات الشخصية والتي تتشكل على نحو جزئي على الأقل بالمكونات الجينية فتشمل، الانعزالية alienation، العدوانية aggression، الرغبة في الإنجاز desire for achievement ، القيادة leadership، التخيل (التصور) imagination ، والشعور بالوجود الأفضل sense of well – being (Tellegen et al., 1988) .

إن الجدل المحتدم بشأن الأهمية النسبية للعوامل البيئية والجينية، قد اتخذ – مؤخرا – مسارًا للتأكيد على كيف تتفاعل هذه العوامل لتنتج الخصائص السلوكية الملموسة .

ويفترض المنظرون المعنيون بالوظيفة التفاعلية أنه لا يوجد شخص ينمو بدون أن يكون متأثرًا بالبيئة، ولا يوجد شخص ينمو بدون أن يكون متأثرًا بالهبات الجينية .

وبرغم الاختلاف البيّن، فإن هذه النظرة تفترض suggests أن الوراثة تحدد حدودًا لمدى تطور الخصائص داخل مجموعة من الحدود داخل هذا الإطار، بينما يكون النمو الإضافي للخصائص محددًا بالعوامل البيئية. وتختلف نظريات الشخصية personality theories في ما توليه من أهمية للأسئلة المتصلة بالنمو والتغير الطارئ عبر الحياة وفي تحديد العوامل المسئولة عن النمو من يوم ليوم، وتحديد الوزن النسبي للعوامل الجينية والبيئية والتي يتحدد في ضوئها نمو الفرد . وبرغم ذلك، فإنه يتوجب على أية نظرية كاملة للشخصية أن تفسر نمو الأبنية strctures والعمليات processes الكامنة وراء السلوك الإنساني .

٤- علم الأمراض النفسية: Psychopathology

وتبقى قضية أخرى تواجه أية نظرية للشخصية هي، لماذا نجد بعض الناس غير قادرين على التكيف لمتطلبات المجتمع والفاعلية الوظيفية . ويعطي العديد من علماء الشخصية – بالفعل – بعض الاهتمام لماذا يسلك أناس بعينهم أساليب سلوكية مرضية – Pathological أو غير تكيفية في الحياة .

ويعد Etiology (علم أسباب الأمراض) أو دراسة وتفسير أسباب الأداء الوظيفي غير السوي ، القضية المحورية لهذا المكون من مكونات نظرية شخصية.

لقد تطورت عدة مناحي لتفسير أسباب السلوك اللاسوى abnormal behavior. فعلى سبيل المثال، يعتقد علماء الشخصية المنتمين للاتجاه النفستفاعلى sychodynamic prespective، بأن الصراعات غير المحلولة أثناء مرحلة الطفولة تتسبب على نحو فعلي في السلوك اللاسوي في مرحلة الرشد .

That unresolved conflicts during childhood eventually bring about abnormal behavior in adulthood .

وأن منشأ هذه الصراعات يعود إلى الرغبات المتعارضة Opposing wishes فيما يتصل بالجنس والعدوان Sex and aggression اللذان يؤديان إلى تفاقم الأعراض symptoms إضافة لذلك، كون الصراعات خافية Hidden

، فإن الشخص لا تكون لديه أية فكرة عما الذي يسبب الأعراض، والتي تكون في مجملها عرضه لكبت هائل more distressing .

وعلى النقيض من ذلك، ينظر الاتجاه السلوكي behavioral prespective للسلوك على أنه المشكلة في حد ذاته، ووفقا "لتناول منظور السلوكية، فليس من الضروري اللجوء لافتراض ميكانيزمات غامضة عميقة، وغير قابلة للملاحظة unobservable لتفسير السلوك اللاسوى، وعوضًا عن ذلك، ينبغي للمرء أن يحلل كيف أن السلوك اللاسوي أصبح مُتَعلَّمًا من خلال الخبرة الماضية last experience وكيف استمر في الحاضر (حاليا) بسبب الظروف القائمة في بيئة الفرد الاجتماعية .

وتقدم بعض النظريات تفسيراً مؤداه أن السلوك (سلوك الشخص السوي واللاسوي person's behavior – إنما يكون مُحَدَّدًا بنوع جماعة الأسرة kind of family group، والمجتمع society، والثقافة culture التي يعيشون فيها، فجميعنا يمثل جزءًا من شبكة اجتماعية بالأسرة، الأصدقاء، المعارف، وحتى الغرباء، ونوعيات العلاقات التي ننشئها مع الآخرين من شأنها أن تعزز السلوكيات اللاسوية، بل وحتى قد تتسبب في ظهورها.

ويؤكد المقترحون للنموذج الاجتماعي الثقافي sociocultural model للاسوية على أن أنواع الضغوط stresses والصراعات conflicts التي يخبرها الناس كجزء من تفاعلاتهم اليومية daily interaction مع من يحيطون بهم من شأنها أن تسبب أو تعزز الصيغ المرضية للسلوك.

إن مسألة صياغة مفاهيم أسباب المرض النفسي تشير إلى تنوع النظريات (المناحي) Approaches عبر التاريخ القصير نسبيا لنظرية الشخصية . إذ تقترح الاتجاهات الوارد ذكرها ليس فقط أسباب مختلفة للسلوك ولكن تذكر أيضًا اتجاهات علاجية مختلفة. ولكن ما الذي يهم معرفته، هو ما إذا كانت هذه نظرية كاملة للشخصية complete theory of personality ، يجب أن تتضمن تحليلا كاملا عن لماذا يجد بعض الناس الحياة مقلقة للغاية ولماذا يفشلون في تطوير مهارات حل المشكلات بصورة فعالة .

٥ ـ الصحة النفسية Psychological Health

وفي محاولة لحصر الجوانب المختلفة (والمتنوعة للسلوك الإنساني فإن أية نظرية رصينة للشخصية ينبغي أن توفر لنا محكًا Criteria يمكن بواسطته تحديد الشخصية السوية Healthy personality هذه هي قضية ما الذي يؤلف (يشكل ـ يحدد) الحياة الطيبة good life وتقدم نظريات الشخصية وجهات نظر متعددة بشأن مكون أساسي وهام عن إسهاماتها المفاهيمية الهامة .

ولقد صاغ دوان شولتز Duane Schultz القضية حينما ذكر (يعتقد العديد من السيكولوجيين أن البحث في الشخصية السوية يجب أن يركز أولا على علم النفس Psychology، وما الفرع العلمي الأخر الذي يبحث في الظرف الإنساني، ما الشيء الذي لديه قوة عظيمة لتغيير العالم ، للأحسن أو للأسوء، أكثر من الشخصية الإنسانية بمعنى أن الشخصية الإنسانية هي المسئولة عن سعادة الدنيا أو شقائها وما الشيء ذو التأثير الكبير على جوهر حياتنا أكثر من الصحة النفسية psychological health والتي نصمد بها في وجه مشكلاتنا .

لقد عُنيت معظم نظريات الشخصية بقضية ما الذي يشكل الوجود النفسي الأفضل Psychological well – being فعلى سبيل المثال، اقترح فرويد أن فاعلية الشخصية الناضجة إنما يتحدد بمقدار العمل المنتج والعلاقات البينشخصية المشبعة .

وبالرغم أنه من النظرة العاجلة لهذا المحك Criterion للصحة النفسية قد يبدو شيئا عامًا global وغير متخصص،إلا أن الاهتمام الفائق بهذا المعيار إنما يعكس عدة تضمنيات هامة. فعلى سبيل المثال، القدرة على العمل وفقا لقول فرويد، إنما تتضمن القدرة على تخطيط وتنفيذ الأهداف بعيدة المدى. وذلك لإرجاء إشباع الدوافع العزيزية سعيًا وراء تلك الأهداف. لمواجهة القلق الذي ينشأ من كون السلوك فاسدًا على نحو مستمر، ويؤكد فرويد، بطريقة مماثلة على أن العلاقات الاجتماعية المشبعة إنما تتضمن القدرة على اكتساب الخبرة والاستمتاع بمدى واسع من العواطف بغير شعور بالتهديد، وقدرة على إشباع الدوافع الجنسية والعدوانية اللاشعورية على نحو مبتكر .

ونجد الصحة النفسية وقد عُرّفت من قِبَل منظور التعلم الاجتماعي social learing theory prespective فعلي سبيل المثال، نجد باندورا Bandure (1982) ، يعطي تأكيدا على أهمية مدركاتنا في قدرتنا على الوفاء بمتطلبات الحياة أو بمصطلحاته self efficacy (فاعلية الذات) أو إدراك أن ذلك الشخص مؤهل لإنجاز تلك السلوكيات كضرورة لبلوغ أهدافه. إنما يُعد مظهراً أساسيا للتكيف الشخصي، والأكثر من ذلك، أن يدعي باندورا، أن الأشخاص الذين يرون أنفسهم بوصفهم ذوي فعالية ذاتية، إنما يتقبلون التحديات الجسام ، يبذلون جهدًا أكبر، وقد يكونوا أكثر نجاحًا في بلوغ أهدافهم .

ويُولي بعض علماء نفس الشخصية اهتماما بالغا لاشتقاق تصوير للحياة الطيبة good life وما تستلزمه. ولا مكان لبرهان أقوى مما نادت به نظرية ماسلو من تحقق الذات self- actualization ، والتي تأتي في قائمة ترتيب هرمي للحاجات hierarchy of needs .

وبالنسبة لماسلو (Maslow 1987) يتطلب النمو انتقالاً للمهم نسبيًا من الحاجات الأكثر أولولية. كالحاجة إلى الإشباع الفسيولوجي والأمن. إلى الحاجات الأكثر تطورا وإنسانية كالحقيقة والجمال .

وقد عُنِي ماسلو كذلك بدراسة لشخصيات محققة لذاتها وصاغ ملاحظاته في مصطلحات لخصائص بروفيل للشخصية والتي تتضمن بعض الخصائص، كالإدراك الفعّال للواقع ، الحاجة للخصوصية privacy والانعزال، وقبول الذات والآخرين .

وبغير سؤال، فإن المحك المستخدم في تحديد الصحة العقلية إنما يحتل أهمية مركزية لأي نظرية متكاملة للشخصية، وتقدم أكثرية النظريات التي سنتناولها، تقدم تصورات عقلية constructs، ومقترحات متصلة بالنضج النفسي psychological maturity .

٦- تغير الشخصية بواسطة التدخل العلاجي :

Personality Change Via Therapeutic Intervention

ولما كانت نظريات الشخصية تعطي بعض اهتمام لأسباب الأمراض النفسية causes of psychopathology ، كان طبيعيا أن يتبع ذلك أنهم يقترحون كذلك طرقا (أساليب) لعلاج السلوك الناجم عن المرض النفسي، لذا فإن القضية السادسة والأخيرة تمثل المحك الوثيق الصلة بالتنظير للشخصية وهو كيف تساعد الناس على اكتساب كفايات جديدة وكيف يقللون من صيغ السلوك المرضى، وكيف يحققون تغييرات شخصية إيجابية .

لقد اجتهد العديد من النظريات النفسية في استنباط إطار إكلينيكي أو إرشادي لذلك، فمن الصعب أن نُفاجأ بأن هناك العديد من مناحي العلاج يساوي قريبًا ما يوجد من نظريات الشخصية. والفروق ليست قاصرة فقط على مناهج العلاج ولكن أيضا في الافتراضات التي كونها المنظرون عن الشخصية بصفة عامة ففي أكثر النظريات قبولاً، النظرية النفستحليلية Psychodynamic theory والتي كان لها السبق في تناول أهمية الصراعات اللاشعورية unconscious conflicts والخبرات التعليمة المبكرة early learned experiences كعوامل محددة مُتَحَكمة في السلوك، نجد النموذج النفسديناميِ في التدخل العلاجي هو ذلك الذي يؤكد على مساعدة الناس على الاستبصار (النفاذ) إلى اللاشعور والمصادر الطفلية للصراعات recognizing كيف تتداخل هذه الصراعات مع حياة الراشد .

وفي النظرية ذائعة الصيت ، النظرية السلوكية Behavioral theory والتي تتبني وجهة النظر القائلة بأن الأحداث الواقعية في البيئة المحيطة تحدد السلوك على نطاق واسع ويفترض منظرو هذا الاتجاه، إضافة لذلك، أن الأشخاص الذين يُظهرون سلوكا مرضيًا أمامهم أحد أمرين أما تعلم المهارات اللازمة لمواجهة متطلبات الحياة المعيشية اليومية أو أنهم قد اكتسبوا مهارات معيبة والتي ترسخت من خلال بعض صيغ التعزيز.

وترتيبًا على ذلك، فإن المنحى السلوكي للعلاج إنما يهدف لمساعدة الناس لتعلم سلوك جديد، لإزالة الأنماط الرديئة منه والتي نَمَوْهَا أو عدم تعليمهم الاستجابات المرضية .

ويتيح تغير الشخصية، أو تغير السلوك من خلال التدخل العلاجي إمكانات عديدة تغير في تصور الذات Change in self – image أساليب العلاقات البينشخصية، العمليات المعرفية ردود الفعل العاطفية، القيم، أهداف الحياة، وإدارة الوقت، وهذه مجرد نماذج لما لا حصر له من صيغ مُستهدفٌ تغيرها لدى الأفراد الخاضعين للعلاج. وتبعًا لذلك، فإن تناولا شاملاً للشخصية يجب أن يشير إلى الوسائط التي بواسطتها يمكن تصنيف صيغ السلوك غير المرغوب فيها حتى يمكن للفرد أن يعود في ضوئها لأساليب ناجحة للفاعلية .

حقًا توجد عدة مناحي مختلفة لفهم الشخصية، وبرغم ذلك التنوع الهائل، فإن نظريات الشخصية تشترك فيما بينها في إطار مفاهيمي مشترك محدد بالقضايا الست المتعلقة بالسلوك: البناء structure، الدافعية motivation ، النمو development، المرض النفسي psychopathology الصحة النفسية Psychological health وتغير الشخصية Personality change via therapeutic intervention عن طريق التدخل العلاجي تؤخذ مجتمعة، والمفاهيم المقدمة من قبل نظرية ما لتفسير كل قضية من هذه القضايا تحدد أي هذه النظريات أكثر شمولاً، وتساعد الطرق (الأساليب) التي عرضها المُنَظرون بشأن هذه القضايا في تحديد الاتجاهات النظرية العامة لكل وظيفة نظرية (يعني لكل قضية من القضايا الست) .

محكات تقويمية لنظرية الشخصية

Criteria for Evaluating Personality Theories

في ضوء نظريات الشخصية المتعددة والبديلة، كيف يمكننا تقدير مزايا كل منها؟ إن ذلك يتمثل، في الوظائف الاستكشافية والتنبؤية التي يمكن أن تقدمها نظرية ما، فكيف يمكننا أن نقرر ما الذي يجعل نظرية أفضل من الأخرى؟ وقد

وُظِفتْ المحكات الستة الأساسية لتقويم نظريات الشخصية على نحو نظامي. وهناك إجماع في وسط المجتمع العلمي مفاده أن أي نظرية للشخصية ينبغي أن تتمتع بكل محك إلى مدي معين حتى تحظي بتقويم عام ملائم.

القابلية للإثبات: Verifiability

تُقوّم أيُ نظرية على نحو إيجابي بمدي ما تقدمه مفاهيمها من إمكانية إثباتها على يد الباحثين، وذلك يعني أن أية نظرية ينبغي أن تصاغ على نحو من الوضوح لمفاهيمها، مقترحاتها، وفرضياتها، وعدم الغموض في تعريفها، وأن تكون تلك العناصر ذات علاقة منطقية فيما بينها . وبهذه الطريقة تكون النتائج الإمبريقية قابلة للاستدلال المنطقي، وقابلة للاختبار بيسر باستخدام البحث المنهجي formal research وللتمثيل على ذلك، دعنا نتصور أنا بصدد تقويم ادعاء الفريد أدلر بأن المواليد الأول first – borns يميلون لأن أن يكونوا أكثر أهلية لإنجاز أكبر more achievement في الرشد مقارنة بالأشخاص ذوي الترتب الولادى التالي.

خطوتنا الأساسية للتثبيت من صدق هذه الفرضية إنما تتمثل في اختيار عينة ملائمة appropriate sample من المفحوصين لدراستها. بعد ذلك علينا أن نسأل كل مبحوث عن ترتيبه أو ترتيبها الولادى. ويعد الإنجاز Achivement أمرًا في غاية الصعوبة من حيث إمكانية قياسه. ولربما نسأل عينه المبحوثين ليذكروا لنا مستوى إنجازهم العقلي intellectual achievement في الأوضاع الدراسية. أو ربما نلاحظ السلوك الإنجازي للمبحوثين في أوضاع العمل . أو ربما نجري اختبارًا للتقرير الذاتي Self Report Test والذي أعِدَ لقياس assess الفروق الفردية individual differences في الدافعية للإنجاز Achievement motivatio وهكذا نجد توافر العديد من الاحتمالات. والشيء الجدير بالذكر هنا هو أن أية نظرية جيدة هي القادرة على توليد فرضيات قابلة للقياس . وأية نظرية صيغت بلغة دقيقة كهذه ينطبق عليها نفس الكلام .

وبالرغم من أن هذا المتطلب سهل التحديد، إلا أنه قد ثبتت صعوبته الفائقة لدى الباحثين في الشخصية ليقدموا حتى مجرد قدرًا متوسطًا من التدعيم الإمبريقي لافتراضاتهم النظرية المشار إليها. ونظريات الشخصية ليست عاجزة – بالضرورة – عن توليد اقتراحات قابلة للقياس ولكن يوجد هناك ندرة من البحث الحاسم مَعْنَى بدرجة اكبر بالمفاهيم النظرية، ومع ذلك، يجب أن تشتمل أية نظرية جيدة على فرضيات قابلة للقياس فيما يتصل بالعلاقات بين الظواهر والنظرية التي لا تكون منفتحة لاحتمالية أن تكون مثبتة بالإضافة إلى كونها غير مثبتة إنما تكون نظرية فقيرة poor theory أي أنها تكون غير مثمرة لأية غايات عملية .

القيمة الكشفية : Heuristic Value

ويُعَدّ هذا المحك على قدر بالغ من الأهمية لعالم الشخصية ذي التوجه الامبريقي، وتتمثل القضية في الدرجة التي تستثير بها النظرية الباحثين لمزيد من البحث .

وتختلف نظريات الشخصية اختلافا هائلاً في قدرتها على بلوغ هذه الغاية ولعل من أكثر الصياغات النظرية استفزازا في مجال الشخصية النظرية الإنسانية لفروم، ونظرية البناء الشخصي لكيلي فقد أحرزت الحد الأدنى فقط من التأثير في عمل الباحثين في مجال علم النفس. وتنشأ هذه الحالة من القضايا المثيرة للجدل عن فضل المنظر في تحديد مفاهيمه على نحو عملي، أي الكيفية التي بها تكون مفاهيمه مرتبطة عند مستوى معين بطريقة عملية للقياس أو بنوعية سلوك قابلة للملاحظة ، وكذلك من خلال ترجمة المفاهيم المركزية إلى صيغة تسمح بإلقاء الضوء على النشاط البحثي .

الاتساق الداخلي: Internal Consistency

ويعني هذا المحك أن تكون النظرية خالية تمامًا من التناقضات الداخلية، وهكذا يتوجب أن تكون النظرية الجيدة معنية بظواهر مُنَوّعَة بطريقة متسقة داخليًا، وأية نظرية متكاملة – أيضًا ينبغي أن تشتمل على افتراضات، ومقترحات تكون منسجمة معًا على نحو منطقي .وإجمالاً، تحرز نظريات الشخصية نجاحا مقبولاً بقدر بلوغها ذلك المستوى، وعندما تظهر تنبؤات متضاربة، يمكن عزوها في الغالب إلى سوء فهم لمفاهيم النظرية من قِبَل الباحث .

أن توافر مجموعة من الافتراضات عن الطبيعة الإنسانية من شأنه تكوين نظرية للشخصية ذات مفاهيم concepts ومقترحات propositions متحدة على نحو فعال .

الاقتصاد : Parsimony

تُقوَّمُ النظرية أيضًا على أساس عدد المفاهيم concepts المتطلبة لوصف وشرح الوقائع بدائرة تخصصها. أن مبدأ الاقتصاد، Parsimony يشير إلى أن التفسير الأبسط والأكثر وضوحًا إنما يعتبر تفسيراً أكمل. بعبارة أخرى، أن العدد الأقل من المفاهيم والافتراضات اللازمة لنظرية ما لتناول الظاهرة التي تسعى لتفسيرها، هذا كلما تحقق كلما كان أفضل. وعلى العكس من ذلك تتساوى جميع الأشياء، فالنظرية المثقلة بمفاهيم زائدة وافتراضات مفرطة، ينظر إليها على أنها نظرية فقيرة . ولعل مثالاً يوضح ذلك المحك دعنا نفترض أن ما لا حصر له من ملاحظات يدعم الاستنتاجات القائلة بأن الناس المكتئبين.

(أ) يتبنون نظرة سلبية متطابقة عن ذواتهم ،

(ب) متشائمون بشأن مستقبلهم ،

(جـ) لديهم نزعة لتفسير خبرتهم الماضية على نحو سلبي (يعني الاجترار) .

ولعلنا في ضوء ذلك نُنَظِّر بأن تدني اعتبار الذات Low self –esteem هو السبب الأول للاكتئاب.

إن تدني اعتبار الذات يُلخص قائمة طويلة مُسهبة لملاحظات متباينة متصلة بالأشخاص المكتئبين. إنه يوفر لنا طريقة أكثر اقتصادا، يمكن بواسطتها تفسير الحقائق غير المترابطة، المتباينة، والمتعلقة بالأشخاص المكتئبين.

ومما يؤسف له، ليست هناك قواعد متينة أو مُحكمة يمكن بواسطتها تقدير مدى ما تتمتع به نظرية اقتصادية. فالاقتصاد يُعَدُ محكًا ذاتيًا وذلك نظرا لأن معرفتنا الحالية بجوانب الشخصية أبعد ما تكون عن الاكتمال، والأكثر من ذلك أن النظرية التي يُنظَر إليها اليوم بوصفها اقتصادية ربما لا تُعَدُ كذلك في ضوء ما قد يُكتَشف في الغد، حيث أن النظرية التي ينظر إليها بوصفها معقدة جدًا اليوم، ربما

تكون النظرية الوحيدة المؤهلة لتفسير اكتشاف الغد ومع ذلك. فليس من الواجب أن تتضمن النظرية الجيدة كمًا هائلاً من الأمتعة النظرية .

الشمولية : Comprehensiveness

يشير هذا المحك إلى اتساع وتنوع الظواهر المتناولة من قِبَل النظرية، ونظرية الشخصية الأكثر شمولية هي النظرية التي تغطي مناطق أكثر من السلوك، لذا تنزع النظرية الشمولية لأن تكون أكثر دقة وأكثر تحديداً. والفائدة الأكبر من شمولية النظرية أنها يمكن استخدامها كإطار عملي منطقي لإدماج وتكامل الحقائق المنفصلة والتي أسِسَت على الملاحظة أو التجريب.

وبينما تمكن بعض علماء الشخصية من إنشاء نظريات ذات وزن هائل، أحرز علماء آخرون مقدارًا قليلاً على هذا المحك فبعضهم وُفِقَ في إنجاز نظرية شاملة وبعضهم لم يوفق .

والاعتماد على مجموعة الافتراضات بشأن الطبيعة الإنسانية يساعد على التأكد من الاتساق الداخلي، ولكن ذلك يتوقف أيضا على إنتباه المنظر لمدى محدود من الوقائع السلوكية. ويتفاوت علماء الشخصية الواردون بهذا الكتاب في تأكيدهم على العوامل البيولوجية bioiogical الجينية genetic ، والانفعالية Emotional ، والمعرفية cognitive ، والاجتماعية والثقافية social and cultural factorsفي تناول السلوك الإنساني. ويقصر كل اتجاه في دراسة الشخصية – على نحو حتمي – الطبيعة الشمولية على مجرد استخلاص نظرية. وفي نفس الوقت، ينبغي أن يكون معلومًا أنه ليست هناك نظرية معاصرة يمكن اعتبارها شاملة لجميع جوانب الفاعلية الإنسانية.

لذا ينبغي للمرء أن يقرر سواء كانت الظواهر التي تم التوصل إليها بواسطة إحدى النظريات هامة أو مركزية للسلوك الإنساني أو الظواهر التي أنجزتها نظرية أخرى، فإنه لما يؤسف له، أنه لا يوجد اختبار لصبغة دوار الشمس يسمح لنا بأن تقرر الأهمية النسبة retative importance لكل منها. وما دام الغالب هو عدم وضوح كيفية توجيه النقد بصورة دقيقة لأية ظاهرة معطاة إنما تعد في حقيقة الأمر خارج نطاق فهم السلوك الإنساني. أن بحث مشكلة ما،

تبدو تافهة، من شأنه أن يسفر عن استبصارات جديدة واضحة في بعض قضايا بالمستقبل .

وتبعًا لذلك ينبغي أن تكون حذرين في إصدار الأحكام بصدد جداره نظريات الشخصية بالاحترام على أساس من الشمولية فقط .

الأهمية الوظيفية Functional Significance

يتمثل المحك الأخير للنظرية الجيدة في وجوب مساعدتها للناس على فهم السلوك الإنساني اليومي، وأيضا تساعدهم للتغلب على مشكلاتهم . وإن كان من الصعب تقبل الحقيقة القائلة بان جميعنا – في الواقع –شغوفون بمعرفة المزيد عن ذواتنا وعن الآخرين. إن القيمة الأساسية لنظرية الشخصية في الواقع – للشخص العادي إنما تتمثل في قدرتها على إلقاء الضوء على كلٍ من الذات والعلاقات البينشخصية. إن المعرفة المتصلة بالاستبصارات الشخصية، والاجتماعية والمتوافرة عن طريق نظريات الشخصية من شأنها إثراء فهمنا بدرجة عالية، وإدراك الفروق الطفيفية في الشئون الإنسانية .

وتمثل محكات القابلية للإثبات Verifiability ، القيمة الكشفية heuristic Value والاتساق الداخلي internal consistency ، الاقتصاد parsimony ، الشمولية comprehensiveness، والأهمية الوظيفية Functional significance، تمثل مجتمعة إطار عمل مفيد لتقويم نظريات الشخصية ، كذلك تقرير لماذا تُفضَلُ واحدةٌ على الأخرى . وعند مقارنة الأهمية الكلية للنظريات، ينبغي وضع تساؤلين في الاعتبار، الأول: هل النظريات المقارنة عنيت بنفس الظواهر؟ فعندما نجد نظريتين أطلقا تسمية واحدة على أنواع واحدة من السلوك، يجب أن نُقوِّم كل واحدة منهما في ضوء المعايير الستة السالفة الذكر، وفي نفس الوقت لا ينبغي لنا أن نختار نظرية واحدة ونترك الأخرى مادام كلاهما معًا استبصارات مفيدة في المستقبل . كما أن هناك احتمالية كذلك لأن تكون النظريتان مجتمعتان متكاملتين في الواقع مادامتا في نفس مرحلة التطور، ربما لا تكون نظرية جديرة وما تزال تتطور، قادرة على تفسير عديد من الظواهر، بينما قد يكون بمقدور نظرية قديمة ومستقرة أن تضئ لنا الطريق لفهم قضايا عديدة ومشكلات متصلة بدراسة الشخصية .

ومع ذلك، قد تقود نظرية جديدة لإسهامات هامة في مناطق سبق وأن تُركت بدون استكشاف، وتُقدّم وعدًا بأن تصبح أكثر شمولية في الآونة الأخيرة، وفي التحليل النهائي، وجب أن تكون نظريات الشخصية مُقومَة على أساس من كيف تُفسّر الأشياء المعروفة من شأنه أن يسمح لنا بحرية استكشاف الاحتمالات المثيرة للفضول والتي لم تُختبر بعد .

إن الافتراضات الأساسية المختلفة والتي يضعها المنظرون فيما يتصل بالطبيعة الإنسانية سوف تُناقش فيما يلي تلك الافتراضات ذات الأهمية البالغة في فهم وتقويم كافة نظريات الشخصية، وسوف تلعب دورًا هامًا في عرض كل تصور نظري متضمن في الفصول التالية .

الجزء الثانى

نماذج
لبعض نظريات الشخصية النفستحليلية

- نظرية سيجموند فرويد
- نظرية ألفريد أدلر
- نظرية كارل يونج
- نظرية كارين هورنى
- نظرية هارى ستاك سوليفان
- نظرية إريك فروم

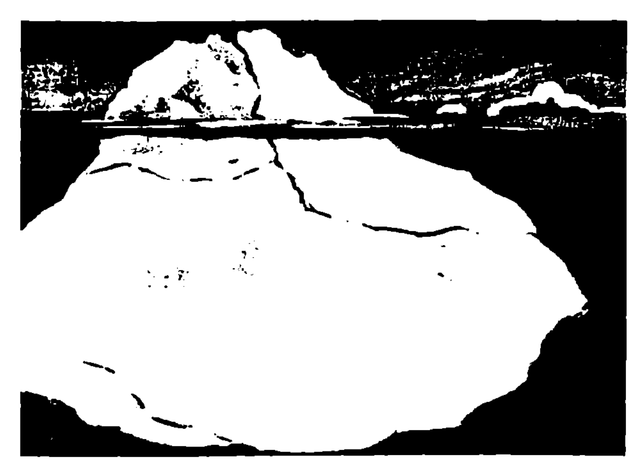
الفصل السادس
نظرية فرويد
Freud
(١٨٥٦ ـ ١٩٣٩)

ينحدر من أسرة يهودية بتشيكوسلوفاكيا انتقلت بعد ذلك إلى فيينا بالنمسا .

- الابن لأب متحرر فكريًا من أم شابة جميلة .
- أحب أمه حبا جمًا إذ ميزته عن بقية أخوته .
- أحس بالتنافس مع أبيه تجاه أمه .
- قرر في شبابه أن يصبح عالمًا .
- التحق بكلية طب فيينا عام ١٨٧٣ .
- التحق بمعمل بروكة للتشريح الميكروسكوبي في الجهاز العصبي.
- عمل طبيباً مقيماً بقسم طب العقلي
- وعُني بالمشاهدات الإكلينيكية العصبية .
- تخصص في علاج الاضطرابات العصبية
- بعد تخصصه على يد الطبيب النفسي الفرنسي (شاركوه) وتعلم التنويم المغناطيسي .
- وضع يده على اللاشعور بوصفه عمليات نفسية خافية عن شعور الناس عامه والمرضي خاصة .
- استخدم منهج التداعي الحر في علاج مرضاه .
- ألف العديد من الكتب وتوفى عام (١٩٣٩) .

ووفقا لنظرية التحليل النفسي لفرويد، فإن الشخصية هي اللاشعور Unconscous في المقام الأول ، ذلك الذي يكون خارج نطاق الوعي (الإدراك)، والذي يُشكّل بالانفعال emotion وتعتقد النظريات التحليلية في أن السلوك ليس إلا المظهر الخارجي فحسب merely surface ، ولذا فإن أي فهم

حقيقي للشخصية إنما يتطلب منا النظر في المدلولات الرمزية symbolic Meanings للسلوك والأنشطة العقلية العميقة. واللاشعور Unconscious من وجهة نظر فرويد يمثل الجانب الكبر من العقل إذا ما قورن بالجزء الذي يشغله الشعور consciousوقد شَبَّه العقل كجبل جليدي ضخم Huge Ieeberg ، ويمثل فيه اللاشعور الجزء الغاطس massive part تحت سطح الماء below the surface .



مستويات الحياة العقلية فى نظرية فرويد(جبل الجليد)

Freud believed that the human mind operated at three distinct levels: CONSCIOUS, PRECONSCLOUS, and UNCONSCIOUS . [The MENTAL ICEBERG]*

واعتقد فرويد في أن كل سلوكياتنا، حتى التافة Trivial منها، لها أهمية خاصة Significant Special (دلالة خاصة) ، حينما تكشف عنها قوي اللاشعور . فالرسم العابث (الذي يقوم به الشخص عندما يستمع لآخر doodle ، النكتة Joke، الابتسامة Smile ، فإن لكل منها سببا لا شعوريا أدي لظهورها

* Robert A. Baron (1993). Psychology: The Ess-ential science. 6th ed. Boston: Allyn and Ba-con. P.564.

فكثيرًا ما تتسلل هفوة slip لسلوكنا على غير إرادة منا وهنا ويمكنك أن تتأمل الأوقات التي قد تسللت منك الهفوات الفرويدية Freudian slips وظهرت في سلوكك .

واعتقد فرويد في أن كل سلوكياتنا، حتى التافة Trivial منها، لها أهمية خاصة Special Significant (دلالة خاصة) ، حينما تكشف عنها قوي اللاشعور . فالرسم العابث (الذي يقوم به الشخص عندما يستمع لآخر doodle ، النكتة Joke، الابتسامة Smile ، فإن لكل منها سببا لا شعوريا أدي لظهورها

فكثيرًا ما تتسلل هفوة slip لسلوكنا على غير إرادة منا وهنا ويمكنك أن تتأمل الأوقات التي قد تسللت منك الهفوات الفرويدية Freudian slips وظهرت في سلوكك .

واعتقد فرويد أيضا في أن للأحلام أهمية مطلقة في سلوكنا ، ويري أن الأحلام هي تعبيرات وتصورات ، لاشعورية للصراع والتوتر الذي نعيشه في حياتنا اليومية everyday lives .

ولما كانت الصراعات والتوتر مرهقة للغاية إذا حلت بالشعور ، لذلك نجدها تظهر في أحلامنا ، تماما كما هو الحال في التداعي الحر أثناء التحليل النفسي ، ويكون محتوى الحلم في معظمه مُغلفًا بالرمزية disguished in symbolism ، ويحتاج لتحليل شامل extensive analysis ، ولسبر حتى يكون مفهوما ، ولقد لعبت وجهة نظر فرويد بشأن العقل اللاشعوري والرمز دورًا بارزًا في فهم الفن .

بناء الشخصية The Structure of Personality

اعتقد فرويد ١٩١٧ في أن للشخصية ثلاثة مكونات (منظمات) personality has three structures ، ويمكن اعتبارهم كالمتصرفين (الحكام) الثلاثة في مجتمع ، sInger 1984 تلعب إلهي Id دور الملك أو الملكة، والأنا هو رئيس الوزراء، والأنا الأعلى Super Ego هو رئيس الأساقفة (في هذا انتقاد للنظام الملكي وسخرية منه (المؤلف أمريكي طبعًا) ، يصور الملك صاحب شهوات يريد تخطى رئيس الوزراء ويسيطر عليه، وأن يتهرب من الوازع الديني

والهي Id تُعَدُ الملك المستبد absolute monarch يتمتع بالسلطة المطلقة ، ويكون مفسدا spoiled ، عنيدا Willful ، ومتمركزا حول الذاتself centered وتسعى إلهي Id إلى تحقيق ما تراه صوابًا الآن ، وليس فيما بعد it wants now , not later .

والانا بوصفه رئيسا للوزارة عمل محدد، إلا وهو اتخاذ القرارات بشأن ما يجب إنجازه متوافقا مع الواقع متجاوبا مع مطالب المجتمع وإلهي Id هي المركب الفرويدي المكون للشخصية والذي يشتمل على الغرائز instincts والتي تُعَدُ بمثابة مستودع الطاقة النفسية لأي فرد individual's reservoir of psychic energy

ومن وجهة نظر فرويد فإن الهي Id مُكَوِّنٌ لا شعوري unconscious إذ ليس لها أي اتصال بالواقع، وهي تعمل وفقا لمبدأ اللذة pleasure principle والذي يعني وفقا لمفهوم فرويد أن تسعى (تنشد) اللذة pleasure، وتتجنب الألم avoids pain .

وكم يكون عالمًا خطرا ومروعا إذا كانت شخصياتنا هي Id خالصة، فمع نمو الأطفال الصغار، يتعلمون السلوك المقبول acceptable behavior ، وكما يخبر الأطفال مطالب وقيود الواقع demands and constraints of reality ، يبدأ مركب جديد للشخصية في التكون ألا وهو الأنا Ego وهو إحدى منظمات الشخصية من منظور فرويد الذي يمدنا بمطالب الواقع .

وتُعرف الأنا بالجانب التنفيذي excutive branch للشخصية لأنها تصدر احكاما (تتخذ قرارات) عقلانية rational decisions، والأنا تلتزم (تتقيد) بمبدأ الواقع reality principle : المفهوم الفرويدي الذي تحاول الانا من خلاله جلب اللذة bring pleasure للشخص في إطار حدود الواقع boundaries of reality .

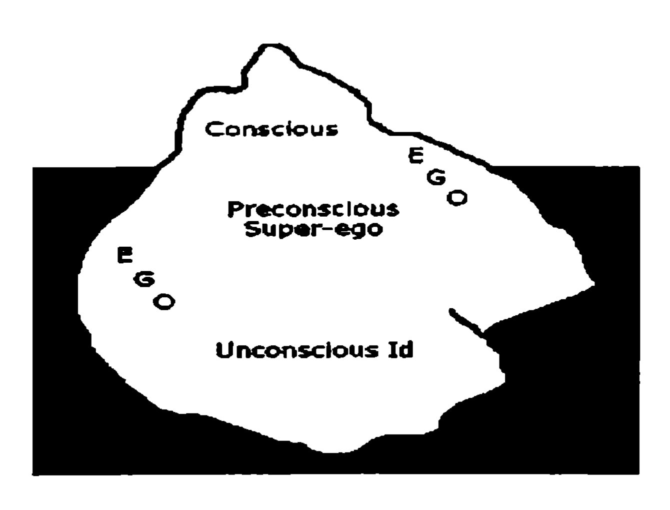
ربما يكون قليل منا قتله دمويون أو مجرمين حرب وحشيين فإنا نأخذ في حسابنا weعوائق إشباعنا ، العوامل التي تحول دون الإشباع ، والموجودة في عالمنا ونحن نعرف أن رغباتنا الجنسية والعدوانية sexual and aggressive Impulses لا يمكن أن تسير دونما كابح cannot go unrestrained ، الأنا

the ego يساعدنا على اختيار الواقع reality ، لنرى إلى أي مدى يمكننا أن نحققها دون التعرض للتوتر trouble أو إيذاء hurting أنفسنا أو الآخرين .

ولما كانت الهي Id لا شعورية كلية completely Unconscious فإن الأنا the Ego تكون شعورية (واعية) في جانب منها Partly conscious ، إنها تحوي وظائفنا العقلية العليا Higher Mental Functions : التعليل Reasoning ، حل المشكلات problem solving ،اتخاذ القرار ، Decision ، على سبيل المثال لا الحصر .

<u>جوانب الشخصية كما صورها فرويد :</u>

مع الاعتقاد بأن الانا الأعلى super Ego يُعَدُّ بمثابة الضمير Conscience يشبه الهي Id ، إذ أن الانا الأعلى أيضا لا يعير اهتماما للواقع وإنما يعلن أن غرائز الهي سواء كانت جنسية أو عدوانية ، إنما يمكن أن تشبع بصيغ أخلاقية Moral Terms ، ولعل الأنا بدأت بالفعل في إدراك كيف أن كلاً من الهي Id والأنا الأعلي Superego يجعلان الحياة قاسية Rough على الأنا Ego فربما يقول أناك ، سأمارس الجنس مرة واحدة وسآتخذ كل احتياطاتي حتى لا يُفرَض عَلَى طفلٌ في مشوار حياتي ، بينما تقول الهي (خاصتك) أريد أن أكون مُشْبَعة فالجنس ممتع، إلا أن أناك الأعلى Super Ego يقوم بعمله أيضا ويقول إني أشعر بذنب إزاء ممارسة الجنس I feel guilty about sex تذكر أن فرويد قد اعتبر الشخصية أشبه ما تكون بجبل الجليد Iceberg ، فمعظم الشخصية يوجد دون مستوى وعينا exists below our level of awareness ، تماما كالجزء الأعظم massive parts من الجبل الجليدي الذي يكون تحت سطح الماء انظر الشكل التالي الذي يوضح ذلك التشبيه Analog وحجم الجانب اللاشعوري من العقل في تصور فرويد



جبل الجليد الفرويدى
لمستويات الحياة العقلية وموقع مكونات الشخصية منها

Freud believed that personality consists of three major components: id , ego , and superego the (ID) is largely unconscious and operates in term of the pleasure principle . The (EGO) is partly conscious and operated in terms of the reality principle– finally, The (SUPEREGO), too is located only partly in the realm of consciousness . (*)

Defense Mechanisms : ميكانيزمات الدفاع

كيف يتسنى للأنا Ego مراوحة حل الصراع Resolve The conflict بين متطلبات واقعه، ورغبات الهي Id ، وقيود الأنا الأعلى constraints of super Ego ؟ من خلال ميكانيزمات الدفاع defense mechanisms : وهو المصطلح التحليلي النفسي الذي يشير إلى الأساليب اللاشعورية Unconscious Methods ، فالأنا يُشَوِّه (يُحَرِّف) distort الواقع ، وبهذه الطريقة يحمي نفسه من القلق .

ومن وجهة نظر فرويد In Freud,s View فإن المتطلبات المتصارعة conflicting demands لكيانات الشخصية تسبب القلق ، فعلي سبيل المثال

* Robert A. Baron (1993). Psychology: The Essential science. 6th ed. Boston: Allyn and Ba-con, P.575.

عندما تعترض الانا على الرغبات الممتعة واللانهائية للهي Id's pleasurable pursuits فإنه سيتولد شعور بالقلق الداخلي Inner Anxiety - وهذا أمر شرحه مسهب – تحدث حالة من الكرب وعندما تدرك الأنا إلى أن الهي في سبيلها لجلب المعاناة harm للفرد ، فالقلق الذي يدفع الأنا لحل الصراع عن طريق وسائط Means هي ميكانيزمات الدفاع defence mechanisms

<u>الكبت : Repression</u>

وهو أكثر الحيل اللاشعورية قوة وانتشارا ، وفقا لما يراه فرويد ، فإنه يدفع (يضغط) على غرائز ورغبات الهي غير المقبولة بعيدا عن الوعي awarenwess ، ويودعها في العقل اللاشعوري back into the unconscious . والكبت هو القاعدة التي تعمل – بقية ميكانيزمات الدفاع – وفقًا لها ، إذا أن هدف كل ميكانيزم إنما يتمثل في كبت repress ، أو دفع الدفعات المهددة threating impulses بعيدا عن الوعي (الشعور) Awareness، وقد قال فرويد بأن خبرات طفولتنا المبكرة، العديد منها، كما يعتقد، ذات مضامين جنسية، كما أنها مهددة threating وضاغطة stressful - إذا تعاملنا معها شعوريا ، فإننا نخفض القلق الناشئ عن هذا الصراع عن طريق الكبت Repression .

وبواسطة ميكانيزمات دفاعية أخرى نستخدمها لحماية الأنا the Ego ، ولنخفض القلق، منها التبرير rationalization والإزاحة displacement، التسامي sublimation، الإسقاط progection، تكوين رد الفعل العكسي reaction formation، النكوص Regression .

<u>التبرير : Rationalization</u>

هو الحيلة الدفاعية التحليلية النفسية والتي تظهر عندما يكون الدافع الحقيقي

real motive لسلوك الفرد غير مقبول not accepted من قبَل الأنا فيقوم بإبدال دافع يغلفه cover motive ، فعلى سبيل المثال: أنت تذاكر بجدية من أجل اختبار ما، وكنت منهمكًا في المادة عندما اتصل بك صديق وقال لك أن عنده حفلة في ساعة ما، ويخبرك بأن شخصية بعينها جذابة، ستجدها بالحفل، أنت تعرف بأنك إذا لم تبق بغرفتك وتذاكر، فإنك ستحصل على مستوي ضعيف في اختبار

الغد . ولكنك تقول لنفسك : لقد أجبت إجابة مرضية في الاختبار الأول لهذا الفصل وبإمكاني أن أذاكر جيدًا طوال نصف الفصل المتبقي semester، وينبغي لي أن أسعد لبعض الوقت، إذا .. فلأذهب إلى الحفل.

إن الدافع الحقيقي لذهابك للحفل هو الاستمتاع برؤية تلك الشخصية الجذابة ، وإن كنت قد وعيت وفكرت في أن هذا هو السبب ، فإنه يتعين عليك – في هذه الحالة ، البقاء بالبيت والمذاكرة، ولكن عندئذ، يتقدم أناك Your Ego خطوة ويبلور الهدف ليكون أكثر مقبولية (ليراه حسنًا) يقول أناك بإنك بذلت جهداً شاقاً طوال نصف الفصل وإنك بحاجة لأن تسترخي، وإنك بذلك تستطيع أن تؤدي الامتحان بصورة أفضل إذا ما استرخيت قليلا .. فالمبرر هو ذلك الأمر الذي يكون أكثر مقبولية عن ذهابك فقط للاستمتاع ومقابلة شخصية محبوبة .

الإزاحة Displacement

حيلة دفاعية تحليلية psychoanalytic defence mechanism تظهر عندما يُحَوّلُ فردٌ ما المشاعر غير الملائمة من موضوع بعينه إلى موضوع آخر، إلى موضوع أكثر مقبولية more acceptable object ، مثال على ذلك، إذا كانت سيدة ما متضايقة من رئيسها في العمل، فإنها ستشعر بالغضب ولكنها تعلم بأنه ليس في استطاعتها إظهار هذا الغضب نحوه . وبالرغم من أن لديها شعورًا بالانتقام ، فعندما تعود إلى بيتها في المساء، فإنها تحتج على زوجها (تصرخ في وجه)، وبذا تنقل مشاعرها – trans feeling نحو رئيسها إلى زوجها .

التسامي : sublimation

حيلة دفاعية نفستحليلية تظهر عندما يستبدل فردٌ ما نمطًا من التصرف غير اللائق اجتماعيا بسلوك اجتماعي مفيد آخر .

التسامي هو في واقع الأمر نوع من الإزاحة (الابدال) Displacement ، مثال على ذلك :

الشخص الذي لديه رغبات جنسية قوية strong sexual urges قد يحولها turn إلى سلوك اجتماعي مهذب socially approved behavior

بأن يستهلك طاقته الجنسية والبدنية في رياضة نافعة ، أو في أعمال اجتماعية ذات قيمة .

الإسقاط : Projection

حيلة دفاعية نفستحليلية تظهر عندما ينسب المرء مظاهر تقصيره الشخصي أو مواطن ضعفه shortcoming ، مشكلاته problems وعيوبه faults للآخرين، مثال على ذلك :

ذلك الرجل المضارب والانتهازي، (سيدة الأعمال المضاربة الانتهازية) manipulative business woman والذي يأخذ مصلحته من كل شخص ليرتقي بنفسه إلى القمة، يقول لزملائه، كل واحد ممن تراهم حولك هو انتهازي manipulative ، إنهم لا يراعون مشاعر الغير، أي أننا إذا لم نستطع مواجهة مشاعرنا غير المقبولة. فإننا نسقطها على الآخرين .

تكوين رد الفعل : Reaction formation

حيلة دفاعية نفستحليلية تظهر عندما يعبر شخص ما عن رغبة غير مقبولة بتحويلها trans forming إلى نقيضها opposite . مثال على ذلك إذا كان شخص مفتون (منجذب) بوحشية إلى الحرب ربما يتحول إلى داعية للسلام peace activist ، أو الشخص الذي يخشى رغباته الجنسية sexual urges قد يصبح دينيًا متعصبًا religious zealot .

النكوص : Regression

الحيلة الدفاعية النفستحلية Psychoanalytic defence mechanism التي تظهر عندما يتصرف فرد ما على نحو يميز مستوى تطوري سابق behaves characterice a previous developmental level .

فحينما يصبح القلق بكم هائل يتهددنا، فإنا نقهقر (نرتد) revert لسلوك مبكر (بدائي) سبق وأن وفر لنا السعادة (البهجة – المتعة) gave us pleasure .مثال على ذلك : المرأة التي سرعان ما تترك بيتها وتهرع إلى أمها كلما وقع شجار بينها وبين زوجها.

النقطتان الأخيرتان المتعلقتان بميكانيزمات الدفاع والتي بحاجة إلى التأكيد عليهما بوضع خط تحتهما ، الأولى : أنها (أي الميكانيزمات الدفاعية) لاشعورية they are unconscious ، لا نكون واعين بأننا نستدعيها calling لحماية أنانا، ولتقليل القلق reduce anxity ، والثانية ، أنها عندما تستخدم بقدر متوسط أو على نحو مؤقت (ظرفي) temporary ، فإن ميكانيزمات الدفاع لا تشكل دلالة غير صحية بالضرورة أي يعني أن اللجوء لحيل الدفاع بصورة معتدلة وآنية لا يشير إلى اضطراب الصحة النفسية، مثال على ذلك ، قد يساعد الإنكار denial قد يساعد شخصا على تجنب موت وشيك (تهديد بالموت)، وعلى الأرجح ، والحال كذلك، فإنه لا يجب علينا أن ندع ميكانيزمات الدفاع تهيمن على سلوكنا وتحرمنا من مواجهة متطلبات الواقع .

We should not let defence mechanisms domimate our behavior and prevent us from facing the demands of reality .

The Development of Personality نمو (تطور) الشخصية

في ضوء ما استمع إليه فرويد، وسبره وتحليله لمرضاه أصبح على قناعه بأن مشكلاتهم إنما كانت نتيجة للخبرات المبكرة في حياتهم ، واعتقد في أننا نمر بمراحل خمسة في نمونا النفسي الجنسي، وأن في كل مرحلة من هذه المراحل، نجد اللذة (المتعة) عبر أحد أعضاء الجسم بدرجة أكبر من بقية الأعضاء ، فالمناطق الحساسة جنسيا erogenous zones هي أعضاء الجسم التي لديها طرق متعددة وقوية لتوفير المتعة في كل مرحلة من النمو .

ويعتقد فرويد في أن شخصية الراشد adult personality إنما تتحدد في ضوء الطريقة التي حُلت بها تلك الصراعات بين مصادر اللذة وهي الفم mouth الشرج anus ، الأعضاء التناسلية genitals – وبين متطلبات الواقع ، وحينما تظل تلك الصراعات بغير حل، فإن الشخص يصبح مُثبتا fixated على مرحلة جزئية من النمو .

Fixation : التثبيت

هو ميكانيزم دفاعي تحليلنفسي يظهر عندما يظل الفرد مشددوا locked into إلى مرحلة نمائية مبكرة لأن حاجاته (حاجاتها) في هذه المرحلة كانت مشبعة

بدرجة قلت أو كثرت، فعلى سبيل المثال، قد تفطم الأم طفلها مبكرًا جدًا، أو تكون متزمتة (صارمة) strict في تدريبه على قضاء حاجته toilet treaning ، تعاقب طفلها على الاستمناء masturbation أو تقهره بعنف .

وسوف نعود لفكرة التثبيت وكيف أنها تظهر جلية في شخصية الراشد adult's personality ، ولكننا بحاجة – أولا – لأن نعرف الكثير عن المراحل المبكرة لنمو (تطور) الشخصية .

المرحلة الفمية : The Oral Stage

هي مرحلة فرويدية للنمو، تظهر خلال الـ ١٨ شهرا الأول من الحياة، وفيها تكون متعه (لذة) الطفل الرضيع infant's pleasure متمركزة حول الفم ، العلك (المضغ) chewing المص sucking، العض biting تعد مصادر اللذة الرئيسية ، وتخفض هذه الأنشطة من التوتر لدى الطفل.

المرحلة الشرجية : The anal stage

هي المرحلة الفرويدية الثانية للنمو، تظهر فيما بين عام ونصف وبين ثلاثة أعوام من العمر، وفيها يكون الطفل متمتعًا بمزيد من السعادة ، أو يُهمل في الوظائف المتصلة بهذه المنطقة ومن وجهه نظر فرويد أن تدريب عضلات الشرح يقلل التوتر، بمعنى أن ممارسة القبض والبسط للعضلة إنما يجلب متعة الإحساس بالحركة في هذه المنطقة – أو أن ممارسة ضبط التبرز يقلل من قلق وتوتر واهتمام الطفل المتمركز حول شرجه .

المرحلة القضيبية : The Fallic Stage

هي المرحلة الفرويدية الثالثة للنمو، والتي تظهر فيما بين عمر ٣سنوات و٦سنوات وقد اشتقت التسمية من الكلمة اللاتينية phallus ، والتي تعني القضيب penis أو آلة الرجل، وأثناء المرحلة القضيبية، تتمركز اللذة (المتعة) في الأعضاء الجنسية، كلما اكتشف الطفل أنها ممتعه إذا ما داعبها بنفسه .

ويرى فرويد أن المرحلة القضية ذات أهمية خاصة في نمو الشخصية personality developmentلأن عقدة أوديب odipus complex تظهر خلالها ، ولقد أتت تسميه عقدة أوديب من الأساطير اليونانية Greek

mythology ، التي كان أوديب فيها ابن ملك thobes (تبيس) وعلى حين غرة قتل أباه وتزوج أمه . وعقدة أوديب : مفهوم يشير إلى أن الطفل الصغير طوَّرَ رغبة في احتلال مكان والده من نفس جنسه same sex ، ليستمتع بالتعلق بالأب (الأم) من الجنس الآخر. ولقد تعرض مفهوم الأوديبية الفرويدية للنقد من قِبَل بعض المحللين النفسيين والكُتّاب. ولكن كيف تُحَلُ عقدة أوديب ؟؟

في عمر ٥ – ٦ سنوات يدرك الطفل أن والده من نفس جنسهم بإمكانه معاقبته على اشتهاء المحارم وللتقليل من هذا الصراع ، يتوحد مع الوالد من نفس الجنس، ويجاهد striving ليصبح مثله أو مثلها . وإذا لم يحل الصراع ، فهذا الطفل – حينئذ يصبح مثبتا على المرحلة القضيبية fixated at the phallic stage ويشير الجدول التالي إلى سلسلة محتملة من الخصائص تميز شخصية الراشد المثبته ، والتساميات sublimations ، وتكوين ردود الأفعال المتصلة بالمرحلة القضيبية reaction formation ، كما تضمنت ما يتصل منها بالمرحلتين الفمية والشرجية.

المرحلة	مظاهر امتدادها في الرشد	التساميات	تكونات ردود الفعل العكسية
الفمية	التدخين، الأكل ، التقبيل ، عادات النظافة الفمية ، الشرب، علك اللبان .	البحث عن المعرفة، الدعاية ، الدهاء، السخرية، يصبح خبيرا في الطعام أو الشراب	الثرثرة، الولوع بالطعام لفترة محدودة ، مؤيد لتحريم المسكرات، كراهية اللبن .
الشرجية	شغوفا بدرجة كبيرة بحركات الجزء السفلي من جسمه ربما يعني الشرج والحركات المصاحبة للتغوط يحب بخار الحمام والإفراط في القذارة	الشغف بالتلوين أو النحت، يكون سخيا، شدة الشغف بالإحصاء .	الاشمئزاز المفرط من البراز الخوف من القذارة،
القضيبية	اللجوء بإفراط للاستمناء	الشغف بالشعر، عشق التمثيل المسرحي، يجاهد (يثابر) من أجل النجاح	يتبنى اتجاها مترمتا تجاه الجنس. مفرط في الحياء

ملاحظة ناقدة ينبغي مراجعة بعض ردود الأفعال الخاصة بمراحل النمو النفسجنسي، كذلك التساميات التي يقول بها فرويد في ضوء التدين لتمييز الغث من السمين .

مرحلة الكمون : The latency stage

وهي المرحلة الفرويدية الرابعة للنمو، والتي تظهر فيما بين السادسة تقريبا وبين البلوغ puberty ، وفيها يكبت الطفل شغفه بالجنس represses all interest in sexuality ، ويطور مهارات اجتماعية ومعرفية develops social intellectual skills ، ويحول مثل هذا النشاط كمًا كبيرًا من طاقة الطفل child's energy إلى مناطق (مجالات) عاطفية آمنة emotionally safe areas ، ويساعد الطفل على نسيان الصراعات شديدة الوطأة highly stressful conflicts المصاحبة للمرحلة القضيبية .

المرحلة الجنسية : The genital stage

هي المرحلة الخامسة والأخيرة من مراحل النمو كما يراها فرويد ، وتظهر فيما بين البلوغ وما بعده ، وهي فترة اليقظة الجنسية sexual reawakening ، وتصبح مصادر المتعة الجنسية متجهة نحو شخص من خارج إطار الأسرة source of sexual pleasure now becomes someone outside of the family .

ولقد اعتقد فرويد في أن الصراعات غير المحلولة مع الوالدين تعاود الظهور أثناء المراهقة reemrge during adolescence وعندما تحل تلك الصراعات يكون الفرد جديرًا بتطوير علاقة حب ناضجة capable of developing a mature love relationship ويؤدي وظائفه باستقلالية كراشد and functioning undepently as an adult ويصور الشكل التالي مراحل فرويد النفسجنسية psychosexual stages .

Stage	Span
genital	(puberty - adulthood)
latency	(6 years - puberty)
phallic	(3 1/2 years - 6 years)
anal	(18 months - 3 1/2 years)
oral	(.-18 months)

مراحل النمو النفسى الجنسى

According to Freud, all human beings pass through a series of discrete PSYCHOSEXUAL STAGES of development .*

العلاج النفسي من منظور التحليل النفسي :

تمتد جذور منهج التحليل النفسي في العلاج إلى الجهود التي بذلها (فرويد وبروير) في علاج الهستيريا بالتنويم المغناطسيي . فقد تركز انتباههما في المرضى النفسيين على أن الأعراض ترتبط بذكريات صادمة مبكرة، ذكريات وإن كانت قد صارت لا شعورية إلا أنها لا تزال مع ذلك ذات تأثير في حياة المريض . ومن وجهة نظر فرويد وبروير فإن بعض الخبرات الأليمة في الطفولة تنتمي إلى اللاشعور من خلال عملية عقلية معقدة تسمى الكبت Repression وهذه الخبرات وإن كانت ترقد بوصفها ذكريات خبيئة في أعمق الذهن، إلا أنها تكشف عن نفسها بصورة رمزية من خلال الأعراض. ولذلك فالعلاج ينحصر إلى حد كبير في استخدام التنويم المغناطيسي للكشف عن الذكريات اللاشعورية ليتمكن المريض من أن يعبر كل التعبير عن الانفعال الشديد المرتبط بالصدمة الأصلية . وهذه العملية تدعي بالتطهير الانفعالي Catharsis تمثل

*Robert A. Baron (1993). Psychology: The Essential science. 6th ed. Boston: Allyn and Bacon, P.376.

المحاولة الأولى المنظمة لعلاج الأعراض عن طريق الوسائل النفسية كما أنها كانت بداية لعصر العلاج النفسي .

وفي السنوات التالية حدثت عدة تغيرات في ممارسة العلاج عن طريق التحليل النفسي منها **طريقة التداعي الحر** وتتطلب أن يستلقي المريض على مقعد مريح ليكون في حالة استرخاء ثم يطلب المعالج من العميل – بعد ذلك – أن يفصح عن كل ما يجول بخاطره من أفكار وذكريات مهما كان نوعها .

وهذه الطريقة غير الموجهة في التفكير هي من أهم الطرق التي يمكن بواسطتها أن تقرع باب اللاشعور، وتوقظ الصراعات اللاشعورية والذكريات المرتبطة بأصولها . والطريقة الثانية هي تفسير الأحلام **Interpreatation of dream** . وهي وسيلة أيضا للوصول إلى أعماق اللاشعور حيث يتمكن المعالج من استعمال الصور والرموز التي وردت في الحلم كوسيلة تعكس مختلف نواحي النشاط النفسي .

ويقوم كل علاج نفسي على علاقة المعالج بالمريض ، وهذه العلاقة تستبدل بالعصاب الإكلينيكي عصابًا علاجيًا هو **عصاب التحويل**، وأن ما يميز العلاج بالتحليل النفسي لهو ضبط عصاب التحويل وتفسيره ومداواته ويُعَرَّفُ التحويل التحليلي عادة بأنه تكرار لمواقف انفعالية لاشعورية تجاه المحلل تتسم بأنها ودية أو عدائية أو ودية عدائية معا، وهي مواقف كان المريض قد أنشأها في طفولته إزاء والديه وأفراد بيئته ويوضح هذا التعريف جانبًا أساسيًا للتحويل، هو أن المريض يعود بالفعل ويحيا هذه المواقف بدلاً من أن يتذكرها ، ولكن هذه العودة في العلاقة العلاجية لا تبين كل ما ينطوي عليه بالتحويل، فالتحويل هو بالدقة تحقيق فعليّ في المجال التحليلي لمشكلة لاشعورية تمتد جذورها في الطفولة .

وتبدو مظاهر التحويل سافرة أحيانا أثناء الجلسة إذ نجده يعرب عن ضيقه بالمحلل أو بغضه أو احتقاره له، وقد يعرب له أحيانا عن تشككه في قيمة العلاج وقد لا تظهر مشاعر المريض نحو المحلل سافرة هكذا، وإنما يستطيع المحلل أن يكشف النقاب عنها في سلوك المريض ، كما في نسيانه موعد الجلسة .

وعصاب التحويل يتضمن عدداً من الاستجابات التلقائية العدوانية أو الشبقية التي تظهر خلال مجرى العلاج والتي تمثل إصباغ العلاج النفسي psychotherapy بالصبغة الشخصية للمريض the patient's personalization of the therapy . ذلك أنه يجد عند مراحل معنية من عملية العلاج أن عدداً من المشاعر شديدة القوة تبدأ تظهر نحو المعالج عند المريض الذي يُفترَض أن المعالج بدوره يخبر في نفسه مشاعر مشابهة . لكن الفحص الدقيق لسلوك المعالج يكشف لنا أنها افتراضات لا أساس لها في الواقع، فهي افتراضات غير صحيحة .

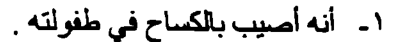
فالعلاج بالتحليل النفسي لا يخرج عن كونه تطبيقاً لفن قياس موحد على صورة إكلينيكية محددة تحديداً واضحاً وتتباين المواقف العلاجية بتأثير عوامل متعددة مثل الاختلافات الفنية، وشخصيتي المحلل النفسي والمريض وتفاعلها والظروف الخارجية المواتية وغير المواتية ومزايا الشفاء ومساوئه.

الفصل السابع
نظرية ألفريد أدلر
Adler
١٩٣٧-١٨٧٠

سيرة حياة:

طبيب نمساوي عاصر فرويد، وأنضم إلى تيار التحليل النفسي الفرويدي، ثم سرعان ما أختلف مع آراء فرويد خاصة ما يتصل منها بمبدأ العلية، وغلبة تأثير الجنس في تشكيل الشخصية والسلوك، وأسس في عام ١٩١٢ جماعه علم النفس الفردي، وقد توفى قبل فرويد بعامين .. وتتمتع نظريته بإنتشار واسع، ونمو مُطّرد، ولها مجلة خاصة American journal of individual psychdogy ، ويمارس كل من ابنته الكسندرا، وابنه كيرت، الطب النفسي الأدلري بنيويورك .

وكما لاحظنا انعكاساً مباشراً للخبرات الشخصية لفرويد على تشكيل نظريته في التحليل النفسي .. ومنها، قلقه العصابي، وعقدة أوديب في ظل أم شابة جميلة تصغر ابيه بسنوات كثيرة .. إلخ . نجد أدلر أيضاً وقد تأثر في بناء نظريته بالعديد من خبراته الشخصية المباشرة ومنها :



١- أنه أصيب بالكساح في طفولته .
٢- أصيب بالتهاب رئوي في طفولته، واشرف على الموت.
٣- دهمته سيارتان في صباه المبكر مرتين .
٤- قناعته بوجوب أن يكون طبيباً في المستقبل .
٥- وصفه لأمه بالسذاجه والعطف والأنوثة والجد والفكاهة
٦- والسماحه والصدق والإيثار والتضحية .
٧- كان يفضل أباه، لغيرته من أخيه الصغير، حيث تكثر أمه في تدليله .
٨- تعثره الدراسى في صفوفه الدراسية الأولى .
٩- زواجه من امراه روسية متحررة مسيطرة .

- **تختلف نظرية أدلر عن نظرية فرويد في الجوانب التالية:**

١- لم يعر أدلر (اللاشعور) أدنى اهتمام .
٢- التوجه للسلوك مستقبلى غانى – وليس – عِلِى .
٣- الأفراد متفردون ولكنهم متمتعون بإنسجام داخلي. وبكفاح ليتعاونوا مع بنى جنسهم الإنسانى .

- ترتبط الأدلرية بالوجودية (الإنسان حر ولو جزئياً فى تحديد قدره) .
- ترتبط الأدلرية بالإنسانية (العلاقات الإنسانية الموجبة) .
- ترتبط الأدلرية بالجسطلتية (جميع جوانب الفرد تدور حول هدف مشترك)

.

المبادئ الأساسية لنظرية أدلر في الشخصية

١- القصور (الشعور بالنقص) Inferiority

- ينشأ هذا الشعور بالنقص عن مصدر جسمي، أو نفسي، أو اجتماعي .
- يوجد لدى جميع الأفراد، خاصة فى مراحل الطفولة المبكرة وشعورهم بالعجز تجاه الكبار .
- يدفع الشعور بالعجز (القصور) الأفراد لأن يبحثوا عن القوة والعدوان كوسيلتين للتغلب على مشاعر الدونية .

ملاحظة :

نظراً للظروف الثقافية حينئذ .. ربط أدلر بين القوة والذكورة والضعف والأنوثة .. والعلو والارتفاع المادي والمعنوي والمكاني في مقابل الانخفاض والضعف والخنوع، وبالتالي يرى أن (أي طفل ذكر كان أم أنثى، يتطلع لتحقيق التفوق (الاسترجال) والسيطرة، ومن لم يدركها في الواقع المباشر أو يدركها من خلال أساليب ملتوية .. مكر وخداع وحيل).

٢- الكفاح من أجل التفوق والسيطرة Striving for superiority

- موجود لدى جميع الأفراد ، كرد فعل طبيعي لمشاعر القصور .
- غايته تحقيق تكيف أفضل وأفضل ، تحسين الذات ، والسيطرة على البيئة.
- ليس دافعاً فردياً فحسب ، وإنما جمعي كذلك .

- في محاولة الفرد تحقيق التفوق والسيطرة فإنه يلجأ إلى التعويض Compensation والذى يأخذ صوراً عدة منها :-
  - التعويض الإيجابى : وفيه إدراك موضوعي لجوانب القصور وتعويضها بجوانب أخرى، أو محاولة علاجها .
  - التعويض السلبي : وهو فى غير المصلحه الاجتماعيه ويعرف بـ (التعويض المفرط) وتنتج عنه بعض العقد النفسية منها : عقدة النقص، عقدة التفوق .

٣- أسلوب الحياة Life Style

- يفسر به أدلر تفرد الشخصية ، ويتحدد من خلال السلوك الذي يترسمه الفرد طيلة حياته للتغلب على مشاعر النقص وتحقيق التفوق .
- يتحدد أسلوب الحياة في ضوء عوامل داخلية (ذاتيه) ، وخارجية (اجتماعية) .
- من أبرز العوامل الذاتية (الاستعدادات الموروثة – أوجه القصور العضوية والنفسية) .
- من أبرز العوامل الخارجية (أساليب التنشئة الوالدية .. تدليل .. نبذ ... إلخ) .
- أمثلة لإختلاف أسلوب الحياة من فرد لآخر (الحرفي – الأديب – المختلف عقلياً..).

٤- الذات الخلاقة (الفريدة) Cerative Self

- هي المحرك الأول والسبب الأول لكل ما هو إنساني .
- الإنسان ليس رد فعل للوراثة وللبيئة فحسب .... بل هو مفسر ومترجم لهما ، ويضيف لهما تطلعات وخبرات وسلوكيات جديدة ومميزة له عن غيره ، بلوغاً لغاية التفوق .

٥- الأهداف الوهمية اللانهائية :

- يُعرف بمبدأ الذات المثالية الموجبة، ويعتمد على فلسفة (كان) كما يصفها فيهبنجر Vaihinger، وتشير إلى أن الفكر والشعور والعمل لا وجود لهم إلا في ظل وجود هدف، حقيقي أخر أو حتى وهمي، وأن هذه الأهداف، أو الأوهام هي التي تجعل للحياة معنى .. تأكيدًا على الغائية .

- الأصحاء يغيرون أهدافهم وفق مقتضيات الحاجة والواقع .
- العصابيون يبقون على هذه الأوهام .

٦- الاهتمام الاجتماعى Socal Interest

- لا فرد يغير مجتمع ولا مجتمع يغير أفراد . (السكولوجيا فردية واجتماعية معاً) .
- التنشئة الاجتماعية السوية توجه الحاجة للتفوق وجهة نفسية واجتماعية بناءة، ومن ثم تحقق تكييف نفسي واجتماعي سوى .
- للمدرسة دور بارز في بناء الشخصية (شعور التلميذ بأن كل شيء أعد خصيصاً له) .
- للميل واللعمل الاجتماعى فضل المحافظة على حضارات الأمم .

العلاج النفسي من المنظور الأدلرى:*

يؤكد أدلر واتباعه على أهمية إدراك المريض لاضطرابه وسعيه بمحض اختياره للمعالج النفسي طالباً المساعدة، ويرى أدلر أن أهم خطوة في العلاج هي الكشف عن النظام العصابى للمريض أو عن نمط حياته وينصح أدلر أتباعه بتجنب الوقوع تحت سطوة المريض، وأن يتجنب تقديم وعود بنجاح العلاج، وأن يدفع المريض بنصيب أوفر في تحمل تبعة العلاج ونجاحه .

- بعض الأصول الأساسية للعلاج النفسي، ألا نسرع بإخبار المريض بكل ما نعرفه عن حياته النفسية، وأن ندعه يسترسل في الحديث عن قصته وعن تفاصيل حياته، ذلك قبل أن نبدأ بتفسير المعلومات التي يقدمها إلينا. والوجه الأخر من العلاج يقوم في الواقع على إلقاء دروس في السيكولوجية الفردية على المريض، أهم ما تختلف به عن الدروس المألوفة عادة، هو طبيعة التطبيق الذي يقوم على دراسة حالة المريض في ماضية وحاضرة .

ويختلف أسلوب أدلر في العلاج النفسي اختلافاً كبيراً عن أسلوب (فرويد) من نواح عده . ويحاول أيضاً اتباع (أدلر) في عملهم مع الكبار أن يكونوا متسامحين كما يحاولون أن يكتشفوا بدقة خبرات الطفولة المبكرة للفرد، وخاصة ما يتعلق منها بالتنافس بين الأخوة، وتحويل الحب، وتدليل الوالدين أو نبذهم،

---

* علي عبد السلام علي : تاريخ علم النفس ، اتجاهاته القديمه والحديثه ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

والفشل في تعلم التعاون، والفشل في تعليم الطفل الاستقلال والثقة بالنفس والاتجاهات نحو الدور الاجتماعي للجنسين، وإذا ما استكشفوا هذه الطفولة المبكرة، فإن اتباع (أدلر) يميلون إلى تفسير السلوك المرضى الحالي كنتيجه لهذه الخبرات المبكرة وأسلوب الحياة الخاطئ الذي تكون أنذاك وأتباع (أدلر) يميلون أيضاً إلى توكيد الثقة في نفوس المرضى فيما يتعلق بإمكانياتهم وقدراتهم . ويرى (أدلر) أن (الشجاعة) تعوز معظم المرضى العصابيين وأنهم في سعيهم للتفوق كانوا يخافون من الفشل، وأن أعراضهم لم تكن في الواقع سوى دفاعات ضد الفشل. إلا أن الكثير من أعراض الذهان الأشد غرابة والأندر حدوثاً هي في نظر إتباع (أدلر) دفاعات، أو أساليب يستخدمها المريض ليباعد بين نفسه وهدفه ليتفادى بذلك امتحاناً لقدرته على الملائمة .

ويشير (أدلر) إلى أن المعالج يلزم أن يقتنع بتفرد الإتجاه العصابى لدى المريض، وبحيث يستطيع (أي المعالج) أن يتنبأ بالوسائل والإنشاءات الدفاعيه المولدة للإضطراب لدى المريض ليتمكن من العثور عليها وتفسيرها حتى يتخلى عنها المريض .. وقد يبلغ به الضيق ذروته، وبيد لها بإنشاءات جديدة أفضل منها ومستترة بطريقة أفضل .

وفي الوقت الذي ترك فيه (فرويد) المسئولية للأنا حال الوصول إلى الاستبصار Insight فقد حاول (أدلر) أن يواجه طبيعة التغير بصورة أقوى . فالعلاج الناجح في نظر المعالج الذي يتبع (أدلر) هو العلاج الذي يجعل المريض أكثر انتاجيه، وأكثر عطاء من الناحية الاجتماعية بعد العلاج . ولما كانت صعوبات المريض تنشأ عن نقص التفكير السليم فإن الأسلوب العلاجي ينحو إلى أن يكون عقلياً أى أن (أدلز) يعتمد إلى حد كبير على العقل لمساعدة المريض على أن يفهم وجهات نظره الخاطئة، وأكد (أدلر) على علاج الأباء ، وإعادة تربيتهم، وأكد بوجه خاص على دعوه الأباء والمدرسين وغيرهم من الراشدين الذين يعيشون مع الطفل إلى الاعتراف بحاجة الطفل إلى الاستقلال وحاجته إلى الشعور بإنسانيته، وقدرته على القيام بما يعتبره الأخرون أمراً له قيمه. وإذا كان الأمر يتطلب رؤية الطفل مباشرة لأغراض العلاج فعلى المعالج أن يراه فترة قصيرة.وغالباً لتشجيعه ومساندته على أوجه النشاط البناءة.

تقييم سيكولوجية أدلر:

الحق أن أدلر قد وُفِقَ توفيقاً كبيراً في عرض موءلفاته على جماهير القراء، عرضاً عاد عليه بذيوع في الاسم ونشر للمذهب الذي قال به. إذا ما تركنا الأسلوب جانباً ونظرنا إلى مذهبه رأينا أنه ليس له من منهجه ولا موضوعه ما يخوله الحق فى أن يطلق عليه اسم العلم فى شيء ، فأول ما يقابلنا أدلر به هو تخريج جاد لمذهب فرويد لاستمساكه بعلة واحدة يفسر على ضوئها كل ما يصدر عن الإنسان من ضروب النشاط وما يصيب نفسه من أشكال العوج والعلة، وردّ قوى على أن الغريزة الجنسية ليست المصدر الذي ينبع منه النشاط الإنساني، وإن الطاقة التي تبعث على العمل ليست الجوع الجنسي على أي حال من الأحوال.

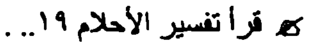
وإذا به هو يعتبر قانوناً من قوانين علم الحياة هو قدرة الكائن الحي على رد التوازن إلى وظائف أعضائه إذا قصر عضو منها في أداء وظيفته، قام عضوٌ أخر بتعويض ذلك القصور، وبالإبقاء على حياة الكائن الحي ونشاطه بفضل هذا التعويض، ومن أوجه النقد أيضاً التي وُجِهَت إلى اتجاه أدلر هو أنه قد أنفصل عن فرويد قبل أن ينضم إليه، أو أنه قد نقد مذهب فرويد قبل أن يتوفر على دراسته وقبل أن يتعرف عن كثب على نظريته وتطبيقاتها. أي أنه أقام نقده بفكرة سابقة فوقع في الخطأ الذي عابه هو على فرويد، بل أن إذا سلمنا بحجه أصحاب السكيولوجية المرضية لم نجد من أدلر وأتباعه فى دراستهم لحالات الشذوذ ما ينبغي للعلم من تفسير للكيف على ضوء الكم، ومن إقامه الرأي على الاستقصاء والإحصاء، بل أنهم أنفسهم قد اعترفوا أن الإحصاء حتى من الناحية العلاجية قد استعصى عليهم ، فلم يستطيعوا أن يؤيدوا رأيهم بتعداد الحالات التي انطبق عليها ونجح علاجهم فيها، ذلك لأن مرضاهم كانوا يولون الفرار قبل أن يتم شفاوءهم تماماً. .

الفصل الثامن

نظرية يونج Jung

(١٨٧٥ ـ ١٩٦١)

طبيب نفسي سويسرى :



- قرأ تفسير الأحلام ١٩..
- أتصل بفرويد وراسله ١٩,٦ .
- زاره جماعه الأربعاء بفيينا ١٩,٧ .
- رافقه في زيارته لأمريكا ١٩,٩ .
- تولى منصب رئيس الاتحاد الدولي للتحليل النفسي ١٩١٠..
- قاطع فرويد في ١٩١٢ بسبب التأكيد على الجنس ومفهوم الليبدو .
- انسحب من الاتحاد الدولي للتحليل النفسي ١٩١٤ وأسس علم النفس التحليلى .

نظرية يونج فى الشخصية بناؤها ـ ديناميآتها :-

أولاً : هي نظرية تحليلة لتأكيدها على الجوانب اللاشعورية. ولكن في حين أكد فرويد على الماضي وأعطاه أهمية مطلقة في رسم شخصية وسلوك الفرد حاضراً ومستقبلاً؛ نجد يونج يؤكد على أن الحاضر والمستقبل يسهمان بقدر إسهام الماضي في تحديد ملامح الشخصية .

- يجمع يونج بين العلية (الماضى وتأثيره) والغائية (المستقبل وتطلعاته) فقال أن الإنسان تحركه الأهداف بقدر ما تحركه الأسباب. فالماضي كدافع والمستقبل كامكان يحركان ويقودان سلوك الفرد في الحاضر . ويلاحظ أن يونج أكثر تفاؤلاً من فرويد .

المبادئ الأساسية لنظرية يونج في الشخصية :

١ـ مبدأ القطبية (التعارض بين الموجودات على اختلافها) .

والتعارض يستدعي الصراع والحياة بدون صراع لا تساوي شيئاً ، فالصراع هو المادة الخام الأساسية للحياة . حيث يُوَلِّد الصراعُ ضغطاً يؤدي إلى تقدم وحركة وتغير ..نتيجة الرغبة في إزالته .

مثال واقعي عالمي معاصر (قطبي – أمريكا والاتحاد السوفيتي السابق) .

ملاحظة : يقترح يونج (عكس فرويد) نهاية سعيدة لهذا الصراع بحدوث حالة توازن وإن كان قصير الأمد إلا أنه دليل على التقدم .

١- **التعويض :** تلجأ إليه الشخصية شعورياً أو لا شعورياً إذا شعرت بصراع نتيجة عجزها عن تحقيق غاية مرغوب فيها، باحثة عن أهداف أخرى .. وليس من الضروري أن يحقق الهدف البديل نفس الإشباعات ولكن كفى الشخصية أنها فعلت شيئاً ما .

ولا شعورياً يحدث التعويض بين قطبي الانطوانية والانبساطية فإذا كان الانطواء هو السائد في الأنا الشعوري ، فإن اللاشعور يقوم بعملية تعويض وتقوية الانبساط المكبوت فإذا أحبط الإنطواء . أحكم الأنبساط قبضته على الشخصية .

٢- **الاتحاد :** فقد تتحدد قوتان معاً للبحث عن حل مناسب لكليهما ...

والاتحاد أو الوحدة تؤدي إلى التقدم . فحالات الصراع الناشئة عن عدم إشباع حاجتين معاً (الجنس – الاستقلال الاقتصادي مثلاً) من شأنها أن تولد قوة هائلة دافعه للشخصية لأن تثابر وتجتهد .. وبالتالي تستنفذ طاقة الصراع في جهود بناءه مُمَنْيَة مُشْبِعَة للشخصية .

٣-**التعارض :** ويؤدي إلى الحركة والتقدم خاصة في حالات المنافسة وحياتنا ملأى بصور شخصية وقومية وعالمية للمنافسة المثمرة لتقدم تجاري واقتصادي..

ويرتبط بمبدأ القطبية مبدأبين آخرين هما :-

١- **مبدأ التعادل :** ومستمد من الديناميكا الحرارية، ويعنى أن المادة لا تفنى ولا تستحدث .. كذلك الطاقة التي تستخدم لتغيير حالة شيء ما لا تختفي ولكن سوف تظهر في شيء آخر، وعلى المستوى النفسي فإن ضعف قيمه معينه أو اختفاءها فإن الطاقة المرتبطة بها لا تفنى وإنما تعود للظهور في قيمة جديدة .

٢- **مبدأ الانتقال :** ومبنى أساساً على نظرية الأواني المستطرقة وكيف أن منسوب الماء ينتقل من الأعلى للأدنى إذا ما وصلت الأنية الحاوية لها . كذلك انتقال الحرارة من الأعلى للأدنى . وإذا تحقق التعادل والانتقال بين أطراف الأقطاب المختلفة فإن الفرد ينعم بحالة توازن مؤقت ويصبح الفرد أقرب إلى الطمأنينة والأمن. ومن أمثلة هذه **الأقطاب** : علية ، غائية ، شعور ، لا شعور ،لا شعور شخصي ، لا شعور جمعي، الإعلاء، الكبت، انيما ، انيموس، حاجات عضوية – حاجات نفسية وثقافية ، طاقة مادية ، طاقة نفسية، وظائف عليا ، وظائف دنيا .

٣- **تحقيق الذات :** وهى غاية الإنسان فى المستقبل ... فهو أفضل من الماضى كما يرى يونج مقارناً الإنسان المعاصر بالإنسان البدائى . والتحسن التدريجي للإنسان لا يصدر عن جهد كُتْلى جَمْعَي ، وإنما يصدر فقط من خلال تحسن الشخصية الفردية .. ثم يأتى التعاون المتبادل من أجل سعادة مشتركة .

بناء الشخصية عند يونج :

الأنا ، اللاشعور الشخصي وعقده ، اللاشعور الجمعى وأنماطه ، القناع ، الأنيما ، الانيموس، الظل، الاتجاهات الانطوائية والانبساطية، وظائف التفكير والوجدان والإحساس والحدس ثم الذات (الشخصية المكتمله النمو والوحدة) .

١- **الأنا Ego :** وهو من وجهة نظر يونج – العقل الواعي في صلته بالواقع ، ويتكون من المدركات الشعورية والذكريات والأفكار والوجدانات، وهو مسئول عن الإدراكات والتفكير وهو ما يعرفه الإنسان من مكونات شخصيته حق المعرفة .. فهو الذى يتخذ القرارات ويذكره وينبهه بما يجب عمله .

- قد يدخل الأنا الشعوري في صراع مع اللاشعور مما يزيد من محاولات اللاشعور من إثبات وجوده في الأحلام مثلاً .
- الأنا هى التى تمهد السبيل – حول الأربعينات – لظهور الذات .
- فالذات هي وريثة الأنا القديم ولكنها تستخدم الحالات الشعورية واللاشعورية الفردية .

٢- **اللاشعور الشخصى Personal Unconscious**

- مستودع الخبرات المؤلمة أو الضعيفة .

✍ مـرتبط بالأنـا .. فمـن الممكـن استحـضار الكثيـر مـن مـادة اللاشـعور الشخـصى إلـى الـشعور لتـساعد الفـرد فـي حياتـه اليوميـة (اللاشـعور الشخصي أشبه بقبل شعور عند فرويد) .

✍

٣- العقد Complexes

وتشمل أي محور رئيسي من الخبرات شديدة الأثر في حياة الفرد مثل عقدة الأم – عقدة الأب – عقدة القوة – عقدة الحرب – عقدة النقص ... الخ . و غالباً ما تكون لاشعورية وأحياناً تكون شعورية ، وكلاهما يدفع الفرد لأن يفسر ويستخدم الكثير من الظواهر الموضوعية .

٤- اللاشعور الجمعى Collective Unconscious

مخـزن الخبـرات الماضـية المتراكمـه عبـر الأجيـال .. وصـل بـه الاعتقـاد بتوريثهـا فـي شـكل أنمـاط أوليـة تتـرك أثارهـا فـي مـخ الإنـسان جيلاً بعـد جيـل . وعموميه هذه الأنماط ترجع إلى التدعيمات المتكررة في ماضـي تـاريخ الإنـسان أمثلة (الأم – الميلاد – الموت – نهاية العالم – الشيطان) .

٥- القناع Persona

وهو غلاف نلبسه لذاوتنا الحقيقة لنبدو للعالم في مظهر لانق، ويصفه يـونج بأنه قناع العقل الجمعي، نخفي وراءه الفردية .

والفـرد المـسرف فـي اسـتخدام القنـاع هـو أشـبه بإنـسان ولـيس بالإنـسان الحقيقي، فيغتـرب عن مشاعره ووجداناته ويصيبه الإضـطراب الشديد فيستحيل عليـه خلـق ذات حقيقيـة تتفـق ومثلـه وأهدافـه الخاصـه ، فيـصبح أقـرب للحالـة المرضية منه إلى السواء .

أما الشخص الذي يتمكن من التخفف من القناع يصبح أقرب إلى تحقيق ذاته الحقيقة . يسميه يونج بالإنسان الفردي Individual man . ووفق مبدأ القطبيـة

عند يونج تكون الحياة صراعاً بين (شبه الإنسان الذي يختفي وراء القناع والإنسان الفردي الذي يسعى لتحقيق ذاته) .

٦- الإنيما ، الأنيموس The Anima and the Animus

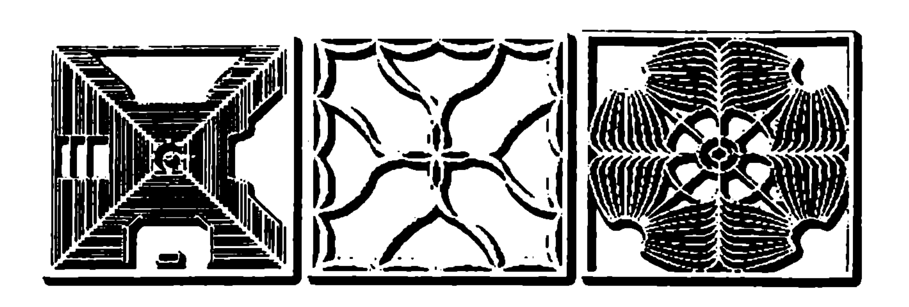
أنيما :	انيموس
النمط الأولى	النمط الأولى
الأنثوى لدى الذكور	الذكري لدى الإناث

فكل منهما لازم أصلاً لتكوين الآخر وهذا مدعاة لوجود السكن والتفاهم بينهما .

٧- الظل : Shadow

وهي جزء من اللاشعور الجمعي ويحوي مجمل الغرائز والسلوكيات اللاأخلاقية والبدائية المتوحشة وهو يقوم مقام الهو في نظرية فرويد . ويرى يونج للظل تأثيراً إيجابياً من خلال الثنائيات القطبية .. إذ من خلال الفعل السئ ، يُتَعلَمُ الفعل الحسن، ويحاول أن يحقق حياة طيبة والظل مشكلة خلقية تتحدى الأنا كلها، وكذلك يمثل مشكلة اجتماعية .

8-الذات Self : وهو أهم الأنماط الأولية جميعها .. وعثر يونج على رمز مشترك لهذا النمط الأولى ممثلاً في حضارات مختلفة .. هو شكل الماندالا .



والتي تمثل أشتهاء الإنسان للوحدة والكلية والتكامل فى الشخصية والذات التي تقع في موقع وسط بين الشعور واللاشعور تكون قادرة على إعطاء التوازن للشخصية كلها (النفس) وتحفظها في حالة استقرار وثبات نسبي ويتحقق هذا في سن متقدمة، في حوالى ٤. بداية وفي منتصف العمر لدى الغالبية حيث تحل الطاقة النفسية محل الطاقة الجسمية (مبدأ التعادل والانتقال) وتصبح الحاجات العضوية أقل أهمية مقارنة بالحاجات الثقافية .

ملاحظة : يرى يونج أن عدداً قليلاً من البشر كالرسل هم الذين يبلغون درجة قريبة من التوازن الكامل .

١- **الوجدان :** وظيفة منطقية مبنيه على تقييم الأشياء عقلياً .

٢- **التفكير :** وظيفة منطقية عقلية مجردة إلى حد بعيد .

ميكانيزمات تحقيق الذات عند يونج :-

١- عوامل القطبية ضمن مبدأي التعادل والانتقال .
٢- الإرث البيولوجى والنمطى الأولى والخبراتي السلفي (علِية السلوك) .
٣- أحلام وأمال المستقبل (غرضية السلوك وغائيته) .
٤- الأربعينات وأواسط العمر عموماً مرحلة انتقال حاسمه نحو تحقيق الذات .
٥- تكامل أجهزة الشخصية ومكوناتها وبلوغها مرحلة الازدهار الروحي .
٦- القدرة على استخدام الرمز واستحداثه للخبرات الماضية أو التطلعات المستقبلية .

سيكولوجية الأنماط*:

بدأ يونج في بداية هذا القرن بوضع تقسيماً ثنائياً، فقد ميز نمطين أساسيين في الشخصية هما : الإنبساط والإنطواء Extroversion , Introversion

أولاً : الانبساط : يمثل نمط الشخصية المنبسطة تنظيماً لها نحو العالم الخارجي : فالشخص المنبسط تتجه حركته نحو العلاقات الموضوعية وينصرف اهتمامه وانتباهه إلى الحوادث الخارجية، وهو أكثر إتصالاً بحياة الواقع،

* علي عبد السلام علي : تاريخ علم النفس، اتجاهاته القديمة والحديثة، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٥ .

ويستطيع أن يعبر عن نفسه بسهولة مع الآخرين، والشخص المنبسط يميل إلى الجرأة والتأثر بالواقع ومجاراته ويرى يونج أن الشخص المنبسط في حياته الشعورية يتصف بصفات الإنطوائى في حياته اللاشعورية وأن الانطوائى في حياته الشعورية يتصف بصفات الشخص المنبسط في حياته اللاشعورية وباختصار فإن الطاقة النفسية عند نمط الشخصية تتجه نحو غيره من الأشياء فيسيطر عليه الميل إلى الحركة والصلات الاجتماعية .

<u>ثانياً الانطواء :</u> الانطوائيون يرتد عندهم الليبدو إلى الداخل نحو حقائق ذاتية لا يستطيع أن يلاحظها إلا هم أنفسهم ويميلون إلى الانسحاب من عالم الحقائق إلى عالم الخيال، وهذا الاتجاه لليبيدو نحو الواقع الخارجي أو نحو الذاتالداخلية جزء أساسي من التكوين المسكوفيزيقي للفرد وهو يحدد نمط شخصيته .

إن هذين الاتجاهين المتعارضين يُوجد كلاهُما في الشخصية، إلا أن أحدهما يكون عادة أقوى وشعورياً على حين يكون الأخر أضعف ولا شعورياً . فإذا كان الأنا تغلب عليه الإنبساطية في علاقته بالعالم ، فإن اللاشعور الشخصي يكون منطوياً .

ويُعد كتاب يونج "الأنماط النفسية" الذي نشر عام ١٩٢٢ الذي عَرَضَ فيه نظريته عملاً رائعاً، وقد احتل مكانة مرموقة في نظر البعض فيقول بانيز (يجب أن يعتبر علماء النفس العمليين بالتأكيد أن هذا الكتاب هو أساس علم النفس، حيث أننا لا نجد في أي كتاب أخر تلك المبادئ النفسية الأساسية التي تدعم صدقها بالحقائق التي لا يمكن انكارها من التطور التاريخي للإنسان وحقائق الخبرة الفردية .

تداعي الكلمات :

أضاف يونج أداة هامة في الحقل الإكلينيكي وفي الحقل التجريبي الا وهي اختباره في تداعي الكلمات، وقد وضع هذا الاختبار مستقلاً عن مفهوم فرويد في التداعي الحر، ووضع فيه قائمة من مائة كلمة اختارها بناءً على قيمتها الانفعالية، ويطلب من المفحوص أن يستجيب بأول كلمة تُردُ على ذهنه بعد أن تعرض عليه

الكلمة المثيرة، وتدُلنا الإختلافات في نوع الاستجابة بالنسبة للوقت أو للمحتوى على الصراعات العامة ذات الدلالة .

الوظائف المكونة للشخصية :

هناك أربع وظائف سيكولوجية رئيسية هي : التفكير والوجدان والإحساس، والحدس (الإلهام) فكل فرد تقوم حياته العقلية بهذه الوظائف الأربع، غير أنه يمكن تصنيف الناس ليس فقط وفقاً لنمط الشخصية المنبسطة أو نمط الشخصية المنطوية، بل وأيضاً حسب الوظيفة السيكولوجية الخاصة السائدة فيهم .

١- **التفكير :** عملية ذهنية تقوم على الأفكار فالإنسان يحاول بواسطة التفكير أن يفهم طبيعة العالم وأن يفهم طبيعة نفسه .

٢- **الوجدان :** أما الوجدان فهو وظيفة القيمة : قيمة الأشياء بالنسبة للفرد، ووظيفة الوجدان أن يمنح الإنسان خبراته الذاتية باللذة والألم، بالغضب والخوف والأسف، والبهجة والحب .

٣- **الإحساس:** أما الإحساس فهو الوظيفة الإدراكية أو الواقعية، وهو يُعْني بالحقائق العيانية أو تمثيلات العالم .

٤- **الحدس أو الإلهام :** فهو الإدراك بواسطة عمليات لاشعورية، ومحتويات دون الوعي، فالإنسان القادر على الحدس يتجاوز الوقائع والوجدانات والأفكار ليُكَوِّن وليُطَوِّر نماذج للواقع. إن الحدس يمكن المرء من النفاذ إلى جوهر الواقع .

فكل فرد تقوم حياته بهذه الوظائف الإربع، غير أننا نجد أن إحدى هذه الوظائف أكثر بروزاً لدى الشخص من الوظائف الأخرى، وبهذا وصل يونج إلى التصنيف على أساس هذه الوظائف الأربع، فهناك صنف من الناس تغلب عليه الناحية الفكرية، وصنف أخر تغلب عليه الناحية الوجدانية ، وصنف ثالث تغلب عليه الناحية الحسية ، والصنف الرابع تغلب عليه الناحية الإلهامية والذى تغلب عليه الناحية الفكرية تقل عنده الناحية الوجدانية .

ديناميات الشخصية :

يتصور يونج الشخصية أو النفس بوصفها نظاماً من الطاقة مغلقاً جزئياً. ويُقال أنه غير مغلق تمامًا لأنه لابد من إضافة طاقات من مصادر خارجية إلى

النظام مثل الأكل، كما تنتزع من النظام طاقة مثل ذلك القيام بالأعمال العضلية، كذلك من الممكن أن تحدث المنبهات البيئية تغيرات في توزيع الطاقة داخل النظام، ويحدث هذا على سبيل المثال عندما يعيد تغيير مفاجئ في العالم الخارجي يواجه انتباهنا وإدراكنا. وتعني حقيقة تعرض ديناميات الشخصية للمؤثرات والتعديلات من المصادر الخارجية .

إن الشخصية لا يمكن أن تحقق حالة من الاستقرار الكامل أو هو ما كان يمكن لو أنها كانت نظاماً مغلقاً تماماً فهي تستطيع فحسب أن تحقق قدراً نسبياً من الاستقرار .

منهج العلاج النفسى عند يونج :

من مناهج العلاج النفسي، أن يتمكن المرء من الخارج من رؤية مدى ما تلقيه نظرية يونج من ضوء على السلوك البشري، أو كيف تعمل هذه النظرية في وقف العلاج، فمما لا شك فيه أن المرضى يجدون المساعدة في اهتمام المعالج من المدرسة اليونجية بهم، ومن اقتراحاته البناءة حول مشاكل حياتهم الحالية وما يبديه يونج عموماً من اهتمام بتكامل المرضى كأفراد ومثل هذا الاحترام لا يبديه دائماً ممارسون آخرون .

تقييم نظرية يونج :-

لسيكولوجية يونج عدد من المعجبين المخلصين والمؤيدين في جميع أنحاء العالم ، وكثير منهم يمارسون التحليل النفسي، ويستخدمون منهج يونج في العلاج النفسي، ولكنه هُوجِمَ من جانب المحللين النفسيين من مدرسة فرويد ابتداءاً من فرويد نفسه وقد شَنَّ جلوفر عام ١٩٥. المحلل النفسي الانجليزى ما قد يحتمل أن يكون أشمل هجومٍ تعرض له علم النفس التحليلي. فهو يسخر من مفهوم الأنماط الأولية بوصفها ميتافيزيقية وغير قابلة للإثبات، ويقول جلوفر أن يونج لا توجد لديه مفهومات ارتقائية بواسطتها ينمو العقل على أن انتقاد جلوفر الأساس، وهو ما يكرره عددٌ من المرات، هو أن سيكولوجية يونج هي تراجع إلى سيكولوجية الشعور التي مضى عليه الزمن ويتّهم يونج بتمزيق مفهوم اللاشعور الفرويدى، وإقامة أنا شعورية محله .

الفصل التاسع

كارين هورني

Karen Horney

١٨٨٥ ـ ١٩٥٢



- وُلدَت في مدينة هامبورج بالمانيا عام ١٨٨٥ .
- عمل أبوها بحاراً واتصف بالتقوى والميل للهدوء .
- اتصفت أمها بالتمرد والمرح وكانت تصغر أباها
- بسنوات عدة .
- عاشت طفولة قاسية فيها تفضيل أمها لأخيها الأكبر،
- وجفاف معاملة أبيها لها مما أشعرها بشيء من الدونية .
- رغم حسدها لأخيها الأكبر برندت Barndt ، اتسمت
- طفولتها بالمرح والثقة بالنفس .
- درست الطب بجامعة برلين، والتحقت بمعهد برلين للتحليل النفسى ، وأخضعت للتحليل من قبل كارل إبراهام، وهانز ساكس (١٩١٨ ـ ١٩٣٢) .
- عملت عميدة لمعهد شيكاغو للتحليلالنفسى (١٩٣٢ ـ ١٩٣٤) .
- درست فى معهد نيويورك للتحليل النفسى .
- انتقدت العديد من آراء فرويد بشأن الشخصية الإنسانية وأسست مع زملائها ومؤيديها " رابطة تقدم التحليل النفسي وعُينت عميدةً للمعهد الأمريكى للتحليل النفسى (١٩٤١ ـ ١٩٥٢).
- نشرت عدة مقالات في علم نفس المرأة (١٩٢٤ ـ ١٩٣٦) وألفت خمسة كتب في الشخصية العصابية والتحليل النفسي والصراع الداخلي (١٩٣٧ ـ ١٩٥) .

- عارضت "هورني" "فرويد" في قوله : إن تطور نمو الشخصية يعتمد على قوى من الدوافع الغريزية غير القابلة للتغيير، وكذلك عارضت رأيه في الأهمية البارزة للدافع الجنسي، ورفضت القول بعمومية النظرية الأوديبية ومفهوم الليبدو، كما عارضت رأى فرويد بشأن معاناة المرأة مما يسمية "حسد القضيب" وقالت هورني : إن الرجل يعاني من حسد الرحم Womb envry وذلك لعدم قدرته على الإنجاب .
- اتفقت مع رأى فرويد القائل بأن الشخصية تتشكل في مرحلة الطفولة المبكرة واختلفت معه في أن الشخصية من الممكن أن تتغير خلال المراحل اللاحقة للنمو . في ضوء التضاريس الحضارية والخبرات الشخصية *.
- ترى كارين هورني أن الحاجة للأمن هي المحرك الأساسي للسلوك البشري، فإذا وصل أمن الطفل في علاقته بأبويه إلى حدٍ تصعب السيطرة عليه، ينمو لديه شعور شامل بأن العالم مكان عدائي وخطر . وهذا الشعور هو ما تسميه هورنى بـ "القلق الأساسي Basic Anxiety " .
- ويلعب القلق الأساسي دوراً أساسياً فى تشكيل الشخصية إذا أنه المسئول عن تكون أساليب سلوكية Strategies لدى الفرد، التي إذا ثبتت أصبحت جزءاً من الشخصية، وميزت فرد عن آخر. وقد تتخذ أية واحدة من هذه الاستراتيجيات شكل الدافع أو الحاجة في ديناميكية الشخصية، وهي محاولات غير معقولة (لذا فهي عصابية) لإيجاد حل لمشكلات علاقات إنسانية مضطربة.

وتحدد "هورني" حاجات عصابية عشر بوصفها مصادر للصراعات الداخلية .. وهذه الحاجات هي * :

١- **الحاجة العصابية للحب والتقبل :** وتتميز هذه الحاجة بالرغبة دون تفرقة أو تمييز في إرضاء الأخرين، وعمل ما يتوقعونه. فالشخص يعيش من أجل الفكرة الطيبة عنه لدى الآخرين كما أنه يكون بالغ الحساسية لأي علاقة قائمة على النبذ أو عدم الود .

---

* محمد شحاته ربيع : تاريخ علم النفس ومدارسه ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٩٨٦

* روبرت هاربر: التحليل النفسى والعلاج النفسي ، ترجمة سعد جلال الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٢- **الحاجة العصابية إلى "شريك" مسيطر يتحمل حياة الفرد** . والسمة البارزة لهذه الحاجة هي أن يصبح الشخص طفلياً من النوع الذي يخضع ويطلب الحب والرعاية من شريك قوى في مقابل حب جارف من جانبه، ولذا فالشخص الذي تسيطر عليه هذه الحاجة يكون من النوع الذي يسرف في تقدير الحب، ويخاف أشد الخوف من أن يهجره الغير ويصبح وحيداً. وهذه الحاجة تدفع الفرد إلى التحرك نحو الناس .

٣- **الحاجة العصابية إلى تقييد الفرد لحياته داخل حدود ضيقة** : إن مثل هذا الشخص لا يطلب شيئاً، ويقنع بالقليل، ويفضل أن يبقى مغموراً مفضلاً التواضع على كل ماعداه.

٤- **الحاجة العصابية إلى القوة** : وتبدو هذه الحاجة في النزوع إلى السيطرة، واكتساب الصيت، والحصول على الثروة، وتنتج كل هذه الرغبات عن إحساس عميق بالقلق والكراهية والحقد والشعور بالنقص. ويبدو للشخص أن استحواذه على القوة قد يحميه من إيذاء الناس له .

٥- **الحاجة العصابية إلىاستغلال الآخرين** : والسمة البارزة لهذه الحاجة هى دفع الفرد إلى أن يكون مسيطراً مستغلاً للأخرين، يرفض الهزيمة في اللعب، ويكون اتجاه الفرد هنا هو "ضد الناس" .

٦- **الحاجة العصابية إلى المكانة المرموقة** : يتحدد تقدير الشخص لنفسه بمبلغ ما يناله من تقدير اجتماعي .

٧- **الحاجة العصابية إلى الإعجاب الشخصي** : إن من لديه هذه الحاجة يكون لنفسه صورة متضخمة ، ويرغب في أن يكون محط الإعجاب .

٨- **الحاجة العصابية إلى الطموح في التحصيل الشخصي** : والسمة البارزة لهذه الحاجة هي الرغبة الجامحة لأن يصبح غنياً مشهوراً مهماً، بصرف النظر عما تكلفه هذه الشهرة بالنسبة له وللأخرين . ويكون إتجاه الفرد هنا "ضد الناس" .

٩- **الحاجة العصابية إلى الاكتفاء الذاتى والاستقلال** : إن هذا الشخص ونظرا لإخفاقه فى محاولاته العثور على الدفء والعلاقات المشبعة بالآخرين يعزل نفسه عن الآخرين ، ويرفض أن يربط نفسه بأي شخص، وبأي شيء.

١٠- **الحاجة العصابية إلى الكمال واستحالة التعرض للهجوم** : والسمة البارزة لهذه الحاجة هي عدم محاولة الوقوع في الخطأ الذى يعرضه للنقد والتجريح

من جانب الآخرين، ومحاولة جعل نفسه حصناً لا يهاجم . ومن المحتمل أن يكون اتجاه الفرد هنا "بعيداً عن الناس" .

- ✍ وبينما يستطيع الشخص السوى حل هذه الصراعات بإضفاء التكامل بين هذه الحاجات العشر، ويُكَمِل واحدة منها أو أكثر ببقية الحاجات الأخرى، فإن العصابى يفشل في إحداث هذا التكامل، ومن ثم يسلك نمطاً توافقياً عصابياً في الحياة .
- ✍ وترتبط هورني بين أساليب التوافق العصابي وبين مراحل النمو الزمني للشخصية على هذا النحو * :-
  - ✍ - (خضوع) : التحرك نحو الناس ـــــ الطفل .
  - ✍ - (عدوان) : التحرك ضد الناس ـــــ المراهق .
  - ✍ - (ابتعاد) : التحرك بعيداً عن الناس ـــــ الراشد .

أولاً : التحرك نحو الناس (خضوع) :

وهذا النمط يقوم بجهود كبيرة لكسب محبة الأخرين. فمحبة الأخرين له تحميه مما قد يصيبه منهم من أذى. فمن يحب لا يُؤذى. وهو إذا خضع لهم فسوف لا يلحقه أذى منهم . والنقاط الآتية تلخص سلوكه عندما تقلب صراعاته الداخلية توازن حياته :

١- إن الطفل يحاول ويحاول أن يصبح مسيطراً. ولكن كل الأساليب التي يتخذها تبدو نتائجها غير كافية ولا تؤدي إلى إشباع . ومع مرور الوقت يتقبل الطفل ضعفه وعجزه ليتوافق والصراع داخل نفسه والذي ينمو تجاه الآخرين .

٢- وما أن يتقبل ضعفه للتوافق مع الأخرين الذين هم أقوى منه، فإنه يتحرك نحو الناس ويبذل جهداً كبيراً ليشعر بالأمن عن طريق ربط نفسه بمن هم أقوى منه . وبسبب هذا الشعور بالإنتماء إلى الجماعة وما تمنحه إياه من سند، فإنه يشعر بأنه صار أكثر قوة وقدرة على مواجهة الحياة .

٣- ثم هو إذا فشل، فسرعان ما يهرع الآخرون لنجدته. ففى تقبل الجماعة له قوة، وفى نبذها له ضعف. فهو لا يمكنه أن يحيا بدون حب ورعاية. ولذا فهو يعمل أشياء كثيرة من أجل إرضاء الآخرين. فيتنازل عن بعض حاجاته

---

* علي عبد السلام : مرجع سابق .

من أجل إرضاء الكبار حوله، كما يكون يقظا لرغبات الغير ومطالبهم مستعداً للتضحية من أجل كسب الرضا عنه .

٤- وفشل هذا النمط فى تحقيق أهدافه وكسب محبة الآخرين له، غالباً ما يحوله إلى حالة توهم المرض "هيبو كوندريا" وتجعله ضحية الشكوى لعديد من الأمراض السيكوسوماتية. فطالما أن المجتمع يعطف على العاجز والضعيف والمريض، فليكن في شكواه المستمرة من المرض ما يستدر به عطف الغير .

ثانياً : التحرك ضد الناس (عدوان) :

ورغم أننا جميعاً نستخدم – حسب هورني – هذا الأسلوب في الأوقات التي نراه فيها مناسباً، إلا أن هذا النمط العصابي الذي من هذا النوع يغالي في استعمال العدوان في علاقته بالآخرين. فهو يصبح عدوانياً بشكل ظاهر ويميل إلى الانتقام لنفسه من هؤلاء الذين نبذوه . والنقاط الآتية تُعَدَ أبرز وأوضح مبررات هذا النوع .

١- إنه يبدأ من مسلمة هي أن العالم الذي يعيش فيه عالم عدواني . ولذا فعليه – شعورياً أو لا شعورياً – أن يقاوم العدوان ويحاربه . ومثله السائد في هذه الحالة "إتغدى به قبل أن يتعشى بك" .

٢- الإحساس أو الرغبة الأولى لدى هذا النمط هي الرغبة في أن يكون قوياً يسيطر على الآخرين ويهزم أعداءه أيا كانوا واينما كانوا . وبسبب حالة عدم الثقة هذه في الآخرين، فإن دفاعاته تكون دائماً في حالة استعداد. فهو دائماً في تيقظ لحماية نفسه . وفلسفته السائدة هي أن "ليس هناك حق بدون قوة تحميه" .

٣- وهذا الميل إلى السيطرة قد يكون في صورة ضمنية أحياناً، اى فى شكل مساعدة للغير وبطريقة إنسانية ، وفى ثنايا هذه المساعدة للغير تكمن الرغبة في القوة والسيطرة على الآخرين . وقد تكون هذه الرغبة في السيطرة عن طريق مساعدة الغير لاشعورية وقد تكون شعورية كذلك .

٤- إن نظرة هذا النمط الأول الذي يتحرك نحو الآخرين والذي يبقى محبة الآخرين له ، يكون مزيجاً من الازدراء والإشفاق ، وذلك في ضوء نظرته إلى هذا العالم من حوله والذي تسوده القوة والميول العدوانية .

ثالثاً : التحرك بعيداً عن الناس (الابتعاد) :

والابتعاد قد يكون جسيماً أو عقلياً أو هما معاً. والابتعاد الذي له طبيعة عقلية هو أكثرها وضوحاً في حالات الفصام ، وبخاصة في حالات الفصام الكتانوني أو التخشبي وتقوم فلسفة الإبتعاد في هذا النمط من السلوك التوافقي العصابي على أساس فلسفة الفرد في حل مشكلاته، والتي تستند إلى أنه "إذا ابتعد عن الناس فلن يصيبه منهم أذى" . والنقط الآتية تعد أبرز وأوضح مظاهر هذا النمط :

١- إن العصابى الذى يتبع هذا النمط ، لا يرغب على وجه التحديد فى الإنتماء ، ولا فى العدوان ، وإنما تكون رغبته الملحة فى أن يظل بعيداً فلكون الناس هم مصدر الصراع وعدم الإحساس بالسعادة، فليكن في الابتعاد عنهم سبيلاً لحل صراعاته . والفلسفة السائدة لهذا النمط هي قوله "البعد عن الناس غنيمة" فالبعد عن الأخرين يقلل من الاحتكاك بهم ويبعده عن المشكلات التي يسببها هذا الاحتكاك فهو يعيش لنفسه وبنفسه، وأن ليس هناك شيء كبير يربطه بالأخرين .
٢- ولإفتقاره إلى القدر الكافي من المشاركة الاجتماعية ، وميله إلى الابتعاد عن الناس، فإن هذا النمط يكون أكثر ميلاً إلى حب الكتب والقراءة ويميل إلى الأحلام والخيالات والفنون. وهو يُكّون لنفسه عالماً خاصاً به وحسب رغبته.ولذا نجده قليل الأصدقاء فضَلّ الكتابَ على الإنسان، ومثله السائد في هذه الحالة "الكتاب هو أوفى صديق" .
٣- ولكى يقوى على الابتعاد عن الناس عقلياً ومكانياً، فإنه يجب أن يكون من القوة بحيث يستطيع أن يشبع مطالبه الشخصية. فالضعيف لا يمكنه أن يتبنى مثل هذا الأسلوب من التوافق. إن عليه أن يعيش وأن يعتمد على نفسه إلى حد بعيد .
٤- هذا النمط يحاول أن يبقى على فرديته. وهذا ما يتضح حين يوجد مع تجمعات من الناس أوفى حفلة مثلاً فإنه سرعان ما ينعزل ويبتعد عن الأخرين ويفضل الجلوس وحيداً بعيداً عن الصخب .

✍ كذلك صاغت "هورنى" تعبير صورة الذات المثالية Idealized self Image والتي هي صورة زائفة عن ا لشخصية ، ذلك أن صورة الذات

هي قناع مضلل يمنع الشخص العصابى من أن يتفهم أو يتقبل ذاته الحقيقية، وباصطناع هذا القناع فإن العصابي ينكر صراعاته الداخلية ويبدو حيال نفسه في صورة أحسن من الواقع بكثير * . ومن ثم يفرض على العالم فروضاً خاصة مثل المزيد من الاهتمام به، والانتباه إليه، والنظر إليه بعين الاعتبار، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تنشأ لديه كبرياء غير واقعية (تختلف عن الثقة الصحية بالنفس) تحول بينه وبين أداء الأشياء التي قد تحقق له بعض التمجيد من قبل الآخرين الذي يشعر بأنه حق له **.

- إن العصاب فى الصميم تبعاً لذلك – كما تصورته هورني – اضطراب فى علاقة المريض مع نفسه، ومع الآخرين، فالصورة المثالية للذات ملزمة بكراهية الكيان الحقيقي للشخص أو ما تسميه هورنى بالذات الحقيقية Real self تمشياً مع مفاهيمها عن الذات المثالية (العصاب والتعالي، والسعي وراء التمجيد كمظاهر للشخصية) والذات الفعلية (شخصية الفرد ككل كما هي موجودة بالفعل عند نقطة زمنية معينة). وتقصد بالذات الحقيقية القوة المركزية الداخلية في الفرد والتي اعتقدت بأنها مصدر النمو الحر الصحي لطاقات الفرد الداخلية. فالذات الحقيقية هي ما يمكن أن تكونه الذات الفعلية بطرح الذات المثالية جانباً بالعلاج . أن الصراع الداخلي المركزي لدى العصاب – كما رأته هورني – هو معركة بين القوى البناءة للذات الحقيقية والقوة المعوقة لنظام الكبرياء ، وبين النمو الصحي والدافع العصابي للإثبات الفعلي لكمال الذات المثالية .

العلاج النفسي لدى هورني

- يتمثل فى مد يد المساعدة للشخص المضطرب فى محاربته لصورته المثالية عن نفسه، وبما فى ذلك كل الحاجات العصابية المرتبطة بهذه الصورة ومواجهة الذات الفعلية مواجهة واقعية (رؤية نفسه كما هو الآن). وفك عقال الذات الحقيقة. ومن ثم التحرر من الوهم. وبذلك يتم إضعاف القوى المعوقة للذات الحقيقية للنمو الصحي .

---

* محمد شحاته ربيع : مرجع سابق .

** روبرت هاربر : التحليل النفسى والعلاج النفسى ، ترجمة سعد جلال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

الفصل العاشر

إريك فروم

Fromm S. Erich

(١٩٠٠ – ١٩٨٠)



- ولد بفرانكفورت بألمانيا وينحدر لعائله يهودية .
- عاش طفولة غير سعيدة في كنف والدين يعانيان من حدة المزاج والاكتئاب .
- تعرض لصدمة نفسية عنيفة عندما شاهد حادث انتحار لأحد أصدقاء العائلة (١٩١٢).
- عاصر الحرب العالمية الأولى بويلاتها .
- انفعل بالسلوك اللاعقلاني وحاول التعرف على أسبابه، فدرس الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس وتخرج في الجامعة عام١٩٢٢ بهايدلبرج .
- تدرب على التحليل النفسي في ميونخ وفي معهد برلين للتحليل النفسي .
- انتقل للولايات المتحدة ١٩٣٣ وحاضر في معهد شيكاغو للتحليل النفسي وأنشأ عيادة خاصة بنيويورك .
- درس في العديد من جامعات الولايات المتحدة. وأسس قسم التدريب على ممارسة العلاج بالتحليل النفسى بالجامعة الأهلية بالمكسيك .
- انتقد أراء فرويد بشأن الإشباع الغريزي كمحدد للسلوك والطبيعة الإنسانية، فرأى أن السلوك والشخصية نتاج لعملية اجتماعية .
- فسر (عقدة أو ديب) تفسيراً اجتماعياً بوصفها تعبير عن كفاح الطفل في سبيل التحرر من السلطة الأبوية التى تحاول صبه في قالب معين طبقاً لرغباتهم .
- ألف كتباً عديدة من أهمها الحرية (١٩٤١) وكتاب قلب الإنسان (١٩٦٤) .



بناء الشخصية :

يقدم "فروم" نظرية في الشخصية يعبر عن إتجاه متطور في التحليل النفسي، إنطلاقاً من مفهومه للشخصية بأنها مجموعة الصفات النفسية الموروثة والمكتسبة من تجارب الطفولة المبكرة وتجارب الحياة، وأن المجتمع الذى يعيش فيه الفرد عامل عام في تكوين الشخصية ونموها، يبين أن هناك ثلاثة عناصر مكونة للشخصية هي: الذات، والضمير، والسمات .

١- **الذات** : إن الذات عبارة عن تنظيم نفسي، يتكون من مجموعة من الوظائف الاجتماعية والاقتصادية التي يقوم بها الفرد منذ طفولته، وينبع إحساس الإنسان بالذات من التجربة مع ذاته كموضوع للتجارب والتفكير والشعور والإتصال. والشعور بالذات هو جزء من الشعور بالإنتماء والإرتباط بالعالم، فإذا فقد الإنسان الثقة في الذات ، فإنه يحاول أن يسترجع الشعور بالإنتماء وتحقيق التوافق مع القيم السائدة في المجتمع .

٢- **الضمير** : إن الضمير عند "فروم" هو المستودع الرئيسي للميراث الإجتماعى والثقافي في تكوين الشخصية. فالضمير هو القوة المحركة التي تدفع الإنسان إلى أداء سلوك معين، أو عدم أدائه لهذا السلوك حسب متطلبات المجتمع .

٣- **السمات**: يعتبر "فروم" أن السمات هي القوة الخلاقة في المجتمع، والتي تطبع الذات بطابع اجتماعي. وهذه السمات هي العناصر الاجتماعية في تكوين الشخصية. وليست هذه السمات فطرية أو ثابتة، إذ أنها تختلف حسب نوع العمل الذي يؤديه الفرد .

نمو الشخصية * :

ويرى "فروم" أننا عندما نتدرج فى مراحل النمو من الطفولة إلى المراهقة ثم إلى الرشد فإن الفرد يحقق الاستقلال، ولكن تحقيق الاستقلال هذا يكون على حساب الشعور بالأمن، كما أن المجتمع يتجه نحو مزيد من الحركة والتعقيد وإلغاء الشخصية الفردية مما يؤدي إلى فقد "العلاقات الأمنة مع الجماعات

* محمد شحاته ربيع : مرجع سابق .

الأساسية مثل الأسرة والعشيرة أو القرية التي ينتمي إليها. هذا كلما فقدنا العلاقات الأمنة مع الطبيعة نفسها. مما أورثنا الشعور بالوحدة والتنفاهة .

وعلى هذا يرى "فروم" أننا نهرب من هذه الحرية إلى وجود أكثر آمنا، كما يرى أن القوة الدافعة في الإنسان ليس في إرضاء الدوافع الغرزية بل في تحقيق ما أسماه "فروم" الاعتمادية dependence . وفي كتابه "الهروب من الحرية" - والذى كتبه أثناء سيادة النظام النازي في ألمانيا - أشار "فروم" إلى أن النازية تجتذب الناس لأنها قدمت لهم هروباً من الحرية غير المحتملة التي يعيشونها، كما قدمت لهم أسلوباً للعودة إلى الاعتمادية وإلى الشعور بالأمن. ويرى "فروم" أن الطبيعة الإنسانية تحددها العوامل الاجتماعية الحضارية وليست العوامل البيولوجية .

النقطة الثانية : التسلطية والإنسانية : حيث يرى أن من بين الأنظمة التي من خلالها نستطيع تحقيق الأمن هي التسلطية والإنسانية ذلك أن التسلطية authoritarianism تؤدي بالمجتمع إلى الانصياع إلى مجموعة من المبادئ الجامدة، التي تؤدي إلى حالة من العبودية والاسترقاق، كما رأى أن المجتمع الذي يمنع الفرد من تحقيق إمكاناته يولد في الفرد شعوراً بالكراهية تجاه المجتمع. أما الحل الأمثل في نظر "فروم" الإنسانية humanism حيث يتحد الأفراد تحت مظلة من الحب ويشارك بعضهم بعضاً في العمل مستمسكين بأهداف التعاون المشترك بحيث يشعر الفرد بالاقتراب من الأخرين. ومن ثم ينتفى شعوره بالوحدة والعزلة .

النقطة الثالثة : حاجات الفرد. ومن الشعور بالوحدة والعزلة تنشأ لدى الفرد حاجات خمس هي: الحاجة إلى معنى الشخصية الفردية، والحاجة بالشعور بالانتماء للمجتمع وبأن له جذوراً فيه. والحاجة إلى تجاوز الطبيعة الحيوانية للإنسان والتحول إلى كائنات إنسانية خلاقة. والحاجة إلى تكوين علاقة آمنة مع الأخرين، وأخيراً الحاجة إلى إطار مرجعي ثابت .

كما لاحظ "فروم" أن المجتمع لا يقدم الوسائل الكافية لتحقيق هذه الحاجات، بل إن المؤسسات السياسية والاجتماعية تثير العديد من الصراعات، ذلك أنها ترضى بعض الحاجات على حساب الحاجات الأخرى، هذا إلا أن التوحد الزائد بالقومية من شأنه أن ينازع تحقيق الحاجة إلى معنى الشخصية الفردية .

ويقدم " فروم " أساليب عدة للخلاص من الشعور بالعزلة ، والشعور بفقدان الأمن الذي يشيع – حسب اعتقاده – فى المجتمعات الغربية الحديثة ، واشار إلى ذلك فى كتابه "قلب الإنسان" حيث أشار إلى ديناميـة للتوجه orientation . وهذه الأساليب التوجهية هي :

- التوجه التقبلى receptiv orientation حيث يعتقد الأفراد أن الأسلوب الوحيد لكي يحصلوا على ما يريدون من حاجات مادية أو عاطفية هو أن ينالوها من مصدر خارجي . وهكذا يصبح الأفراد الذين يتخذون هذا التوجه التقبلي استسلاميين ومعتمدين على الغير، ويتوقع الواحد منهم من الناس أن يهتموا به ويساعدوه .
- التوجه الاستغلالى exploiative orientation حيث يتبدى هذا التوجيه الاستغلالى في السلوك العدواني، ويتوقع الأفراد الذين يتخذون هذا التوجه أن يساعدهم الناس بل يحاولون استغلال الناس بالحيلة أو بالإكراه ، متخذين في حياتهم فلسفة شعارها "القوة في الحق" .
- التوجه الادخاري hoarding orientation ، ويبدو هذا التوجه فى اتخاذ موقف إدراكي مضمونة، "إن العالم الخارجى مصدر تهديد مما يؤدى إلى فقد الثقة بالأخرين"، فالشخص الادخاري يميل إلى التملك والادخار ولا ينفق إلا القليل ولا يحقق له الشعور بالأمن إلا حيازة الأموال والعقارات .
- التوجه طبقاً للسوق markting orientation وهذا التوجه يعكس التصور الرأسمالي، حيث يكون النجاح بمدى تقبل الناس لما يقدمه الفرد من خدمات أو مدى الرضا الذي يحصل عليه ممنْ يستوظفونه. ويلعب الفرد عدة أدوار بهدف أن يبيع نفسه أكثر ما يهدف إلى تحقيق إمكاناته. فمعيار النجاح حسب هذا التوجه هو مدى نجاح الشخص في ساحة السوق وليس كفاءته الشخصية .
- التوجه المنتج productive orientation . التوجهات الأربعة السابقة توجهات مرضية. أما الشخص السوى في نظر "فروم" فهو الذى يبدى توجهاً منتجاً، حيث يحقق الفرد إمكاناته، ويصل إلى أهدافه دون أن يسيئ للأخرين، ودون أن يسيئ له الآخرون، وهذا يتم عن طريق "الإسهامات المبتكرة" سواء في مجال عمله ومهنته أم في مجال أسرته أم في مجال المجتمع بوجه عام .

اتجاه "فروم" في العلاج:

يعتقد "فروم" أن سبب المرض إذا كان اقتصادي أو روحي أو نفسي فبالضرورة أن معالجة السبب تفضي إلى السلامة. ومن ناحية أخرى إذا رأى الإنسان مدى تشابك الجوانب المختلفة للعلاقات سيصل إلى أن السلامة العقلية، والصحة النفسية يمكن بلوغها فقط عن طريق التغيرات المتزامنة فى المجال الصناعي، وفى التنظيم السياسى، وفي الاتجاه الفلسفي والروحي، وفي بناء الشخصية، وفي الأنشطة الثقافية والتركيز على أى من هذه المجالات، وإهمال الجوانب الأخرى سيكون مدمراً لكل تغيير وإن خطوة واحدة للتقدم المتكامل في كل مجالات وميادين الحياة ستؤدي إلى ما هو أبعد وأكثر دوماً من أجل تقدم الجنس البشري عن ما تؤدي إليه مئات الخطوات في مجال واحد فقط مغترب .

الفصل الحادى عشر

هارى ستاك سلولفيان

Harry S. Sullivan

(١٩٨٢ ـ ١٩٤٩)



- ولد بإحدى قرى ريف ولاية نيويورك عام ١٨٩٢ .
- تخرج فى كلية شيكاغو للطب والجراحة عام ١٩١٧ .
- عمل بكلية طب ماريلاند ومستشفاها (١٩٢٣ – ١٩٣).
-
- أسهم في تأسيس مدرسة واشنطن للطب النفسي وأصبح
- مديرها (١٩٣٦ ـ ١٩٣٨).
- كانت له إسهامات دولية ضمن مشروع اليونسكو للتوترات
- المؤثرة في التفاهم الدولى (١٩٤٨) .
- عضواً باللجنة الدولية التمهيدية للمؤتمر الدولي للصحة النفسية (١٩٤٨) .
- متحدثاً بارزاً باسم الطب النفسي ورائداً لمدرسة هامة في تدريب الأطباء النفسيين .
- تمتع بشخصية حية وتفكير ابتكاري جذب عدداً من التلاميذ والتابعين .
- أنكر العديد من أراء فرويد مثل الليبدو، والتفسير الغريزى الجنسى للدوافع، والحتمية البيولجية الفطرية .
- رفض منهج التداعى الحر فى العلاج النفسى ورأى ضرورة دراسة الموقف الذى تحدث فيه العلاقات الشخصية .
- يؤمن بتفاعل الحاجات الفطرية الوراثية ، والقدرات النفسية والمكونات الاجتماعية ، وإسهامها مجتمعة فى تكوين الشخصية .
- ركزا اهتمامه الاكلنيكى على تشخيص وعلاج الفصام يناميا .

بناء الشخصية :

يؤكد سوليفان أن الشخصية كيان فرضي خالص لا يمكن ملاحظته أو دراسته بمعزل عن المواقف الشخصية المتبادلة ويكون تنظيم الشخصية من الوقائع المتبادلة بين الأشخاص وليس الوقائع الشخصية الداخلية. ويؤكد سوليفان أن الشخصية مركز دينامي لعمليات عديدة تحدث في سلسلة من المجالات الشخصية المتبادلة، وأبرز هذه العمليات ما يسميه بـ الديناميات Dynamisms والعمليات المعرفية Cognitive Operations والتشخصات Personifications ، ورغم تداخلها وتفاعلها معاً فيما يشبه العملية الواحدة، إلا أن تناولها بالإيضاح يستوجب الفصل بينها على النحو التالي :

الديناميات :

الديناميات هي أي فعل عادي متكرر، أو إتجاه أو شعور يوجد لدى شخص ما تجاه شخص أو أشخاص آخرين، إنها أصغر وحدة من السلوك الإنساني يمكن لشخص آخر تحليلها ودراستها بشكل مفيد. إنها نمط سلوكي متكرر نسبياً ومن الممكن أن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعادة .

وتتراكم اليناميات خلال حياة الفرد مع زيادة خبراته وزيادة اتصالاته الاجتماعية وكلما تنوعت خبرات الفرد واتسعت. زاد عدد دينامياته. ومن الممكن أن تصبح مجموعة الديناميات الكلية بالغة التعقيد، وتكون نظاماً خاصاً للحياة. ونظام الذات السابق الإشارة إليه هو مجموعة ديناميات أقيمت حول انفعالات القلق الكامنة الطاقة .

والديناميات ذات الطابع الإنساني هي تلك التي تميز وتحدد العلاقات الإنسانية المتبادلة بين الأشخاص . فقد يعتاد فرد ما السلوك بصورة عدوانية نحو شخص أو جماعة أخرى. وهذا السلوك يعد تعبيراً عن دينامية عدوانية والطفل الذي يخاف الغرباء يعبر سلوكه عن دينامية الخوف المحركة له وأي استجابة معتادة سواء كانت في صورة اتجاه أو مشاعر أو عمل فإنها تشكل دينامية. والديناميات الأساسية واحدة لدى جميع الناس ولكن طرق التعبير عنها تختلف باختلاف خبرات حياة الفرد .

وتخدم الديناميات غرضاً هو في العادة إشباع الحاجات الأساسية للكائن العضوي .وقد كشف سوليفان عن التأثير المبكر لفرويد. بأن ربط كثيراً من الديناميات بمناطق معينة من الجسم : كالفم أو الشرج أو الأعضاء التناسلية .

التشخصات :

والتشخصات هي الصورة التي يكونها الفرد عن الذات وعن الآخرين. وغالباً ما تكون هذه التشخصات نتاج العلاقات المتبادلة في الطفولة. وغالباً ما تظل هذه الصور كما هي لا تتغير . وبذلك تؤثر في مستقبل فكرة الفرد واتجاهه نحو الآخرين. ومن هنا جاءت التسمية التشخصات الارتسامية. فالطفل مثلاً قد يكون تشخصاً نحو الأب المسيطر، وهذا التشخص قد يؤثر فى استجاباته بعد ذلك نحو الشخصيات الأخرى المتسلطة .

ويقول **سوليفان:** إن فكرة التشخص استمد أهميتها من موقف العلاقات المتبادلة في فهم الظواهر التي يتعامل معها السيكاترى . فعند مناقشة تكوين تشخص عن "الأم الطيبة" التي يكونها الطفل خلال طفولته المبكرة والعلاقات المتبادلة مع الأم ، فإننا نسير فيى طريق محاولة فهم التشخصات ودورها الدينامي . والصورة التي يكونها الطفل عن الأم الطيبة هي النمط الذي يدركه بصورة بدائية، باعتباره النمط الذى تشارك به الأم في مواقف الرضاعة المتكررة، وما يتكامل مع هذه المواقف من إشباع للحاجات، وتشخص الطفل لصورة الأم الطيبة يرمز للإشباع المقبل للحاجات أو بعبارة أخرى إلى تكامل واستمرار وحل المواقف الضرورية اللازمة لما يقوم به الطفل بصورة مناسبة مقبولة من أجل إشباع حاجاته .

والتشخص ليس هو الأصل. فتشخص الأم ليس هو الأم الحقيقية، أي ليس هو هذا الكائن الحى المحدد النامى والذي ينظر إليه كوحدة. إنما هو تنظيم معقد لخبرات الطفل وعلاقاته المتبادلة مع الأم وصورة الأم وتشخصها لطفلها ليس هو هذاالطفل ذاته، ولكنه تنظيم نام للخبرة تكون في ذهن الأم نتيجة العلاقات المتبادلة، والخبرات التي مرت بينها وبين الطفل الحقيقي . وبالمثل فإن تشخص الطفل للأم يتكون مما حدث بين الطفل وبين الأم الحقيقية من علاقات إنسانية متبادلة في مواقف للرضاعة وإشباع الحاجات .

والأم هي حاملة المسئوليات الاجتماعية فيما يتعلق بطفلها . وجانب مما يرمز إليه الطفل في نظرها، هو اعترافها بهذه المسئوليات الاجتماعية. أما ما هي هذه المسئوليات، فهذا ما يختلف من جماعة إلى أخرى داخل المجتمع أو من ثقافة إلى أخرى. ودرجة تحمل الأم لهذه المسئوليات وقيامها بها بنجاح يختلف عند الأم الواحدة باختلاف الأطفال، وبالنسبة للطفل الواحد باختلاف الأوقات. وليس ثمة شك أن هذه المسئوليات الاجتماعية لها تأثير كبير في تنشئة الطفل فالصورة التى يكونها الطفل للأم الطيبة ورعايتها له وحبها الزائد له، إنما هي نتيجة العلاقات الإنسانية المتبادلة والتي تتضمن الإشباع . والصورة التي يكونها عن الأم السيئة تنتج عن الخبرات التي تمر بينه وبين الأم والتي تؤدي إلى إثارة القلق. وهذه الصورة تلعب دوراً كبيراً في علاقات الطفل الاجتماعية بالأم وبالآخرين المحيطين به، كما يكون لها أثرها الواضح في نمو شخصيته والصورة أو التشخص الذى نحمله في رؤوسنا عن الشخص أو الأشخاص الآخرين، نادراً ما يكون وصفاً دقيقاً لهذا الشخص أو لهؤلاء الأشخاص . فالدقة ليست متضمنة بالضرورة في تشخص أي شخص آخر . وكما يقولون "الحب أعمى" و "ابني لا يمكن أن يخطئ" . وتلك أمثلة من صور التعصب للتشخصات التي نكونها عن الآخرين .

ويتكون التشخص في بداية الأمر من أجل إحداث توافق الفرد مع الأفراد الآخرين في مواقف يتم فيها تبادل العلاقات بينهم. وما أن تتكون هذه التشخصات حتى يستمر تأثيرها ودوامها، بل وتؤثر فى اتجاهاتنا نحو الآخرين. فالطفل الذي يشخص صورة والده في صورة الرجل المستبد، قد يسقط هذه الصورة ذاتها على كل من يتصل بهم من مصادر السلطة في المجتمع الخارجى الذى يعيش فيه كالمدرسين ورجال الشرطة والموظفين، فيرى فيهم صورة الأب المستبد. كما أن الأساليب التى كان يستخدمها فى خفض حدة التوتر والقلق فى السنوات الأولى من حياته ، قد تدخل وتعرقل علاقاته المتبادلة مع الآخرين فى حياته بعد ذلك . فالصورة المشبعة بالقلق التى كونها عن الأب تحرف تصوراته الذهنية عن الأشخاص الآخرين الذين يتصل بهم من أصحاب السلطة فى المجتمع والذين يرمزون للأب أو يمثلونه . والتشخصات التي يشترك فيها عدد كبير من الناس تسمى "الصورة النمطية"Stereotype وهي بمثابة تصورات ذهنية ينعقد الإجماع على صحتها، وتكون مُتقبلة على نطاق واسع بين أفراد المجتمع وتنتقل

من جيل إلى جيل. ومن أمثلة السلوك النمطي الشائع صورة الفنان الذى لا يهتم بالتقاليد ويخرج عليها، وصورة العالم الذي جلد وصبر على القيام بالعمل العقلي المضني .

العمليات المعرفية :

والمبدأ الثالث في تحقيق العلاقات المتبادلة هو مبدأ العمليات العقلية المعرفية. فبواسطة هذه العمليات العقلية يمكن للإنسان أن يُكّون علاقات متبادلة مع الآخرين. ومن هنا استمدت العمليات المعرفية أهميتها في نظر سوليفان وأصبحت كمبدأ من مبادئ تكوين العلاقات الإنسانية المتبادلة. ويذهب سوليفان إلى أن الخبرة المعرفية للفرد تحدث فى صور ثلاث متدرجة فى نظام هرمي. وأدنى مستوى هو مستوى الخبرة الخام prototaxic experience وأعلى منها مستوى هو مستوى الخبرة المتتالية Parataxic ثم أعلى منهما في المستوى مستوى الخبرة التركيبية Syntaxic .

أما الخبرة الخام : فيمكن اعتبارها بمثابة السلسلة المنفصلة الحلقات للحالات المؤقتة للكائن العضوي الحساس. فالإحساس والمشاعر والصور الجزئية التي تمر بذهن الطفل، تكون منفصلة وسريعة الزوال ولا تبقى واحد منها مدة طويلة. وليس ثمة ضرورة لإرتباط هذه الخبرات بعضها ببعض، كما أنها بلا معنى لدى الشخص. وهي خبرات حية خلال فترة وجودها وتترك أثاراً من انطباعات الذاكرة . وهذه الصور الخام من الخبرة توجد في أنقى صورها في الشهور الأولى من الحياة، كما أنها مرحلة ضرورية لظهور المرحلتين التاليتين من العمليات العقلية .

الخبرات المتتالية : وتتكون من إدراك العلاقات العلية بين ظاهرتين أو ظواهر تحدث معاً في نفس الوقت تقريباً ، ولكنها لا ترتبط فيما بينها برابطة منطقية . ولكون الأشياء تحدث معاً في نفس الوقت ، فإن الفرد يميل إلى الاعتقاد أن أحدها يسبب الآخر . مثال ذلك الشخص الذى يقرر في كل مرة يسمع فيها صوت سيارة الحريق، أن هناك حريقاً، ويستخلص من ذلك أن سيارة الحريق هي سبب الحريق .

ومن الممكن القول بأن هذا النوع من التفكير المتتالى هو في العادة أساس تعصبات البالغ ومعتقداته الخرافية . حيث يكون أساس التفكير في مثل هذه الأحوال هو مجرد التتالي بين الأحداث دون أن يدرك الفرد ما إذا كانت هناك روابط منطقية بين هذه الأحداث بعضها وبعض .

الخبرات التركيبية : وهذا النوع من أعلى الأنماط العقلية الثلاثة على نحو أوضحها سوليفان في نظامه النظري. والتفكير التركيبي يستخدم الرموز كأساس. وهذه الرموز قد تكون لفظية أو عددية. ولكن يجب أن تكون مقبولة لدى عدد كاف من الناس يتفقون على معناها. والرموز الخاصة قد لا تفهم لدى الشخص الذي ليس عضواً في الجماعة، ولكن الرموز العامة فهي ضرورية بشكل مطلق للإنسان من أجل القيام بعلاقات شخصية متبادلة مع الآخرين وبالإضافة إلى أنواع الخبرات المعرفية يؤكد سوليفان أهمية الإستباق، أو بعد النظر في أداء الوظائف المعرفية. والاستباق يعتمد على ماضي الشخص، وما يتذكره كما يعتمد على تفسيره للحاضر والمستقبل القريب .

نمو الشخصية *

١ - مرحلة الطفولة المبكرة Infancy

تبدأ بعد الميلاد بدقائق حتى ظهور الكلام المنطوق بوضوح، وتتميز هذه المرحلة بالنشاط الفمي للرضيع. ويبدأ الطفل الرضيع في تلك المرحلة التمييز التدريجي لحدود العالم الخارجي الذي حوله، عندما يدرك أن حاجاته الفسيولوجية لا تُشبَع مباشرة. ولكنه بعد ذلك يبدأ تدريجياً في إدراك هذا العالم والأشخاص الذين يحيطون به، ويميز بين العلاقات والمواقف. وابتداءاً من تلك الفترة يبدأ نسق الذات في التكوين والنمو نتيجة حالات الإرتياح أو عدم الإرتياح بما يحدث حوله .

٢ - مرحلة الطفولة Childhood

وتمتد من نهاية مرحلة المهد إلى الوقت الذي يصبح فيه التعاون مع القرناء ممكناً. وفي هذه المرحلة يُلقَّن الطفل كثيرا من متطلبات الثقافة، ويبدأ الصدام بين كثير من رغبات الطفل ورغبات الوالدين .

---

* علي عبد السلام علي : مرجع سابق

٣- فترة الصبا Juvenile

تتميز هذه المرحلة بظهور عامل جديد يلعب دوراً هاماً في تطور نمو الطفل، وهو أنه يبدأ في تكوين رفقاء له يشعر حيالهم بالإرتياح. وبدلاً من أن كانت الذات الدينامية في مرحلة الطفولة على علاقة وطيدة بالوالدين . وبما يمس إشباع حاجاتهم الجسدية، فإن الطفل – في هذه المرحلة – يصل إلى الحد الذي يكون فيه قادراً على أن يرى نفسه كنوع من الكيان المستقل عن غيره من الكيانات .

ويؤكد سوليفان "أنه يحدث فى هذه المرحلة شيئان مهمان هما" :

١- إن الطفل يبدأ فى النظر إلى نفسه نظرة موضوعية، وذلك عن طريق ما يكون قد نما فيه من "ناقد داخلى" Internal Critic يحاسبه على دوافعه وحاجاته، ثم يعمل على الإعلاء منها بما يتفق مع المجتمع .

٢- المظهر الثانى للنمو فهو علاقة الحدث برفاقه الذين يصبحون مكوناً أساسياً فى حياته، فمن الناحية السيكولوجية تظهر لديه إتجاهات التنافس أو الإتفاق مع رفاقه، ويتسم الطفل وفقاً لهذا المظهر من النمو بأن ذاته تأخذ مظهراً إجتماعياً Socialized والمهم فى هذه المرحلة أنه كلما كانت الذات مهددة كلما كان ذلك عاملاً من العوامل التى لا تساعد على النمو .

٣- مرحلة ما قبل الفتوه Pre adolescence وهذه المرحلة تكون ما بين سن (٨,٥ وسن ١٢ سنة) ويعتبرها "سوليفان" أهم مرحلة، ففيها تحرك من إطار التمركز حول الذات إلى السلوك الاجتماعي الكامل. وهنا تبدأ ظهور القدرة على إيجاد علاقة صداقة، وبظهور الصداقات يظهر في حياة الطفل من يهتم بهم إهتمامه بنفسه، ويكون هناك من يشاركه أفكاره ونشاطه، ويمكن القول أنه توجد "حالة حب" .

٤- المراهقة المبكرة Early adolescence ومرحلة المراهقة المبكرة تمتد من الثانية عشرة إلى السابعة عشرة وهي فترة النشاط الجنسي الغيرى، وفيها يخبر المراهق التغيرات الفسيرلوجية للبلوغ وهى مرحلة جنسية مكتملة. وفيها يكون المراهق شهوانى لدرجة كبيرة، كما تكون حاجاته الاجتماعية مزدوجة بمعنى: شبقية نحو الجنس الآخر، وفي نفس الوقت ارتباط بأفراد نفس الجنس، وهذا الارتباط والإختلاط قد يؤدي أيضاً إلى جنسية مثلية. وفي

هذه المرحلة يبدأ المراهق في تأكيد نفسه ويشعر باستقلاله إلى درجة كبيرة. تستمر المراهقة المبكرة حتى يستطيع الشخص أن يجد نمطاً ثابتاً للأداءات يشبع دفعاته التناسلية .

٥- مرحلة المراهقة المتأخرة Late adolescence وتمتد المراهقة المتأخرة ابتداءاً من تكوين نمط من النشاط التناسلي المفضل عبر خطوات لا عدد لها من التعلم والإقتداء حتى يُكّون بناء من العلاقات الشخصية المتبادلة المكتملة الإنسانية أو الناضجة ، بقدر ما تسمح بها الفرص الشخصية والثقافية *، بعبارة أخرى تكون مرحلة المراهقة المتأخرة ضرباً من التدشين أو التنصيب الطويل نسبياً لإمتيازات وواجبات، وطرق الإشباع والمسئوليات التى تتطلبها الحياة الاجتماعية، والقيام بدور المواطن ويكتمل بالتدريج الشكل التام والكامل للعلاقات الشخصية المتبادلة، وتنمو الخبرة بالأسلوب التركيبى Syntaxic الذي يسمح بالتوسع في الآفاق الرمزية للشخص، وتثبت دعائم نظام الذات، ويتعلم الفرد أشكالاً من الإعلاء للتوتر أكثر فاعلية، وتتكون أساليب أكثر قوة في الحماية من الحصر .

أنماط الشخصية :

وضع سوليفان الناس فى أنماط تبعاً لاتجاهاتهم النفسية الأكثر سيادة فى علاقاتهم الإنسانية المتبادلة، وعلى الرغم من أنه لم يقدم لنا قائمته على أنها تتصف بالشمول، فقد قال أنه لاحظ عشر مجموعات من الأعراض تُكّون الأنماط التالية:

١- اللامتكامل non-integrative وهو ما يطلق عليه اسم الشخصية السيكوباتية (مدمن الكذب – واللص والغشاش .. إلخ الذي يبدو وكأنه يفتقر إلى المشاعر الاجتماعية) .

٢- المستغرق في نفسه Self – absorbed . وهو شخص يتميز بأفكار التمنى الخيالية.

٣- صعب التقويم Incorrigible وهو فرد يشعر بالعداء والبغض نحو كل الناس فيما عدا أولئك الذين يعتبرهم أقل منه (الذين يشعر نحوهم باتجاه من الاتجاهات الخيرية).

---

* ينبغي مراعاة : الفروق الثقافية .

٤- السلبي negativitic وهو من عينة الذين يئسوا من الحصول على الحب والاستحسان من جانب الآخرين وانتهوا إلى الرضا بالاستكانة .
٥- المتلعثم The stammerer المقصود هنا المتعلثم فى علاقاته الاجتماعية .
٦- الطموح The ambition – ridden .
٧- اللااجتماعى asocial المنعزل الذي يؤثر الوحدة .
٨- غير الكفء inadequate .
٩- والذي يعاني من الجنسية المثلية The homesexual (واعتبر سوليفان الجنسية المثلية كغيرها من مجموعات الأعراض المتزامنة الأخرى، نمطاً من أنماط التوافق للقلق وليست مشكلة في حد ذاتها .
١٠- الفتوة المزمنة Chronic adolescent الشخص الذي يتابع باستمرار المثل الأعلى في الحياة ولا يجده أبداً .

أسلوب سوليفان في العلاج :

وكما يسعى الفرويديون للبحث عن أصل الأعراض الحالية في اللاشعور الطفلي المكبوت للمريض، فإن أنصار سوليفان يبحثون عن مصادر خصائص مجموعات الأعراض في خبرات الطفولة والتي أدت إلى الانفصام الشديد للمريض . وكان سوليفان يحس كما يبدو أنه مما يساعد المريض على مواجهة النتائج الحالية لعملية تنشئته الاجتماعية أن يتحقق هذا المريض من أن أنواع القلق عنده وعداواته ليست إلا استجابات معروفة ومفهومة للصعاب والخلط الذى عانى منه في طفولته . وأحس سوليفان أن كلا من المعالج والمريض في حاجة إلى متابعة مثل هذه البصيرة بالهجوم المباشر على نواحي الانفصام القديمة لتحطيمها . وهو في ذلك يختلف عن فرويد (ويصبح أكثر تشابها بستكل وأدلر) . وحاول سوليفان أن يحتفظ بالحركة ذهاباً وإياباً فى العلاج بين تحليل تهويشات الربط غير المنطقى التى تتكشف في العلاقات المتبادلة بين المعالج ومريضه وبين مواقف الماضى كمصدر لهذه التهويشات، وكوسيلة للكشف عن الاستجابات الانفصامية، وحياة المريض الحالية خارج العلاقة العلاجية.

وأطلق سوليفان مصطلح "المقابلة الطب نفسية" Psychiatric interview على العلاقات المتبادلة ذات الطبيعة الخاصة التي تحدث بين المريض والمعالج . وقسم المقابلة إلى أربع مراحل .

١- الاستهلال الشكلى .
٢- والاستطلاع .
٣- والاستقصاء المفصل .
٤- والانتهاء .

ففى الاستهلال الشكلى Formal inception ، كما بين سوليفان أنه يجب أن يحتفظ القائم بالمقابلة باتجاه الملاحظ الهادئ ويحاول فهم طبيعة مشكلات المريض. وأكد ضرورة انتباه المعالج لا لما يقوله المريض فحسب، ولكن إلى كيف يقول ما يقوله أيضاً (معدل الكلام، نغمة الصوت، تغير النبرة، شكل الجلسة، تعبيرات الوجه .. إلخ).وعلى الرغم من أن الوظيفة الأساسية في مرحلة الاستهلال هي الملاحظة الهادئة، فقد حذر – حتى في المقابلة الأولى أنه يتعلم شيئاً سوف يفيده .

أما ما أطلق عليه سوليفان مصطلح الاستطلاع reconnaissance فهو جزء من العلاج حيث يقوم المعالج بجمع معلومات جمة عن تاريخ حياة المريض بالاستجواب العميق. وعلى الرغم من أنه نادى بالمرونة في أسلوب المعالج ، فقد أحس بأنه يجب حذف كثير من الأمور التافهة والتي ليست بذات موضوع .

فإذا ما انتقل المعالج إلى المرحلة الثالثة فى عملية المقابلة (الاستقصاء المفصل detailed inquiry فيجب عليه – تبعاً لسوليفان – أن تكون لديه عدة فروض مختلفة يختبرها تبعاً لطبيعة مشاكل المريض ومصادرها. ويجب أن يتحقق المعالج من أن هناك طريقاً ذا اتجاهين لتدفق الأفكار والمشاعر بين المريض والمعالج وكلما قام عائق في سبيل عملية الاتصال يجب أن يسأل المعالج نفسه عما قام به مما أدى إلى زيادة حدة القلق عند المريض إذا يجب أن يكون المعالج منتبهاً دائماً لاتجاهاته النفسية وقدرته على ضبطها لتحقيق اتصال كامل .

وكان يعتقد أن على المعالج أن يضع نهاية فاصلة موجهة للعلاج، إذ يجب عليه أن يلخص ما تعلمه هو والمريض عن المريض وعلاقاته الإنسانية المتبادلة، كما يجب التنبؤ بالنتائج المحتملة لتغير اتجاهات المريض على علاقاته المتبادلة فى المستقبل * .

---

* روبرت هاربر : مرجع سابق .

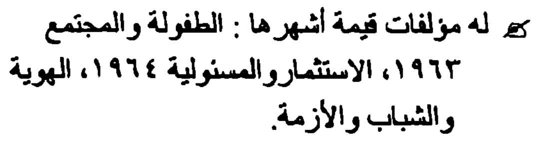
الفصل الثانى والعشرون

إريك إيكسون

Erik H. Erikson

١٩٩٤-١٩٠٢

- عَمِلَ مدرساً للأطفال بعد تخرجه من جامعة منستورى للمعلمين بفيينا .
- خضع للتحليل النفسي تحت توجيه فرويد ١٩٢٧-١٩٣٣ .
- عمل محللاً نفسياً للأطفال بالولايات المتحدة ، وعمل بعدة جامعات بها أستاذاً للطب النفس.
- له مؤلفات قيمة أشهرها : الطفولة والمجتمع ١٩٦٣، الاستثمار والمسئولية ١٩٦٤، الهوية والشباب والأزمة.



اللعب والأسباب ١٩٧٧، الرشد عام ١٩٧٨، حقيقة غاندى ١٩٧٩، الهوية ودورة ١٩٨..

إريكسون وسيكولوجية الأنا :

في الوقت الذي ركزت فيه نظرية فروي على (الهو) id كأساس للسلوك الإنساني وقيامه بوظائفه، أكد اريكسون على أن الأنابنية مستقلة للشخصية، تتبع مساراً للنمو الاجتماعى التوافقي مواز لنمو الهو وغرائزه – وليس من وظائفها تجنب الصراع بين الهو ومطالب المجتمع – كما تصور فرويد .

- يؤكد إريكسون على أهمية الوضع النفسي التاريخي الذي تشكل فيه (أنا الطفل) متجاوزاً بذلك دائرة تأثير الوالدين الضيقة والتي أكد عليها فرويد وحرص إريكسون على التدليل على التاثير التاريخي والاجتماعي من خلال دراسة حالات أناس من ثقافات مختلفة .
- يرى إريكسون أن الذات تنمو عبر جميع سنى العمر من المهد إلى اللحد بينما توقف فرويد في اهتمامه بالنمو عند المرحلة التناسلية، وإن تشابهت المراحل الخمس الأولى للنمو بين إريكسون وفرويد .

- ✍ يتفاعل إريكسون بأن كل أزمة تعترض سبيل الفرد – خاصة في طفولته إنما تؤدي إلى نموه . إذ تمثل تحدياً له .. أو أن يعجز عن حلها .. ومجمل النجاحات والإخفاقات إنما تثمل مفتاح حياة الشخص في مستقبل حياته. وهو في هذا يقترب من تصور الانسانيين .
- ✍ يعترف إريكسون بالأسس البيولوجية والجنسية للاتجاهات الدافعية والشخصية ويلتزم بنموذج فرويد البنائي (الهو والأنا والأنا الأعلى) للشخصية .

مراحل النمو :-

- ✍ يحدد إريكسون ثمانية مراحل عامة لنمو الشخصية. مؤسسة على عوامل وراثية بمعنى حتمية مرور جميع بنى الإنسان بها وفقاً لبنيتهم البيولوجية الفسيولوجية النمائية الموروثة .. فالكل وليد فطفل فمراهق، ويسميها إريكسون بمراحل النمو النفسى الاجتماعي، وتتميز كل مرحلة بأزمة تصحبها، أى بنقطة تحول تنشأ عن النضج الفسيولوجي وعن المطالب الاجتماعية التي على الشخص أن يستجيب لها في تلك المرحلة. فإذا ما كان بمقدور الفرد معالجة مصاحبات تلك الأزمات النمائية بصورة مرضية تأكد نموه الصحي نفسياً واجتماعياً، أما إذا أخفق في ذلك كان الإحباط والشك وعدم الثقة من نصيبه ... وينفى إريكسون حتمية استمرار الآثار السلبية لتلك الإحباطات في المراحل الثمانية التالية وإن لم يلغ تأثيرها المتفاوت .
- ✍ رتب إريكسون مراحل النمو النفسي الاجتماعي في تسلسل متدرج أشبه بالسلم ، كل درجة فيه تسلم للأخرى على النحو التالي :-
- ✍ ملاحظة (١) : الثقة لا تعنى الإشباع دوماً وإنما تعنى توافر جو نفسي آمن، فماذا لو قطعت الأم رضاعتها للطفل فجأة .. ثم أفرطت فى رضاعته ...؟

ملاحظة (٢) : يرى إريكسون أن كل مرحلة نمائية إنما تنطوى على تحدٍ نفسي واجتماعي قد ينجح الفرد في مواجهته وقد يفشل .. ونجاحه في اختيارها يكسبه فضيلة نفسية اجتماعية وهذه الفضائل تسهم من وجهة نظرنا في تحديد السمات الشخصية للفرد .

المرحلة الأولى: الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة – الأمل :

وتقع في العام الأول من العمر – أي ما يقابل المرحلة الفمية عند فرويد تقريباً .. ويتحقق الشعور بالثقة من عدمه في ضوء طبيعة الرعاية التى يتلقاها الوليد، فيبغي ألا يذهب بنا الظن إلى أن العطاء الدائم والحنو المستمر من شأنه تحقيق الثقة والطمأنينة النفسية الاجتماعية للطفل، وعلى النقيض تتحقق مشاعر عدم الثقة .. وإنما يتوجب عند التعامل مع الطفل في هذه السن مراعاة مجموعة من قواعد الرعاية السوية ومن أهمها .. الاعتدال في الإشباع بشقيه النفسي والجسمي، الاتساق وعدم التباين أو التغيير اللحظي والمفاجئ في التعامل مع الطفل، تعويد الطفل بصورة متدرجة التحكم في حاجاته ومعالجة رغباته على نحو معتدلٍ فعّال. مما يؤدي به إلى إحتمال غياب الأم أو البديل لبعض الوقت مع أقل معاناة لهذا الانفصال المؤقت. وهذا ما يمكن وصفه بفضيلة اجتياز أزمة تلك المرحلة بـ (الأمل) .

المرحلة الثانية: الاستقلال الذاتى مقابل الشك والخجل – قوة الإرادة

جدير بالذكر، أن نؤكد تسلسل مراحل النمو النفسي الاجتماعي لإريكسون أقرب ما يكون لتصنيف ماسلو للحاجات تصنيفاً هيراركياً بمعنى أن الانتقال من مرحلة لأخرى بأمن وسلام يستوجب اجتياز الأولى على نحو مُرضٍ مما يوفر دعماً للفرد في مواجهة المرحلة التالية .. ومن ثم فإن تحقيق الاستقلال الذاتي في المرحلة الثانية يتحقق في ضوء نجاح الفرد بدرجة كبيرة في التمتع بالثقة النفسية والاجتماعية . إذ من شأنها أن تُولّد لديه نزعة لقضاء ما استطاع من حاجاته الشخصية .

ولما كانت هذه المرحلة تقع زمنياً فى السنتين الثانية والثالثة فإنها بحق تمثل نقطة تحول نمائية غاية فى الأهمية فهى مرحلة الفطام والمشى والتحكم فى الإخراج .

- تقابل الشرجية عند فرويد – والقدرة النسبية للتعبير اللفظي، كذلك نمو القدرة على التمييز الاجتماعي . ويكون لسان حالهم في هذه المرحلة أنا ما أريـــــــــــد أن أكـــــــــــــون!

مراحل النمو النفسى والاجتماعى بنظرية إريكسون
Erikson's Psycho / Social Developmental Stage

Stage	Crisis	Virtue
Old Age الشيخوخة	Ego Integrity vs. Despair التكامل / اليأس	الحكمة
Adulthood الرشد	Generativity vs. Stagnation الانتاج / الركود	الزعامة
Young Adulthood الشباب	Intimacy vs. Isolation الألفة / العزلة	الحب
Adolescence المراهقة	Identity vs. Identity Confusion الهوية / تشو ش الهوية	الولاء
School Age سن المدرسة	Industry vs. Inferiority الاجتهاد / الدونية	الكفاءة
Play Age مرحلة اللعب	Initiative vs. Guilt المبادأة / اللشعور بالإثم	الغرض
Early Childhood طفولة مبكرة	Autonomy vs. Shame الاستقلال الذاتى / الخجل	الإرادة
Infancy المهد	Trust vs. Mistrust الثقة / فقدان الثقة	الأمل

ويتوقف مقدار ما يحرزه الطفل من نجاح في اجتياز هذه المرحلة على قدر ما يتصف به الوالدان من تفهم لطبيعة المرحلة ومنح فرص الاستقلال التدريجي والمناسب لقدرات طفلهم خاصة ما يتصل منها بالإخراج فإذا كان الضبط الخارجي جامداً ملحاً متصلباً فإن الطفل يحاول التحكم في المثانة والإمعاء قبل أن يكون قادراً على ذلك، وهنا يواجه الطفل ما يسميه إريكسون بالتمرد المزدوج والفشل المزدوج .. إذ يكون عاجزاً عن التعامل مع جسمه ومع بيئته الاجتماعية (الوالدين) معاً .. وهنا يَجِّدُ الطفل في البحث عن الحل .. إما بالنكوص إلى الوراء إلى أنشطة المرحلة الفمية (مص الأصابع مثلاً) أو التظاهر بالتقدم إلى الأمام عن طريق التحول إلى العدوان والعناد. وقد يتظاهر بأنه أحرز التحكم وذلك برفض مساعدة الأخرين على الرغم من أنه عاجز في الواقع عن تحقيق هذا الاستقلال، أما إذا أسرف الوالدان في حماية طفلهما مما يعيقه عن تحقيق قدر مرض من الاستقلال فإنهما يفقدانه أهم غايات هذه المرحلة. بل يُوَلّدان فيه إحساساً بعدم الجدارة بالاعتماد على الذات والشك فى قدراته الذاتية، بل وفى البيئة المحيطة حيث لا تُمْنَحُ فرصة كافية للاستقلال الذاتى .. بل هى بيئة مُراقبة متربصة مانعة على الأرجح . وإذا ما أصبح راشداً كان على حال إضطراب ومواسي أو بارانوى .

أما السياج الاجتماعي المنظم للاستقلال الذاتي فيتمثل في النظام وسيادة القانون والاحترام المتبادل .

المرحلة الثالثة : المبادأة مقابل الشعور بالأثم – الغرض

تشهد سنوات العمر الثلاث السابقة على الالتحاق بالمدرسة الابتدائية أو ما يعرف بسن اللعب play Age ، وتشهد هذه المرحلة نزعة للاستقلال الايجابى الفعّال، فتنتقل السلوكيات من مجرد الرغبة فى الاستقلال، احتجاجاً على سلطة الأخرين إلى الاستقلال باتخاذ القرار فكراً وتخطيطاً واداءاً، وأهم عاملٍ مساعد في هذا نموهم الحركي والمعرفي .

ولعل مجال اللعب مع الأقران أو حتى اللعب الذاتي أو الموازي، هو أخصب المجالات لإشباع هذه الحاجة للمبادأة والتي تهدف لإنجاز غاية ما ترفيهية أو إنتاجية .. أو غيرها .

وينجح الأطفال فى إحراز قدر إيجابى من المبادأة واجتياز هذه المرحلة بسلام بقدر ما يتيحه الوالدان من فرص أمنه للتعبير الحر العضلي أو الحركي، مِنْ قبل أطفالهم دون سخرية أو تسفيه ولا بأس مع توجيه غير مباشر .

أما إذا كان الوالدان أو من في مقامهما يحرصان على وضع الكوابح والقيود على حرية الطفل دونما مبرر تربوي فإنهم يغرسان في نفس الطفل شعوراً مريراً بالإثم.

وإلا .. لماذا يمنعانه؟ .. ومن هنا ينشأ غير إيجابى، وغير فعّال .. تابع إمعة، سلبى، سيكوباتى .

ولكن هل من تأثير للمستوى التعليمي والثقافي التربوي للوالدين، كذلك المستوى الاقتصادي للأسرة من شأنه مساعدة أو إعاقة تحقيق هذه الأهداف .. نعم بالتأكيد .. كيف ؟

المرحلة الرابعة : الاجتهاد مقابل القصور – الكفاءة .

وتستغرق سنوات الدراسة الابتدائية تقريباً وتقابل مرحلة الكمون عند فرويد .. وتتفاوت مجالات الاجتهاد بتفاوت الثقافات، فثقافات بدائية تتحدد مجالات الاجتهاد فيه بالأدوار الاجتماعية المتوقعة من الأفراد في مستقبل حياتهم .. كالصيد والقنص والمقاتلة وغيرها. أما في الثقافات المتمدينة ذات النظم التعليمية فإن هذه المرحلة تشهد منافسة بالغة للحصول على أعلى الدرجات وإحراز مرتبة أرقى، واستيعاب ما أمكن من معطيات تكنولوجية وغيرها وتصبح هوية الطفل في هذه المرحلة هي (أنا ما أتعلم) . (لاحظ شيوع المسابقات العقلية بين أطفال هذه السن) .

- والنجاح في اجتياز هذه المرحلة بتحدياتها يجعل الفرد (الطفل) يشعر بكفاءته للمشاركة في الحياة الاجتماعية بأكثر من مجال. أما إذا تعثر الأفراد في اجتياز هذه المرحلة تولدت لديهم مشاعر النقص والدونية .. ويتسربون من التعليم أياً كان نوعه .. كما أنهم ينسحبون من المشاركة في العمل الاجتماعي .

المرحلة الخامسة: المراهقة:هوية الأنا مقابل تميع الدور – الولاء والإخلاص

وهي تمتد من السنة الثالثة عشر حتى العشرين أو ما يعرف باسم Teen Age وتُعد من أهم المراحل النمائية لشخصية الفرد من وجهة نظر إريكسون ، فلا طفولة ولا رشد بعد...

- والإحساس بهوية الأنا هو المظهر الإيجابي للنمو النفسي الاجتماعي في تلك المرحلة، ويتأكد هذا الإحساس من بلورة جميع معارفهم عن أنفسهم وأدوارهم في المراحل السابقة (أبناء – تلاميذ – رياضيين) وتكوين صورة عن الأنا تجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل .

ويكون الصراع في هذه المرحلة داخل الأنا نفسها (هوية – تميع)، ويحدد إريكسون عناصر تحقق الهوية للأنا فيما يلي :-

١- إدراك المراهق لاستمراريته (أنا نفس الشخص) .
٢- إدراك الأخرين لوحدة المراهق واستمراريته .

٣- قدر من الإتساق بين ١-٢ .

ينجح المراهق فى تلمس بناء أيديولوجى قيمي يكون مثالياً، أما فشله فيعود إلي عدم تمكنه من الاستقرار على مثل هذا البناء، ومن ثم يعانى التشوش الأيديولوجي . يتبلور الدور الجنسي الملائم من خلال التوحدات الجنسية المناسبة (المثل –القدوة .. إلخ) .

ملاحظة : التوحد الزائد قد يضعف النمو الاجتماعي حيث ينفصل الفرد عن واقعه وسياقه .

يمثل التغير الاجتماعي والمعرفي مصدر ضغط نفسي اجتماعي على المراهقين يعيق نمو أناهم وهويتهم (الانفتاح مثلاً) .

أزمة الهوية : وتشير إلى إخفاق المراهق فى تنمية هوية شخصيته بسبب خبرات طفولية سيئة وظروف اجتماعية، فتؤدي إلى شعور بعجز عن اختيار عمل أو مهنة أو مواصلة تعليم ، أو يعاني صراع العصر وشعوره بالتفاهة وعدم التنظيم الشخصي وعدم وجود أهداف للحياة .

ويتفاءل إريسكون ويقرر أن معالجة المراهق من أزمة الهوية لا تعنى حكماً مستقبلياً بفشلة ، ويتحدث أريكسون عن مفهوم الرشد المبكر بوصفها فترات زمنية بين المراهقة والرشد . وتعد مهلة اجتماعية وفرصة أضافية يكتشف فيها الشاب ذاته وبيئته .

الولاء والإخلاص وهى فضيلة يكتسبها الفرد إذا نجح في اجتياز هذه المرحلة النمائية بسلام . وهي الحل السليم لصراع هوية الأنا – تميع الدور، وفيها يتبنى الفرد أيديولوجية المجتمع والتمسك بها، من قبيل فكر ديني – سياسي ، قيمي ... الخ .والهوية إحساس فردي واجتماعي .. كيف ؟ ذلك لأن شخصية بلا أيديولوجية تعني شخصية بلا هوية .

المرحلة السادسة : الألفة مقابل العزلة الحب

وتمتد زمنياً من سن العشرين وحتى الرابعة والعشرين. وتمثل فترة اتقان العمل والميل للاستقرار بالاختيار لشريك الحياة. إذ يرى أريكسون أن كثيراً من علاقات الحب أثناء المراهقة تفشل لأن هدفها الأساسي هو اكتشاف الذات، وتحقيق الهوية ويدلل على ذلك بفشل كثير من زيجات صغار السن .

يتفق مع فرويد في وصف الشخص السوي نفسياً بأنه القادر على الحب والعمل، ويستثنى المراهق ويوسع المعنى للأصدقاء والناس، .ويحذر من إنهماك الذات فى نفسها ومن ثم الإنعزال .

والفضيلة الأساسية لإجتياز هذه المرحلة على الحب بمعناه الرومانسي والالتزام الخلقي، والإحساس بالمسئولية والتراضي . والأخلاق هي أبرز ما يميز الشخصية في هذه المرحلة، ممثلة في الوفاء بالالتزامات رغم التضحية. والخطر الحقيقي يتمثل في الفشل في تكوين علاقات ودية بأخرين أو الانغماس في علاقات سطحية لأن مطالب الألفة والمودة تهدهم .. إذ أن العزلة المتطرفة تعد إحدى أوجه السيكوباتية .

المرحلة السابعة: الإنتاج مقابل الركود ـــ الزعامة

وتستمر الصراعات حتى مرحلة منتصف العمر (٢٥ – ٥. سنة) فعلى الراشد أن يختار الإنتاج في مقابل الركود. وقد وضح إريكسون مصطلح الإنتاجية ليشير إلى الإستسلام للمستقبل وللجيل الجديد. فإنه يُعتقد أن اهتمام الناس النشط ورفاهيتهم وجعل العالم مكاناً أحسن، يُعد من الأمور التي تضخم وتزيد من تقدير الذات، بينما يؤدي الإنشغال الكامل بالذات فسوف يؤدي إلى الركود. أما الفرد الذي استطاع الوصول إلى الإنتاجية فسوف يخرج من هذه المرحلة بفضيلة (الزعامة) .

المرحلة الثامنة : التكامل مقابل اليأس ـــ الحكمة

وتمتد من نهاية الخمسين حتى الوفاة، وفيها يجد الشخص نفسه على حال من نقيضين، إما اليأس والشعور بالفشل والدونية لإنقضاء العمر دون هدف وبلا أية إنجازات ذات معنى أو بصمات مضيئة على من حوله ومن بعده ، وإما الشعور بحالة من الرضاء عما فات وتقبل ما هو آت حيث يشعر بالتكامل، فقد استطاع إنجاز غالبية أهدافه وتحقيق أماله وطموحاته ، مما يشعره بالرضا وبلوغ درجة من الحكمة بشأن رسالة الإنسان فى الحياة ، كخليفة لله في الأرض، ومن ثم يتقبل الموت كقدر محتوم يحل بعده – وفق اعتقاده- وراحة ونعيماً، بينما الشخص اليائس ينتظر الموت كأنه شبح يطارده ويخيفه وحتماً أتية .

وتُعد إسهامات إريسكون في ميدان التحليل النفسي ذات تأثير على ميادين أخرى مثل ميدان التربية وميدان العمل الاجتماعي كما أن مؤلفاته ذات شعبية واسعة بين أوساط المتخصصين والمثقفين. ونظرية الشخصية عند إريكسون – مثلها مثل معظم نظريات الشخصية – لا يمكن التحقق من صدقها من الناحية التجريبية أو المختبرية لصعوبة تحديد مفاهيمها، وصعوبة صوغ الاختبارات التي تقيس هذه المفاهيم، كما تُوجه إلى هذه النظرية النقد بأنها تنطبق على الذكور أكثر من انطباقها على الإناث، إلا أن تقسيمه لمراحل النمو لاقى قبولاً لدى عدد من المعالجين النفسيين والأطباء النفسيين، لأنه أفادهم في فهم مراحل النمو الإنساني للفرد .

ونرى أن أبرز إسهام لنظرية إريكسون فى النمو النفسى والاجتماعى يتمثل فى الكيفية الإجرائية التى تُكتسب بها سمات الشخصية ، الإيجابية أو السلبية ، من خلال خبرات التنشئة النفسية / الاجتماعية ، ومدى ماتوفره من إشباعات أو إحباطات ، نتيجة التطرف من قبل الوالدين أو من يقومون مقامهما فى مختلف المواقف التربوية إضافة لمختلف الخبرات المتواترة التى يتعرض لها الفرد من قبل مؤسسات المجتمع ، فى سياقها الثقافى.

الجزء الثالث

نظريات السمة والأنماط والامزجة

- نظرية جوردون ألبورت
- نظرية أيزنك
- نموذج العوامل الخمسة الكبرى .

الفصل الثالث عشر
نظرية جوردون ألبورت
GORDON ALLPORT
1897 - 1967



وُلد جوردن ألبورت فى مونتيزوما ، بولاية إنديانا Montezuma, Indiana، فــى عــام ١٨٩٧، وكــان الأصغر بين إخوته الأربعة . كولد خجول ومجتهد دراسياً ، وكان والده طبيباً بإحدى القرى ، مما يعنى أن جوردون ألبورت قد نما وسط المرضـى الذين كـان يعـالجهم أبـوه وممرضـاته ، وكذلك بين مقتنيـات المستشفى . حيث كل فرد يعمل بجد . وكانـت حياتـه المبكرة عاديـة ، لم يحث فيها من الاستثناءات مايجدر ذكره .

ولعل واحدة من الروايات التى تحكى دائماعن ألبورت، أنـه وهو فـى الثانيـة والعشرين من عمره إحدى قصص ألبورت تذكر دائما في سيره الذاتية: عندما كـان فى الـ ٢٢ من عمره، سـافر إلـى فينـا. ورتّـب للإجتمـاع بسيجموند فرويـد ،عنـدما وصـل إلـى مكتـب فرويد، جلس فرويد ببساطة وإنتظر جوردن للبدء. بعد قليلا، جوردن لم يعد يحتمل الصمت، فحكـى لفرويد ملاحظـة صـادفته وهو فـى طريقـه لمقابلة فرويد. ذكر بأنه رأى صبياً صغيراً على الحافلـة كان منزعجاً للغايـة بسبب جلوسه إلى جواررجل قذر يجلس هنالك بالحافلة . واعتقد جوردن بأن الصبى ربما تعلم هذا الشئ من أمّـه ، والتـى هـى علـى الأرجـح من النمط المستبد والأنيق جدا. ولكن يبدو أن فرويد، وبـدلا مـن أن يأخذ تلك الملاحظـة ببساطة، اعتبرهـا نموذجاً لعملية لاشعورية تتصل برغبات عميقة في عقل جوردن، وقال "وهل كـان ذلك الصبى الصغير هو أنت ؟ "

هذه التجربة جعلته يدرك بأنّ علم نفس الأعماق يغوص فى النفس بعمق إلا أنه قد يغفل جوانب هامة من حقيقة الشخصية ، وعلى نحو مماثل أدرك من قبل بأن السلوكية behaviorism في أغلب الأحيان لاتتعمق فى النفس بقدر كافٍ! ومن ثم

اعتقد بأن أفضل طريقة للكشف عن الدوافع الحقيقية للشخص هى طريقة التقرير الذاتى self report

حصل ألبورت على الماجستير عام ١٩٢١ وعلى الدكتوراه في علم النفس "دراسة تجريبية لسمات الشخصية" في عام ١٩٢٢ من جامعة هارفارد.

- وتلمس خطوات أخيه الأكبر فلويد، الذي أصبح عالم نفساني إجتماعي شهير ، وألف بالاشتراك معه كتاباً عنوانه " سمات الشخصية : تصنيفها وقياسها personality traits : their classification and measurement.

- وفى عام ١٩٢٤ أعد ودرس أول مقرر فى سيكولوجية الشخصية، عنوانه "الشخصية : جوانبها النفسية والاجتماعية ".

- وفى الخامسة والعشرين تزوج وأنجب طفلاً.

- أمضى حياته المهنية فى تطوير نظريته ، باحثاً فى بعض القضايا الاجتماعية كالتعصب prejudice ، واشائعات ، وعلاقة الفد بالدين .

- صمم إختباراً للشخصية، وأخر للقيم ، اضافة لاختبار السيطرة والخنوع .

- شارك بعضوية الجمعيات المهنية ، وتولى رئاسة جمعية علم النفس الأمريكية

_ تبنى منحىً توفيقياً يُعنى بأفضل مافى النظريات النفسية المتعددة إلى جانب عنايته بتناول الأدب للشخصية بالأوصاف .

- توفى في كامبردج ماسوشوس Cambridge بولاية Massachusetts في عام ١٩٦٧ وهو فى السبعين تقريباً .

النظرية

ما الشخصية ؟

نظر ألبورت للشخصية بردها -لغوياً- إلى الأصل اليونانى بكلمة PERSONA والتى تعنى القناع الذى يضعه الممثل المسرحى ليعطى إنطباعاً ما لدى مشاهديه .واستند فى ذلك لما أشا ر إليه شيشرون من معان أربعة للشخصية هى :

١- الشخصية كما تبدو للأخرين (القناع)

٢- الشخصية بما عليها من خصائص حقيقية بالفعل (الممثل نفسه)

٣- الشخصية هى الدور الذى يقوم به المرء فى الحياة .

٤- الشخصية هى مكانة المرء ومركزه الاجتماعى ومدى مايحظى به من تقدير .

استعرض ألبورت أكثر من خمسين تعريفاً للشخصية منها ماهو لاهوتى ، وفلسفى ، ولغوى، واجتماعي، إلى جانب ماهو نفسى ، خلص منها إلى أهم تعريف للشخصية مؤداه "الشخصية هى التنظيم الدينامى داخل الفرد للأجهزة النفسية - الفيزيقية التى تحدد للفرد تكيفه الفريد مع البيئة . أو (التي تحدد للفرد طابعه المميز فى السلوك والتفكير) وفق تعديل ألبورت لاحقاً، والذى استبعد به الإيحاء بالتركيز على إشباع الحاجات البيولوجية . .

وابرز مايميز تعريف ألبورت هو التصور النسقى للشخصية ،حيث تمثل كافة أجهزة الجسم بوظائفها،وأجهزة النفس بميكانيزماتها عناصر وثيقة التفاعل، تسهم فى تشكيل كيان فريد (كالبصمة) لكل شخص ، يتوقف عليه مدى مايحرزه من تكيف، ونصيبه من السوية أو اللاسوية .

ميّز ألبورت بين مصطلحات أربعة ، زاد اللبس والمرادفة فى استخدامها ، وهى : الشخصية – والتى سبق أن عرضنا تعريفه لها - ، والمزاج ، والخلق ، والنمط .

المزاج temperament

مجمل المظاهر المميزة للطابع الانفعالى للفرد ، وهى جبلية المنشأ ، ومن ثم تُعد وراثية ، وتتمثل فى الطبيعة العصبية للفد التى تحدد مدى سرعة وشدة استجابته للاستثارة ، ونوعية حالته المزاجية الثابتة نسبياً.

النمط type

فئة تصنيفية للأشخاص فى ضوء مابينهم من خصائص وسمات مشتركة (متفائلون – عدوانيون ..... إلخ)

الخلق character

هو الشخصية مقيمة بالأحكام الخلقية لأبناء ثقافة الفرد (صاحب الخلق الحسن /السئ)

السمة ومتغيرات أخرى :

السمة trait هي الوحدة البنائية للشخصية من وجهة نظر ألبورت ؛ والسمة بنية عصبية نفسية لها القدرة على استخلاص المثيرات المتكافئة وظيفياً وعلى المبادأة فى التوجيه المستمر لأشكال متكافئة من السلوك التوافقى والتعبيرى .والسمات بما تتصف به من ثبات نسبى مسئولة عن الاتساق فى السلوك الأنسانى ، والثبات النسبى للشخصية .

والسمة ليست كالعادة habit ، إذ أن الأخيرة تشير إلى ممارسة سلوكية متكررة إلى جانب غيرها من الممارسات المتسقة ، والتى تنشأ فى مجموعها عن سمة بعينها كالنظافة – الانضباط ...

كما ميز ألبورت بين السمة والاتجاه النفسى attitude فالاتجاهات تحمل حكماً تقويمياً (مع أو ضد موضوع ما) وقد يتبنى أكثر من شخص مختلفي السمات اتجاهاً مماثلاً ، إضافة إلى عمومية السمة مقارنة بالاتجاه .،إذ تتسع السمة لكافة الموضوعات والمواقف سواء التقويمي منها أم غير التقويمى ، فالشخص الموضوعى (كسمة) يتصرف بحيادية تجاه الأشخاص بصرف النظر عن اتجاهه الشخصى إزاء كلٍ منهم .

وتمييزاً لألبورت بين السمة والنمط type يشدد ألبورت على الطبيعة التفردية للسمة الشخصية ،فى حين ينظر للنمط بوصفه فئة تصنيفية للفرد ضمن مجموعة تشاركه بعض السمات الأكثر بروزاً، مما يقلل من إبراز الهوية الشخصية .

الدافعية motivation

ذهب ألبورت إل أن إشباع الحاجات البيولوجية البقائية هى الدافع الرئيسى أو الوحيد لدى البشر، وأشار إليه ألبورت بوصفه توظيف انتهازى

opportunistic functioning، وذكر أن ذاك التوظيف الانتهازى يمكن أن يكون مميزاً كرد فعل ، أو يكون موجهاً بالماضي، وبيولوجياً بالطبع. ولكن ألبورت اعتقد بأن التوظيف الانتهازى قد يكون عديم الأهمية لفهم معظم السلوك الإنسانى . إذ اعتقد بأن معظم السلوك الإنسانى يكون مدفوعاً بتوظيف مختلف تماماً- ليس وفقاً على الاشباع البيولوجي- بل يحدث على نحو تعبيرى عن الذات self والذىأطلق عليه تعبير التوظيف الذاتىpropriate functioning ، بل إن معظم مايصدر عنا من أوجه السلوك إنما هو تعبير عن وجودنا! ومن ثم يمكن وصف التوظيف الذاتى بأنه استباقىproactive ، وموجه نحو المستقبل (غائى) future-oriented ، ونفسي psychological .

ومصطلح Propriate مشتق من كلمة proprium والتى اتخذها ألبورت اسماً للمفهوم الأساسى ، الذات self ، فقد قام بمراجعة المئات من تعريفات هذا المفهوم، وتوصل إلى قناعة مؤداها ، أنه من أجل مزيد من العلمية، ينبغي التخلي عن الكلمة الشائعة "الذات" واستبدالها بأي شيء أخر . وفى كل الأحوال لم يصمد مصطلح proprium البديل طويلا.

ولإيضاح مايعنيه صطلح التوظيف الذاتى propriate functioning من معنى ، تأمل فى وقت مضى أنك رغبت فى عمل شئ ما أو أن تحقق شيئاً ما ، وذلك لأنك شعرت بحق أن فعلك لهذا الشئ أو حصولك عليه إنما يُعد مُعبراًعن الجوانب التى تعتقد بأنها الأكثر أهمية فى ذاتك . استرجع الفترة الماضية وتذكر عملاً قمت به للتعبير عن ذاتك ، الوقت الذى قلت فيه لنفسك ، " هو أنا ذا بحق that's really me " ففعل الأمور التى تحافظ بها على هويتك أو كينونتك ، هى مايعنيه ألبورت بالتوظيف أو التفعيل الذاتى .propriate functioning . ومن وجهة نظرنا ه مفهوم أقرب لتحقيق الذات الواقعية .

وقد أولى ألبورت تأكيداً زائداً على الذات أو proprium ، ولقد حاول ألبورت أن يُضع تعريفادقيقاً قدر الامكان . وق حاول ذلك باستخدام منحيين ، فينومينولوجى ، وأخر وظيفى .

وفقا للمنحى الأول ، أى الذات كما مرت بالخبرة : افترض أن الذات بمثابة جُمّاع لكافة جوانب الخبرة التى تراها أكثرجوهرية (كمقابل للأحداث العارضة أو الطارئة) ، فالدفء (مقابل للبرود الوجدانى warm as opposed to (emotionally cool) ' والمركزى central مقابل الطرفى peripheral .

تعريفه الوظيفي أصبح a نظرية تطويرية لوحده. النفس له سبع وظائف، التي تميل إلى الظهور في بعض أوقات حياته: تعريفه الوظيفي أصبح a نظرية تطويرية لوحده. النفس له سبع وظائف، التي تميل إلى الظهور في بعض أوقات حياته:

١. إحساس الجسم Sense of body
٢. هوية الذات Self-identity
٣. إحترام الذات Self-identity
٤. إمتداد الذات Self-extension
٥. صورة الذات Self-image
٦. المواجهة (التعامل) المنطقية Rational coping
١.٧ لكفاح الذاتى Propriate striving

إحساس الجسم Sense of body

يُطوّر إحساس الجسم في السنتين الأولتين من الحياةلدى جميع البشر ، نحسّ بحميميتهcloseness ، وبدفئه.و له حدود تجعلنا ندرك الألم والجرح إضافة للمس والحركة. ويذكر ألبورت مثالاً طريفاً لبيان ذاك الجانب من الذات: يتخيّل شخصاً ما قد بصق لعابه بكأس ما -- وبعد ذلك هل بوسع نفس الشخص أن يشربه! ما المشكلة؟ إنهاهي نفس المادة التى يبتلعها طوال اليوم! لكن، بالطبع لن يكون ذلك مُستساغاً له ، فإن الذى خرج منذاتك الجسمانية الجسماني يصبح شيئاً غريباً عنك !

هوية الذات Self-identity

تتشكل هوية الذات أيضا في السنتين الأولتين ، حيث ندرك ذواتنا بوصفها مستمر

وممتدة من الماضى ،الى الحاضر إلى المستقبل أى نرى أنفسنا ككيانات فردية، مستقلة ومختلفة عن الآخرين. فلنا اسم! فهل ستكون نفس الشخص عندما تستيقظ غدا؟ بالطبع -- نأخذ تلك الإستمرارية بوصفها أمراً مسلمُ به .

الاعتداد بالذات Self-esteem.

يتكون إحترام الذات بين السنتين، والأربع سنوات الإول من العمر. حيث ندرك بأن لنا قيمة عند ذواتنا ، ولدى الآخرين. ويرتبط هذا بالنمو المستمر لكفاياتنا وأهليتنا. وتُعد تلك المرحلة لدى ألبورت بمثابة المرحلة الشرجية فى كل مايتعلق بها !

امتداد الذات Self-extension

يتشكل امتداد الذات بين الرابعة والسادسة من العمر . فبعض الأشياء،الأشخاص ، والأحداث من حولنا نشعر تجاههابأهمية مركزية لوجودنا ، وبدفء وبأنها شديدة القرب منا، بل ضرورية لبقائنا . فما أملكه أو انسبه لنفسى (My) وثيق الصلة بى (me) " "بعض الناس يقدمون أنسهم بنسب ذواتهم لأبائهم أو بأزواجهم أو بأطفالهم أو بعشيرتهم ،أو بجاليتهم،أو بكليتهم وجامعتهم، أو أمتهم وقوميتهم ، أو تخصصهم المهنى ، وأحياناً بممتلكاتهم أو أماكن إقامتهم . وأمثلة على امتداد الذات نسمع أحياناً من يقول : عندما يفعل ابنى شيئاً مخزياً أشعر بالذنب ! إذا أخدش شخص ما سيارتي، أشعر وكأنما خدش كرامتى !

صورة الذات Self - image

تتشكل صورة الذات بين الرابعة والسادسة أيضاً . وهى بمثابة الذات المرآة "looking-glass self," فأنا كما يرانى الآخرون the me as others see me، فهذا هو الانطباع الذى تركته لدى الآخرين ، هيئتى "look," قدرى أو مكانتى الاجتماعية social esteem or status ، بما فيها هويتى الجنسية . sexual identity إنها تمثل بداية مايُعرف بالضمير conscience أو الذات المثالية ideal self ، والشخص persona .

المواجهة (التعامل) المنطقية Rational coping

وهى مُتعلمة – على نحو سائد- خلال السنوات من السادسة وحتى الثانية عشرة . حيث يبدأ الطفل فى تطير قراته للتعامل مع مشكلات الحياة على نحو منطقى وفعَّال .

الكفاح الذاتي Propriate striving

لاتبدأ عادة قبل الثانية عشرة من العمر . فذاتى تتمثل فى أهدافى ، مُثُلى ، خططى ، وظائفى ، أعمالى إدراكى لاتجاهى ، وإدراكى لغرضي . ويبلغ الكفاح الذاتى أوجه – من وجهة نظر ألبورت – بالقدرة على القول بأنى المهيمن على حياتى proprietor of my life أى مالكها والموجه لفعالياتها !

وبوسع المرء أن يلاحظ أن المراحل الزمنية التى يستخدمها ألبورت – إنما هى قريبة الشبه بالمراحل التى استخدمها فرويد ! ولكن ينبغى أن تعى أن تصور ألبورت ليس نظرية للمراحل بل هى مجرد وصف للمنحى الطبيعى لنمو الناس .

سمات أم طباع (تهيوات استعدادية) Traits or dispositions

وكلما تتطور الذات الحقيقية proprium على هذا النحو ، نطور كذلك سماتاً شخصية personal traits ، أو طباعاً(استعدادات تهيؤية) شخصية personal dispositions لقد استخدم ألبورت كلمة سمات ، بالأصل إلا أنه وجد أن العديد من الناس ظنوا أنه يعنى بالسمات مايمكن إدراكه بالملاحظة عندما ينظر شخص ما للأخر . أو مايمكن قياسه باختبارات الشخصية وليس مايمكن اعتباره خصائص فريدة للشخص داخل شخص ما، لذا فقد استبدلهاألبورت بمصطلح الطباع dispositions (الاستعدادات التهيؤية).

ويُعرف الطبع الشخصى personal disposition بوصفه بنية نفسية عصبية مُعممة (خاصة بالفرد) ، مع قدرة على التعامل مع العديد من المثيرات على نحو متكافئ وظيفياً، وعلى البدء وتوجيه صيغ متكافئة (متسقة) من السلوك الأسلوبى. التكيفى

A personal disposition is defined as "a generalized neuropsychic structure (peculiar to the individual), with the capacity to render many stimuli functionally equivalent, and to

initiate and guide consistent (equivalent) forms of adaptive and stylistic behavior."

ويُحدث الطابع(الاستعداد التهيؤى) الشخصى مماثلات فى الوظيفة والمعنى بين الادراكات ، والمعتقدات، والتصرفات المختلفة، والتي ليست بالضرورة متكافئة بطبيعتها فى الوجود ، أوحتى فى عقل اى شخص آخر . فالشخص الذى من طبعه أنه يخاف من الشيوعية communism قد يماثل بين الروس ، والليبراليين، وأساتذة الجامعة، لعب الكرة، والنشطاء اجتماعياً ، وحماة البيئة ، حركات المناداة بالمساواة للمرأة، وما إلى ذلك. إنه يجمع بينها دون تمييز ويستجيب لأى منها بمجموعة من السلوكيات المعبرة عن الخوف : اجراء الأحاديث ، كتابة الرسائل ، التصويت ، تسليح نفسه ، التعبير عن الغضب ، وغير ذلك .

وبطريقة أخرى، يمكن إيضاح ماتقدم بقولنا أن الطباع (الاستعدادات التهيؤية) تكون ثابتة dispositions ، يسهل التعرف عليها، متسقة فى سلوكياتنا .

ويعتقد ألبورت فى أن السمات تكون فريدة (مميزة) لدى كل فرد : فليس كل شخص يخاف الشيوعية مماثل تماماً لأى شخص أخر يخافها . وليس لك أن تتوقع بالفعل أن معرفتك بالأشخاص الأخرين ستعينك على فهم اى شخص أخر بعينه . لهذا السبب اندفع ألبورت بقوة إلى ماأطلق عليه المناهج الفردية idiographic methods – أى المناهج التى تركز على دراسة شخص بمفرده فى كل مرة، من قبيل المقابلات ، والملاحظة ، تحليل الخطابات واليوميات ، وما إلى ذلك. وهى ما يشار إليها الآن بوصفها المناهج الكيفية qualitative . methods.

ويُقِر ألبورت بأن داخل كل ثقافة بعينها توجد سمات أو طباع (استعدادت تهيؤية) مشتركة common traits or dispositions .

واعتقد ألبورت بأن بعض السمات تكون وثيقة الصلة بالذات الحقيقية proprium (ذات المرء) أكثر من بقية السمات . فالسمات المركزية Central traits هى لبنات بناء شخصيتك. فعندما تحاول وصف شخص ما فإنك تستخدم على الأرجح الكلمات التى تشير إلى تلك السمات المركزية : بارع smart ، أخرس dumb ، همجى wild ، خجول shy، حقير sneak ، غبى dopey

كثير الشكوى grumpy ,..... وذكرَ ألبورت أن معظم الناس أينما كانوا لديهم مابين خمسٍ أو ستٍ من تلك السمات المركزية .

كما توجد سمات ثانوية secondary traits ، وهى تلك التى لاتكون قوية بدرجة ملحوظة، أو لا تكون عمومية أو ثابتة بدرجة كبيرة . فالتفضيلات Preferences ، والاتجاهات attitudes ، والسمات الموقفية situational traits ، كلها سمات ثانوية .مثال على ذلك ، "شخص يغضب حينما تدغدغه، "امرأة لها تفضيلات غير عادية من الملابس" "وشخص ثالث لا يقبل أي دعوة للعشاء بالمطعم"

ثم أن هنالك سمات أصلية cardinal traits وهى تلك السمات التى توجد لدى بعض الناس والتى تحدد حياتهم على نحو خاص. فالشخص الذي يقضى حياته باحثاً عن الشهرة، أو الثروة أو عن الجنس هو من هذا القبيل . وكثيراً ما نستخدم بعض الشخصيات التاريخية للاشارة إلى مثل تلك السمات الأصلية ، فنذكر ميكيافيلى (كسياسي لا يرحم) وهتلر(كعسكري أعمى) وهكذا . وعدد قليل نسبياً من الناس من ينمون السمات الأصلية فى ذواتهم . وإذا فعلوا ذلك، فإنها تأتى متأخرة فى حياتهم .

النضج النفسي Psychological maturity

إذا كانت لديك ذات تحقق لها النمو والثراء ، فإن مجموعة تكيفية من السمات ، فإنك قد بلغت نضجاً نفسياً ، وهو المصطلح الذى استخدمه ألبورت للتعبير عن الصحة النفسية . وقد أور سبعاً من أبرز خصائصها ، هى :

١ - القدرة على تحقيق امتداد الذات the capacity for self- extension

وتتمثل فى قدرة المرء على توسيع نطاق حياته ، بالمشاركة فى أحداث الحياة والتوجه الايجابى نحو المستقبل من خلال إحراز نجاحات بالحاضر .

٢ - القدرة عل التفاعلات الانسانية الدافئة the capacity for worm human interactions

فالراشدون الناضجون بوسعهم تقبل الآخرين رغم اختلافهم عنهم فى جوانب شخصياتهم ، ودون أن تسيطر عليهم المشاعر السلبية ، بل يقيمون علاقات وثيقة وحميمة .

٣- الأمن الوجداني وتقبل الذات – emotional security & self acceptance

ومحور الأمن الوجدانى يتمثل فيما يحمله المرء من صورة ايجابية عن ذاته ، مما يؤهله لتحمل الاحباطات وتجاوزها إلى أفاق أرحب بأقل خسارة وجدانية ممكنة .

٤- عادات الإدراك الواقعى Habits of realistic perception .

وهى على النقيض من اعتياد الاعتماد على الدفاعية سواء فى مواجهة المشكلات أو حتى عند التخطيط والانجاز لأهدافهم.

٥- التمركز على المشكلات Problem-centeredness

وتعنى تحرر المرء من التمركز على وجداناته الذاتية ، ولايتحقق ذلك إلا بامتلاك الفرد لمهارات مواجهة المشكلات وحلها .

٦- الموضوعية تجاه الذاتSelf-objectification

وتتمثل فى إدراك الفرد – بواقعية – لجوانب القوة وجوانب الضعف فى شخصيته ، وإدراكه لمدى التفاوت بين ذاته الواقعية وذاته المثالية ، وهذا الاستبصار من شأنه أن يجعله قادراعلى المرح ، وربما التندر على نفسه أحياناً دون شعور بدونية تهدد أمنه لوجدانى .

٧- تبنى فلسفة موحدة تجاه الحياة A unifying philosophy of life

وقد تُبنى تلك الفلسفة على أيديولوجيّات أو معتقدات دينية ، والأخيرة هى الأرجح حيث تجمع بين ماهية الوجود والمآل بعد الموت . ونعدها إشارةقوية وان لم تكن مباشرة من ألبورت لأهمية التدين ضمن مقومات النضج والصحة النفسية .

الاستقلال الوظيفي Functional autonomy

لم يعتقد ألبورت بالتأمل فى ماضى الشخص من أجل فهم حاضره . وتتمثل تلك النظرة بجلاء فى مفهوم الاستقلال الوظيفى : إن دوافعك اليوم مستقلة (تلقائية) عن مصادرها. ومثال على ذلك ، لماذا تمنيتأن تصبح طبيبا أو لماذا طورت نكهة الزيتون أو ممارسة لرياضة غريبة. الحقيقة أن تلك هى طريقتك الآن . ويتحقق

الاستقلال الوظيفى بصيغتين الأولى : الاستقلال الوظيفي الدائم perseverative functional autonomy

ويشير أساساً إلى العادات – السلوكيات التى لاتخدم غرضها الأساسى لفترة طويلة ، كرمز ورغم ذلك تستمر . فأنت عندما بدأت التدخين كرمز على تمرد المراهقة ، مثلاً ، إلا أنك الآن تدخن لأنك لاتستطيع الإقلاع ! والطقوس الاجتماعية مثل القول " بارك الله فيك " عندما يعطس شخص ما وكانت مرتبطة بوقت ما (أثناء مرض الشخص ، حيث الآن نجد العطاس أبعد مايكون عن الأعراض الخطرة) ورغم ذلك تستمر بيننا تلك العادة بوصفها يُنظر إليها كسلوك مُهذب .

الاستقلال الوظيفي الجوهري (الذاتى) Propriate functional autonomy

وهوشئ ما يمثل جزءاً موجهاً بالذات أكث من العادات . والقيم هى المثال العدى على ذلك. فربما عُوقبت لكونك أناني عندما كنت طفلاً وهذا لايقلل من كرمكوسخائك اليوم ، لقد أصبحت قيمة لديك . !

لقد دفعت فكرة الاستقلال الذاتى الجوهرى _ أى القيم _ ألبورت وزملائه فيرنون وليندزى Allport and his associates Vernon and Lindzey إلى وضع تصنيف للقيم (فى كتابهم *A Study of Values*, 196) ومقياساً للقيم . يضم القيم التالية :

١- النظرية the theoretical – فالعالم ، مثلاً ن يعطى قيمة للحقيقة .
٢- الاقتصادية the economic – فرجل الأعمال يُقيم المنفعة .
٣- الجمالية the aesthetic - الفنان يعطى قيمة-بالطبع- للجمال .
٤- الاجتماعية the social . فالممرضة لديها حب قوى للناس .
٥- السياسية the political فالسياسى يعطى قيمة للقوة .
٦- الدينية religious فالراهب أو الراهبة تعطى قيمة للوحدة .

ومعظمنا يحمل العديد من تلك القيم بمستويات معتدلة متفاوتة ، إضافة إلى أننا قد نعطى قيمة لواحدة أواثنتين منها على نحو سلبى تماماً . ويتوافر الأن اختبارات حديثة تستخدم لمساعدةالأطفال علىتحديد مسارهم المهنى . ويتضمن أبعاداً شديدة الشبه بتلك.

خلاصة وتقويم :

وتُعد نظرية ألبورت واحدة من أوائل النظريات الإنسانية ، وقد أثرت في نظريات أخرى عديدة ، منها نظرية كيللى ، وماسلو ، وروجرز . والجانب المؤسف في نظرية ألبورت هو استخدامه الرائد لكلمة سمة. trait والتي أثارت غضب عدداً كبيراً من السلوكيين ذوي التوجه الموقفي situationally oriented behaviorists ورغم ذلك يمكن يُعد ألبورت من هؤلاء المنظرين الذين أصابوا في العديد من الأمور ، وذلك لأن الآراء التي تبناها قد انتشرت بسهولة ومازال تُعد مُعاصرة .

الفصل الرابع عشر
نظرية هانز أيزنك
HANS EYSENCK
(1916 - 1997)

ومنظرون أخرون للمزاج الإنساني

يتناول هذا الفصل نظريات المزاج temperament . والمزاج هو ذاك الجانب من الشخصية ذو الأساس الجينى، نولد مزودين به أو حتى قبل الميلاد .
Temperament is that aspect of our personalities that is genetically based, inborn, there from birth or even before.
وهذا لايعنى بحال أن نظرية المزاج تذهب إلى

أن ليست لدينا جوانب من شخصياتنا تكونُ تعلمة! وإنما ركزوا فقط على الطبيعة(بدون أسباب داخلية) "nature,"، وتركوا أمر التنشئة(الاكتساب) لمنظرين أخرين!

إن قضية تناول المزاج ، قديمة بقدم علم النفس ، فقد تم تناولها بصورة جيدة منذ القدم . ويمكن إتخاذ الاغريق مثالاً واضحاً على ذلك ، الذين أعملوا فكرهم بقدر كبير ، وتوصلوا إلى بُعدين للمزاج ، يحملان أربعة أنواع على أساس مقدار مايتوافر لديهم(قليل جداً أم كثير جدا) من نوع السوائل fluids (أسموها الأمزجة humors) . وقد شاعت تلك النظرية إبان العصور الوسطى .

النمط الدموي (المتورد) sanguine type مرح cheerful ومتفائل optimistic العمل معه مريح، ووفقاً للإغريق ، يتصف النمط الدموى بتدفق غزير للدم (لهذا السبب جاء إسم دموي، من sanguis, وهى الدم باللاتينية) كما يتصفون بهيئة مفعمة بالصحة healthful look تبدو من خدودهم المتوردة .

النمط الصفراوي (الغاضب) choleric type ويكون متميزا بمزاج سريع وحاد quick, hot temper، وذو طبيعة عدوانية غالباً. والإسم يشير إلى الصفراء bile (المادة الكيميائية التى تُفرز من المرارة لتساعد فى عملية الهضم)

والهيئة المميزة للشخص الصفراوى choleric person تتمثل فى بشرته المصفرة وعضلاته المتوترةyellowish complexion and tense muscles

النمط البلغمي (البارد) phlegmatic temperament وهؤلاء الأشخاص يتصفون ببطئهم slowness، وكسلهم lazines ، وبلادتهم dullnes . والاسم مستمد بوضوح من كلمة " بلغم phlegm " أي المُخاط الذي نطرده من رئتينا عندما نُصاب بالبرد أو الالتهاب الرئوى . وجسمياً ، يُعتقد بأن أمثال هؤلاء الناس من النوع البارد ، ومصافحتهم للغير أقرب ماتكون لمصافحة سمكة shaking hands with a fish.

المزاج الميلانخولى (السوداوى) melancholy temperament وينزع هؤلاء الأشخاص لأن يكونوا حزانى ، بل ومكتئبين ، وتبنى نظرة متشائمة تجاه العالم . وتُتخذ تلك التسمية كمرادف للحزن sadness ، وإن اشتُقت من الكلمات اللاتينيةالخاصة بالعصارة السوداء للمرارة black bile . والآن ونظراً لعدم وجود مثل تلك التسميات ،فنحن لانعرف على وجه الدقة ماالذى كان يشير إليه الاغريق القدامى . ولكن يُعتقد بأن الشخص الميلانخولى لديه الكثير جداً منها .

وتلك الأنماط الأربعة تمثل الأركان الأربعة لخطين بيانيين : الحرارة temperature والرطوبة humidity . فالدمويون دافئون ورطبون، والصفراويون دافئون وجافون، والبلغميون باردون ورطبون ، والسوداويون باردون وجافون Sanguine people are warm and wet. Choleric people are warm and dry. Phlegmatic people are cool and wet. Melancholy people are cool and dry. ، وتوجد بعض النظريات تفترض أن المناخات المختلفة مرتبطة بالأنماط المختلفة للأمزجة، فالإيطاليون – مثلاً - دافئون رطبون (دمويون) والعرب دافئون جافون (صفراويون) والروس باردون وجافون (سوداويون) والإنجليز باردون ورطبون(بلغميون)!

وبالدهشتك لو علمت أنه وتأسيساً على تلك النظرية، وبتأثيرها على العديد من االمنظرين المعاصرين . منهم أدلرAdler على سبيل المثال، فقد ربط بين تلك الأنماط وبين نظريته فى الشخصيات الأربعة. ولكن، وتجاوزاً لكل ذلك ، فقد استخدم إيفان بافلوف Ivan Pavlov , الأمزجة لوصف شخصيات الكلاب !

واحد الأمور التي حاولها بافلوف مع كلابه كان إحداث شروط الصراع conflicting conditioning – بدق الجرس المخصص للإشارة إلى تقديم الطعام وفى نفس الوقت يُدَق الجرس المخصص للإشارة إلى انتهاء الوجبة . بعض الكلاب تقبلت ذلك جيدا ،وحافظت على مرحها(بشاشتها). وبعضها اعتراها الغضب ونبحت كالمجنون. والبعض اكتفى بأن يتمدد وكأنه قد نام . والبعض تشنج وعوى وبدا كأنه مصاب بانهيار عصبى . ولست بحاجة لأن أقول لك أى من تلك الكلاب ينتمى لأى من تلك الأمزجة !

لقد اعتقد بافلوف بأن بوسعه تصنيف تلك الأنماط للشخصية وفقاً لبعدين : إحداهما هو المستوى العام من الإستثارة overall level of arousal والذى يمكن تسميته Excitation أو الإثارة والمتوافرة بأدمغة الكلاب . والبعد الثانى ، يتمثل فى قدرة أدمغة الكلاب على تغيير مستوى الإثارة – أى مستوى الكبح inhibition الذى تستطيع أدمغتهم ممارسته. فمزيد من الإثارة، ولكن مع كبح جيد good inhibition : دمويون sanguine . ومزيد من الإثارة ، ولكن مع كبح ضعيف poor inhibition : صفراويون. وقليل من الإثارة ، مع كبح جيد: بلغميون، قليل من الإثارة Not much arousal ، مع كبح ضعيف poor inhibition : سوداويون . فالإثارة مناظرة للدفء warmth ، بينما الكبح مناظر للرطوبة moisture ! وتلك النظرية لبافلوف كانت بمثابة الإيحاء لأيزنك بنظريته.



سيرة حياة

وُلد أيزنك Eysenck بألمانيا فى الرابع من مارس عام ١٩١٦ . وكان والداه ممثلان ، وقد طلقا وهو فى الثانية من عمره ، ومن ثم رُبى فى كنف جدته.وقد تركها عندما بلغ الثامنة عشرة، عندما وصل النازيون إلى السلطة. وبوصفه متعاطفاً نشطاً مع اليهود، فقد كانت حياته فى خطر .

واصل أيزنك تعليمه فى بريطانيا ، وحصل على درجة الدكتوراة فى علم النفس من جامعة لندن فى ١٩٤٠.. وخلال الحرب العالمية الثانية ، عمل كإخصائى

نفسى بمستشفى الطوارئ، حيث قام ببحث مصداقية التشخيصات السيكياترية،أدت نتائجه إلىإحداث خصومة طويلة مع التيار الرئيسى لعلم النفس الإكلينيكي.

وبعد الحرب ، قام بالتدريس بجامعة لندن، إلى جانب عمله كرئيس علم النفس بمعهد الطب النفسى بمستشفى بتليهم الملكى .و لقد كتب خمسة وسبعين كتاباً ، ومايقرب من سبعمائة مقالة، جعلته أغزر الكتاب كتابة فى علم النفس. وفى عام ١٩٨٣ تقاعد أيزنك واستمر فى الكتابة حتى وفاته فى الرابع من سبتمبر ١٩٩٧.

النظرية

لقد أسس أيزنك نظريته على الفسيولوجيا والجينات .وبالغم من أنه سلوكى ممن يولون أهمية عظمى للعادات المتعلمة learned habits ، إلا أنه يعطى أهمية للفروق فى الشخصية بوصفها تنمو خارج إطار وراثتنا الجينية . لذا نجده قد أعطى أولوية لما يُعرف بالمزاج temperament .

كما كان أيزنك متخصصاً فى البحث النفسى بصورة أساسية . وقد تضمنت مناهجه أسلوباً إحصائياً يُعرف بالتحليل العاملى . ويستخلص هذا الأسلوب عدداً من الأبعاد dimensions من كميات هائلة من البيانات .

مثال على ذلك ، إذا أعطيت مجموعة قوائم طويلة من الصفات لعدد كبير من الناس ليضعوا تقديراً لأنفسهم على كل من تلك الصفات ، فإن ماتحصل عليه من تلك القوائم يُعد مادة خام للتحليل العاملى .

تخيل على سبيل المثال ، إختباراً يتضمن كلمات من قبيل خجول shy ، منطوى introverted ، منطلق outgoing ، همجي wild وما إلى ذلك . فبكل وضوح سيكون الأشخاص الخجولين أميل لتقدير أنفسهم بدرجة مرتفعة على الصفتين الأولتين بالقائمة (أى خجول ومنطوى) وبدرجة منخفضة على الصفتين التاليتين بالقائمة (أى منطلق وهمجى) والأشخاص المنطلقين سيكونوا على العكس من ذلك . ويستخلص التحليل العاملى الأبعاد _ أو العوامل – مثل خجول ـــــ منطلق من كمية المعلومات الهائلة . ومن ثم يفحص الباحثون البيانات ويعطون إسماً للعامل مثل (الانطواء - الانبساطintroversion-extraversion) .

قد توصل البحث الأصيل لأيزنك إلى بعدين رئيسيين للمزاج : العصابية neuroticism والانبساطية ـــــــ الانطوائية ز دعنا نتناولها واحدة بعد الأخرى .

العصابية Neuroticism

العصابية هي الاسم الذي أعطاه أيزنك للبعد الذى يمتد مداه من الأشخاص المتمتعين بهدوء عادى معتدل، ورابطي الجأش ، إلى أولئك الأشخاص الذين يميلون إلى أن يكونوا عصبيون بصورة شديدة . وقد أوضح بحثه أن هؤلاء الأشخاص العصبيون أظهروا على الدوام معاناة من الاضطرابات العصبية nervous disorders ونحن نسميها عُصاباً . ومن هنا جاءت تسمية هذا البعد ولكن عليك أن تفهم أن أيزنك نفسه لم يقل بأن الأشخاص الذين يحصلون على درجات مرتفعة على مقياس العصابية هم بالضرورة يكونوا عصابيين neurotics - ولكنهم يكونوا – فقط أكثر قابلية للمشكلات العصابية .

لقد كان أيزنك على قناعة بأن مادام لكل فرد موقعاً ما يناسبه على مُتصل السوية __ العصابية، فإن هذا الموقع يشير إلى المزاج الحقيقى للفرد. أى أنه بُعد للشخصية ذو أساس وراثى ومدعوم فسيولوجياً . لذا فقد اتجه إلى البحث الفسيولوجى بُغية العثور على تفسيرا ت ممكنة.وكان الموضع الأكثر بروزاً للنظر إليه هو الجهاز العصبي التعاطفيsympathetic nervous system وهو جزء من الجهاز العصبى الذاتي autonomic nervous system وهو الذي يسيطر على معظم استجاباتنا الوجدانية السريعةemotional responsiveness للمواقف الطارئة مثال على ذلك ، فعندما تصدر من الخ إشارات تخبر الجهاز العصبى التعاطفى بذلك، فإنه يأمر الكبد بزيادة إفراز السكر اللازم للطاقة ، مُحدثاً بُطئاً فى عمل الجهاز الهضمي، مُوسعاً حدقتي العينين، مسبباً انتصاباً لشعر الجسم ، ويأمر الغدة الأدرينالية بزيادة إفرازها من الأدرينالين الذى بدوره يُحدث تغيراً فى العديد من وظائف الجسم ويُهيئ العضلات للتصرف . والطريقة التقليدية لوصف وظيفة الجهاز العصبى التعاطفى يلخصها القول بأنه يعُدُنا إما للمواجهة أوللهرب "it prepares us for “fight or flight.”

افترض أيزنك أن بعض الناس لديهم جهاز عصبى تعاطفى أكثر سرعة فى استجابته مقارنة بالأخرين. وبعض الناس يظلون هادئون فى أوقات الطوارئ ؛

وبعض الناس يعتريهم الخوف الشديد أو انفعالات أخرى ، والبعض يُصاب بالفزع من مجرد حادثة صغيرة. وافترض أن تلك الفئة الأخيرة لديها مشكلة تتمثل فى النشاط الزائد لجهازها العصبى التعاطفىsympathetic hyperactivity ، والتي تجعلهم أول المرشحين لاضطرابات عصابية متنوعة .

ولعل النمط الأولى للعرض العصابى يتمثل فى نوبة الرعب panic attack . وقد فسر أيزنك نوبات الرعب بوصفها أشبه ماتكون بتغذية راجعة إيجابية positive feedback كتلك التي تحصل عليها عندما تضع الميكروفون ملاصقاً للسماعة : فإن الأصوات الضعيفة تدخل إلى الميكروفون فتتضخم وتخرج من السماعة، ثم تدخل ثانية للميكروفون، فتتضخم من جديد، فتخرج من السماعة ثانية، وهكذا، فى عملية دائرية ، دائرية، حتى يصبح الصراخ والذى أحببنا إصداره عندما كنا أطفالاً، أمراً مألوفاً لدينا .

وعلى هذا النحو، تحدث نوبة الفزع وفقاً لنفس النموذج : فقد تشعر بفزع قليل لشئ ما – كعبور جسر ما على سبيل المثال - وهذا من شأنه أن ينشط جهازك العصبى التعاطفى . الأمر الذى يجعلك أكثر عصبية بل وأكثر حساسية للاستثارة ، وهذا من شأنه أن يجعل جهازك العصبى التعاطفى حساساً أكثر مع كل زيادة فى الضجيج ، والذى يجعلك أكثر عصبية وأكثر حساسية .... ولك أن تقول بأن الشخص العصابى neuroticistic person

يستجيب بصورة زائدة لرعبه الذاتى أكثر من استجابته لموضوع الخوف الأصلى ! وبوصفى واحداً ممن يتعرضون لنوبات الرعب تلك ، يمكننى الموافقة على تفسير أيزنك – حتى وإن ظل مجرد فرضية .

الإنبساطية – الانطوائية :

وهو البعد الثاني للشخصية من وجهة نظر أيزنك، ويعنى به شيئاً ما أشبه بمايعنيه يونجJung بذات المصطلحين ، وشديد الشبه بإدراكنا العام لهما : فالأشخاص الخجولين ، والصامتون يكونون على النقيض من الأشخاص المنطلقين وحتى الزاعقين Shy, quiet people “versus” out-going, even loud people. . وهذا البعد موجود كذلك فى كل شخص ، ولكن التفسير الفسيولوجى يمثل جانباً شديد التعقيد .

لقد فرض أيزنك أن الانبساطية – الانطوانية بمثابة حالة من التوازن بين الكبح"inhibition" والتهيج excitation داخل المخ ذاته . وتلك هى الأفكار التى خلص إليها بافلوف عند تفسيره للفروق التى وجدها فى ردود أفعال كلاب تجاربه للانضغاط stress . فالتهييج هى عملية إيقاظ المخ لنفسه ، فيكون فى حالة حذر وتعلم ما . والكبح هو حالة من تهدئة المخ لنفسه والتى تحدث إما فى الشعور بالاسترخاء والدخول فى النوم ، أو فى حالة الشعور بحماية المخ لنفسه فى حالة الإثارة الهائلة .

وافترض أيزنك أن الشخص المنبسط ، يتمتع بكبح جيد وقوى : فعندما يتعرض لإثارة صادمة traumatic stimulation – من قبيل اصطدام بالسيارة - فإن دماغ الشخص المنبسط يكبح نفسه بنفسه ، ممايعنى أنه يصبح فاقدا الإحساسnumb بالصدمة إن شئت أن تقول ذلك ، ولذا فإنه سوف يتذكر القليل جداً مما حدث. وبعد صدمة السيارة ، قد يشعر المنبسط كما لوكان فاقداً للانفعال blanked out أثناء الحادث. ، وربما سأل الآخرين أن لأن يرووا بأنفسهم ما حدث. ونظراً لأنهم ماكانوا تحت التأثير العقلى التام للصدمة ، فإنهم يكونوا مؤهلين لأن يواصلوا قيادة سياراتهم فى اليوم التالى مباشرة .

ومن جهة أخرى فإن الشخص المنطوى لديه كبح ردئ أو ضعيف poor or weak inhibition ، حال الصدمة ، كما الحال فى حادث السيارة، التي صدمته، فإن أدمغتهم لاتحميهم بالسرعة الكافية، فلا تغمض أعينهم بأى حال. وفى المقابل يكونوا مُنبهين للغاية ، ويتعلمون بصورة جيدة، وبالتالي يتذكرون كل شئ كما وقع. كما أن بوسعهم أن يقدموا تقريراً بما رأوه من تفاصيل الحادث " بالحركة البطيئة " ويكونوا غير راغبين فى العودة لقيادة السيارة قريباً بل وربما توقفوا عن قيادة السيارة تماماً .

وبعد ما تقدم ، كيف يؤدى ذلك إلى الخجل أو إلى حب الحفلات ؟ تخيل أن شخصاً انطوانياً ،وأخر انبساطياً تناولا الخمر، وتجردا من ملابسهما ، ورقصا بهياج وهما عاريان تماماً فوق طاولة المطعم. ففي صباح اليوم التالى سوف يسألك الشخص الإنبساطى عما حدث (وأين ملابسه) وعندما تخبره بماحدث ، سيضحك ثم يبدأ فى عمل ترتيبات لحفلة تالية .بينما نجد الشخص الانطوائى – فى المقابل – سيتذكر كل لحظة من لحظات الشعور بالخزى القاتل ، ولن يعود إلى غرفته أبداً .

...

إن أحد اكتشافات أيزنك هو أن مجرمي العنف ينزعون لأن يكونوا انبساطيين لاعصابيين non-neuroticistic extraverts . الأمر الذي يمثل إحساساً شائعاً ، وإذا فكرت فى ذلك ستجد أنه من الصعب تصور شخصاً يتصفون بالخجل المؤلم ومن يتذكرون خبراتهم ويتعلمون منها على نحو دائم ! والأصعب من ذلك هو تصور شخصاً تعرض لنوبات الفزع يفعل مثل ذلك . ولكن لابد وأن تعرف أن هناك أنواع عديدة من الجريمة غير النوع العنيف منها ، تلك التى يمكن للانطوائيين والعصابيين أن يتورطوا فيها !

العصابية والانبساطية - والانطوائية- Neuroticism and extraversion-introversion

ولقد أمعن إيزينك النظر فى التفاعل بين البعدين وماالذى يعنيه ذلك التفاعل بالنسبة لمختلف المشكلات النفسية . وتوصل – على سبيل المثال – إلى أن الأشخاص المصابين باضطرابات بالفوبيا phobia وبالوسواس القهرى obsessive-compulsive أظهروا ميلاً لأن يكونوا انطوائيين هادئين ، بينما الأشخاص المصابين باضطرابات التحول conversion disorders (كالشلل الهستيرى) أو اضطرابات الانفصال عن المجتمع dissociative disorders (كفقدان الذاكرة المُسبب) مالوا لأن يكونوا انبساطيين أكثر .

وفيما يلي نعرض تفسيره : إن الأشخاص مرتفعى العصابية يستجيبون على نحو مُفرط للمثير المخيف، فإذا كانوا انطوائيين، فسوف يتعلمون ىكيف يتجنبون المواقف التى تسبب الفزع بأقصى سرعة وبتمكن شديد، حتى يصلون للنقطة التى عندها يصبحون مفزوعين لأبسط رموز تلك المواقف – ممايجعلهم يطورون مخاوف. وسيتعلم إنطوائيون أخرون (على نحو سريع وبتمكن سلوكيات بعينها من شأنها تأجيل فزعهم – من قبيل التأكد من الأشياء (مراجعة) عدة مرات أو غسل أيديهم مرات ومرات.

والإنطوائيون شديدي العصابية، على الجانب الأخر ، ينجحون فى تجاهل ونسيان الأشياء التى تزيد عن احتمالهم . ويتورطون فى ميكانيزمات الدفاع الكلاسيكية ، كالإنكار ، والكبت ، أو حتى يتجاهل قدرته على الشعور بساقيه ، والقدرة على استخدامهما .

الذهانية Psychoticism

وصل أيزنك إلى اعتراف بأنه وبالرغم أنه استعان بعينات كبيرة فى بحثه، إلا أن هناك بعض قطاعات من البشر لم تكن فى متناوله .فبدأ يتوجه بدراساته إلى المؤسسات العقلية mental institutions بانجلترا . حيث تتوافر تلك البيانات الهائلة التى أخضعها للتحليل العاملى، الذي أسفر بدوره عن عامل ثالث هو ماأسماه إيزينك بالذهانية psychoticism .

وكالعصابية ، فإن الذهانية المرتفعة لاتعنى أنك شخص مختل عقلياً أوشخص ملعون، فحتى تصبح كذلك يتحتم أن تصدر عنك بعض التصرفات النوعية الأكثر شيوعاً بين مرضى العقل، كما أنك ربما تكون حساساً بدرجة أكبر ، وأن تكون مُعرضاً لبيئة خاصة ، حتى تصبح مريض العقل .

وكما قد تتصور ، تلك السلوكيات النوعية الموجودة لدى الناس مرتفعى الذهانية تتضمن تهوراً واضحاً ، عدم احترام الشعور العام common sense

أو التقاليد ، ودرجة ما من التعبير الوجدانى غير الملائم ،إنه البعد الذى يفصل بين هؤلاء الأشخاص الذين انتهى بهم المطاف بالمؤسسات العقلية عن بقية البشر .

مناقشة

لقد كان إيزينك أشبه بمحطم الأصنام -فهو ذلك الشخص الذى يستمتع بشن الهجوم المبنى على الرأى . لقد كان ناقداً مبكراً ونشطاً لفعالية العلاج النفسي، خاصة الفرويدى بأنواعه. كما انتقد الطبيعة العلمية لكثير من الفروع النظرية لعلم النفس. وبوصفه سلوكيا متعصباً، شعر بأن المنهج العلمى الوحيد (كما فهمه هو) ينبغى أن يقدم لنا فهماً واضحاً للبشر. وبوصفه عالماً إحصائياً ، يرى المناهج الرياضية ضرورية بقدرها، وبوصفه علماً للنفس ذا توجه فسيولوجى ، ذهب إلى أن التفسيرات الفسيولوجيةوحدها هى الصادقة .

ولنا أن نحتج - بالطبع - على وجهات نظره هذه كلها: فالفينومينولوجيون وغيرهم من أصحاب الطرق الكيفية قد عُنوا كذلك بالأساليب العلمية. والكثير من الأشياء لايسهل غختزالها إلى أرقام، والتحليل العاملي كأسلوب إحصائي لا يوافق عليه كل الإحصائيين. كما أن من الأمور التى ماتزال مثيرة للجدل هو تفسير كل الجوانب تفسيراً فسيولوجياً. - وحتى سكنر ، اصطبغ تفكيره بمصطلحات التشريط conditioning كمعالجة نفسية - أكثر من مصطلحات الفسيولوجيا.

وبعد ما تقدم ، ما تزال الأنماط المختلفة للناس، وإلى أي مدى يمكن أن تُفهم فى على نحو بدنى (فيزيقى) ماتزال تمثل حقيقة جزئية. والوالدان، والمدرسين، وإخصائي علم نفس الطفل سيكونوا أكثر من يؤيدون الفكرة القائلة بأن الأطفال يولدون مزودين باختلافات فى شخصياتهم والتى تبدأ بالميلاد(أو حتى قبل ذلك) والتي لا تحتمل إعادة تعليم. وبالرغم من أنى لست سلوكياً ،ولا أحب الاحصاءات، فأنا ذو توجه ثقافى أكثر من توجههى البيولوجى ، إلا أنى أوافق على أسس نظرية ايزينك. وأنت بالطبع، لك أن تكون رأيك الخاص !

الفصل الخامس عشر

نظريات أخرى فى المزاج

شيلدون ، كاتل، نورمان

OTHER TEMPERAMENT THEORIES

توجد بحق عشرات المحاولات للكشف عن المزاجات الإنسانية . وفيما يلى نعرض لأفضل النظريات المعروفة منها .

<u>جسمك وشخصيتك Your body and your personality :</u>

فى خمسينيات القرن الماضى أهتم وليم شيلدن (المولود فى ١٨٩٩) بتباين الأجسام البشرية human bodies . وبنى نظريته على العمل المبكر لإرنست كرتسكمر Ernst Kretschmer فى ١٩٣. ، والذى اعتقد بوجود علاقة ما بين ثلاثة أنماط بدنية واضطرابات نفسية بعينها . وعلى وجه خاص ، اعتقد بأن النمط البدين pyknic type القصير و لمستدير يكون أكثر ميلاً لتناوب المزاج cyclothymic أو للاضطرابات الثنائية bipolar disorders (يعنى الهوس والاكتئاب) ، وأن النمط الواهن asthenic type الطويل والنحيف (والذي يمثل المقابل الأدنى للنمط الرياضى العضلى muscular athletic thype) يكون أكثر ميلاً للإصابة بالفصام schizophrenia . ولقد شملت بحوثه الألاف من المرضى المودعين بالمؤسسات ، ورغم ذلك تشوبها الشكوك لأنه فشل فى ضبط العمر ولأن الفصاميين كانوا أصغر فى السن من مرضى الاضطراب الثنائى ،كما أنهم كانوا أكثر نحافة .

لقد طور شيلدن نظاماً لقياس تلك الأحجام المختصرة م الأبدان بثلاثة أرقام. وتلك الأرقام الثلاثة تشير إلى أى مدى تقترب أنت وتماثل أى من الأنماط الثلاثة :

١- العصبى Ectomorphs . ويضم الأشخاص النحاف، وطويلى القامة غالباً ، طويلى الأذرع والساقين وذوى الملامح الدقيقة .

٢- العضلى Mesomorphs . ويضم الأشخاص المربعين، عريضى المنكبين ، ومفتولى العضلات.

٣- الحشوى Endomorphs ويضم الأشخاص الممتلئين ، والأميل لأن تأخذ أجسامهم شكل ثمرة الكمثرى .

لاحظ أن تلك الأنماط الثلاثة تشير بقوة إلى أنماط للشخصية شديدة النمطية والشيوع، وترتيباً على ذلك قرر شيلدن اختبار تلك النظرية بثلاثة أرقام (مفاهيم) أخرى للتعرف على مدى ارتباطها بتلك الأنماط الثلاثة للشخصية .

١- المُخيون Cerebrotonics .أنماط عصبية، خجول نسبيا ، أذكياء غالباً .

٢- الجسميون Somatotonics . أنماط نشطة، متمتع ببنية بدنية سليمة ، ولديهم طاقة كبيرة .

٣- الحشويون Viscerotonics. أنماط اجتماعية ، محبون للطعام لديهم سعة فى الجسم .

لقد نَظَر بأن الاتصال بين الأنماط الجسمية الثلاثة ، والأنماط الثلاثة للشخصية كان ذو نمو جنينى . ففى المراحل الأولى من نمونا السابق للميلاد فإننا نتكون من ثلاث طبقات من الجلود "skins " وهى طبقة الجلد الخارجية ectoderm، والتى تتحول إلى الجلد والجهاز العصبى ؛ والطبقة الوسطىللجلد mesoderm ، والتى تتطور فتكون العضلات ، ثم الطبقة الداخلية للجلد endoderm، والتى تتحول إلى الأحشاء .

وبعض الأجنة يُظهرون نمواً أكبر فى إحدى طبقات الجلد، أو أخرى . وافترض أن هؤلاء الأشخاص الذين يظهرون نمواً قوياً لطبقة الجلد الخارجية ectoderm يصبحون من النمط العصبى ectomorphs ، لديهم نمو عصبى قوى أكثر قربا من سطح الجلد (بما فى ذلك المخـــومن ثم يطلق عليهم المخيون cerebrotonic . وهؤلاء ذوى النمو القوى لطبقة الجلد الوسطى mesoderm يصبحون عضليون mesomorphs ، مع عضلات كبيرة (أو جسم مفتول – ومن هنا جاءت التسمية بـ الجسميون somatotonic) أما أولئك من ذوى النمو الزائد لطبقة الجلد الداخلية endoderm فيصبحون حشويون endomorphs ، مع أحشاءجيدة ، ولديه انجذاب قوى للطعام (من هنا يُسمون الحشويون viscerotonic) ومقاسات أجسامهم تؤيد ذ لك.

وجدير بالذكر أنه فيما ورد آنفاً، استخدمت لفظ أنماط "types" على سبيل الاقتباس. والشئ المهم : أن شيلدن يرى أن هاتين المجموعتين من الأعداد الثلاثة بوصفها أبعاد أو سمات، وليست أنماطاً على الإطلاق. أي أن كلا منا يكون بدرجة

ما ، زادت أو قلت ، عصبياً ، عضلياً ، وحشويا ، إلى جانب أنه مخي ، وجسمي ، وحشوى بدرجة أو بأخرى .

العوامل الخمسة وثلاثون Thirty-five Factors

ويُعد ريموند كاتل (المولود فى ١٩,٥) أحد الباحثين المنظرين ذوى الإسهامات الغزيرة شأنه شأن إيزينك الذى وسع من استخدام طريقة التحليل العاملى، وإن كان بصيغة مختلفة قليلاً. ففى بحثه المبكر، عزل ستة عشر عاملا للشخصية 16 personality factors. والتى حولها إلى اختبار سمّاه عوامل اشخصية الستة عشر 16PF. وفيما بعد أضاف إليها سبعة عوامل إضافية للقائمة. ثم بعد ذلك أضاف البحث اثنا عشر عاملاً مرضياً (باثولوجيا) تم التوصل إليها من خلال استخدام فقرات من مقياس مينيسوتا متعدد الأوجه للشخصية MMPI (Minnesota Multiphasic Personality Inventory). وفى تحليل عاملى لاحق من الدرجة الثانية على العوامل الخمسة والثلاثين مجتمعة ، تمخض عن ثمانية عوامل أكثر عمقاً ، بيانها فيما يلى، مرتبة وفق قوتها :.

١- الانبساط Exvia (Extraversion)
٢- القلق Anxiety (Neuroticism)
٣ اليقظة الذهنية(عملي واقعي Corteria ("cortical alertness," practical and realistic
٤- الاستقلالية Independence (strong loner types)
٥- الفطنة Discreetness (socially shrewd types)
٦- الذاتية Subjectivity (distant and out-of-it)
٧- الذكاء Intelligence (IQ!) .
٨- التنشئة الجيدة Good Upbringing (stable, docile, the salt of the

نظرية العوامل الخمسة The Five Factor Theory

خلال العقدين الأخيرين، تزايد عدد النظريات والباحثين الذين توصلوا إلى خلاصة مفادها أن خمسة يمثل رقماً سحرياً لأبعاد المزاج temperament dimensions . وأطلق على الإصدار الأول لهذه القائمة اسم الخمسة الكبار The Big Five ، والتى قدمها وارين نورمان Warren Norman عام ١٩٦٣، وتُعد تنقيحاً حديثاً للتقرير الفنى للقوات الجوية والذى قدمه تيوبس Tuppes وكريستال

R. E. Christal الذى قام بدوره بإعادة تقويم البحث الأصلى لكاتل عن عوامل الشخصية الستة عشر.

ولكنه وحتى ماك كرى ، و كوستا R. R. McCrae and P. T. Costa, Jr، اللذان قدما صياغتهما ، والتى أسمياها نظرية العوامل الخمسة ، فى عام ١٩٩.. والفكرة مهيمنة فى الواقع على مجتمع البحث فى الفروق الفردية .

وقدما قائمة NEO Personality Inventory .

وفيما يلي نعرض للعوامل الخمسة مع تعريف بالصفات:

١ - الانبساطية Extraversion .

- مغامر adventurous
- مؤكد لذاته assertive
- صريح frank
- عِشرى sociable
- لبق talkative

مقابل الانطوانية vs. Introversion

- هادى quiet

متحفظ reserved

خجول shy

غير مؤهلين للاندماج الاجتماعى unsociable

٢- المجاراة (الاستعداد للموافقة)Agreeableness .

- إيثارى altruistic
- دمث الخلق gentle
- كريم kind
- متعاطف sympathetic
- دافئ warm

٣- يقظة الضمير Agreeableness

- كفء competent
- قائم بواجبه dutiful

- منظم orderly
- متحمل للمسئوليةresponsible
- كامل (شامل) thorough

٤ – الاتزان الانفعالى(مأخوذ عن Emotional Stability (Norman .

- هادئ calm
- مسترخ relaxed
- متزن stable

مقابل العصابية (مأخوذ عنvs. Neuroticism (Costa and McCrae

٥- الثقافة (مأخوذ عنNorman) أو الانفتاح على الخبرة Openness to (Costa and McCraeمأخوذ)Experience

- مثقف cultured
- جمالى esthetic
- خيالى imaginative
- ذكى intellectual
- متفتح open

نموذج بى إيه دى The PAD Model

وضع البرت مهربيان Albert Mehrabian نموذجا ثلاثى الأبعاد للمزاج ، قوبل باستحسان بالغ . وهو مبنى على نموذجه ثلاثى الأبعاد للوجدانات emotions.وهو يذهب فى نظريته إلى أن بوسعك أن تصف شخصاً ما من خلال انفعال واحد بتلك الأبعاد الثلاثة :

القابلية للاستثارة ـ عدم البهجة – الاستياء pleasure-displeasure (P) السيطرة ـ الخضوع(A)القابلية للاستثارة, arousal-nonarousal) dominance- submissiveness (D) .

ويبرر مهربيان ذلك بقوله ، مادمنا نختلف من موقف لموقف ، ومن وقت لآخر على تلك الأبعاد الوجدانية الثلاثة ، فإن بعضنا يكون أميل للاستجابة بإحدى الطرق أكثر من الأخرى لاستجابات مزاجية بعينهاtemperamental .
، بمعنى أننا لدينا تهيؤ مزاجىdispositio

ويستحدم الأحرف الأولى للأبعاد اختصار اللأمزجة-Trait Pleasure : Displeasure, Trait Arousability, and Trait Dominance-Submisiveness.

"يعنى أنك بصفة عامة تشعر بمزيد من البهجة أكثر من الشعور بالاستياء وهذا الشعور يرتبط على نحو إيجابى بالانبساطية ، الانتماء ، فالحرف "P. التربية ، التعاطف، والانجاز، بينما يرتبط على نحو سلبى بالعصابية، والعداوة، والاكتئاب .

والحرف" " يعنى أنك تستجيب على نحو قوى للمواقف غير المألوفة ، والمعقدة ، والمتغيرة إنه يرتبط بالوجدانية ، والعصابية ، وفرط الحساسية ، والانطوائية ، والفصام ، ومرض القلب ، واضطرابات الأكل ، وغير ذلك كثير .

والحرف( )، يعنى أنك تشعربأنك مسيطر على حياتك . وهو يرتبط على نحو موجب بالانبساطية ، والتوكيدية ، والتنافسية ، والانتماء ، والتربية،فى حين ترتبط على نحو سلبى بكل من والتوتر والقلق، والانطوائية ، والمطاوعة ، والاكتئاب .

أوجه التماثل Parallels

بالرغم من أنك ربما تشعر بأن موضوعاً محدوداً قد لقى هذا الاهتمام الغامر من مختلف النظريات ، إلا أن منظري الشخصية _ فى الحقيقة _ كانوا يتلقون تشجيعاً لا تثبيطاً : لقد أتحفونا بكل هؤلاء المنُظرين ، والذين وان أتوا من اتجاهات سيكولوجية مختلفة ، إلا أنهم أبقوا على تناول مجموعات من أبعاد الأمزجة متماثلة إلى حدٍ كبير!

بداية ، يضع كل مُنظر الانبساط- الانطواء والعصابية/ والثبات الانفعالى / القلق ضمن قوائمهم. حتى يكاد لايوجد بين علماء نفس الشخصية شك فى ذلك !

وقد أضاف إيزينك الذهانية Psychoticism ، والتى قيمها أتباعه بوصفها عامل يصف الشخص العدوانى ، الاندفاعى ، والتماس الإثارة الحسية . وهى تماثل إلى حد كبير بعد الاندفاعية Impulsivity الذى قال به Buss & Plomin ،

وتُعد مناقضة لبعدى المجاراة Agreeableness، ويقظة الضمير Conscientiousness من العوامل الخمس الكبرى .

وتتفق نظرية Buss & Plomin على نحو تام مع نظرية شيلدن على النحو التالى : فالمخيون Cerebrotonics يكونوا وجدانيون أو عاطفيون Emotional ، والحشويون Viscerotonics يكونوا عِشريون (وغير نشطاء not Active)

وعوامل كاتل، باستثناء الانبساط والقلق ، أقل صعوبة فى إقرارها . فالإذعان يُنظر إليه بوصفه أقل شبهاً من المجاراة ، واليقظة الذهنية تمثل جزءاً ينظر إليه فى جانب محدود منه ا نقيضاً للمجاراة ؛ وُنظر للتربية الجيدة بوصفها أشبه بيقظة الضمير ، والاستقلالية ، ربما إلى جانب الذكاء Intelligence & Independence ، يمثلان فى جانب محدود منهما الثقافة Culture والذاتية Subjectivity ، واليقظة الذهنية Corteria ، والاستقلالية Independence تشبه مجتمعة ذهانية أيزنك .

وعوامل مهربيان المعروفة بـ PAD أقل من أن تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات ، مما يعطى إنطباعاً يتصل بالجذور النظرية المختلفة . ولكن بوسعنا أن نرى أن القابلية للاستثارة Arousability أقرب ماتكون للعصابية/ الانفعالية Neuroticism / Emotionality ، وأن السيطرة Dominance أقرب ماتكون للإنبساطية/ والعشرية. والبهجة Pleasure تبدو مرتبطة بالانبساطية Extraversion إضافة اللاعصابية .

الجزء الرابع

نظريات المعرفة والتعلم والتعلم الاجتماعى

- جورج كيلى
- سكنر
- بندورا
- ألبرت أليس

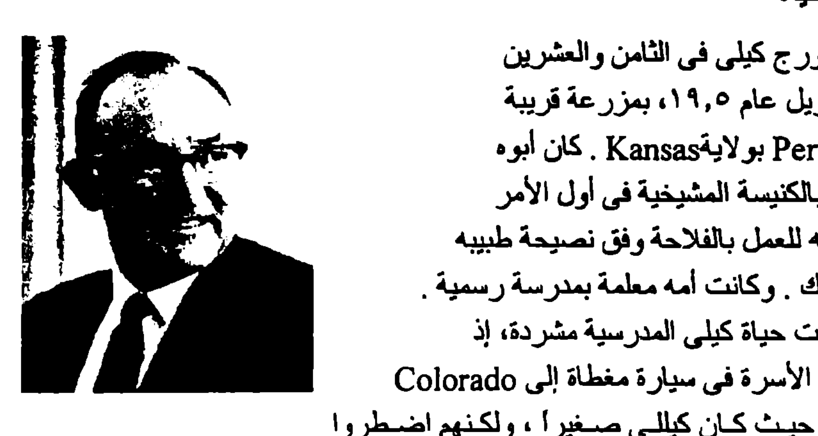
الفصل السادس عشر

جورج كيلى

George Kelley

19.5 -1967

سيرة حياة



ولدَ جورج كيلى فى الثامن والعشرين من أبريل عام ١٩,٥، بمزرعة قريبة من Perth بولايةKansas . كان أبوه كاهناً بالكنيسة المشيخية فى أول الأمر ثم اتجه للعمل بالفلاحة وفق نصيحة طبيبه له بذلك . وكانت أمه معلمة بمدرسة رسمية . لقد كانت حياة كيلى المدرسية مشردة، إذ انتقلت الأسرة فى سيارة مغطاة إلى Colorado حيث كان كيللى صغيراً ، ولكنهم اضطروا للعودة إلى كانساس عندما شحت المياه، وعلى الفور ألحق كيللى بالمدارس ذات الصف الواحد. ومن حسن الحظ أن كل واحد من والديه أسهم بنصيب فى تعليمه ولما بلغ الثالثة عشر، أرسل إلى مدرسة داخلية فى Wichita .

وبعد تخرجه فى المدرسة العليا ، كان كيلى مثالاً طيباً لمن يجمع بين الاهتمام بكل شئ، وليس له اتجاه بعينه. وحصل على درجة البكالوريوس فى عام ١٩٢٦ فى الفيزياء والرياضيات، ثم حصل على الماجستير فى علم الاجتماع من جامعة كانساس، ثم انتقل إلى مانيسوتا ، حيث درس التحدث الجماهيرى لموظفى شئون العاملين وموظفى البنوك وكذلك محاضرات فى المواطنة للمهاجرين .

انتقل كيلى إلى شيلدون Sheldon ، أيواIowl ، حيث علم ودرب على الأداء المسرحى فى كلية، وقابل زوجته Gladys Thompson ، وبعد ممارسته لبعض الأعمال لفترات قصيرة، حصل على بعثة دراسية للالتحاق بجامعة إدنبره

Edinburgh، حيث حصل على بكالوريوس التربية في تخصص علم النفس . وفى عام ١٩٣١ ، حصل على الدكتوراه فى علم النفس من جامعة ولاية أيوا .

وأثناء الكساد الذى نجم عن الإعصار،عمل فى كلية فورت هايس بولاية كا نساس، حيث طور نظريته وأساليبه الاكلينيكية. وأثناء الحرب العالمية الثانية خدم بوصفه أخصائى نفسى بسلاح الطيران مع الأسطول ، ثم أتبعها بفترة عمل بجامعة ميريلاند .

وفى عام ١٩٤٦ غادر إلى جامعة ولاية أوهايو ، وهى السنة التالية لمغادرة كارل روجرز لها ، ثم أصبح كيلى مديراً للبرنامج الاكلينكى للجامعة . حيث نضجت نظريته ، وكتب مؤلفه من مجلدين ، وأسماه سيكولوجية الصيغ الشخصية The Psychology of Personal Constructs ، وكان له تأثيره فى مجموعة من خريجى الجامعة .

فى عام ١٩٦٥ ، تسلم وظيفته البحثية فى جامعة براندايس Brandeis حيث كان يعمل ماسلو Maslow ، ومن المحزن أنه توفى سريعاً ، فى السادس من مارس ١٩٦٧.

وفى أول الأمر استخدم كيللى التدريب الفرويدى النموذجي والذي كان يتلقاه كل من يحصل على الدكتوراة آنذاك. والتزم بطقوسه من استرخاء على الأريكة، والتداعى الحر، والتحدث عن أحلامهم. وحينما لاحظ مقاومة resistances أو رموزاً للحاجات الجنسية والعدوانية نقل انطباعاته إليهم. ولكن كان مدهشاً أنه فكر، كيف تفاوتت تأويلات هؤلاء البسطاء نسبياً لمشكلاتهم. إنها ثقافتهم بكل تأكيد، ومن ثم بدت معايير فرويد شديدة الغرابة؟ فبات من الواضح أن ولاء المعالجين لفرويد لم يكن أكثر من كونه ولاءً لشخص محترف .

ولم يكن كيللى على قناعة بالتأويلات الفرويدية المعيارية. إذ وجدها تحتاج لوقت طويل، ومن ثم فهى لاتناسب حياة الأسر الريفية بكانساس. وهكذا وبمرور الوقت، لاحظ أن تفسيراته للأحلام قد أصبحت خارجة عن العرف والتقاليد على نحو متزايد، بل إنه ذهب إلى اختلاق التفسيرات ! فقد أنصت لزبائنه على نحو لم يتحقق لهم من قبل، ووثقوا فيه إلى أبعد حد، وتحسنوا ببطء مماثل لما كان يحدث مع فرويد. فبدأ يظهر له أن ماحدث حقيقة لهؤلاء الناس هو أن لديهم تفسير ما

للصعوبات التى تواجههم، وأن لهم أسلوبهم فى فهمها. وأن ماحدث هو أن الفوضى التى وقعت فى حياتهم قد أدت إلى خلق نظام ما ، واكتشف أن استقبال أى أمر من سلطة ما (المعالج) وفهمه قد يتمتع بالقبول، إلا أن أي أمر أو فهم مستمد من حياتهم وثقافتهم هم، سيكون أفضل .

وترتيباً على تلك التأملات ، طور كيللى نظريته وفلسفته ، تلك النظرية التى نحن بصددها الآن ، تلك الفلسفة التى سمّاها التباينات البنائية constructive alternativism ، وهى فكرة تعنى أنه، وبالرغم من أن واقعاً حقيقياً واحداً هو الموجود حقيقة only one true reality ، إلا أن ذاك الواقع يُدرك من منظور أو آخر أو يختلف إدراكه من بناء عقلى alternative construction لآخر .

فأنا لدىّ بنيتى العقلية، وأنت لديك بنيتك العقلية ، والشخص الموجود على الجانب الآخر من كوكبنا لديه بنية عقلية كذلك، والشخص الذى بلغ من العمر مديداً(المخضرم) له بنيته العقلية ، والإنسان البدائى له بنيته العقلية ، والعالم المعاصر له بنيته العقلية ، وكل فل له بنيته العقلية ، وحتى الأشخاص المضطربين عقلياً على نحو خطير، لهم بنية عقلية .

وبعض الأبنية العقلية (التصورات- الصيغ) أفضل من غيرها . فتصوراتى العقلية _ كما أتمنى – أفضل منها لدى أى شخص يعانى من اضطراب عقلى خطير . كما أن تصور الطبيب عن اعتلالاتى تكون أفضل – فى يقينى – من المعالج الروحانى بمنطقتنا . وبالطبع فإن تصور شخص ما لايكون تاماً على الدوام – إذ أن العالم شديد التعقيد، ومتسع جداً بحيث يتعذر على أى شخص أن يكون نظرة دقيقة وتامة له . كما لاينبغى أن نتجاهل نظرية أى شخص على نحو تام . فكل منظور يُعد فى الحقيقة منظوراً للواقع ، وله قيمته لدى هذا الشخص فى ذاك الوقت وهذا المكان .

وفى الحقيقة – وكما يقول كيللى – يوجد عدد غير محدود من التصورات البديلة التى يمكن أن يتبناها المرء تجاه العالم ، وأن تصوراتنا التى لاتعمل بشكل جيد ، بوسعنا أن نتبنى غيرها . !

وفى عام ١٩٤٦ غادر إلى جامعة ولاية أوهايو ، وهى السنة التالية لمغادرة كارل روجرز لها ، ثم أصبح كيلى مديراً للبرنامج الاكلينكى للجامعة . حيث نضجت نظريته ، وكتب مؤلفه من مجلدين ، وأسماه سيكولوجية الصيغ الشخصية

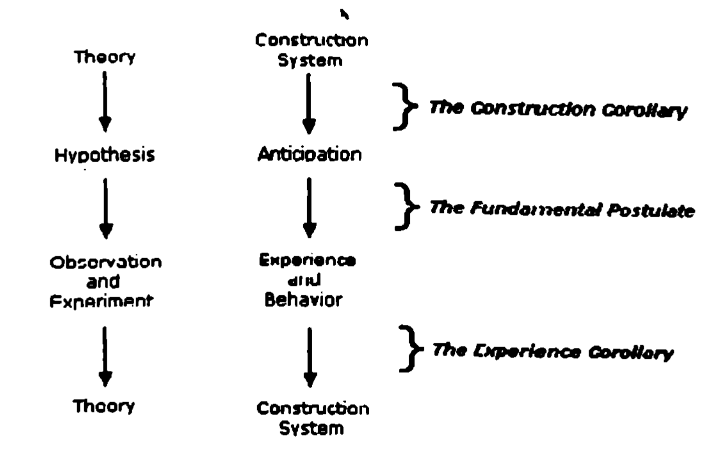
The Psychology of Personal Constructs ، وكان له تأثيره فى مجموعة من خريجى الجامعة .

فى علم ١٩٦٥ ، تسلم وظيفته البحثية فى جامعة براندايس Brandeis حيث كان يعمل ماسلو Maslow ، ومن المحزن أنه توفى سريعاً ، فى السادس من مارس ١٩٦٧.

النظرية

تبدأ نظرية كيلى بما يسميه هو الكناية المثمرة fruitful metaphor فلقد قام بملاحظات طويلة قبل أن يعرب هؤلاء المعالجون والعلماء عن إتجاههم الغريب تجاه الناس: ففى حين إعتقدوا بأنهم بأحسن حال، مالوا للتقليل من شأن عملائهم . وبينما رأوا أنفسهم بوصفهم معنيين بفنون راقية من التعليل والامبريقية، مالوا للنظر للناس العاديين بوصفهم ضحايا لطاقاتهم الجنسية أو الخبرات الشرطية القديمة . إلا أن كيلى وبفضل خبرته مع الطلاب بكانساس ، وبالريفيين ، لاحظ أن هؤلاء الناس ، هم أيضاً معنيون بالعلم ؛ وأنهم أيضاً يحاولون فهم مايجرى حولهم .

ولما كان الناس العاديون علماء هم أيضاً. فإن لديهم بنى معرفية عن واقعهم constructions، على نحو يناظر مالدى العلماء من نظريات. ولديهم أنواع من الحدس أو التوقعات anticipations or expectations ، مثلما لدى العلماء من فرضيات hypotheses ، ويقدمون على السلوكيات التى تمحص توقعاتهم ن مثلما يلجأ العلماء إلى التجارب. ويطورون صيغ فهمهم للواقع بناء على خبراتهم، تماماً كما ينقح العلماء نظرياتهم لتتواءم مع الحقائق. ومن خلال تلك الكناية (التشبيه) تأتى نظرية كيلى المتكاملة . أنظر الشكل التالى



ويمكن تنظيم أهم جوانب نظرية كيلي Kelly على النحو التالي:-

١ ـ التصنيفات العقلية في الشخصية :

والفكرة الرئيسة في نظرية جورج كيلي في الشخصية هي ما يشير إليها على النحو التالي :-

"إن تصنيفاتك العقلية هي شخصيتك"، فإذا فهمت كيف يفكر الناس how peole Think عندئذ تُقَوِّم شخصياتهم، إذا عرفت التصنيفات الفئوية التي يستخدمونها لتصنيف خبراتهم، عندئذ تعرف هؤلاء الناس، وطريقتهم في تصنيف الناس وفقا أكثر أهمية من طريقة تصنيفهم للأشياء، فالفروق الفردية تبدو أكثر وضوحا في تصنيفنا للناس مقارنة بتصنيفنا للأشياء ، تلك هي الفكرة الرئيسية لنظرية كيلي في الأبنية الشخصية personal constructs

تُعَرّف نظرية كيلي Kelly's theory باسم النظرية المعرفية cognitive theory أنها تركز على الطريقة التي يفكر بها الناس وتشير كلمة Cognitive إلى عمليات التفكير thought processes

فالشخص شخص يفكر، وفقا لما يراه كيلي، وهذه النظرية على النقيض من النظريات النفسدينامية psychodynamic theories التي تركز على الكيفية التي يكافح بها الشخص من أجل مسار ما يحتاجه الإنسان، أو ما يكون الشخص مدفوعا به drivene. وتختلف كذلك عن النظريات الانفعالية affective theories مثل نظرية روجرز Rogers ،والتي تركز على أهمية المشاعر،إذ

نجد نظرية كيلي معنية بالمشاعر feelings، وبطريقة غير مباشرة بالدوافع motives ، ولكن تأكيدها الأساسي ينصب على كيف يفكر الناس How people think .

كما يشير مصطلح معرفي cognitive إلى العمليات التي تمكننا من فهم وتفسير الخبرة .ويستخدم كيلي واحدًا من أحب مصطلحاته في هذا الموضوع وهو كلمة Construe، ويعني تفسير أو فهم interpret or understand ، ولو أننا ربما نكون أكثر ألفة بصيغته السلبية negative form وهي تسئ الفهم misconstrue ، والتي تعني عدم الفهم misunderstand ، وعلى أية حال يقول كيلي Kelly أن العقل ينهمك دومًا في عملية تركيب الواقع والأشياء التي تقع لنا، وأننا بالتالي نحاول أن نكون معنى لها، اي نجعلها موضوعًا للتفسير . ومن ثم نعيها ونميزها .

الأبنية الشخصية : Persoual Constructs

ولكننا لا نستطيع بالطبع أن ننفذ إلى نقطة البداية scratch في عملية تصنيف كل حدث مما يقع لنا Constructing every event فخبرتنا السابقة تنبئنا بأن بعض الأحداث متشابهة والنتيجة المنطقية هي أنه عندما تقع حادثتان متشابهتان، فأن الأولى منهما تمدنا بكيفية فهم الحديث الثاني، ومثل هذه الطرق الجاهزة ready made ways للتصنيف construct لا تزيد عن كونها مصنفات فئوية pigeonholes، أو الفئات categories ، ونتحدث هاهنا عن التصنيفات الشخصية persond constructs ، كما يسميها كيلي، ما الذي يعنيه كيلي بهذا الاصطلاح personal constructs ، أهي الفئات التصنيفية العقلية مثل أمين – خائن، لم مناضل – خاضع . أنها (نظم – بني) أو أطر عمل عقلية mental frameworks نبنيها على أسس من خبرتنا السابقة Mental frameworks we build on the basis of our past experience من أجل أن تساعدنا في تفسير interpret أو تنظيم construe ما يحدث لنا فيما بعد وفقا لها . إننا نبنيها بأنفسنا : فكل واحد منا يشيد صرحا من الفئات التصنيفية في عقله. لقد اختار كيلي مصطلح personal construct بعناية شديدة . فنحن نبتني صروحنا البنيوية العقلية construct our pigeonhole edifice ، نحن نبنيها على أساس من خبرتنا وهذه التصنيفات (الأبنية) شخصية أيضا، إذ أن البناء العقلي لكل شخص هو بناء فريد unique ، يختلف عن أي بناء أخر .

بينما يشير اختيار كيلي لمصطلح construe (يبني – ينظم – يصنف)، إلى ملاحظته لأن صورة الواقع لدى كل شخص هي بمثابة بناء each person's picture of reality is a construction فجميعنا بنهمك – على الدوام في تفسير الواقع intepreting reality فأنا لا أعرف على نحو يقيني ما إذا كانت ذات (الباحث الميداني الموجود ببابي ، أمين أم خائن، مناضل أم خاضع، إلخ ولكني أرسم صورة رسم تخطيطي به مجمل شخصيته Personality sketch له تكاد تكون مطابقة. وسواء كان تصويري مطابقا للواقع، أو سواء كانت صورتي عنه غير دقيقة ، فأني لا أستطيع أن أعرف ذلك في نفس اللحظة ، ولكن هذا يُعد شيئا رائعًا ،لأنه بناء شخصي ذاتي ، إنه ليس حقيقة موضوعية it is not objective reality فكل تفسير هو بناء . فكلا الكلمتين لهما نفس الجذور، وهذا ما يقوله كيلي من أننا نفسر ونصنف الأشياء التي تحدث لنا باستخدام نظام الأبنية الشخصية.

الأبنيـة العقليـة كفرضـيات مؤقتـة : Constructs As Tentative Hypotheses

إن الأبنية Constructions التي نستخدمها في تمييز ووصف الواقع إنما هي مؤقتة، على سبيل الافتراض، Hypothetical ، عندما أصنف الباحث كأمين Honest ، أدعوه إلى داخل منزلي، أكون مدركا حينئذ أن تصوري Construct قد لا يطابق الواقع على نحو دقيق . إني افترض ببساطة أنه أمين، وأظل متيقظا بعدئذ لأي دليل يدعم أو يدحض ذاك الافتراض وقد أحاول ايضا اختبار هذه الفروض على نحو فعال، بأن أطلب مزيدًا من التعريف بنفسه، أو أن أجري اختبارا سريعاً Quizzing للرجل حول القضايا البيئية.

وفي ضوء ما اكتشفه وفي ضوء ما تسفر عنه المقابلة، قد أعدل وانقح فرضياتي . بكلمات أخرى، يُعد التصنيف (البناء) نشاطًا ناميًا متطورًا ongoling activity، نشاطا ننهمك فيه مع كل دقيقة مادمنا على قيد الحياة، وأحيانا ننشئ تصوراتنا (بنانا العقلية) constructs بثقة نسبية، فلربما أكون إلى حد بعيد من أنه أمين . وفي مثل هذه الحالة فإن عملية البناء (المتصورة لا تبدو لي على أنها فرضية hypothetical ولن أقوم بأي جهود مقصودة (واعية – شعورية) conscious efforts لاختبار صحتها . وإن ظللت قادرًا على تعديلها، وخاصة، إذا وردت إلى ذهني أدلة وافية تنقصها، باختصار، فأن تصوراتنا (أبنيتنا)

الشخصية personal constructs هي بمثابة تخمينات sugesses أو حدسيات hunches حول طبيعة الواقع nature of reality ، هي فرضياتنا التي تثبت أو تنتفي بخبرتنا المستقبلية future experience .

ونظرا لطبيعتها الافتراضية hypothetical nature ، فإن ابنيتنا الشخصية تتبني نظرة مستقبلية forward – looking ، فتكون ذات توحد مستقبلي وتوقعي Future – oriented and anticipatory إضافة لكونها وصفية descriptive ، حقا إن غايتها هي تمكينها من فهم ما يحدث في هذه اللحظة بينما المستهدف من ذلك الفهم ليس مشبعًا لفضولنا العقلي، فتساعدنا التصورات (الأبنية) الشخصية على التوقع ، وعلى التنبؤ بأحداث المستقبل والتخطيط لإستراتيجياتنا الخاصة، أني لست معنيًا بمعرفة ما إذا كان الباحث المتجول أمينًا أم غير أمين لمجرد البحث عن المعرفة. أني أسعى إلى توظيف هذه المعرفة على نحو خاص: أعني التنبؤ بما إذا كانت إجاباتي على استبيان الدراسة ستكون ذات تأثير في السياسة العامة، أم ما إذا كان منزلي سيصبح مسطوًا عليه بعد عدة ليالٍ من قبل هذا الرجل. أننا نتصور construe الواقع من أجل تهيئة أنفسنا للتعامل مع الأحداث. فالأبنية (التصورات) الشخصية هي بمثابة ميكانيزمات البقاء survival mechanisms .

الأبنية (التصورات) كمرشدات للسلوك . constructs as Guides for behawior

إننا نتصرف وفقا للكيفية التي نتصور بها الأحداث We behave according to how we construe events ، فلو أني راجعت فروضي في الوقت الذي غادر فيه المستفتي بيتي – وتصورته construed him بوصفه شخص غير أمين dishonent اعتمادا على ادعائه بأنه فقد هويته (بطاقته)، وجهله شبه التام بالقضايا البينية، فلربما أخذت مزيدا من الحذر لأسبوع أو اثنين – وأترك الأضواء الخارجية مضاءة طيلة الليل، وأطلب من الجيران أن يكونوا يقظين، فلربما وصل الأمر لشراء جهاز الإنذار.

إن تصور واقعة ما أشبه ما يكون بتحريك مقود السيارة : إنه يقود المركبة لاتجاه يعنيه، أو لإتجاه أخر نتحرك صوبه في المستقبل .

ولكن أحد الاتجاهات قد لا يكون أحسن من غير. فالسير في اتجاه ما قد يحقق لك غايتك بسرعة، وعلى نحو مريح، ويدون استهلاك لمزيد من الوقود. والتحرك لمسار آخر قد يؤدي بك إلى النهايات القاتلة بكل أنوعها. ويضطرك لإعادة السير مرة أخرى وأخرى. وطريق ثالثة قد تورطك في سلسلة من الحوادث.

ولما كانت الطريق التي سنتوجه بها سلوكك المستقبلي behauior future تعتمد على الكيفية التي تتصور بها construe الموقف الحالي، فإن بعض التصورات حتما تعمل أفضل من غيرها .

ولم يعن كيلي Kelly بما إذا كانت أبنية (تصورات) شخص ما دقيقة أو حقيقية إلى أبعد حد ممكن، أم ذات معنى فلسفي وكان المحك الوحيد هو ما إذا كانت هذه التصورات تعمل بفاعلية وكفاءة في توجيه سلوك هذا الشخص تجاه غاياته المفضلة أم لا . أن لدى كل شخص بعض التصورات التي تعمل على نحو جيد ، وبعضًا منها قد تجعلنا نفقد طاقاتنا، بل وربما تؤدي بنا إلى الاضطراب، والأكثر من ذلك ، لا يوجد شخصان يتمتعان بنفس التنظيم من التصورات تمامًا . (ما علاقة ذلك بالسمات) no two people have exactly the same system of constructs . فبعض الناس لديهم نظام يعمل بكفاءة people have a system that works wery effectively ، بينما أخرون لديهم نظام للتصور من شأنه أن يقدم صاحبه للإحباط المتتالي، وخيبة الأمل، والكرب.

ولعل التفاؤل optimism والتشاؤم pessimism خير نموذجين لأسلوب التفكير والتصور الذي يقود صاحبه إلى التكيف أو إلى سوء التكيف في ظل ظروف الحياة الضاغطة، الأمر الذي أفرز لنا فردية جلية في قدرة الأفراد على مقاومة الإنضغاط ، بينما يعاني البعض أثار المرض من مجرد التعرض لمستويات خفيفة من الانضغاط ، يتحملها أخرون بعزيمة واضحة *

* Robert A. Baron "psychology the essential science, ALLYN And Bacom, Massachusettes , U.S.A First Edition P. 331 - 332 . .

المسلمة الأساسية : The fundamental postulate

لقد نظم كيلى نظريته من خلال مسلمة رئيسية تترتب عليها نتيجتان ، وتقول مسلمته "أن المعالجات المعرفية لشخص ما إنما تكون موجهة بالطرق التى يتوقع بها الأحداث ." (وتلك المسلمة وكل مايترتب عليها من تساؤلات مستمدة من كتاب كيللى،١٩٥٥، بعنوان سيكولوجية البنى الشخصية The Psychology of Personal Constructs. وتعد تلك هى الحركة الرئيسية فى المعالجة العلمية : انتقالاً من الفرض إلى التجربة أو الملاحظة ، أى من التخمين إلى الخبرة والسلوك .

ويقصد كيللى بالمعالجات، خبراتك، أفكارك، مشاعرك، سلوكياتك وكل مايترتب عليها. كل ماتقدم يكون محدداً، ليس فقط بالواقع الخارجي، ولكن يتحدد بجهودك التى تبذلها لتتوقع العالم، والأشخاص الآخرين، بل وبنفسك أنت من لحظة لأخرى وكذلك من يوم لآخر، ومن سنة لأخرى .

فإذا مانظرت من النافذة لأتعرف على مصدر ضوضاء شديدة ، فأنا لم أر بدقة ولا على نحو تام ماوقع هنالك .إننى أرى ما أحتفظ به بداخل توقعاتى . فقد أكون مهيئاً للطيور، أو لأطفال يضحكون ويلعبون . ولم كن مُعداً لجرافة تعمل بضجيج زائد، وليس الصخب العادي، وليس طبقاً للفنجان وقع على الأرض بمقربة منى. فإذا كانت تلك الجرافة هى مصدر الضوضاء فى الحقيقة ، إلاإننى لم أدركها على حقيقتها فى أول الأمر. لقدأدركت شيئً ما. لقد كنت مرتبكاً وفزعاً. لقد حاولت أن أفهم مأأراه. فانخرطت فى كل أنواع السلوكيات التى من شأنها أن تساعدنى على فهمه، أو أن أنصرف عما سبب لى هذا القلق.! وبعد فترة يكون بوسعى أن أتوصل إلى الحدس الصحيح، أى الفرض الصحيح : "يا إلهى ،إنها الجرافة!"

وإذا كان موقع الجرافة UFO مكاناً مألوفاً فى منطقتى، فإنى بمجرد أن اسمع ضوضاء عالية فهل سأتوقع طيوراً، أو أطفالاً، أم اجرافة، لتكون تخميناً يجلى لى سريعاً وبنظرة عابرة مايحدث هنالك .

بدهية الصيغة construction corollary

"أي شخص أن يتوقع الأحداث عن طريق صياغة أصداء خبراتهم" و هكذا فإننا نبنى توقعاتنا باستخدام سابق خبراتنا . فنحن بالأساس كائنات محافظة conservative creatures(نقاوم التغيير)، نتوقع أن تحدث الأشياء على النحو الذى حدثت به من قبل . نحن نبحث عن النماذج النمطيةpatterns ، الاتساقات ، فى خبراتنا . فإذا ماضبطت منبهى ، فإنى أتوقع أن جرسه سيدق فى الوقت الصحيح، كما كان حاله منذ أمد طويل . وإذا تصرفت على نحو لطيف تجاه شخص ما فإنى أتوقع أن يتصرف تجاهى بلطف مماثل .

وتلك هي مرحلة من النظرية لصياغة الفرض، أي الانتقال من نظام التصور construction system (المعرفة، الفهم) إلى التخمين .

بدهية الخبرة The experience corollary

يتفاوت نظام الصياغة لدى الفرد بقدر ميفسر بنجاح تكرار الأحداث . فعندما لاتحدث (تقع) الأمور على النحو المعتاد لها فى الماضي، فإنه يتوجب علينا نتكيف أى أن نعيد البناء (الصيغة) . فالخبرة الجديدة تغير من تخميناتنا فى المستقبل .

وتأتى الخطوة (المرحلة) للانتقال من التجربة والملاحظة إلى الاقرار بالصدق أوإعادة بناء الصيغة reconstruction : بناءً على نتائج تجربتنا – والسلوك الذى تصرفنا به – أو ملاحظتنا – والخبرات التى لدينا – فإما أن نستمر فى الايمان بنظريتنا عن الواقع ، أو أن نغير نظريتنا.

بدهية الفصل بين المتناقضات The dichotomy corollary

"إن نظام بناء الصيغة لدى أى شخص إنما يتضمن عدد محدود للغاية من البنى المتناقضة dichotomous constructs" إننا نُخزنخبرتنا فى صيغة بُنى constructs ، والتى أشار إليها كيلى بوصفها مفاهيم مفيدة "useful concepts," أو روايات مريحة"convenient fictions," وقوالب واضحة "transparent templates." فتضع تلك القوالب فى عالمك الشخصى ، فتوجه إدراكاتك وسلوكياتك.

وغالباً مايستخدم كيللى مصطلح الصيغ الشخصية personal constructs ، مشدداً على حقيقة أنها خاصة بك وبك وحدك، متفرد أنت بها دون غيرك. إن البنية (الصيغة) ليست علامة ولا برجاً للحمام أو بُعداًمن الأبعاد كطول أو ارتفاع أو ... وأنا كاخصائى نفسي، وحتى أنت كشخص غير متخصص. إنها أشبه بجزء صغير من الكيفية التى ترى بها العالم .

كما يطلق عليها كيللى البنى ثنائية القطب bipolar constructs ، مشدداً على طبيعتها المتناقضة أو المتضادة. إذ لهما نهايتان، أو طرفان: فحيثما تكون النحافة تقابلها البدانة، وحيثما يوجد الطول يوجد القصر، وحيثما يوجد الأعلى يوجد الأدنى ، وهكذا. فإذا كان كل الناس بُدناء فإن البدانة حينئذ لاتعنى شيئاً أم أنها تعنى ذات الشيء لدى كل الناس . إن بعض الناس ينبغى أن يكونوا نحيفين حتى يصبح للبدانة معنى ما، وهكذا دواليك.

وبالرغم من أن مسلمة المتناقضات موغلة فى القدم ، منذ أيام الصينيين القدامى، الذين صاغ فلاسفتهم ما أطلقوا عليه مصطلح ال yin وال yang وهما متناقضان، ومعاً يكونان الكل التام. وحديثاً، يتحدث كارل يونج عن ذلك بإسهاب. وقد قبل اللغويون والأنثروبولوجيون بوصفه جزءاً من اللغة والثقافة .

إن عدداً من علماء النفس، ومنهم علماء الجستالت، قد أشاروا إلى أننا غالباً مانربط بين الأشياء المنفصلة بوصفها أشياء مختلفة متمايزة عن الخلفية . ففى أول الأمر أنت ترى مادة غير مميزة ومتصلة ("تشويش وتداخل شديد"كما يسميها وليام جيمس). عندئذ تتعلم تجريد الموضوع إلى أشياء بوصفها هامة ، وذاك مايؤدى إلى بروز الاختلاف، مما يوفر لك معنىً ما. فالطفل الصغير لايهتم بما إذا كنت بديناً أم نحيفاً ، أسود أم أبيض، غنياً أم فقيراً. يهودياً أم وثنياً ؛ ولكن ـ فقط ـ حينما ينقل له المحيطون به تحيزاتهم prejudices ، يبدأ الطفل فى ملاحظة تلك الأمور .

والعديد من الصيغ(لقوالب) constructs لها أسماء أو يسهل تسميتها: جيد - ردئ؛ سعيد - حزين ، منطوى - منبسط ، مصباح فلورسنتى - أو ساطع ... وهى ليست بحاجة لتلك التسميات ! إذ لاتقبل التسميات .

الأطفال ، حتى بين الحيوانات ،لديها صيغ: طعام أحبه ، وطعام ألفظه ، شئ خطر مقابل شئ أمن ، الوالدة أم شخص غريب .

ومن المحتمل، أن يكون معظم صيغنا غير لفظية non-verbal . فكر فى كل العادات التى لديك والتى لتستطيع أن تضع لها سمياً ، مثل تلك الحركات التفصيلية المتضمنة فى قيادة السيارة . فكر فى الأشياء التى تعترف بوجودها ولكنك لاتعرف لها إسماً ، مثل ذاك البنية الموجودة أسفل أنفك ؟ (إنها تُسمى philtrum) أو فكر بشأن المشاعر الرقيقة " عندما تهوى فى الحب) .

وهذا أقرب مايمكن لما يميز بينه كيللى بوصفه العقل الشعورى والعقل اللاشعورى : فالصيغ التى لها أسماء تكون أيسر فى التفكير بها .

بدهية التنظيم organization corollary :

" يطور كل شخص وعلى نحو مميز نظاماً يناسبه لتوقع الأحداث، نظاماً للبناء يتقبل العلاقات الطبيعية بين الصيغ (البنى)"

إن الصيغ ليست مجرد صفات هائمة حول الأشياء غير ذات الصلة . إذا كانت كذلك، فإنك لن تستطيع استخدام أى من المعلومات أو استخلاص بعضها من بعض -- لن تكون قادراً على التوقع !

وبعض البنى تكون ثانوية، أو مندرجة تحت بنى أخرى. فيوجد نوعان، فبداية يوجد نوع رئيسى للتصنيف، مثل أشجار trees الحياة الحيوانية أو الحياة النباتية التى تعلمتها فى دروس البيولوجى بالمرحلة الثانوية. فتلك الكائنات الحية مقابل الكائنات غير الحية، مثال على ذلك؛ السلسلة المنتفرعة عن الكائنات الحية من نباتات، مقابل الحيوانات، تحت النباتات، توجد الأشجار مقابل الأزهار، تحت الأشجار، توجد أشجار حولية، وأخرى فصلية، وهكذا .

تصور، أن تلك صيغ شخصية ، وليست صيغ علمية، وأن ذلك التصنيف شخصى تماماً. وقد يكون هو نفس التصنيف العلمى الذى تتلقاه فى دروس البيولوجى أو كان مختلفاً عنه . ساظل ميالاً لاقتناء نوع من الشجر يدعى أشجار عيد الميلاد .

```
animals -- plants
             |
      flowers -- trees
                   |
          deciduous -- conifers
                           |
          Christmas trees -- others
```

كما يوجد نوع إيضاحى من التصنيف، يعرف باسم البرج constellation والذى يشتمل على كومة من الصيغ، بكل أقطابها الثنائية. مثال على ذلك، أسفل صيغة الأشجارتوجدأشجار حولية مقابل أشجار فصلية، يمكن أن نجد خشب لين مقابل خشب صلب، أوراق إبرية، مقابل أوراق مفلطحة، وأوراق مخروطية مقابل أوراق زهرية، وهكذا .

conifers -- deciduous
| |
soft-wood -- hard-wood
| |
needle-bearing -- leaf-bearing
| |
cone -bearing –flower -bearing

ويعد هذا أساساً لعملية التنميط :"فنحن" جيدون، نظيفين،وبارعون، وعلى خلق، وما إلى ذلك، والآخرون سيئون، قذرون، أغبياء، ولاأخلاقيون وهكذا .

وبعض الصيغ تكون مستقلة عن بعضها البعض. النباتات – الحيوانات منفصلة عن مصباح فلورسنت- مصباح ساطع ، كمثال واضح على ذلك .(يعنى اختلاف نوعى لا كمى)

وأحياناً، تكون العلاقة بين صيغتين وثيقة للغاية. فإذا كانت إحدى الصيغتين مستخدمة باستمرار للتنبؤ بالأخرى ، فإن لديك صيغة وثيقة الصلة. ويُعد التعصب مثالاً على ذلك : فبمجرد أن يكون لديك وصف لشخص ما، فإنك تفترض أشياء أخرى بشأن هذا الشخص . فأنت" تقفز إلى الخلاصاتconclusions "

وحين نمارس العلم فإننا نحتاج استخدام الصيغة المحكمة tight construction ، وهذا مانسميه بالتفكير الصارم "rigorous thinking," وهو

أمر مفيد. فمن يريد أن يصبح مهندساً ليبنى الكبارى فإنه لايستطيع ذلك إلا باستخدام القواعد العلمية. والأشخاص الذين يعتقدون بأنهم واقعيون يفضلون غالباً الصيغة المحكمة .

وإن كانت خطوة واحدة تفصل بين الشخص الواقعى الصارم وبين الجمود. وذاك الجموديمكن أن يصبح مَرضياً فالشخص الوسواسى القهرى يجد لزامْ عليه أن يؤدى الأشياء على ذلك النحو فقط ، وإلا كان صريعاً للقلق .

ومن جهة أخرى، يمكن أن تكون العلاقة بين الصيغ (البنى العقلية) قد استقرت على نحو غير مستقر : يوجد إتصال نعم ، ولكنه ليس جوهرياً أو تاماً، وليس ضرورياً بدرجة كافية. والصيغة غير الثابتة تُعد طريقة أكثر مرونة لاستخدام الصيغ. فإذا سافرنا لبلد أجنبى - مثلاً – ولدينا تصورات مسبقة preconceptions عن أهله، فإن تلك التصورات القبلية ستكون بمثابة تنميطات جامدة prejudicial stereotypes إذا استخدمناها على نحو تعسفى أو بصرامة. أما إذا استخدمنا تلك التصورات القبلية على نحو مرن، فإنها تساعدنا فقط على التصرف على نحو مناسب فى تلك الثقافة .

مثال : لو أن السائح الأجنبى لديه تصور مسبق عن استغلال المصريين العاملين بمجال السياحة للسائحين، فإنه لو احتفظ بذلك التصور بصورة مطلقة ربما لايسافر لمصر أو ربما يكتنب إذا وصل لمصر وتعامل وفق هذا التصور المسبق، او تشاجر عند كل تعامل !!!! أما إذا جعل هذا التصور المسبق حراً طليقاً يأخذه فى الاعتبار حتى لايكون ضحية استغلال إلى جانب الاستمتاع بزيارة مصر فهنا تتأكد أهمية التصورات المرنة للتكيف الانسانى .

بدهية المدى range corollary (الماصدقات)

"وهى صيغة مناسبة فقط لتوقع المدى النهائى للأحداث." ولاتوجد صيغة تفيد فى كل شئ. فصيغة النوع gender (ذكر- أنثى) هى بالنسبة لمعظمنا، شئ هام فقط للاستخدام مع البشر وعدد محدود من الحيوانات العليا كالحيوانات الأليفة والأنعام. وقليل منا من يهتم بنوع الذباب، أو السحال ، أو الحيوانات الثدية المدرعة armadillos . وأعتقد أن لاأحد يطبق مفهوم النوع على التشكيلات الجيولوجية أو الأحزاب السياسية. فهذه الأشياء هى أبعد ماتكون عن مدى مايتناسب مع صيغة النوع .

وبعض الصيغ تكون شاملة للغاية ، comprehensive أو واسعة في استعمالها .حسن- سئ ربما تُعد من أكثر الصيغ شمولية على الاطلاق ، فيمكن أن تستخدم مع أى شئ تقريباً ، وبعض الصيغ تكون عرضية أو طارئةincidental ، أو محدودة للغاية مثل . مصباح فلورسنتى – مصباح متوهج ، فهى صيغة ضيقة بكل المقاييس . وهى قابلة للاستخدام فقط مع زجاج المصباح .

ولكن لاحظ أن مايعد ضيقاً نسبياً بالنسبة لك ربما كان أوسع نسبياً بالنسبة لى. فعالم الأحياء قد يكون معنياً بجنس الذباب ، والسحالى، والثدييات المدرعة، وأشجار التفاح وغير ذلك. وقد يُقصر الفيلسوف استخدامه للجيد -السئ على سلوكيات أخلاقية بعينها ، بدلاً من استخدامها لكافة الأنواع من الأشياء ، الناس ، أو المعتقدات .

بدهية التعديل (التكييف) modulation corollary :

التفاوت فى نظام الصياغة لشخص ما يكون مُحدداً بنفاذ الصيغ (البنى) ضمن تلك البنى التى لها مدى من المناسبة(الملائمة) لتأخذ شكلاً أخر .

بعض الصيغ تكون "نشطة" وهى تعدل (تكيف) modulate تكون نافذة، والتى تعنى أنها تكون مفتوحة لمدى متايد. وصيغ أخرى تكون غير نافذة impermeable نسبياً .

مثال على ذلك ، الجيد- السئ ، يُعدُ شديد النفاذ عامة لدى غالبيتنا . كما أننا نضيف أيضاً عناصر جديدة: ربما لم تسبق لنا رؤية الكمبيوتر إطلاقاً من قبل ، أو مشغل الأقراص المدمجة، أوجهاز الفاكس، ولكن بمجرد أن نراه، نود أن نعرف النوع الأفضل لنشتريه . وبالمثل، الشخص الذى ينظر حوله باحثا عن صخرة بالرغم من عدم توافر مطرقة ، نجده يستخدم الصيغة المتصلة ب "الأشياء التى يمكن أن يُطرق بها" على نحو قابل للنفاذ .

ومن جهة أخرى، فإن صيغة مصباح فلورسنتى – مصباح متوهج تعد غير نافذة نسبياً : فهى قابلة للاستخدام مع الإضاءة ، ولكنها قليلة القبول فى أى شيء أخر .

بدهية الاختيار choice corollary :

فـأى شـخص يختـار لنفـسه ذاك البـديل مـن صـيغة المتناقـضين dichotomized construct فـى ضـوء التوقعـات الأكثـر احتمـالاً مـن أجـل أن يوسع نظامه ويجعله أكثر تحديداً.

وبالرغم من تلك الصيغ، وكل تلك الثنائيات القطبية، فإلى أى مدى نختار سلوكياتنا؟ يرى كيللى أننا سنقدم على فعل ماتعتقد أنه يُدعم نظام بنائنا (صياغتنا)، وهو مايحسن فهمنا ، اعتماداً على مايمكننا تحمله أو فعله، بل على قدرتنا على صياغته، وتفسيره ،من ذلك الواقع. كما أننا سنختار التفسير الذى نعتقد بأنه سيساعدنا على المزيد .

وبصفة عامة، فإن خياراتنا تكون بين بديلين أحدهما يحمل مخاطرة ما والأخر أمن. ولكن بوسعنا أن نحاول أن نوسع من فهمنا لهذا الأمر، فتصور أن شخصاً من الجنسيين الغيريين heterosexual يتفاعل من خلال المشاركة فى الحفلات، مفضلاً خيار المخاطرة adventurous choice

والسعى لمعرفة المزيد من الأشخاص، وتطوير المزيد من العلاقات ، وما إلى ذلك.

وعلـى الجانـب الأخـر، قـد نفـضل تـدعيم فهمنـا باسـتخدام الخيـار الأمـن security choice : بالبقاء بالبيت، التفكير بشأن الأخطاء التى وقعت فى آخر علاقة فاشلة، السعى للتعرف على شخصية أفضل. إن كل خيار ستختاره سيتوقف على ماتعتقد بأنك فى حاجة إليه.

ومع استمرار كل تلك الخيارات لك أن تتوقع أن كيللى لديه شئ ما يريد قوله بشأن الإرادة الحرة free will مقابل الجبرية determinism . وهو كذلك بالفعل وإن قالها على نحو شيق للغاية: فهو يقول أن الحرية بوصفها مفهوم نسبى .فنحن لسنا أحراراً ولسنا غير أحرار" We are not free"or "unfree " فبعضنا أكثر حرية من الأخرين؛ ونكون أكثر حرية فى بعض المواقف دون مواقف أخرى ؛ ونحن متحررون من بعض القوى أكثر من تحررنا من قوى أخرى، كما أننا أكثر حرية فى ظل بعض الصيغ (البنى) المعرفية دون الأخرى .

بدهية التفرد individuality corollary :

"يختلف الأشخاص عن بعضهم البعض فى تصورهم عن الأحداث"

نظراً لما لدى كل شخص من خبرات مختلفة ، فإن تصور كل شخص عن الواقع يكون مختلفاً. تذكر أنه يسمى نظريته نظرية التصورات (الصيغ أو البنى) الشخصية the theory of personal constructs . وكيلى لايوافق على نظم التصنيف ، ولا عن أنماط الشخصية ، أو اختبارات الشخصية .فإن اختباره المدرج "rep test,"الشهير ، وكما سترى ليس اختباراً بالمعنى التقليدى على الإطلاق .

بدهية الشيوع (التشارك) The commonality corollary :

بقدر المدى الذى يمكن للمرء أن يوظف صيغة الخبرة التى تكون مماثلة لتلك الخبرة الموظفة من قبل شخص آخر، تكون معالجاته النفسية مماثلة لنظيرتها لدى ذاك الشخص الأخر .

وذلك ببساطة لأننا وإن كنا جميعاً نختلف عن بعضنا البعض، لايعنى بحال أننا لايمكن أن نتشابه .فإذا كان نظام تصورنا – وفهمنا للواقع –متشابه، فستكون خبراتنا متشابهة كذلك، وسلوكياتنا ومشاعرنا. لعل هذا مايفسر الشخصية أو الطابع القومى خاصة فى المجتمعات الشمولية !!!! مثال على ذلك ، إذا كنا نتشارك نفس الثقافة، فسنرى الأشياء بطريقة مماثلة ، وسنكون متقاربين جداً، وسوف نكون متشابهين إلى حدٍ بعيد .

وفى الحقيقة، يرى كيللى أن أننا ننفق وجانباً كبيراً من وقتنا فى التماس الشرعية من الأشخاص الآخرين. سواء على مستوى العلاقات العاطفيةأو بين أطفال الروضة أو بين أفراد الجانحين من المراهقين أو بين جماعة عنصرية ما أو حتى بين أعضاء مشاركين فى مؤتمر علمى ما. فنحن نبحث عن المساندة من الأشخاص المتشابهين معنا. إذ هم وحدهم الذين يقدرون حقاً مانشعر به !

بدهية التجزئ fragmentation corollary :

" فقد ينجح شخص ما فى توظيف مجموعة من نظم التصورات التى قد تكون متنافرة فيما بينها"

وتقول بدهية التجزئ بأننا يمكن أن نكون على حال من التناقض فى داخل أنفسنا . وهذا الشخص – فى الواقع – يكون نادراً، إذيجمع كل ذلك ويوظفه ، طوال

الوقت وفى كل الأماكن ، كشخصية موحدة (متماسكة) إلا أننا جميعا – على وجه التقريب- لدينا أدوار مختلفة نلعبها فى الحياة : فأنا رجل، كزوج، كأب، كابن ، كأستاذ، وأنا شخص أنتمى لعنصر معين، ومتدين وسياسى، ولى توجهات فلسفية، وأحياناً أكون مريضاً ، أو ضيفاً، أو مجنداً أو مستهلكاً . وأنا لايمكن أن أكون نفس الشخص فى كل تلك الأدوار المختلفة .

وغالباً ماتكون الأدوار منفصلة فى ضوء ظروف وملابسات كل منها. فالرجل قد يعمل شرطياً بالمساء ، ويتصرف بخشونة ، وبسلطوية ، وبكفاءة . ولكنه بالنهار، قد يكون أباً .دمثاً، ورقيقاً ، وحانياً. ونظراً لأن الملابسات تبقى منفصلة، فإن الأدوار لاتتصارع مع بعضها. إلا أن رحمة الله تمنع الشخص من أن يكون مضطراً لاعتقال طفله ! أو أن الأم قد تُلاحظ وهى تُعامل طفلتها كما لوكانت راشدة ولو لدقيقة، فتنهرها بشدة، ثم تضمها كطفلة فى الدقيقة التالية. والشخص الملاحظ لذلك قد يدهش لعدم الاتساق هذا. ومع ذلك فإن تلك الحالة من اللااتساق – لدىمعظم الناس - تتكامل فى المستويات الأعلى : فالوالد قد يعبر فى كل حالة عن حبه أوحبها لطفله واهتمامه بسعادة طفله .

إن بعض أتباع كيللى أعادوا طرح فكرة ما قديمة إلى دراسة الشخصية ، وهى أن كل واحد منا بمثابة مجموعة من الذوات community of selves ، وليست ذاتاً واحدة بسيطة . وقد تكون تلك حقيقة . وذلك بالرغم من أن منظرين لأخرين يذهبون لافتراض أن شخصية أكثر وحدة ربما كانت صحية أكثر ، وأن تعدد الذوات يكون أقل مدعات للراحة لدى متعددى الشخصية !

بدهية الاجتماعية sociality corollary :

"بقدر المدى الذى ينشئ به الشخص معالجات بناء لدى شخص آخر بقدر مايمكنه لعب دور ما فى عملية اجتماعية تضم الشخص الآخر ."

حتى وإن كنت مختلفاً عن الأخرين ، بوسعك أن تظل مرتبطاً بهم . بإمكانك – حقيقة- " أن تتصور كيف يتصور الأخر" "استخرج نفسيته" "إدخل رأسها" إعرف من أين أتت ، واعرف مالذى تقصده، بعبارة أخرى، بوسعى أن أتخلى عن جزء من شخصيتى وأنحيه جانباً (وذلك ممكن فى ضوء بدهية التجزئ) لتكون أى شخص آخر to "be" someone else .

وهذا جزء هام من لعب الدور role playing ، نظراً لأنك حينما تؤدى دوراً ما ، فإنك تؤديه تجاه أو مع شخص آخر . وذاك الأخر أنت بحاجة لن تفهمه من أجل أن ترتبط به . وقد اعتقد كيللى بأن هذه البدهية هامة للغاية حتىأنهاطلق على نظريته نظرية الدور ... وفى الحقيقة هذه التسمية مأخوذة من مدرسة الفكر الاجتماعى التى أسسها جورج ميد George Herbert Mead.

المشاعر Feelings :

لقد عُرضت النظرية بوصفها معرفية صرفة، فمع كل تأكيداتها على التصورات (الصيغ)، والكثير من الناس قالوا بذلك منتقدين نظرية كيلى فى أول الأمر . ولايحب كيللى أن يوصف بأنه مُنظر معرفى . وشعر بأن أبنيته الاحترافية "professional constructs" قد تضمنت العديد من الأفكار التقليدية عن الإدراك ، والسلوك ، والوجدان ، إضافة للمعرفة . لذا فإن القول بأنه لم يتحدث عن الوجدانات، يُعد من قبيل إساءة فهم النظرية برمتها .فما الذى يمكن أن نسميه وجدانات (أوعاطفة، أو مشاعر) يسميه كيللى صيغ الانتقال constructs of transition ، لأنها تشير لخبراتنا عندما ننقلها من طريقة لرؤية العالم أو لأنفسنا إلى طريقة أخرى .

فحينما تدرك فجأة أن تصوراتك (صيغك) لاتؤدى وظيفتها بصورة جيدة ، فإنك تشعر بقلق anxiety (وكما قال كيللى) "أنك أسيرلتصوراتك" . ...

ونحن نتحدث كثيراً عن التكيف للعالم عندما تكون تصوراتنا غير متطابقة مع الواقع، إلا أن هنتاك طريقة أخرى هى أن تحاول أن تجعل الواقع يتطابق مع تصوراتك أنت. ويسمى كيللى هذهالطريقة العدوان aggression . إنها تتضمن عدوانا صريحاً : فإذا سخر شخص ما من رباط عنقى، فلى أن افقأ عينيه، وعندئذ استطيع أن ألبس رباط عنقى بكل طمأنينة. إلا أنه يتضمن أموراً يمكن أن نفضل تسميتها اليوم بالتوكيدية assertiveness : فبعض الأمور تسير على غير مايرام، ويتوجب علينا حينئذ أن نغيرها لتتوافق مع مثلنا ideals . فبدون لتوكيدية لن يحدث أى تطور اجتماعى !

مرة أخرى، عندما تكون تصوراتنا الجوهرية على خط واحد (ربما يقصد جامدة)، فإن العدوان يتحول إلى عداوة hostility . والعداوة وضعمن إصارك على أن تصوراتك صحيحة ، بالرغم من وجود دليل صارخ يشير إلى عكس ذلك.

وأثلة على ذلك يمكن أ تتضمن ذاك الملاكم العجوز الذى مايزال يزعم أنه "الأقوى"، وشخص أخر جلف ويعتقد حقاً بأنه دون جوان، أو شخص أخر يخضع للعلاج ويقاوم بشدة الاعتراف بأن لديه مشكلة ما.

علم الأمراض النفسية والعلاج النفسى Psychopathology and Therapy:

-

وهذا العنوان ينقلنا تلقائياً إلى تعريف كيللى للاضطراب النفسى psychological disorder: "أي صيغة شخصية تكون مستخدمة من قبل الشخص على نحو ضعيف وبصورة مستمرة. "سلوكيات وأفكار الأعصبة"، الاكتئاب، البارانويا، الفصام، وغير ذلك. وكلها تُعد أمثلة على الاستخدام المستمر وغير الصحيح للبنى المعرفية الشخصية. وبالمثل تكون نماذج التصرف العنفية، والتعصبية، والاجرامية، والجشعة، والادمان، وما إلى ذلك . فالمرء الذى لايستطيع أن يجرى توقعات بصورة جيدة، ولايبدى استعداداً لتعلم أساليب للتعامل مع العالم. يكون معبناً بالقلق أو العداوة ، يكون تعيساً وبوسعه أن يسبب التعاسة لأى شخص آخر .

فإذا كانت مشكلة شخص ما ناشئة عن ضعف بنائه (تصوره) ، فالحل إذاً ينبغى أن يكون فى إعادة البناء reconstruction أقرب للسلوكية ولكن على المستوى العقلى المعرفى، وهو المصطلح الذى كان يحض كيللى على استخدامه فى إسلوبه للعلاج. فالعلاج النفسى لديه يتضمن تمكين العميل من إعادة الصياغة أو التصور أو البناء المعرفى إن شئنا .، ليرى الأمور بطريقة مختلفة ، ومن منظور مختلف ، وبهذاالأسلوب تتاح الخيارات التى تقود إلى استيضاح الأمور .

ويطلب المعالجون الكيلليون من مرضاهم أن يشتركوا معهم فى سلسلة من التجارب تتصل بأسليب الحياة لدى مرضاهم كما أنهم يطلبون إلى مرضاهم أن يحرروا تصوراتهم من جمودها، أن يدعوها جانباً، أن يختبروها، أن يستعيدوها ثانية ويتمسكوا بها، ويحاولوا التحكم فى حجمها . والقصد من ذلك كله هو تشجيع المريض على الحركة المناورة، والتى تُعد ضرورية لأى تحسن .

وكيللى، وبخلفيته فى الدراما ، أحب استخدام لعب الأدوار role-playing أوتمثيل الأدوار - role- enactment ، للتشجيع على الحركة (يقصد الذهنية والمعرفية) فقد يلعب دور أمك ويتيح لك فرصة التعبير عنمشاعركتجاهها. وبعد

قليل يطلب منك أن تعكسص الأدوار معه – لتصبح أنت أمك، وليصبح هو أنت! وفى هذه الطريقة ستصبح واعياً بتصورك الخاص عن علاقتك وعن تصور أمك. فربما تبدأ فى فهمها، أو أن ترى أساليبك التى يتوجب عليك التكيف بها . ولربما توصلت إلى تسوية أو ترضية أو حل وسط ، أو تكتشف منظوراً جديداً يتوحد عن كل ماسبق .

ويتضمن أسلوب كيللى فى العلاج واجباً منزلياً home-work ، وهو الأمور التى يطلب منك أن تنفذها خارج موقف. وهذا هو أسلوبه فى العلاج والمروف جيداً باسم العلاج ذو الدور المحدد fixed-role therapy . فيطلب منك أولا أن تصف نفسك ، فى ورقة مزدوجة وكأنك شخص ثالث ، والذى يسميه رسماً للشخصية character sketch . ومن ثم يرسم تصوراً وربما بمساعدة أحد معاونيه ، والوصف الجديد ، أطلق عليه رسم الدور المحدد fixed-role sketch ، لشخص مفترض .

ويقوم برسم هذا التخطيط باختبار رسمك الأصلى بعناية واستخدام الصيغ التى تكون فى الزاوية الصحيحة، فى ضوء ماستخدمته أنت. وهذا يعنى أن الصيغ (التصورات) الجديدة تكون مستقلة عن الصيغ الأصلية، ولكنها تكون موظفة بنفس الطريقة، وهكذا فإنها تشير إلى نفس المستوى من العناصر .

فمثلاً إذا استخدمت "عبقرى – أبله " genius-idiot " كصيغة فى تعاملى مع الناس، فلن أعطيهم، حيزاً كبيراً كخانات منعزلة ، ولا أسمح بمزيد من التغيير. وبما أننا نستخدم نفس الصيغ على ذواتنا فإنا كذلك نستخدمها على الأخرين، ولا نعطى لأنفسنا صفة خارج نطاق هاتين الصفتين (يعنى حتماً سأجد لنفسى موقعاً بين القطبين) . ففى يوم رائع قد أصف نفسى بأنى عبقرى ، بينما فى معظم الأيام ، لن يكون لدى أحد الخيارين بصورة محددة أى سيكون خيارى لاهذا ولا ذاك، وسيبقى البلهاء بلهاء ولن يتحولوا إلى عباقرة. وهكذا، سأحرص على أن أتجاوز الاكتئاب، ولا أتحدث عن الحياة بعدد محدود للغاية من الأصدقاء .

وبوسع كيللى أن يرسم (يكتب) الرسم الوصفى محدد الدور مستخدماً صيغة ماهر – غير ماهر. وتلك الصيغة تُعدُ أكثر إنسانية بكثير من صيغة عبقرى- أبله . إنها صيغة أقل حكمية بكثير: فشخص ما، بعد كل ذلك ، يكون ماهراً فى مجال ما،

وليس ماهراً فى غيره من المجالات.^وتسمح بالتغيير : فإذا وجدت أنى غير ماهر فى مجال ما ذى أهمية ، فإنى أستطيع ببذل جهد قليل أن أصبح ماهراً .

وعلى أية حال، كان كيللى يطلب من عميله أن يكون ذاك الشخص الموصوف فى الرسم المحدد للدور fixed-role sketch لمدة أسبوع أو إسبوعين، اعلم أنه يطلبمن العميل أن يبقى ملتزماً طوال الوقت: إنه يريدك أن تكون كذلك على مدار الساعة، فى العمل، بالبيت، وحتى عندما تكون بمفردك. ولقد توصل كيللى إلى أن معظم الناس كانوا جيدون للغاية فى هذا لأمر، بل إنهم كانوا مستمتعين بذلك. وبعد كل ذلك. كان هذا الشخص متمتعاً بصحة أفضل عما عليه الآخرون !

ويتوجب عليك أيها العميل أن تعود لكيللى لتقول له شكراً يادكتور!

أعتقد بأنى شفيت . وكل ماأحتاجه الآن هو أن أكون "Dave" ، بدلاً من "George" فيما تبقى من حياتى. الأمر الذى يعد مفاجأة لكيللى ، وسيطلب من ذاك الشخص أن يلعب الدور المقصود لمدة أسبوعين ، وربما لايكون هذا الأسلوب إيجابى بدرجة كافية.ولعل ذلك يعود إلى أن مثل هذا العلاج لايعطيك شخصية جديدة. ولربما كانت النتيجة لاشئ. والفكرة هى أن تظهر لك ماتفعله أنت، وفى الحقيقة، مالديك من قوة لأن تتغير، ولأن "تختار نفكر."

وللعلاج الكيللى، هدفه، هو مساعدة الناس على الانفتاح على البدائل، ومساعدتهم على اكتشاف حريتهم، والسماح لهم بتوظيف إمكانياتهم. ولهذا السبب، ولغيره، يصنف كيللى بصورة ملائمة ضمن علماء النفس من الإنسانيين .

التقييم Assessment

لعل أهم مارتبط بجورج كيللى الاختبار الذى وضعه والمعروف بـ اختبار تصور الدور role construct repertory test ، والذى يطلق عليه معظم الناس اسم الشبكة النسجية rep grid . والتى لاتُعد إختباراً بالمعنى التقليدى على الإطلاق، إنها أداة تشخيصية، وأداة لاكتشاف الذات، وأداة بحث، والتى أصبحت بالفعل أكثر شه رة من بقية نظرية كيللى .

ELEMENTS

CONSTRUCTS

Similarity Pole   Contrast Pole

بداية يتوجب على العميل أن يسمى مجموعة من الأسماء تتراوح بين عشرة أسماء وحتى، عشرين إسماً تُسمى بالعناصر elements ، يرجح أن تكون لهم أهمية خاصة فى حياة العميل أثناء العلاج، ويسمى هؤلاء الأشخاص كاستجابة من قبل العميل فى ضوء مجموعة من الفئات المحددة، من قبيل "المحبوب القديم" "شخص تشفق عليه"، وبالطبع يتوجب على العميل أن يُضمّن نفسه تلك الشبكة، وامه، وأبيه، وهكذا.

ويقوم المعالج أو الباحث باختيار ثلاثة منهؤلاء فى كل مرة ، ويسأل العميل أن يحدثه عن كل واحد أو واحدة من هؤلاء الثلاثة. ،يطلب منه أن يذكر بداية من منهم يختلف عن الإثنين الأخرين، و أن يذكر عن أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين كل واحد من هؤلاء والآخرين. ويشار إلى خاصية التشابه بقطب التشابه similarity pole ، ويشار إلى خاصية الاختلاف بقطب التناقض contrast pole ، وهما معاً يكونان صيغة يستخدمها كل منا فى علاقاته الاجتماعية. فمثلاً، لو أنك قلت أنك وحبيبك الحالى شخصان عصبيان ، ولكن حبيبك السابق كان هادئاً للغاية، هنا تكون صفة عصبى بمثابة قطب التشابه ، وتصبح صفة هادئهى قطب التعارض ضمن صيغة عصبى-هادئ construct nervous-calm. .

وتستمر على هذا النحو مع كل مجموعة مكونة من ثلاثة أشخاص حتى تنتهى من حوالى عشرين ضداً تم تسجيلهم. وبمجرد النظر للقائمة، أو باستخدام العمليات الاحصائية على الشبكة المخططة كاملاً ،وقد ينخفض العدد بالقائمة إلى عشرة أو ماحولها من المتناقضات بعد التخلص من التداخلات المتكررة: وغالباً ماتكون صيغنا، حتى ولو صيغت فى كلمات مختلفة للربط بينهم، قد أستخدمت بنفس الطريقة . فـ عصبى – هادئ ، مثلاً، قد تستخدم بالضبط كاستخدامك لـ عصابى – صحيح neurotic-healthy، أو المذعور – السلبى-jittery . passive.

وفى استخدامات الاختبار للتشخيص وإكتشاف الذات ، تكون مُشجعاً لاستخدام الصيغ التى تشير إلى سلوكيات الناس وشخصياتهم. ولكن لاستخدامات البحث ، قد يُطلب منك أن تعطى أى نوع من الصيغ ايا كانت، كما قد يُطلب منك أن تعطى لكل واحد من هؤلاء الأشخاص استجابة فى ضوء تصنيفات كل العناصر. ففى علم النفس الصناعى، على سبيل المثال ، يُطلب من الأشخاص أن يقارنوا ويحققوا التباين بين المنتجات التنوعة (من أجل تحليلات التسويق)، أمثلة على الإنتاج الجيد وأمثلة على الإنتاج الردئ (وذلك لإجراء تحليلات ضبط الجودة، أولتصنيف أساليب القيادة المختلفة . ويمكنك أن تجد صيغاً لأسلوبك الموسيقى بهذه الطريقة، أو صيغك بشأن الرموز السياسية، أو صيغك التى تستخدمها لفهم نظريات الشخصية .

وفى العلاج ،تعطى شبكة العلاقات المبينة بالشكل السابق لكل من المعالج والعميل، صورة عن نظرة العميل للواقع والتى يمكن أن تكون موضوعاً للنقاش،والعمل بمقتضاها. وفى العلاج الزواجى، يوجد شخصان يمكن أن يؤديا على الشبكة بنفس مجموعة العناصر، على أن تجرى مقارنة ومناقشة صيغهما. وليس سراً أن شبكة كيللىتُعد نادرة ضمن الاختبارات التى يُطلب من العميل أن يغير رأيه بشأنها فى أى وقت . وبالرغم من أنها لاتُعد بحال قادرة على تقديم صورة متكاملة للحالة العقلية لشخص ما، إلا أنها تظل أداة تشخيصية .

وفى مجال البحث يمكننا أن نحصل على استفادة كبيرة من خلال العديد من برامج الحاسب الآلى التى تمكننا من قياس المسافات بين الصيغ أو بين العناصر الموجودة بالشبكة . فنحن نحصل على صورة وضعها الناس بأنفسهم،عن وجهات نظرهم تجاه الدنيا. وبوسعنا أن نقارن بين وجهات نظر العديد من الناس (حتى

وإن كانوا قد استخدموا نفس العناصر) ويمكننا مقارنة وجهات نظر الشخص قبل وبعد تلقى التدريب ، أوالعلاج. إنها أداة مثيرة ، تجمع على نحو عجيب بين الجانب الذاتى والجانب الموضوعى للبحث فى الشخصية .

مناقشة :

لقد نشر كيللى كتابه "سيكولوجية البنى الشخصية The Psychology of Personal Constructs عام ١٩٥٥. وبعد موجة من الاهتمام (والانتقاد الهائل) ثم كان نصيب نظريته النسيان، باستثناء عدد محدود من تلامذه الأوفياء، ممن انخرط معظمهم فى الممارسات الاكلينكية أكثر من اهتمامهم بتطوير علم نفس الشخصية. ومن الغريب، أن تحظى نظريته بسمعة سيئة فى بريطانيا، خاصة بين علماء النفس الصناعى .

وأسباب ها الإهمال ليست مما يتعذر فهمه: إن قسم علم النفس أنذاك كان منغمساً فى التوجه السلوكى behaviorist approach الذى لايحتمل قبولاً للجانب الذاتى فى موضوعات اهتمامه؛ وعلى الجانب الاكلينكى من علم النفس كان يوجد كارل روجرز، وهو ممن يسهل أن يتبعه الباحثون. لقد ظل كيللى متقدماً وعلى مدى عشرين عاماً. وفى السنوات الأخيرة فقط، ومع مايُعرف بالثورة المعرفية cognitive revolution نجد الناس مستعدون بالفعل لفهمه .

إنه لمن السخرية أن جورج كيللى، بشأن البدائل الصيغية constructive alternativism، مماُيشعر بأنه إذا كانت نظريته قد استمرت مابين عشر وعشرين سنة، فى صيغتها أقرب ماتكون فى أصلها، ويُعد هذا سبب للاهتمام. إن النظريات، كوجهات نظرنا الفردية بشأن الواقع ، يمكن أن تتغير، ولا تبقى جامدة .

وتوجد انتقادات منطقية. الأول، أنه وبالرغم من أن كيللى كاتبٌ جيد، إلا أنه إختار أن يخترع علم نفس من جديد من أساسه لقمته، بتقديمه مجموعة من المصطلحات الجديدة، والكنايات، والصور. ولقد حاد عن طريقه فى محاولة منه لتفادى أن يرتبط بأى من الاتجاهات الأخرى، الأمر الذى عزله تماماً عن الاتجاه العام .

الشئ الايجابى ، هو أن بعض الكلمات التى اخترعها أصبحت محددة بصورة تامة الآن فى السياق العام لعلم النفس (وإن كان الكثيرون مايزالون ينظرون إليها بوصفها عصرية): فالحدس Anticipation أصبح شائعا بفضل

جهود عالم النفس المعرفى المشهور Ulric Neisser ، ومصطلحات الصيغة Construct ، بناء الصيغة construction ، واشتقاقاتها باتت موجودة فى الكتب والمقالات إلى جانب كلمات من قبيل الإدراك والسلوك .

ومن المحزن، أن كيللى شأنه شأن المخترعين الآخرين، نادراً ماينالون أى اعتماد أو إئتمان لمخترعاتهم، وذلك على الأرجح لأن علماء النفس نادراً مايدربون على إعطاء مزيد من الانتباه للمكان الذى تصدر عنه الأفكار.

كما أن شبكة العلاقات أصبحت شعبية للغاية، خاصة منذ أن جعلتها أجهزة الكمبيوتر أسهل فى الاستخدام. وكما ذكرت آنفاً، إنها مزيج رائع من النوعية والاستبطانية بالرغم من الانتقادات التى تلقتها نظرية كيللى ككل .

علاقة نظرية كيلى بالنظريات الأخرى :

إن معظم نظرية التصور(الصيغة) الشخصى يُعد ظاهراتياً phenomenological واعترف كيللى بتعاطفه مع النظريات الفينومينولوجية لكارل روجرز Carl Rogers ، ودونالد سنيج Donald Snygg ، وآرثر كومبس، ومنظرى الذات " أمثال بريسكوت ليكى Prescott Lecky وفيكتور ريمى Victor Raimy . إلا أنه كان يتشكك – شأنه شأن الآخرين – فى الظاهراتية. إذ افترض أنها بمثابة نوع من المثالية الاستبطانية (المتعمقة) . إلا أن تلك الافتراضات قد ثبت خطأها فيما بعد .

ولكن العالم الظاهرياتى يمكن أن يجد الكثير من نظرية كيللى ملائماً. مثال على ذلك، يعتقد كيللى بأن فهم سلوك ما يتطلب أن نفهم الكيفية التى يتصور بها الشخص الواقع ـ كيف يفهمه، كيف يستقبله أكثر مما عليه الواقع بالفعل. ...وعلى الجانب الأخر توجد جوانب فى نظرية كيللى غير متمشية مع الظاهراتية، الأول، هو أن كيللى واضع النظرية، والتفاصيل الفنية توضح ذلك. والفينومينولوجيون فى المقابل كانوا يميلون لتجنب النظرية . الثانى ، كان لدى كيللى آمال عريضة فى منهجية صارمة لعلم النفس ـ حتى لو استلزم الأمر استخدام التجريب تالذى يستخدمه العلميون. بينما تشكك معظم الظاهراتيون فى التجريب .

إن التشديد على بناء النظرية وبتفصيل دقيق، وأمله فى منهجية صارمة ، كل ذلك من شأنه أن يجعل من كيللى علماً نفسياً معرفياً معاصراً. وسوف تبين الأيام ما إذا كان كيللى، سيذكر كعالم ظاهراتى أم كعالم نفسى معرفى!

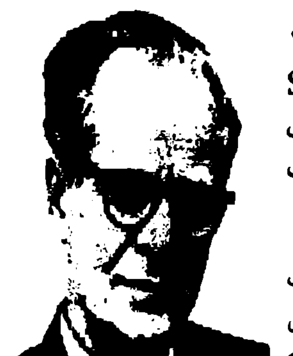
الفصل السابع عشر

ب. فريدرك سكنر

B. F. SKINNER

1904 - 1990

سيرة حياة



وُلد سكنر فى العشرين من مارس عام ١٩٠٤ ، فى مدينة بنسلفانيا الصغرى بولاية Susquehanna . كان أبوه محامياً، وأمه ربة منزل قوية وذكية. وتربى بالأسلوب التربوى التقليدى القديم ، كما نُشئ على العمل الشاق .

وكان برهس ولداً نشطاً ، منطلقاً، والذي أحب الأنشطة الخارجية، وبناء الأشياء، وكان مستمتعاً بحق بالمدرسة. ولم تكن حياته خالية من المآسى، فعلى وجه الخصوص تُوفى أخوه عن عمر يناهز السادسة عشر من العمر بتمدد الأوعية الدموية الدماغية .

حصل سكنر على البكالوريوس فى اللغة الانجليزية من كلية هاملتونHamilton College فى نيويورك. لك يكن متوافقاً تماماً ، ولم يكن يستمتع بحفلات الأخوية المسيحية أو مباريات كرة القدم .

كان يكتب مقالات للمدرسة، ينتقد فيها أحوالها ، والكلية . .. لقد تمنى أن يكون كاتباً وحاول ذلك، فنظم بعض القصائد ، وكتب القصص القصيرة .و عندما تخرج فى الجامعة ، اتخذ لنفسه خلوة فوق المنزل ليدرس بها .

وفى نهاية المطاف تقدم باستقالته ليكتب مقالاته الصحفية عن مشكلات العمال، وعاش لبعض الوقت فى قرية Greenwich فى نيويورك كشخص بوهيمى (معنى بالفنون) وبعد عدة أسفار قرر أن يعود إلىالدراسة ، وهذه المرة بهارفارد Harvard فحصل على درجته للماجستير فى علم النفس عام ١٩٣٠ ودرجته للدكتوراة عام ١٩٣١، ومكث بهارفارد حتى عام ١٩٣٦. وفى ذات السنة

، إنتقل إلى مينيابولس Minneapolis للتدريس فى جامعة مينيسوتا. وبها قابل Yvonne Blue وسرعان ماتزوج منها. ورُزقا طفلتين، أصبحت الصغرى منهما أشهر طفلة تمكنت من التحليق باختراع سكنر المعروف بـ المهد الهوائى air crib . وبالرغم من أن هذا الأمر لايعدو أن يكون جمعاً مقتبساً من كل من مهد الطفل ، وحظيرة لعبه، ذات جوانب زجاجية ، ومكيفة الهواء ، ويُنظر إليها بوصفها مكانٌ ملائماً يوضع به الطفل ويكون بمتناول القائمين على تربيته .

فى عام ١٩٤٥، أصبح رئيساً لقسم علم النفس بجامعة إنديانا . وفى عام ١٩٤٨، دُعى لجامعة هارفارد والتى ظل بها حتى نهاية حياته.لقد كان رجلاً نشطاً للغاية ، يجرى بحوثه ، ويوجه المئات من طلاب الدكتوراه، إضافة لكتابته لكتب عديدة. وبينما لم ينجح ككاتب للرواية والشعر، إلا أنه أصبح واحداً من أفضل الكتاب فى علم النفس، ومن بين ماكتب ، كتابه المعروف باسم *Walden II* والذى يُعدُ محاسبة روائية لمسيرة المجتمع المحلى وفق أسس سكنر السلوكية .

وقد شهد الثامن عشر من أغسطس للعام ١٩٩٠ وفاة سكنر بمرض سرطان الدم leukemia بعدما أصاب أكثر علماء النفس شهرة بعد سيجموند فرويد .

النظرية :

لقد أسّسَ سكنر نظامه(نظريته) كله على التشريط الاجرائى operant conditioning فالكائن الحى فى عملية معالجة (القيام باجراء) "operating" على البيئة، والتي _ وفى ضوء المصطلحات التقليدية - تجعل الناس يسعون فى عالمهم ، ويفعلون مايقدمون عليه . وخلال تلك الاجرائية يتعرض الكائن الحى لنوع خاص من المثير، يُعرف بالمثير المعزز reinforcing stimulus أو المعززات، ببساطة. ولتلك المثيرات تأثيرها فى زيادة الإجراء operant – أى السلوك الذى قبل المعزز مباشرة. وهذا هو التشريط الإجرائى : "أي السلوك المتبوع بنتيجة ما، وطبيعة تلك النتيجة التى تعدل من نزعة الكائن الحي، لتكرار السلوك فى المستقبل" *A behavior no longer followed by the reinforcing stimulus results in a decreased probability of that behavior occurring in the future.*... وأشارسكنرإلى مصطلح أخر هو الانطفاء extinction والذى يشير إلىتناقص السلوك الذى لايتم تعزيزه لفترة طويلة حتى يختفى فى المستقبل. وقد تحقق من ذلك من خلال إجراءات تجريبية

عرفت بصندوق سكنر "Skinner box" وفقاً لجداول مبرمجة أطلق عليها جداول التعزيز (المستمر- المنفصل - ذو الفترات الثابتة - ذو الفترات المتغيرة) .

وعلى النقيض من المثير المعزز، استخدم سكنر مصطلح المثير المنفر Aversive stimuli والذى يُلحق بالكائن الحى شعوراً غير سار أو مؤلماً. ومن ثم يكون السلوك المتبوع بمثير منفر أكثر تناقصاً وأقل ظهوراً بالمستقبل *followed A behavior*

by an aversive stimulus results in a decreased probability of the behavior occurring in the future.

والعملية التي يستخدم فيها المثير المنفر تُعرف بالعقاب والذى قد يشمل إيلاماً وتنفيراً بصورة مباشرة والذى يمكن تسميته بـ active punishment أو بصورة غير مباشرة والمعروف بالعقاب السلبى negative punishment والذى يتمثل فى حرمان الكائن الحى مما يجلب له البهجة والراحة إذا أقدم على سلوك غير مرغوب فى إكسابه إياه . وفى المقابل يُعد حذف المثير المنفر والبغيض صورة من التعزيز السالب negative reinforcement والذى من شأنه أن يزيد من احتمالات تكرار إقدام الكائن الحى على السلوك المرغوب فيه بالمستقبل *Behavior followed by the removal of an aversive stimulus results in an increased probability of that behavior occurring in the future.*

وتمثل آراء سكنر فى الشخصية المنظور السلوكى Behavioral prespective والذى ينظر للشخصية بوصفها تتكون من مجموعة من السلوكيات المُلاحظة والظاهرة observed , overt behaviors. إنها لا تتضمن سمات أو أفكاراً داخلية. مثال على ذلك، تشير ملاحظاتنا لشخص اسمه سامى إلى أن سلوكه خجول shy متفوق تحصيلياً achievement - oriented ، حذراً caring ، هذه السلوكيات هى شخصية سامى من وجهة نظر السلوكية .

ولكن لماذا جاءت شخصية (سلوك) سامى على هذا النحو؟

وفقاً لما يراه سكنر Skinner فقد تشكلت شخصية سامى بالمثيبات والمعاقبات فى بيئة سامى على هذا النحو، خجولاً، منجزاً، حذراً، ونتيجة لتفاعلاته

interactions مع أسرته وأصدقائه ومعلميه وغيرهم، تعلم سامي التصرف (السلوك) على هذا النحو .

وقد يقول السلوكيون المؤيدون لوجهة نظر سكنر بأن سلوك "خجل سامي" وتفوقه فى التحصيل، وحرصه وحذره ، قد لايكون ثابتاً أو طويل الأمد، فلو أن سامى لم يكن مصدوداً فى جلسات السمر أيام الإجازات من أصدقائه (أي تعرضه للعقاب أو التنفير) لما كان مدفوعاً للإنجاز والتحصيل الدراسى ، ولما كان مؤذياً لأخته فى بعض الأوقات والمناسبات. بمعنى تشكل شخصية سامى وفقاً لقوانين التعلم الشرطى الإجرائى، من تعزيز وعقاب وانطفاء ... ومالى ذلك .

وقد كان لمارك توين Mark Twain أحد المناصرين لسكنر تعليقاً مفاده أننا مثل الحرباوات chameleons ، قد وُهبنا نعمة سهولة تغيير سلوكنا . كما يصف هاريت وارد بيتشر علاقة سلوك البشر وشخصياتهم ببيئاتهم بقوله" إن أيامنا أشبه ماتكون بالمشكال(أداة تحتوى على قطع متحركة من الزجاج الملون ، ماإن تتغير أوضاعها حت تعكس مجموعة لانهاية لها من الأشكال الهندسية المختلفة الأشكال والألوان ، ومع كل من تلك التغيرات تُحدث تناغمات وتوافقات جديدة مع كل مجموعة تتشكل من معطيات بيئتنا المتغيرة .

ويعتقد سكنر بأن ثبات الشخصية (السلوك) إنما يتأتى من الثبات فى الخبرات البيئية، فإذا كان سلوك سامى الخجول ، والمتفوق تحصيلياً ، والحذر، مُكافأ ، ومثاباً عليه حينئذ يمكن لنمط سلوكه أن يثبت ، ويؤكد سكنر على أن سلوكنا لديه قدرة للتغير كلما تعرضنا لخبرات جديدة .

وفى ضوء ما تقدم تكون الشخصية متعلمةlearned بصورة محضة، أي مكتسبة ، وقابلة للتغير وفقاً للخبرات والمواقف البيئية؛ ومن ثم يمكن إعادة تنظيم الخبرات والمواقف بهدف إحداث تغييرات فى شخصية الفرد، فسلوك الخجل يمكن أن يتغير إلى سلوك الاحترام وسلوك العدوان يمكن أن يتغير إلى سلوك متعاطف، والسلوك اللامبالى والضجر يمكن أن يتحول إلى سلوك حماسي، وهذا ما يطلق عليه مصطلح تعديل السلوك.

بناء الشخصية Personality structure (*)

الجسم : الجسم عند سكنر – كما يشير Mischel, 1976 هو الذى يسلك ، ذلك أن سكنر تناول الشخص كما لوكان صندوقاً مغلقاً وهو ليس فارغاً بالتأكيد.

ويؤكد السلوكيون على المدخلات والمخرجات لأنها جميعاً قابلة للملاحظة. "وبدلا من افتراض حاجات قد تدفع الفرد إلى نشاط معين يحاولون اكتشاف الوقائع التى تقوى احتمالات المستقبل والتى تحافظ على السلوك أو تغيره .وهكذا فإنهم يبحثون عن الشروط التى تنظم السلوك بدلاً من افتراض حاجات داخل الشخص" •

الإرادة والعقل : يرى سكنر مفهوم الإرادة غير واقعى وأنه يؤدى إلى الخلط فى وصف السلوك ... ويفترض سكنر أنه لايوجد فعل حر ... وقد جلبت تلك الأراء لسكنر إنتقادات عنيفة ... بل ولدت فيما بعد نظرية وجهة الضبط .

يتجاوز سكنر عملية التفكير، ويعتبر السلوك ترجمة بدرجة ما للتفكير، وأن السلوك وحده هو الجدير بالملاحظة والدراسة العلمية ، وأن التفكير بمثابة حالة من لاقتراب من السلوك ، بفعله أو الانصراف عنه .وينظر للمعرفة بوصفها مستودع السلوك .

الذات: مصطلح يراه سكنر تعبيراً عن مفهوم خيالى، كلما لجأنا إليه لتفسير السلوك، كان دليلاً على عجزنا عن تفسير السلوك ذاته. ويدلل سكنر على قصور معرفة الذات بقوله أن الانسان قد لايعرف أنه عمل شيئاً ... وقد لايعرف أنه يعمل شيئاً ...وقد لايعرف أنه يزع لعمل شئ ما... وقد لايدرك المتغيرات التى يعتبر سلوكه وظيفة لها ... وهذه الحالات تثير اهتماماً شديداً لدى غير السلوكيين لأنها مظاهر لحالات داخلية(عقد، حاجات، كبت ، ومخاوف وغيرها) ويسمى سكنر تلك الوقائع أنماطاً سلوكية لم يتوافر تعزيز إيجابى لملاحظتها أو تذكرها .

نمو الشخصية : اعتبر سكنر تنشئة الطفل فىالأساس عملية تعلم، إذ يحاول الوالدان من خلالها تنشئة أطفالهم استخدام الإثابات المادية والسيكولوجية لتشكيل سلوكهم . .. فمع نمو الطفل يتم إشراط الاستجابات وتبقى تحت سيطرة شروط التعزيز البينية ... فالأطفال يصبحون أكثر اعتمادية على أنفسهم من خلال تعزيز الأفعال التى يصدرونها للعناية بأنفسهم سواءً كان ذلك فى تناول الطعام أو فى ارتداء الثياب. إن الطفل يتم تعزيزه مباشرة عندما يتم هذه الأفعال وذلك بمكافآت اجتماعية كالثناء ، ويصبح الطفل مستقلاً إنفعالياً من خلال تنمية معدل مستقر من الاستجابة .(أى استجابات تحدث على فترات منتظمة) يتطلب تعزيزاً بين الحين والآخر. ويتعلم الطفل تحمل تأجيل الإشباع(التعزيز) وذلك بأن يوفر له الاشباع بعد فترة قصيرة فى بداية تعلمه، ثم تتزايد فترات تأخير التعزيز تدريجيا، أي أن

الفترة بين طلبه للشئ وتلبية ذلك الطلب تطول تدريجياً . وبعد فترة يسيطر أسلوب التأخير هذا على سلوكه عندئذ نستطيع أن نقول أن الطفل قد نمى القدرة على تحمل تأجيل الإشباع وتقبله .

تعديل السلوك Behavior modification

ويشار إليه اختصاراً بـ b-mod، وهو أسلوب علاجى مُؤسس على نظرية سكنر. إنه أسلوب مباشر: يطفئ سلوكاً غير مرغوب فيه (بإزالة المُعزز) وإبداله بسلوك مرغوب فيه عن طريق التعزيز. Extinguish an undesirable behavior (by removing the reinforcer) and replace it with a desirable behavior by reinforcement. ويستخدم تعديل السلوك مع كافة أنواع المشكلات السلوكية - الإدمانات addictions ، الأعصبة neuroses ، الخجل shyness ، الذاتوية autism ، وحتى الفصام schizophrenia – ويعمل بصورة فعّالة مع الأطفال . وتوجد شواهد على أن الذهانيين - والذين ظلوا لسنوات لايتعاملون مع الأخرين – قد تحسنت حالتهم بالعلاج السلوكى وعن طريق التشريط ، فأصبح بمقدورهم أن يعتمدوا على أنفسهم فى مواقف اعتيادية على نحو طبيعي، من قبيل الأكل بالشوكة والسكين ، قضاء حاجاتهم المتصلة بالصحة والنظافة ، إرتداء ملابسهم بأنفسهم ، وما إلى ذلك .

وفى سياق علاج سلوكى كهذا لايعترف سكنر بمايسميه البنى العقلية mentalistic constructs ، إذ يعتبرها غير قابلة للملاحظة ومن ثم فهى عديمة النفع لعلم النفس العلمى . ولا يعترف كذلك بحيل الدفاع defense mechanisms ، الشعور consciousness ، والأنماط الأولية archetypes واستراتيجيات المواجهة coping strategies ، وتحقيق الذات self-actualization ، وحالات أخرى من قبيل الجوع والعطش. وفى مقابل ذلك أوصى سكنربأن يول علماء النفس اهتمامهم على مايقبل الملاحظة فقط، والمتمثل فى البيئة والسلوك الحادث بها .

(*)أنظر :جابر عبد الحميد، ١٩٨٦ . George Boeree , 1998،

الفصل الثامن عشر

ألبرت باندورا
ALBERT BANDURA
1925 - Present

سيرة حياة

وُلد في الرابع من ديسمبر ١٩٢٥، في مدينة صغيرة Mundare بألبرتا الشمالية ، بكندا . تلقى تعليمه في مدرسة صغيرة ، ابتدائية وعليا معاً ، وبأقل الامكانات ، حقق نجاحاً ملحوظا، وبعد المدرسة العليا عمل لمدة فصل صيفي في ترميم طريق ألاسكا السريع بولاية" .Yukon.

حصل على درجة البكالوريوس في علم النفس من جامعة كولومبياالانجليزيةعام ١٩٤٩.ثم ذهب إلى جامعة أيوا Iowa ، حيث حصلعلىدرجةالدكتوراة عام ١٩٥٢ حيث كان تحت تأثيرالتقليد السلوكي وكذلك نظريات التعلم.



وبينما كان في أيوا ، قابل فرجينيا فارنز Virginia Varnsبوصفه مدرباً في مدرسة التمريض . فتزوجا ثم رُزقا بابنتين ، وبعد حصوله على ترقية بعد الدكتوراة حصل على وظيفة بمكز ويكيتاللتوجيه Wichita Guidance Wichita. بولايةKansas.في عام ١٩٥٣ بدا التدريس بجامعة ستانفورد.Stanford University حيث تعاون مع أول خريج منطلابهRichard Walters ، أثمر عن أول كتاب لهما بعنوان عدوان المراهقين *Adolescent Aggression*, 1959

وشغل باندورا منصب رئيس جمعية علم النفس الأمريكية عام ١٩٧٣، ومُنح جائزة جمعية علم النفس الأمريكيةعن الإسهامات العلمية المتميزة عام ١٩٨٠. وهو مستمر في عمله بجامعة ستانفورد حتى يومنا هذا .

النظرية Theory

مقدمة: يرى بعض السيكولوجيين أن السلوكيين كانوا على صواب بصفة مبدئية عندما يقولون بأن الشخصية مُتعلمة" personality is learned ومتأثرة

بدرجة كبيرة بالخبرات البيئية environmental experiences ولكنهم يعتقدون بأن سكنر قد جانبه الصواب فى تأكيده على أن المعرفة cognition أمر غير ذى أهمية فى فهم طبيعة الشخصية. ويذهبون إلى أن السلوكية بتأكيدها على المناهج التجريبية. تركز على المتغيرات التى يمكننا ملاحظتها، وقياسها، والتعامل معها، واستبعاد كل ماهو ذاتي،أو داخلى أو غير متاح- من قبيل ماهو عقلي mental ، وكاننا أفراد للانسان الآلي، أو كطواحين الهواء.! ولكن كيف ذلك ونحن نفكر، ونعلل، ونتخيل، ونخطط ، ونتوقع، ونفسر، ونعتقد، ونقيم ، ونقارن. وعندما يحاول الآخرون أمن يتحكموا فينا، أو يسيطروا علينا فإن قيمنا واعتقاداتنا تسمح لنا أن نقاوم تحكمهم .

وفى المنهج التجريبي يتمثل الإجراء المعيارى فى التعامل مع متغيرْ واحد، ومن ثم قياس تأثيراته عى متغير أخر، وقد انبثق عن ذلك نظرية ما فى الشخصية تقول أن بيئة شخص ما، هي التي تحدد سلوكه.

لقد وجد باندورا ذلك جانباً شديد البساطة من الظاهرة التى كان يقوم بملاحظتها بين المراهقين- ومن ثم قرر أن يضيف شيئاً قليلاً إلى الصيغة (التجريبية). واقترح أن البيئة مسئولة عن السلوك ، حقاً ؛ ولكن السلوك مسئول عن البيئة بنفس القدر. وقد أطلق مصطلح الحتمية المتبادلة reciprocal determinism: : بمعنى أن الناس وسلوك الشخص يحدد كل منهما الآخر .

وفيما بعد تقدم باندورا خطوة للأمام . وقد بدأ ينظر للشخصية بوصفها تفاعلاً بين ثلاثة أشياء هى البيئة، السلوك، والعمليات النفسية للشخص. وتتضمن تلك العمليات النفسية قدرتنا على الإحتفاظ بالصور العقلية ، وباللغة فى أذهاننا. وبدءاً من النقطة التى قدم فيها التصور الذهني، بصفة خاصة، تخلى عن أن يكون سلوكياً محضاً، وبدأ يربط بين الطبقات الاجتماعية والمعرفيات. وفى الواقع، يُنظر لباندورا – غالباً – بوصفه أبو الحركة المعرفيةcognitivist movement

إن إضافة التصور الذهنى واللغة إلى الخليط (يعنى الثلاثى .. البيئة والسلوك، والعمليات النفسية، مكن باندورا من أن يُنظر على نحو أكثر فعالية أكثر من أى مُنظر أخر، كسكنر B. F. Skinner بحديثه عن شيئين اثنين والتى اعتقد الكثير من الناس أنهما يمثلان ادعاءً قوياً بشأن الجنس البشرى : التعلم بالملاحظة

(التنمذج)(modeling) observational learning ، وتنظيم الذات-self regulation .

التعلم بالملاحظة أو التنمذج Observational learning, or modeling

ومن بين مئات الدراسات التى أشرف عليها باندورا ، توجد مجموعة من الدراسات خارج المنافسة مع ماسبقها من دراسات - والمعروفة باسم دراسات bobo doll والتي أخذها عن فيلم لأحد تلامذته ،إمرأة شابة ، تضرب دمية بصفة أساسية . وفى حالة عدم معرفتك بهذه القصة فإن ال bobo doll ، عبارة عن كائن بالونى على بيضاوية الشكل ومسطحة، لها ثقل فى أسفلها يجعلها تعاود الانفراد كلما ضغطت عليها . هى أشبه بالمهرج ذى الأصباغ فى يومنا هذا .

عاقبت المرأة الشابة المهرج (العروسة)، ركلتها، جلست عليها، ضربتها بمطرقة خفيفة، وما إلى ذلك ، ووجهت إليها مختلف عبارات الإهانة. وقد عرض باندورا فيلمه على مجموعات من أطفال الحضانة الذين كانوا كما توقع، يحبونها كثيراً، قد تركوها وخرجوا للعب.فى غرفة اللعب، بالطبع كان يوجد ملاحظون عديدون معهم أقلام وأوراق للتسجيل فى أيديهم ، ونوع جديد من العرائس ، وعدد قليل من المطرقات الصغيرة .

ولك أن تتوقع مايمكن أن يكون الملاحظون قد سجلوه. لقد قام عدد كبير من الأطفال الصغار بضرب العروسة بصورة بجحة. عاقبوها، ووجهوا إليها اللكمات، وركلوها، وجلسوا عليها ، وضربوها بالمطارق الخفيفة ، وما إلى ذلك .بعبارة أخرى، هم قلدوا السيدة الشابة الموجودة بالفيلم . وكانوا دقيقين فى ذلك .

وقد لا يمثل هذا الأمر شيئاً ذا قيمةفى التجربة أول الأمر ، ولكن الأمر يثير الإهتمام على النحو التالى : لقد غير الأطفال سلوكهم دون أن يتلقوا مكافأة سلفاً على مقارباتهم من ذاك السلوك ! وبالغم من أن ذلك السلوك لم يبدو غير اعتيادى لدى الأباءالعاديين ، والمدرسين، أو المراقب العابر للأطفال، إلا أنه لم يكن كذلك من لدى نظرية التعلم السلوكى المعيارى standard behavioristic learning theory. فأطلق عليها باندورا ظاهرة التعلم بالملاحظة أو التنمذج، ويُطلق على نظرية باندورا نظرية التعلم الاجتماعى .social learning theory .

لقد أجرى باندورا عدداً كبيراً من الدراسات المتنوعة : وكان النموذج مُكافأً أو مُعاقباً بطرق مختلفة ، لقد كُوفئ الأطفال على محاكاتهم ، وتم تغييرالنموذج(

السلوكى) ليكون أقل جاذبية أو أقل وجاهة، وهكذا. وعندما وحتى عندما نُقل الأطفال إلى غرفة أخرىصمم فيلماً أخر تقوم فيه السيدة الشابة بضرب بهلوان حقيقى، عندما نُقل الأطفال إلى غرفة أخرى، حيث يجب أن يجدوا بها الدمية، فإذا بهم يجدوا بهلوان حقيقى ! فقرروا أن يعاقبوه، ويركلوه، ويضربوه بالمطرقات الخفيفة، وما إلى ذلك .

كل تلك التباينات (التغيرات) مكنت باندورا من أن يصبح على قناعة بأن هناك خطوات بعينها متضمنة فى عملية التنمذج modeling process .

١ – الانتباه Attention :

إذا كنت بصدد تعلم أى شئ ، يتوجب عليك أن تكون منتبهاً (أن تعطيه انتباهك). وكما أن كل شئ لايُعطى انتباهاً كافياً يكون تعلمه عُرضة للتناقص، بما فى ذلك التعلم بالملاحظة. فعلى سبيل المثال ، إذا كنت نعسانsleepy ، سكراناgroggy ، متعاطياً لمخدر drugged ، أو مريضاً، وعصبياً ، أومفرطاًhyper، فسوف يكون تعلمك أقل كثيراً .والحال كذلك إذا كنت مشوشاً بإثارة تنافسية.

بعض تلك الأمور التى تؤثر فى الانتباه تتضمن خصائص النموذج إذا كان النموذج مبهجاً ومثيراً، مثال على ذلك، فإنا نولى له إنتباهاً أكثر. فإذا كان النموذج جذاباً، أو مهيباً attractive, or prestigious ، أو يبدو بوصفه كفوءاً، فإنك ستمنح مزيداً من الانتباه. وكلما كان النموذج يبدو شبيهاً لك، فإنك تعطى انتباهاً أكثر. وتلك الأنواع من المتغيرات وجهت باندوراBandura نحواختبار (دراسة) التلفزيون وتأثيراته علىالأطفال!

٢ – الاحتفاظ (الاستبقاء) Retention :

ثانياً يتوجب عليك أن تحتفظ ب – تتذكر – الشئ الذى انتبهت إليه. ويتحقق ذلك عندما يتزامن التصور العقلى واللغة معاً : فنحن نخزن ماقد رأينا النموذج يفعله، فى صيغة صورذهنية (عقلية) mental images أو مخططات لفظية verbal descriptions . فإذا خُزنتها على هذا النحو يكون بوسعك استحضار"bring up" الصورة الذهنية أو الوصف اللفظي، وكذلك يمكنك أن تعيد إنتاجه فى سلوكك الشخصي .

٣- إعادة الإنتاج Reproduction:

فى هذه النقطة (المرحلة) ،بمجرد أن تستغرق فى أحلام اليقظة ، وإنما يتوجب عليك أن تترجم الصور أو المخططات الذهنية إلى سلوك فعلي actual behavior.

ينبغى أن تكون لديك القدرة على إعادة السلوك بداية ، فبإمكانى مشاهدة المتزلجين على الجليد من الأبطال الأوليمبيين طوال اليوم ، ولكنى لن أكون مؤهلاً لمضاهاة قفزاتهم ، لأنى لاأستطيع التزلج على الجليد بالمرة . ومن جهة أخرى ، إذا كنت أستطيع التزلج ، فإن أدائى يتحسن فى الواقع إذا كنت أشاهد المتزلجين الأكثر مهارة منى .

وخبر سار آخر فيما يتصل بإعادة الإنتاج يتمثل في أن قدرتنا على التقليد(المحاكاة) تتحسن بممارسة السلوك المستهدف. وخبر آخر سار هو: أن قدراتنا تتحسن حتى عندما نتخيل – فقط - أنفسنا ونحن نقوم بأداء ما .

٤- الدافعية Motivation:

وحتى الآن ، ورغم كل ذلك ، فإنك لن تُقدم علىفعل أى شئ مالم تكن مدفوعاً لتقليده، بمعنى، إلى أن يكون لديك سبب لعمله. وقد ذكر باندورا عدداً من الدوافع :

أ- التعزيز السابق past reinforcement كما الحال فى السلوكية التقليدية traditional behaviorism.

ب – التعزيزات المتوقعة promised reinforcements (الحوافز incentives) والتى نتصورها .

ج _ التعزيز بالإنابة vicarious reinforcement - - من خلال مشاهدة واسترجاع النموذج هو يُكافأ .

لاحظ أن تلك هي ملتُعد – على نحو تقليدى –الأشياء التى تسبب(تُحدث) التعلم . ويقول باندورا بأنها لاتؤدى إلى التعلم بقدر ماتقدم لنا تفسيراً لما قد تعلمناه . وهكذا ينظر إليها باندورا على أنها دوافع .

وبالطبع فإن الدوافع السلبية negative motivations فى المقابل ، توفر لك أسباب عدم تقليد شخص ما :

د _ العقاب السابق past punishment .

هـ _ العقاب المتوقع (التهديدات) .promised punishment (threats)

و _ العقاب بالانابة .vicarious punishment

وكمعظم السلوكيين التقليديين، يقول باندورا بأن العقاب فى أى صيغة كانت لايؤدى نفس دور التعزيز، إذ أنه يؤدى إلى نتيجة عكسية علينا .

تنظيم الذات Self-regulation :

ويُعد تنظيم الذات – أو ممارسة السيطرة على سلوكنا– بمثابة إحدى القوى المحركة للشخصية الإنسانية ، وبشأنها يقترح باندورا ثلاث خطوات .:

١- ملاحظة الذات Self-observation.

نحن ننظر إلى ذواتنا ، إلى سلوكنا ، ونواصل مراقبته .

٢- الحكم Judgment.

نقوم بمقارنة ماتراه بمعيار معين . مثال على ذلك ، يمكننا مقارنة أدائنا بالمعايير التقليدية traditional standards ، مثل "قواعد الإتكيت "rules of etiquette." أو أن نضع معيارا تحكميا (استبداديا) arbitrary standard ، مثل " سأقرأ كتابا كل أسبوع" .أو أن نتنافس مع اللآخرين أو مع أنفسنا.

٣- الاستجابة للذات Self-response.

إذا أديت بصورة جيدة فى ضوء المعيار، فإنك تمنح نفسك استجابات مكافئة للذات rewarding self-responses . أما إذا أديت بصورة رديئة، فإنك ستمارس على نفسك استجابات معاقبة للذات punishing self-responses . وتلك الاستجابات نحو الذات يمكن أن تتراوح بين الوضوح (امتاع نفسك بالآيس كريم ...) أوتكون مستترة (مشاعر الفخر أو الخجل).

إن أحد المفاهيم الهامة فى علم النفس يمكن فهمه على نحو جيد فى ضوء تنظيم الذات، هو "مفهوم الذات" self-concept (والمشهور بين الناس بـ (الاعتداد بالذات self-esteem) فإذا وجدت نفسك – على مر الأعوام – محققا معاييرك وأن الحياة محملة بمديح الذات self-praise

وبمكافأة الذاتself-reward ، فإنك ستتمتع بمفهوم سار (مبهج) عن الذات pleasant self-concept (أى اعتداد مرتفع بالذاتhigh self-esteem) وعلى النقيض من ذلك ، إذا وجدت نفسك تفشل فى تحقيق المعايير وتعاقب نفسك ، فسوف تعانى من مفهوم ردئ عن الذات poor self-concept (إعتداداً منخفضاً بالذات).low self-esteem .

تذكر أن السلوكيون عموما يعتبرون التعزيز reinforcement فعالاً ، بينما يعتبرون العقاب مليئاً بالمشكلات . وينطبق نفس الشئ على عقاب الذات-self punishment.

ويرى باندورا ثلاث نتائج تترتب – غالباً - على العقاب المفرط للذات excessive self-punishment هى :

أ- التعويض compensation - ومنها عقدة التفوق (الاستعلاء) superiority complex، وضلالات العظمة .delusions of grandeur .

ب- الخمول inactivity –ومنه اللامبالاة apathy ، الملل boredom ، والاكتئابdepression

ج- الهربescape ومنه تعاطى المخدرات والخمر، مشاهدة التلفاز، الخيالاتfantasies ، أو الهروب النهائى بالانتحارsuicide.

وتلك الأحوال الثلاثة أشبه ماتكون بالشخصيات المرضية التى تحدث عنها أدلر Adler وهورنى Horney بوصفها نمطاً عدوانياً aggressive type، ونمطاً مذعناً compliant type، والنمط التجنبىavoidant type، على الترتيب .

ويقدم باندورا توصياته لمن يعانون من المفاهيم الرديئة عن الذات أن يتبعوا بدقة الخطوات الثلاثة لتنظيم الذات على النحو التالى:

١ - فيما يتعلق بملاحظة الذاتself-observation - أن يعرفوا ذواتهم ! تأكد من أن لديك صورة واضحة عن سلوكك .

٢- فيما يتعلق بالمعايير standards – تأكد من أنك لست مبالغاً فى معاييرك . ولاتجعل نفسك منزهاً عن الفشل! ومن جهة أخرى فإن المعايير المنخفضة جداً لامعنى لها .

٣- فيما يتعلق بالاستجابة تجاه الذات – استخدم مكافآت الذات ، لاعقابات الذات . احتفل بانتصاراتك ، ولاتستسلم لإخفاقاتك .

العلاج Therapy

لقد اندمجت الأفكار المتصلة بتنظيم االذات فى أسلوب العلاج المعروف بـ العلاج بضبط النفس self-control therapy . وقد أحرز نجاحا كبيرا مع المشكلات البسيطة نسبيا والمتصلة ببعض العادات مثل التدخين ، الشراهة overeating, وعادات الاستذكار .

الخرائط (الخطط) السلوكية Behavioral charts :

تتطلب ملاحظة الذات Self-observation منك أن تحرص على التفحص الدقيق لسلوكك ، سواء قبل أن تبدأ التغيير أو بعده. ويمكن أن يشتمل ذلك على أساليب غاية فى البساطة كأن تعد كم سيجارة تدخنها فى اليوم، أو على أساليب معقدة من قبيل المذكرات السلوكية اليومية behavioral diaries . ففى المذكرات اليومية، تظل متتبعاً التفاصيل المتصلة بزمان ومكان عادتك : فهل أنت تدخن أكثر بعد الوجبات، مع القهوة، مع أصدقاء بعينهم، فى مواقع بعينها ....؟

تخطيط البيئة Environmental planning.

استرشاداً بخرائطك السلوكية ، ومذكراتك اليومية ، يمكنك أن تشرع فى تغيير بيئتك. فبوسعك (طفايات)السجائر ashtrays ، تناول الشاى بدلاً من القهوة، إبتعد تماماً عن رفاق التدخين ...ستجد أن الوقت والمكان أصبحا أكثر مناسبة لسلوكيات بديلة جيدة :وعندئذ وحينئذهل و جدت أن دراستك أصبحت أفضل؟وماشابه ذلك.

تعهدات الذات Self-contracts .

أخيرا، أنت ترتب لأن تكافئ نفسك عندما تلتزم بتنفيذ خطتك، مع احتمالية أن تعاقب نفسك عندما لاتلتزم بها. وتلك التعهدات تكون مسجلة(لدى معالجك وموقعة منك، على سبيل المثال)٠

وينبغي أن تكون التفاصيل شديدة الوضوح " سأخرج لتناول العشاء مساء السبت إذا نجحت فى أن أدخن عدداً أقل من السجائر هذا الأسبوع مقارنة بالأسبوع الماضي. وإذا فشلت فى ذلك فسأقوم بعمل كتابى.(إشارة لمهمة مملة)، إذا لم تكن

صارماً مع نفسك بدرجة كافية ، ينبغى أن تُشرك أناساً أخرين وتمكنهم من التحكم فى المكافآت والعقوبات ، إذا لم تكن صارماً مع نفسك بدرجة كافية . إحذر، فمن ناحية أخرى: ذلك جريمة فى حق علاقاتك . فكأنك قضمت رءوسهم من أجل محاولتك فعل ماأخبرتهم بأنك ستفعله.!

العلاج بالتنمذج Modeling therapy

اشتهر العلاج الذي وضعه باندورا باسم العلاج بالتنمذج modeling therapy ، والنظرية تشير إلى أنك إذا كان لديك شخص ما يعانى من اضطراب نفسي، واتحت له فرصة لأن يلاحظ شخصاً أخر يُعالج من نفس الإضطراب بطريقة فعُالة ، فإن الشخص الأول سوف يتعلم بالتنمذج (بالاقتداء) من الثانى .

إن البحث الأصلي لباندورا عن ال herpephobics _ أى الأشخاص الذين يعانون من مخاوف عصابية من الثعابين neurotic fear of snakes ، حيث يُوجه العميل إلى نافذة تطل على معمل. ولايوجد بالمعمل سوى كرسى ، ومنضدة ، وقفص على المنضدة بمزلاج مغلق وثعبان داخل القفص يُرى بوضوح ، وعندئذ يشاهد العميل شخصاً أخر – ممثل – يتوجه صوب القفص ببطء وهو متألم ، يقترب نح الثعبان . ويدعى الممثل أنه فى حالة رعب terrified أول الأمر ،ثم يخلص نفسه من تلك الحالة ، أمراً نفسه بأن يسترخى وأن يتنفس بصورة طبيعية وأن يتقدم فى كل مرة خطوة واحدة نحو الثعبان . وقد يتوقف فى منتصف المسافة ، يتراجع مذعوراً، ويعاود الكَرة من جديد. وأخيراً ، يصل إلى النقطة التى عندها يفتح القفص ، ويخرج الثعبان، ويجلس على الكرسي، ثم يلف الثعبان، وأثناء ذلك كله يوجه لنفسه تعليمات التزام الهدوء.

وبعد أن شاهد العميل كل ذلك (وبلا شك وهو فاغر فاه طوال الوقت) يُدعى لأن يحاول فعل ذلك بنفسه.فكر فى ذلك ، إنه يعرف أن الشخ الأخر ممثلاً – فليس فى الأمر خداع هنا ، إنما هو التنمذج فقط !وبالرغم من أن العديد من العملاء – من الذين يعانون الفوبيا – لفترة طويلة - يتمكنون من اجتياز هذا النظام من المرة الأولى تقريباً ، بمجرد مشاهدة واحدة للممثل! إنه لعلاج ناجع powerful therapy.

إن المشكلة التي تواجه هذا النوع من العلاج تتمثل فى أنه ليس من السهل توافر غرف المعالمل تلك ، والثعابين ، والممثلين ، وغير ذلك ، معاً . لذا فقد ذهب

باندورْ وتلاميذه لأن يجربوا صيغاً أخرى من العلاج باستخدام تسجيلات للممثلين ، أو دفع اعميل لتخيل العملية تحت توجيه المعالج . وقد أدت تلك الأساليب إلى نتائج مشابهة تقريباً.

مناقشة

لألبرت باندورا تأثير عظيم على نظرية الشخصية وعلاجها. فأسلوبه السلوكى البسيط ترك انطباعاً جيداً لدى معظم الناس ، ويطلق على عمله منحى حل المشكلات problem-solving approach

إضافة إلى أنه ينسب إلى هؤلاء الذين يريدون أن يجدوا الأشياء مُنجزة، وليس كعلماء الشخصية ممن أسهبوا فيالتفلسف بقضايا المماثلة ids، والنماذج البدائية archetypes ، والواقعية actualization ، والحرية freedom ،والصيغ العقلية الأخرى .

بين علماء النفس النظريين academic psychologists نجد البحث محتدماً وأن السلوكية هى المنحى الأكثر تفضيلاً، فمنذ أواخر الستينيات، شهدت السلوكية ثورة معرفية cognitive revolution والتى بها أعتبر باندورا جزءاً من علم النفس المعرفى الذي احتفظ بطابع توجهه التجريبي، دون أن يقيد حركة الباحثين داخل إطار السلوكيات الظاهرية فقط external behaviors ، ومن ثم تُعد الحياة العقلية للعملاء والمبحوثين هامة بصورة واضحة .

ومما يجدر ذكره أن نظرية التعلم الاجتماعى قد شهدت ثراءً بجهود والتر ميشيل Walter Mischel والتي منحتها الصفة المعرفية لتصبح نظرية التعلم المعرفي الاجتماعي cognitive social learning theory وبالرغم من تأكيد باندورا وميشيل على أهمية المنحى الأمبريقى فى تناول الشخصية الانسانية بالدراسة، إلا أنهما شددا على أهمية العوامل الاجتماعية والمعرفية التى تحدد هويتنا كبشر. ويعتقد ميتشيل فيأهمية إحدى تلك العمليات ألا وهى" تأجيل الإشباع delay of satisfaction " وهى القدرة على إرجاء الإشباع الفورى فى سبيل إثابات مستقبلية أكثر مرغوبية. ومثال على ذلك : تأمل أهمية إرجاء الإشباع طوال أيام الدراسة، إذ تضبط سلوكك وتقاوم إغراء التكاسل، أو قضاء وقت ممتع الأن، إلى أن تُكافأ بنتيجة مشرفة بعد الامتحانات.... بم تفسر ذلك؟ إنها القدرة المعرفية

الانسانية والمثابرة السلوكية، تضحية بالعاجل فى سبيل الأجل مما يعكس قدرة ذاتية على ضبط السلوك الشخصى أكبر من كونه موجهاً من قبل الأخرين .

إن بحث ميشيل عن إرجاء الإشباع يشير إلى قضية هامة تتصل بقضية الثبات فى الشخصية الإنسانية، فهل نحن بحق قادرون على إرجاء الإشباع دوماً، وعبر مختلف لمواقف؟! بمعنى لو تأملنا حياة فرد ما على امتداد عشر سنوات ، فهل سيبدى نفس ميوله لإرجاء الاشباع.؟؟

يعتقد ميشيل فى أن العمليات المعرفية تمكننا من التكيف للمواقف، وأن إرجاء الإشباع يكون نتسقاً (ثابتاً نسبياً) بمرور الوقت .

وبالرغم من إسهامات نظرية التعلم الاجتماعى المعرفى فى تطوير نظريات الشخصية لتصب أكثر شمولية فى تناولها لجوانب الشخصية الانسانية ، إلا أنها لم تسلم من انتقاد بعض السلوكيين لها ، ووصفهم إياها وكذلك سلوكية سكنر بأنهما ممرفتان فى الميكانيكية ، مهملتان الجوانب الغنية والأكثر تأثيراً فى الشخصية الإنسانية من قبيل الابتكارية ، والطموح، والجوانب الإنسانية ، الأمر الذي عنيت به نظريات أخرى سيرد ذكرها من قبيل النظرية الإنسانية. وبالرغم من ذلك تُعد نظرية التعلم الاجتماعى المعرفى بمثابة حركة قوية ، ومؤسسوها يمثلون قطاعاً هاماً من أبرز علماء النفس اليوم ، منهم Julian Rotter, Walter Mischel, Michael Mahoney, and David Aaron Beck بينهم مُنظرون للعلاج أمثال كما أن من Meichenbaum ، علاج معرفي cognitive ، والعلاج العقلانىالانفعالى rational emotive therapy Albert Ellis ، ثم من ساروا على نهجهم ، أمثال جورج كيلى، باندورا، ونظرية المزاج temperament theory لـ Buss and Plomin ، ونظرية العوامل الخمسة لـ McCrae and Costa . فكلهم يُعدون معرفيون .

الفصل التاسع عشر
ألبرت أليس
Albert Ellis
1913 – 2007

وُلد إليس فى بتسبيرج عام ١٩١٣ ، ونشأ وترعرع فى مدينة نيويورك ، وبذل غاية جهده فى طفولة قاسية بإعمال عقله ، والتى عبر عنها بقوله " كنت حلالاً للمشاكل المستعصية والواضحة " لقد حول فشل كلوى خطير اهتمامه من ممارسة الرياضة إلى الكتب ، إضافة لشقاق أسرى (حيث طلق والداه وهو ابن الثانية عشرة) مما أدى به إلى فهم الآخرين .



لقد أفصح إليس منذ سنواته الأولى بالمدرسة العليا عن إمكانية أن يصبح روائياً أمريكياً عظيماً . لقد خطط لدراسة المحاسبة فى المدرسة العلياوالجامعة ، وأن يجمع مالاً كافياً حتى يتقاعد فى الثلاثين ، طوعاً،حتى يكتب بغير وطأة الحاجة للمال .

إلا أن الكساد العالمى وضع نهاية لرؤيته تلك . إلا أنه حققها من خلال الكية فى عام ١٩٣٤ بالحصول على درجة جامعية فى إدارة الأعمال من جامعة الولاية بمدينة نيويورك . وكانت أولى مغامراته فى دنيا الأعمال ، قيامه بالإتجار فى سراويل الرجال بالتعاون مع أخيه . وشاركا بمزادات نيويورك على المعاطف المستعملة . فى العام ١٩٣٨، أصبح إليس مديراً لشئون العاملين بشركة للهدايا والمبتكرات .

لقد أنفق إليس معظم وقت فراغه فى كتابة القصص القصيرة ، المسرحيات ، الروايات ، الشعر الساخر ، المقالات،الكتب غير الروائية . بمرور الوقت وببلوغه الثامنة والعشرين ، كان قد أنهى كتابة مخطوطات لحما يزيد عن عشرين مخطوطاً ، إلا أنه لم يستطع نشر أى منها . وأدرك أن مستقبله لن يكون تحت رحمة كتابته الروائية ، فتحول كلية إلى الكتابة غير الروائية ، حتى يروج لما أطلق عليه" ثورة الجنس العائليةِ""the "sex-family revolution.

وبقدر ماجمع من مادة لانجاز رسالته المعنونة حالة للحريةِ الجنسيةِ، أصبح العديدمن أصدقائه ينظرون إليه بوصفه خبيراً فى هذا الموضوع . وكانوا يطلبون منه النصيحة ، ومن ثم بدأ إليس يشعر بأنه كما لوكان يقوم بالإرشاد أثناء كتابته .

فى العام ١٩٤٢ عاد لمواصلة الدراسة ، والتحق ببرنامج علم النفس الاكلينكى فى كلومبيا . وبدأ يمارس الإرشاد العائلى والجنسى لبعض الوقت بمجرد حصوله على درجة الماجستير ١٩٤٣ .

وفى الوقت الذى منحته جامعة كولومبيا درجة الدكتوراة كان على قناعة بأن التحليل النفسى كان نوعاً من العلاج الأكثر عمقاً ونجاعة . وقرر أن يخضع لتحليل تدريبى ، واصبح محللاً نفسياً خارج المنافسة بعد سنوات قلائل . إلا أن مؤسسات التحليل النفسى رفضت قبول متدربين بدون حصولهم على درجة جامعية فى الطب ، إلا انه وجد فرصة للتدرب على يد محلل نفسى ضمن جماعة كارين هورنى ، الذى قبل أن يعمل معه . وأتم إليس تحليله كاملاً وبدأ فى ممارسة التحليل النفسى الكلاسيكى بتوجيه من أستاذه .

وفى آخر الأربعينات من القرن ١٩ تعلم فى جامعة ريتجرز ونيويورك *Rutgers and New York University*

وأصبح كبير الأخصائيين النفسيين فى عيادة الصحة العقلية بشمال نيوجرسى . وأصبح الأخصائى النفسى الرئيسى بالمركز التشخيصى بنيو جيرسى ، ومن ثم رئيساً لقسم الهيئات والوكالات بنيو جيرسى .

إلا أن إيمان إليس بالتحليل النفسى سرعان مانهار . إكتشف أنه عندما كان يرى العميل لمرة واحدة أسبوعياً أو حتى كل أسبوع ، كانوا يتحسنون كلما رأوهم يومياً . فاتخذ لنفسه دوراً نشطاً أكثر . بإقحام النصيحة والتفسير المباشر كما كان الحال عندما كان يرشد الناس ممن لديهم مشكلات عائلية أو جنسية .

وبدا العملاء يتحسنون بسرعة أكبر مما كانوا عليه فى حالة استخدام إجراءات نفستحليلية خاملة passive psychoanalytic procedures ، ويتذكر ماجرى قبل أن يخضع للتحليل النفسى . ، لقد قام بممارساته الإرشادية من خلال مشكلاته هو ، وذلك بقراءة وممارسة فلسفات كل من Marcus Aurelius, Spinoza and Bertrand Russell وبدأ فى تعليم عملائه المبادئ التى يعمل بمقتضاها .

وفى نهاية العام ١٩٥٥ ، كفر إليس بالتحليل النفسى ، وبدلاً منه كان تركيزه على تغيير سلوك الأشخاص عن طريق مواجهتهم بمعتقداتهم اللاعقلانية ، وحثهم على تبنى معتقدات عقلانية بدلاً منها .

وكان هذا الدور أهم مايميز أسلوب إليس ، والتى كان أميناً فيها مع نفسه حيث قال " حينما أصبحت وجدانياً - عقلانياً ، بدأت عمليات شخصيتى فى الاهتزاز حقاً .

لقد نشر أول كتبه عن العلاج العقلانى الوجدانى السلوكى المعرفى والمعنون بـ كيف تعيش مع شخص عصابى ؟ وذلك العام ١٩٥٧ ، وبعد عامين أسس معهداً للحياة العقلانية Rational Living حيث كان يعقد ورشاً للعمل لتعليم مبادئه للمعالجين الأخرين . وكان كتابه المعنون بـ فن وعلم الحب ، كتابه الأول من حيث النجاح ، وقد نشر فى عام ١٩٦٠ ، وقد تمكن حتى وفاته من نشر ٥٤ كتاباً وأكثر من ٦٠٠ مقالة . عن العلاج العقلانى الوجدانى السلوكى ، والجنس ، والزواج . إنه وقبيل وفاته كان رئيساً لمعهد العلاج الوجدانى العقلانى بنيويورك ، والذى يتيح برامج تدريبية بكامل الوقت ، وكان يديراً عيادة اكلينكية كبرى . ولقد تُوفى إليس بفشل بالقلب والكلى فى ٢٤ يوليو ٢٠٠٧ .

النظرية

بدأت بنظرية تختصر فى حروف REBT نظريةالعلاج السلوكى الوجدانى المعرفى ، ABC حيث A تشير إلى تنشيط الخبرات ، من قبيل الاضطرابات العائلية ، العمل غير المرض ، صدمات الطفولة المبكرة ، وكل الأشياء التى يمكن اعتبارها مصدراً لعدم السعادة ،. ويشير الحرف B لعواقب ذلك ، والمتمثلة الأعراض العصابية لعدم السعادة ، خاصة المعتقدات اللاعقلانية المدمرة للذات ***self-defeating beliefs*** والتى تعد مصدراً حقيقياً لعدم السعادة . C. بينما يشير حرف الى مايترتب على ماتقدم من الوجدانات السلبية من قبيل الاكتئاب ، الفزع ، وثورات الغضب ، والتى تتولد عن معتقداتنا اللاعقلانية تلك .

وبالرغم من أن تنشيط الخبرات قد يكون حقيقياً بالفعل ويمكن أن وتكون قد سببت ألماً حقيقياً ، إلا أن معتقداتنا اللاعقلانية هى التى تخلق مشكلات مستمرة يصعب تحملها ! الأمر الذى دفع إليس إلى إضافة حرفىD ، E حيث يتوجب على المعالج أن يناقش المعتقدات اللاعقلانية حتى يستمتع العميل فى نهاية الأمر بالتأثيرات النفسية الإيجابية للمعتقدات العقلانية .

مثال على ذلك ، " يشعر الفرد المكتئب بالحزن والوحدة لأنه يعتقد خطأ بأنه غير كفء ، ومكروب " وبالفعل فإن الأشخاص المكروبون يتصرفون تماما

كالأشخاص غير المكروبين ، يتوجب على المعالج أن يبين للشخص المكروب نجاحاته ، ، ومن ثم يهاجم المعتقد بأنهم غير أكفاء ، بدلا من مهاجمة حالتهم المزاجية ذاتها !

Although the activating experiences may be quite real and have caused real pain, it is our irrational beliefs that create long-term, disabling problems! Ellis adds D and E to ABC: The therapist must dispute (D) the irrational beliefs, in order for the client to ultimately enjoy the positive psychological effects (E) of rational beliefs

وبالرغم من أنه ليس من الضرورى تحديد مصدر تلك المعتقدات اللاعقلانية ، فإنه من المفهوم أنها بمثابة نتيجة عادات تشريطية ذات طابع فلسفى ، كعادة الرد على التليفون بمجرد أن يرن. الأكثر من ذلك يقول إليس بأننا مبرمجون بيولوجياً لأن نكون حساسين لذاك النوع من التشريط .

وتتخذ تلك المعتقدات صيغة المقولات المطلقة absolute statements فبدلاً من الاعتراف الاعتراف بتفضيل أو رغبة فيها ، نفرض مطالب عامة على الآخرين ، أو نقنع أنفسنا بأن لدينا حاجات ملحة . إذاً يوجد هنالك عدد من أخطاء التفكير ، يتورط فيها الناس ، تتضمن :

١ـ. تجاهل ماهو إيجابى ignoring the positive

٢ـ المبالغة فى السلبى exaggerating the negative

٣ـ المبالغة فى التعميم overgeneralizing

فقد أحرم نفسى من رؤية أن لدى بعض الصداقات ، أو أنى قد أحرزت بعض نجاحات ولو قليلة ، وأشغل نفسى بأنى قد عانيت كثيرا ، وقد أقنع نفسى بان أحدا لايحبنى ، أو بأننى فظ !

ويقدم إليس إثننتا عشرة إعتقاد لاعقلانى ، نذكرها فيمايلى : . . .

المعتقدات اللاعقلانية الاثنتاعشرة : أسبابها والأعصبة الداعمة لها :

12 Irrational Ideas That Cause and Sustain Neurosis

١- اعتقاد الراشدين بحاجة ماسة لأن يكونوا محبوبين من الأشخاص الآخرين الهامين ، بدلاً من تركيزهم على ذواتهم هم كمصدر لاحترامهم لأنفسهم ، وعلى تقبل إحرازهم لأغراض حقيقية ، وعلى ممارسة الحب بدلاً من الاكتفاء بتلقيه .

٢- فكرة أن بعض التصرفات بغيضة أو كريهة ، وأن الأشخاص الذين يقومون بها ينبغى أن يعاملوا بتجهم وقسوة ، بدلاً من فكرة أن تلك التصرفات ذاتها نوع من انهزام الذات ، أو هى مضادة للمجتمع ، وأن أولئك الناس الذين يفعلونها إنما يتصرفون بغباء ، وعلى نحو جاهل ، أو على نحو عصابى ، وقد يتغيروا للأفضل إذا تلقوا مساعدة . فالسلوكيات الرديئة للناس لاينبغى أن تجعلهم فاسدين .

٣- فكرة أنه لأمر بشع أن تسير الأمور على غير النحو الذى نحبه – بدلاً من الفكرة بأنه أمر سيئ للغاية ، ومن المتوجب علينا أن نعدله للأفضل أو نتغلب على الظروف السيئة لتكون أكثر إرضاءً (إشباعاً) ، وإن تعذر ذلك فمن الأفضل لنا أن نتقبله بصورة مؤقتة وأن نتحلى بالصبر الجميل على وجوده .

٤- الاعتقاد بأن مصدر التعاسة الإنسانية الدائمة خارجى وأنها مفروضة علينا من الناس الآخرين ، والأحداث . – بدلاً من الفكرة بأن العصاب مصدره الأكبر يتمثل فى النظرة التى نتبناها عن الظروف السيئة (المؤسفة) .

٥- الاعتقاد بأن شيئاً ما قد طرأ أو مخيفاً ، وأنه يتوجب علينا أن نكون منزعجين منه بدرجة كبيرة ، وأن نقلق منه باستمرار – بدلاً من الفكرة بأنه يتوجب على الشخص مواجهة هذا الأمر بحياد وأن يجعه غير خطر (ضار) ، وأنه إذا تعذر ذلك ، فليتقبله حتماً مقضياً .

٦- الاعتقاد بأنه من الأسهل تجنب صعوبات الحياة بدلاً من مواجهتها وتحمل المسئوليات الذاتية – بدلاً من الفكرة بأن ماتحصل عليه بسهولة يصعب الاحتفاظ به على المدى الطويل .

٧- الاعتقاد بأنه من المستحيل أن نحتاج شيئاً من الآخرين ، ألقوى أو الأكبر منا ، لنعتمد عليهم – بدلاً من الفكرة بأنه من الأفضل أن تقلل من مخاطر التفكير أو التصرف المنفرد (دون مشاورة) .

٨- الاعتقاد بأنه يتوجب علينا أن نكون منافسين أكفاء ، وأذكياء ، وأن نحظى بكامل الاحترام ماأمكن – بدلاً من الفكرة بأنه من الأفضل من ذلك أن نبذل أقصى جهدنا وأن نتقبل ذواتناكمخلوقات غير معصومة من الضعف أو النقص ، وأننا ككل البشر محدودى القدرة ، ومعرضون للخطأ . (ضد النرجسية النرجسية إذاً فكرة لاعقلانية) .

٩- الاعتقاد بأن قوة ما أثرت فى حياتنا ، وينبغى التسليم بذلك – بدلاً من لاالفكرة بأنه بوسعنا التعلم من خبراتنا الماضية ولكن لانكون منجذبين أو نكون متحيزين ضد تلك العوامل التى أثرت فى حياتنا السابقة .

١٠- الإعتقاد بأن لدينا سيطرة خاصة وتامة على الأمور – بدلاً من الفكرة بأن العالم ملئ باحتمالية وفرصة لأن نظل مستمتعين بالحياة بالرغم من ذلك .

١١- الاعتقاد بأن السعادة الإنسانية يمكن أن تتحقق بالقصور الذاتى ، والكسل (التراخ) – بدلاً من الفكرة بأننا ننزع لأن نكون أكثر سعادة حينما نكون مستثمرين حيوياً فى محاولات إبداعية ، أو عندما نكرس أنفسنا للناس والمشروعات خارج ذواتنا .

-12 - الاعتقاد بأننا لانستطيع السيطرة على انفعالاتنا وأننا لانستطيع المساعدة فى تعديل المشاعر المضطربة تجاه الأشياء – بدلاً من الفكرة بأن أن لدينا مقدرة على ممارسة سيطرة حقيقية على الانفعالات الهدامة destructive emotions إذا اخترنا العمل على تغيير فرضياتنا الاجتراراتنا التدميرية ، التى نلجأ إليها دائماً .

وللتبسيط فإن إليس تكلم أيضاً عن ثلاث معتقدات لاعقلانية أساسية هى :

١ – يجب أن أكون منافس لا يجاريني أحد، أو أكون شخصاً لاقيمة لي

٢ ـــ يجب على الأخرين أن يعاملونني باحترام تام أو يكونوا فاسدين(عفنين)

٣ – على العالم أن يوفر لي السعادة الدائمة ، أو سأموت.

ويستخدم المعالج مهاراته لتفنيد تلك الأفكار اللاعقلانية فى العلاج ، أو على أحسن حال ،يدفع العميل لأالمحاجة بنفسه ضدها . مثال على ذلك ، قد يسأل المعالج :

١. هل يوجد أى برهان (دليل) على هذا الاعتقاد ؟
٢. ماهو البرهان المضاد لهذا الاعتقاد ؟
٣. ماأسوأ إحتمال يمكن أن يترتب على تمسكك بهذا الاعتقاد ؟

١. هل يوجد أى برهان (دليل) على هذا الاعتقاد ؟
٢. ماهو البرهان المضاد لهذا الاعتقاد ؟
٣. ماأسوأ إحتمال يمكن أن يترتب على تمسكك بهذا الاعتقاد ؟
٤. وما هو أفضل شئ يمكن أن يترتب على تمسكك بهذا الاعتقاد ؟

وإضافة للمحاججة ، يستخدم المعالج بأسلوب العلاج السلوك الانفعالى العقلانى أى فنيات أخرى والتى من شأنها أن تساعد العميل على تغيير معتقداته . فقد يستخدم العلاج الجميستخدم النظرة الإيجابية غير المشروطة ، يوفر أنشطة للمخاطرة ، التدريب على التوكيدية ، التدريب على التعاطف ، وربما يستخدم لعب الأدوار فى كل ذلك ، ويشجع على إدارة الذات من خلال أساليب تعديل السلوك ، واستخدام أسلوب التقليل من الحساسية على نحو منظم . ، وما إلى ذلك.

التقبل غير المشروط للذات Unconditional self-acceptance

ذهب إليس إلى التأكيد بشدة على أهمية مايسميه (التقبل غير المشروط للذات) حيث يقول بأن فى العلاج السلوكى الوجدانى العقلانى ، لايوجد ذاك الشخص الملعون ، مهما بلغت بشاعة تصرفاتهم ، وسنتقبل ذواتنا بماهى عليه ، وليس لمانحققه أو ننجزه .

وأحد الأساليب التى يذكرها لإقناع العميل بقيمته العميقة فى ذاته / ذاتها كإنسان . أنك بمجرد كونك على قيد الحياة فلك قيمتك .

ويلاحظ إليس أن معظم النظريات أولت قدراً كبيراً من الاهتمام خارج نطاق إعتبار الذات,, Self steem and ego- strengthوقوة الأنا ، فنحن ننتقل من تقيم سماتنا وتصرفاتنا نحن من الطبيعى أن نقيم الخلق ، وهذا حسن ، إننا إلى تقييم ذلك الكيان الشمولى المبهم الذى يسمى الذات Self، فإلى أى مدى يمكننا أن نتمكن من ذلك ؟ ومامدى نجاحنا فى عمل ذلك بصورة جيدة ، ؟ إنها المعاناة كما يعتقد إليس .

ويرى إليس أنه توجد أسباب مشروعة لترقية المرء لنفسه أو لذاته : نحن نريد أن نبقى على قيد الحياة ، وأن نكون أصحاء ، ونريد أن نستمتع بالحياة ، وما إلى ذلك ، ولكن أكثر السبل التى يمكن من خلالها ترقية الذات أو الأنا تكون ضارة (مؤذية) منها مايعرض إليس أمثلة لها :

- إما أن أكون شخصاً مميزاً ، وإما أن أكون شخصاً ملعوناً .
- إما أن أكون شخصاً محبوباً أو شخصاً يتلقى الرعاية .

- يجب ان أكون شخصاً مخلداً (لاأموت) .
- إما أن أكون شخصاً جيداً أو سيئاً .
- يجب علىّ أن اثبت ذاتى .
- يجب على أن افعل أى شئ اريده .

I am special or I am damned.
I must be loved or cared for.
I must be immortal.
I am either good or bad.
I must prove myself.
I must have everything that I want.

ويعتقد إليس بقوة فى أن تقييم الذات تؤدى إلى الاكتئاب أو الكبت ، وتجنب التغيير . إن الشئ الأفضل لصحتنا كبشر أن نتوقف تماماً عن تقييم ذواتنا .

ولربما تكون فكرة الذات أو الأنا قد أسرف فى استخدامها . إلا أن إليس كان متشككاً للغاية فى وجود ذات حقيقية أو واقعية ، شأنه فى ذلك شأن هورنى وروجرز .ولم يكن يحب تحديداً الفكرة القائلة بوجود صراع بين الذات الراقية (المترقية) بتحقيق الذات ، والذات المترقية بالمجتمع ، وفى الحقيقة ، وكما يقول ، أن طبيعة الشخص ، ومجتمع الشخص أميل لأن يكونا متعاضدان أكثر من كونهما عدوان .

وقد ذهب مؤخراً إلى أنه لايوجد دليل على انتقال الذات أو الروح من شخص لأخر . فالبوذيون على سبيل المثال يرحبون بأراء إليس باستثناء رفضه لفكرة تناسخ الأرواح ! كما أنه يتشكك فى الأحوال المتغايرة للاشعور ، ، كما يتشكك فى علم نفس التقاليد وعلم النفس البينشخصى . وفى الحقيقة ، هو يرى تلك الحالات على أنها he sees these states as being more inauthentic than transcendent!

وعلى الجانب الآخر ، يرى أن نظريته بمثابة خروج عن التقاليد القديمة ، ومُدعمة من فلاسفة أمثال سبينوزا . ويرى تشابهاً إضافياً بين الوجودية وعلم النفس الوجودى . إن أى نظرية تضع المسئولية كاملة على عاتق الفرد وعلى معتقداته ، تكون أميل للاتفاق مع نظرية إليس فى REBT. العلاج السلوكى الانفعالى العقلانى

ولا يتصور الحديث عن إليس دون ذكر آارون بيك Aaron Beck فإذا كان إليس هو الجد لنظريات العلاج المعرفى ، فإن بيك هو الأب لها . فالأثر لهذين الرائدين على العلاج النفسى لايمكن تجاهله .

لقد ولد بيك فى مقاطعة بروفايدنس ، بأيسلندا ، فى الثامن عشر من يوليو ١٩٢١ لوالدين روسيين يهوديين مهاجرين ، وحصل على شهادته الجامعية الأولى من جامعة براون Brownعام ١٩٤٢ ، ودرجته فى الطب من جامعة يل عام ١٩٤٦ . تزوج وكان له أطفال اربعة . واحدة منهم ، اسمها جوديث اقتفت أثر أبيها .

ومايزال نشطاً كاستاذ بجامعة بنسلفانيا . كما أنه يعمل مديراً مركز علاج الانتحار والوقاية منه ، ورئيساً لمعهد بيك للعلاج المعرفى والبحوث فى فيلاديلفيا ن والذى تشغل ابنته جوديت مركز المدير به .

لقد طور بيك صيغة من العلاج أسماها العلاج (CT) Cognitive Therapy، كما تعرف بالعلاج السلوكى المعرفى (RET) CognitiveBehavioralTherapy

والتى تجمعها أوجه شبه عديدة بنظرية إليس عن العلاج الانفعالى العقلانى.

يعتمد العلاج المعرفى على فكرة أن العديد من المشكلات النفسية تنشأ فى معظمها عن أخطاء معرفية ، خاصة مايتصل منها بذات الشخص ، وعالمه ، ومستقبله ، وبطريقة المحادثة ، يساعد المعالج المريض على اكتشاف واختبار معتقداته وعمليات تفكيره ، وتطوير المداخل الأمثل لمشكلات الحياة . ومن بين الأخطاء الأصيلة للتفكير والتى اكتشفها بيك ، هى تصغير الإيجابيات ، وتضخيم السلبيات . Cognitive Errors

وعلى نحو أصيل طبق بيك مناهجه تلك على أف كار الاكتئاب ، والانتحار ، ولكنه وطلابه تمكنوا من توسيع مداها لتشمل اضطرابات القلق ، واضطرابات الشخصية ، وأيضاً الفصام .

وفى العام ٢٠٠٧ ، أجرت مجلة علم النفس عبر الانترنت مسحاً بين الاخصائيين النفسيين لتحديد أكثر المعالجين النفسيين تأثيراً ، فجاء بيك بالمركز الثانى بعد كارل روجرز مباشرة .

الجزء الخامس

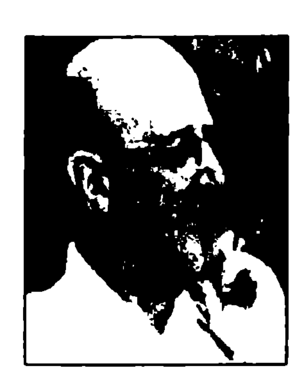
النظريات الوجودية والفينومونولوجية والإنسانية

- نظرية كارل روجرز
- نظرية أبراهام ماسلو
- نظرية فيكتور فرانكل

الفصل العشرون

كارل روجرز
CARL ROGERS
1902 – 1987

سيرة حياة



وُلد كارل روجرز فى الثامن من يناير ١٩٠٢ فى Oak Park, Illinois ،إحدى ضواحي Chicago ، وهو الرابع بين ستة أطفال.كان أبوه مهندساً مدنياً ناجحاً وأمه ربة بيت مسيحية ورعة. بدأ تعليمه من الصف الثاني، نظراً لأنه كان يقرأ بالفعل قبل رياض الأطفال .

عندما بلغ كارل روجرز الثانية عشرة ، إلى مزرعة تبعد ثلاثين ميلاً غرب شيكاغو، وبها عاش مراهقته . وفى ظل تنشئة صارمة وتكليفات بواجبات مزعجة ، أصبح كارل روجرز منعزلاً isolated إضافة لكونه استقلالياً independent ، ضابطاً لنفسهself-disciplined .

لقد ذهب إلى جامعة Wisconsin فى تخصص الزراعة. وفيما بعد تحول إلى تخصص الدين لدراسة الكهنوت . وأثناء ذلك تم اختياره ضمن عشرة طلاب للسفر إلى Beijing المؤتمر الدولي لاتحاد الطلاب المسيحيين. ويخبرنا كارل روجرز بأن خبراته الجديدة تلك وسعت من تفكيره، لدرجة أنه بدأ يشك فى بعض آرائه الدينية الأساسية .

وبعد التخرج، تزوج من Helen Elliot (ضد رغبة والديه) فانتقل إلى مدينة نيويورك، ومنذئذ بدأ يتردد بصورة منتظمة على المعهد اللاهوتي ، وهو معهد ديني ليبرالي شهير، وأثناء ذلك تحدث كطالب في سيمنار منظم تحت عنوان "لماذا التحقت بدراسة اللاهوت ؟" أجدني مضطراً لأن أقول لكم ميلي، لم ترغب في تغيير مسارك المهني ،فإياك أن تختار تخصص كهذا ! ويخبرنا بأن معظم المشاركين في تلك الدراسة "اعتقدوا بأن طريقهم الصحيح هو خارج نطاق العمل الديني".

إن فقدان الدين يعني مكسباً لعلم النفس (أو شهرة فيه) . فتحول روجرز إلى برنامج علم النفس الإكلينيكي بجامعة كولومبيا Columbia University ، ومُنح درجة الدكتوراه عام ١٩٣١. وكان قد بدأ بالفعل عمله العيادي في جماعة Rochester لمنع القسوة على الأطفال. وفي هذه العيادة تعلم الكثير عن نظرية Otto Rank's وأساليب العلاج، التي بها بدأ طريقه في تطوير المنحى الروجرزي .

وفي ١٩٤٠ رقي إلى وظيفة أستاذ في ولاية أوهايو. وفي عام ١٩٤٢ كتب كتابه الأول، الإرشاد والعلاج النفسي. ثم ، في ١٩٤٥، دُعي لتأسيس مركزاً للإرشاد بجامعة شيكاغو .وأثناء عمله بامركزو في عام ١٩٥١ نشر عمله الأبرز ، العلاج المتمركز على العميل،Client-Centered Therapy ، والذي بيّن فيه نظريته الأساسية .

في عام ١٩٥٧، عاد للتدريس في مدرسته الأم، جامعة Wisconsisn وللأسف ، كانت فترة من الصراع داخل قسم علم النفس ، فأصيب روجرز بخيبة أمل شديدة في التعليم العالي . وفي عام ١٩٦٤، كان سعيداً بوضع البحث في La Jolla بولاية California ، فمارس العلاج، وأعطى أحاديث، وكتب الكثير، حتى وفاته في ١٩٨٧.

النظرية Theory

تُعد نظرية روجرز نظرية إكلينيكية أسسها على خبرته في التعامل مع عملائه . وهو يشترك في ذلك مع فرويد ، كما أنه يشترك مع فرويد في أن له

نظرية خاصة ثرية وناضجة -فكر جيد ، وإحكام منطقي ، مع تطبيقات واسعة .ورغم ذلك لم يكن متفقاً مع فرويد ، فروجرز يرى أن الناس – فى الحقيقة - هم بالأساس بخير أو أصحاء .. أو على أقل القليل، ليسوا سيئين أو مرضى .

بكلمات أخرى ، يرى روجرز أن الصحة النفسية بمثابة تقدم طبيعي للحياة ، ويرى أن الاعتلال النفسي، والجريمة ، ومشكلات إنسانية أخرى ، بوصفها تشويهات لتلك النزعة الطبيعية. وهذا ما لا يتفق مع فرويد ، إذ أن نظرية روجرز - فى الواقع – تعد أبسط نسبياً .

كما أن نظرية روجرز أنه تختلف عن نظرية فرويد فى كونها أكثر بساطة ورشاقة فى آن واحد! فالنظرية برمتها مؤسسة على قوة واحدة للحياة force of life والتي يسميها روجرز النزعة لتحقيق الذات the actualizing tendency. والتي يمكن تعريفها بأنها دافعية داخلية built-in motivation موجودة فى كافة أوجه الحياة من أجل تنمية الامكانات إلى أقصى درجة ممكنة. ونحن لا نتكلم فقط عن حاجات البقاء : يعتقد روجرز بأن كل المخلوقات تكافح من أجل وجود أفضل . وإذا فشلوا فى ذلك ، فذلك لا يعني غياب هذه الرغبة .

لقد أعجب روجرز بتلك الحاجة أو الدافع الوحيد الكبير . والعديد من الأمثلة الباكرة ، فى الواقع، تشمل الأعشاب weeds والفطر mushrooms! فكر فى ذلك : ألا تدهشك الكيفية التي تنمو بها الأعشاب من خلال أرصفة المشاة ، أو الشجيرات التي تشق الصخر ، أو الحيوان الذي يعيش فى الظروف الصحراوية أو حتى فى الشمال المتجمد.؟

ولقد طبق روجرز ذات الفكرة على نظم البيئة ecosystems قائلاً بأن نظاماً بيئياً كالغابة – مثلا – وبكل تعقيداته ، به قدر كبير جدا من تحقق الإمكانات يفوق كثيراً ما يتحقق فى النظام البيني لحقل الذرة.فلو أن إحدى الحشرات كانت مهددة بالانقراض من الغابة فإن كائنات حية أخرى ستكيف نفسها لسد تلك الفجوة؛

ونفس الشيء يحدث لنا كأفراد : إذا كُنا نعيش الحياة كما نحن عليها الآن ، فسوف نصبح معقدين على نحو متزايد ، مثل الغابة ، وبالتالي نحتفظ بمرونتنا فى مواجهة نوائب الحياة ، صغيرها وكبيرها .

وعلى أية حال فإن الناس ، وفى سياق تحقيق امكاناتهم ،أوجدوا المجتمع والثقافة . وهذا فى حد ذاته ليس مشكلة : فنحن مخلوقات اجتماعية social creature وتلك هي طبيعتنا .

ولكن عندما ابتدعنا الثقافة ، قامت بتطوير الحياة لأصحابها. وبدلاً من أن تكون لصيقة الصلة بجوانب أخرى من طبيعتنا . تصبح الثقافة قوة فى حد ذاتها. وحتى على المدى الطويل، فإن الثقافة التي تتعارض مع تحقيقنا لذواتنا تفنى، ونحن على الأرجح سوف نموت معها .

لا تسيء الفهم : فالثقافة والمجتمع ليستا شريرتين ! فهما يشبهان تماماً عصافير الجنة الموجودة فى Papua-New Guinea . فريش الذكور الملون والمثير يصرف انتباه الحيوانات المفترسة عن إناثها وصغارها . فالانتخاب الطبيعي Natural selection يدفع تلك الطيور نحو مزيد من توسيع انتشار ريش الذيل ، لدرجة أنه فى بعض الأنواع لا يتمكن الذكر من الطيران (كناية عن طول الريش الذي يؤدى وظيفة بقائية لحماية الإناث والصغار) وعند هذه النقطة، نجد أن الألوان لم تعد نافعة للذكور ولا للنوع، إنها لا تنفعها! ونفس الشيء يحدث بمجتمعاتنا الواسعة، وثقافاتنا المعقدة وتكنولوجياتنا المذهلة، فبالرغم مما ساعدتنا به من أجل البقاء وازدهار، إلا أنها فى نفس الوقت تلحق بنا الضرر، وربما دمرتنا.

التفاصيل Details

يخبرنا روجرز بأن الكائنات الحية تعرف ما هو جيد بالنسبة لها (مصلحتها) فالتطور يوفر لنا الاحساسات ، المذاقات ، والتميزات التي نحتاجها : فعندما نجوع ، نجد الطعام – وليس مجرد طعام ما ، بل الطعام ذو النكهات الطيبة اللذيذة . فالطعام ذو النكهة السيئة أشبه ما يكون بالطعام الفاسد ،المتعفن أو غير

الصحي . ذلك أن النكهات اللذيذة والسيئة هي بمثابة دروسنا التطورية متقنة الصنع. وهذا ما يسمى قيمة الكائن الحي organismic valuing .

فمن بين الأشياء العديدة التي نقيمها غريزياً ، النظرة الإيجابية positive regard وهى بمثابة المصطلح الشامل لدى روجرز والذي يضم تحت مظلته أشياء عديدة من قبيل الحب love، العاطفة affection، الاهتمامattention ، التربيةnurturance، وما إلى ذلك ،فمن الواضح أن الأطفال الرضع يحتاجون للحب والاهتمام . ففي الحقيقة ، قد يكون من المقبول أن الأطفال الرضع إذا حُرموا منهما يتعرضون للموت . ويفشلون فى أن ينمو ويزدهروا ٠٠ أي أن يحققوا كل ما يستطيعونه.

شيء أخر - - ربما خاصية إنسانية - - وهى أننا نقيم(نعطى أهمية) للنظرة الإيجابية للذات positive self-regard ، وهو ما يُعرف ب الاعتداد بالذات self-esteem ، جدارة الذات بالاحترامself-worth ، الصورة الإيجابية للذاتpositive self-image .ونحن نحقق تلك النظرة الإيجابي للذات من خلال النظرة الايجابية التي يظهرها الآخرون لذواتنا عبر سني نمونا. وبدون تلك النظرة الإيجابية نخو الذات . نشعر بأننا صغار ، وعاجزين، ونفشل ثانية فى أن نصبح كل ما نستطيعه.!

ولقد اعتقد روجرز ، كماسلو ، أن الحيوانات إذا تُركوا لشأنهم ، سينزعون إلى لأن يشربوا ويأكلوا الأشياء التى تصلح لهم ،ويستهلكونها بمقادير متوازنة . كذلك الأطفال الرضع يبدون بأنهم يريدون ويحبون ما يحتاجون إليه .

وعلى طول الخط تقريباً ، فقد أنشأنا بيئة ما لأنفسنا والتي تختلف جوهرياً عن البيئة التي ترعرعنا فيها . وفى تلك البيئة المتمثلة فى تلك الأشياء من قبيل السكر المكرر ، الدقيق، الزبد ، الشيكولاتة ، وما إلى ذلك ، والتي لم يكن أسلافنا الأفارقة يعرفون عنها شيئاً البتة . ولتلك الأشياء نكهات متهمة بانتهاك القيمة الإنسانية - - إذ أنها ، بالفعل ،لا تجعلنا نحقق امكاناتنا كما ينبغي.

كما ان مجتمعنا يقودنا أيضاً إلى الإنحراف بسبب شروط الاحترام (الجدارة) conditions of worth، فكلما كبرنا ، فوالدينا ، ومدرسينا ، ورفاقنا، والإعلام ، وأخرون، لا يمنحونا ما نريد إلا إذا أظهرنا أننا جديرون بالاحترام"worthy," لا

لمجرد أننا نحتاجه. فنحن نحصل على الشراب إذا أنهينا العام الدراسي ، ونُمنح بعض الحلوى عندما نأكل الخضار بوجبتنا ، وما هو أكثر أهمية من ذلك ، نحصل على الحب والعاطفة عندما نُحسن التصرف فقط!

إن توقف الحصول على النظرة الإيجابية ، يسميه روجرز ، النظرة الإيجابية المشروطة.conditional positive regard . ونظراً لأننا نحتاج بالفعل لنظرة إيجابية، فإن تلك الشروط ،تعد قاسية جداً ، فنحن ننحنى (نثنى أنفسنا) فى هيئة محددة، ليس بقيمتنا الإنسانية ، ولا بنزعتنا لتحقيق إمكاناتنا actualizing tendency ، ولكن شُكلت بالمجتمع بصرف النظر عما إذا كانت تحظى باهتمامنا أم لا. ومن ثم فإن ولداً أو بنتاً صغيرة قد لا يكون صحيحاً أو سعيداً .

وبمرور الوقت، يؤدى ذلك التشريط بنا لأن تصبح لدينا نظرة ايجابية - مماثلة - مشروطة نحو الذات .فنبدأ

بحب ذواتنا فقط عندما نتفق مع المعايير التي طبقها الأخرون علينا ، وإن لم نكن نحقق بها فعلاً إمكاناتنا. ومنذ أن وُضعت تلك المعايير دون احتفاظ كل فرد بها فى عقله، وفى أغلب الأحيان نجد أنفسنا غير قادرين على التمشي معها (مسايرتها) ، وبالتالي نعجز عن الاحتفاظ بأي شعور بالاعتداد بالذات self-esteem.

التعارض Incongruity

إن مظهر وجودك يتجسد فى النزعة للتحقيقactualizing tendency ، إنما يتبع(يسير وفقا)للقيمة الإنسانيةorganismic valuing ، والحاجات وتلقى نظرة ايجابية واحترام الذات ، ويطلق عليها روجرز الذات الحقيقية real self . وهى " أنت " ولو أن كل شيء سار على مايرام ، ستكون أنت متطابقاً مع ذاتك المثالية .

ومن جهة أخرى ، فوفقاً للمدى الذي يكون له مجتمعنا متجاهلاً النزعة للتحقيق ، ونكون مجبورين على الحياة فى ظل تلك الشروط للجدارة conditions of worth كلما ابتعدنا عن القيمة الإنسانية، ونحظى فقط بالنظرة الإيجابية المشروطة واحترام مشروط للذات ، فنطور بدلاً منها ذاتاً مثالية ideal self وعنى

روجرز بوصف مثالية شيئاً ما غير واقعي ، شيئاً صعب المنال ، معياراً لا يمكننا بلوغه.

وتلك الفجوة بين الذات الواقعية والذات المثالية ، بين ما أنا عليه ومـاينبغي أن أكونه ، هو ما يطلق عليه روجرز مصطلح التعارض (التنافر) incongruity .

كلما زادت الفجوة كلما زاد التعارض، وكلما زاد التعارض زادت المعاناة . والتعارض (التنافر) هو ما اعتبره روجرز في الواقع ، وبصفة أساسية ، العُصابneurosis : حيث تبدأ في عدم الاتساق مع ذاتك . فإذا أصبحت تلك الأصوات (المعاني) مألوفة لديك ، فإنها بالضبط ذات النقطة التي توصلت أليها كارين هورني Karen Horney .

الدفاعاتDefenses

عندما تكون بموقف ما يوجد به تعارض بين صورتك الذهنية عن نفسك وبين خبرتك اللحظية بذاتك ، (أي ١٠١٢١٢٢٩٨ ٠بين ذاتك المثالية وذاتك الواقعية) ، فإنك في موقف مهدد threatening situation .

مثال على ذلك، إذا عُلمت أن تشعر بعدم الجدارة بالاحترام إذا لم تحصل على تقدير A في كل اختباراتك الدراسية ، وأنت بالفعل لست ذاك الطالب العظيم ، حينئذ تصبح المواقف المشابهة لموقف الاختبار جالبة للتعارض (التنافر) – وستكون الاختبارات الدراسية شديدة التهديد .

عندما تتوقع موقفاً مهددا ، فسوف تشعر بالقلق.والقلق يُعد إشارة (علامة) دالة على أن اضطراباً ما قادم، ومن ثم يتوجب عليك تجنب الموقف! وبالطبع، فإن إحدى الطرق لتجنب هذا الموقف، هو أن تهرب بنفسك إلى التلال . ولما كان ذلك أمراض غير متاح كخيار في الحياة (أي الهرب) ، فبدلاً من الركض البدني ، نركض بطريقة نفسيةwe run psychologically باستخدام الدفاعات defenses .

إن فكرة روجرز عن الدفاعات أشبه ما تكون بفكرة فرويد باستثناء أن روجرز يعتبر كل شيء ناشئاً عن وجهة نظر إدراكيةperceptual point-of-

view ، لدرجة أن الذكريات والدفعات تُعد إعادة نظر للمدركات. ومن حسن حظنا أنه حصر الدفاعات فى نوعين فقط: الإنكار denial والتشويه الإدراكى perceptual distortion .

ويعنى الإنكار الكثير جداً مما يعنيه فى منظومة فرويد . فأنت تخفى تماماً الموقف المهددthreatening situation altogether. مثال على ذلك قد يتمثل فى الشخص الذي لا يهتم أبداً بالاختبار ولا يسأل عن نتائج الاختبار حيث لا ينبغي له أن يُصدم بدرجات متدنية (الآن على الأقل) والإنكار عند روجرز يشمل كذلك ما يسميه فرويد

الكبت repression إذا كان الاحتفاظ بذكرى ما أو دفعة ما بعيداً عن وعيك – ارفض إدراكه ... وربما تكون قادراً على تجنب (ثانية ، الآن) الموقف المهدد.

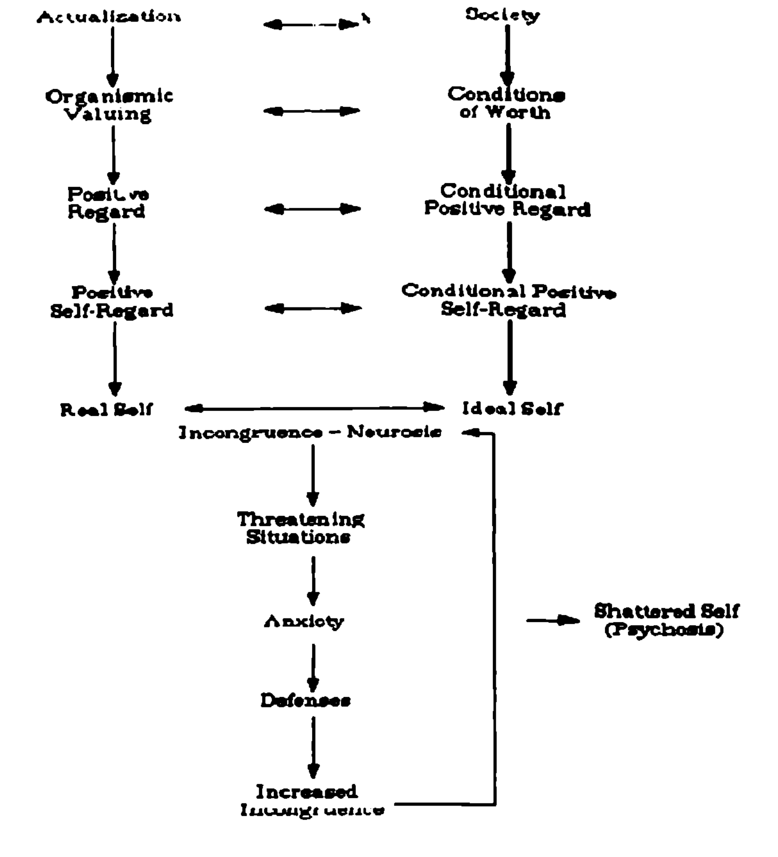
التشويه الإدراكي Perceptual distortion

هو حالة من إعادة تفسير الموقف على نحو يبدو معه أقل تهديداً وهو أشبه ما يكون بالعقلنةrationalization لدى فرويد. فالطالب المهدد بالامتحانات والدرجات – مثلا – قد يلوم الأستاذ لتدريسه الردئ ، والأسئلة الخادعة ، الاتجاه السيء ، أو بأي شيء أخر .وبالرغم من حقيقة أن بعض الأساتذة يكونوا سيئين التعليم أحياناً ، ويضعون أسئلة خادعة ، ولديهم اتجاهات سيئة ، كل ذلك لا يمكن أن يجعل – بمفرده – العمل المشوه أفضل : وإذا كان ذلك حق ، فربما كان حقاً بالفعل!كما أنه يكون إدراكيا بصورة واضحة جداً، كما الحال عندما يخطئ شخص ما فى قراءة درجته على نحو أفضل كثيراً مما هي عليه فى الواقع .

ولسوء الحظ فإن العصابيين الفقراء (أي معظمنا حقيقة) يستخدم الواحد منهم دوماً دفاعاً ما ،حيث يسمحون بوجود مسافة أكبر بين الواقع والمثالي فيصبحون أكثر تعارضاً (تنافراً)، ويجدون أنفسهم فى مواقف مهددة أكثر وأكثر ،

فيطورون مستويات أكبر من القلق، ويستخدمون دفاعات أكثر وأكثر ....فتصبح دائرة جهنمية حيث يصبح المرء غير قادر –بالفعل – على الخروج منها لوحدهم على الأقل .

ولدى روجرز أيضاً تفسيراً جزئياً للذهان psychosis :يظهر الذهان عندما تكون دفاعات الشخص طاغية، وشعوره بالذات يصبح مبعثراً shattered إلى أجزاء صغيرة غير مترابطة. وسلوكه غير متسق ، ونراه مصاباً بتقطعات (وقفات) ذهانية psychotic breaks ٠٠٠ سلسلة من السلوك الغريب bizarre behavior . وكلماته تعطى معنىً محدوداً. ووجداناته لا تكون ملائمة ، وقد يفق قدرته على التفريق بين ما هو ذات وماهو غير ذات ، ويصبح فاقداً هويته disoriente وسلبياً passive .



مخطط لنظرية روجرز فى الشخصية ونشوء المرض النفسي والعقلي

الشخص كامل التوظيفThe fully-functioning person

لقد عُنى روجرز ، كما ماسلو تماماً، بوصف الشخص الصحيح healthy person. فكان مصطلحه " الشخص كامل التوظيفfully-functioning " وضمنه الخصائص التالية:

١- الانفتاح على الخبرة.Openness to experience.

وهى على النقيض من الدفاعيةdefensiveness وتشير تلك الخاصية إلى إدرك المرء لخبرات عالمه على نحو دقيق، بما فى ذلك مشاعره هو. كما يعنى الانفتاح على الخبرة كون المرء قادرا على تقبل الواقعto accept reality

والتي تتضمن أيضاً مشاعر المرء ، وتمثل المشاعر جانباً هاماً من الانفتاحية لأنها (أى المشاعر) تحمل القيمة الإنسانية organismic valuing فإن لم تستطع أ ن تنفتح على مشاعرك ، فإنك لن تنفتح على تحقيق الإمكانات acualization .
إن الجانب الصعب - بالطبع – هو تمييز المشاعر الحقيقية عن مشاعر القلق الناجمة عن شروط الجدارة بالاحترام conditions of worth .

٢- الحياة الوجودية Existential living

وتعنى معايشة هنا والآنliving in the here-and-now. وتمثل جانباً من حرص روجرز على ملامسة الواقع، إذ يصر على أننا لا نعيش فى الماضي ولا نعيش فى المستقبل، فالأول قد ولى ، والثاني لا يمثل أي شيء بعد! فالحاضر هو الحقيقة الوحيدة لدينا (الشيء الوحيد الحقيقي) . ولو فكرت فى ذلك ، تجده لا يعنى بحال أننا يجب ألا نتذكر الماضي أو أن نتعلم منه .ولا يعني أننا لا ينبغي لنا أن نخطط أو نحلم للمستقبل. ولكن ميّز بين تلك الأمور بوصفها : ذكريات وأحلام ’ عن تلك الأمور التي نخبرها هنا والآن .

٣- الثقة الإنسانية.Organismic trusting

ينبغى أن نسمح لأنفسنا بان نكون موجهين بعملية التقييم الإنساني . ينبغي أن نكون واثقين بأنفسنا ،نعمل ما نشعر به صوابا، ،ما يأتي طبيعياً. وهكذا ، أنا متأكد من أنك أدركت تماماً أن الثقة بالإنسانية هي ركيزة نظرية روجرز . فالناس الذين يقولون ، sureبالتأكيد(يقيناً)،هم من يعملون ما يكون طبيعياً (فطرياً) do - - what comes natural فإذا كنت سادياً sadist ألحق الأذى بالآخرين؛ إذا كنت مازوخياً masochist ألحق الأذى بنفسك ، إذا كانت المخدرات والخمر تجعلك سعيداً ، اختره ، إذا كنت مكتئباً ، اقتل نفسك ، إن تلك الأصوات – وبالتأكيد – ليست كالنصيحة المخلصة . وفى الحقيقة أن معظم المعنيين بالتنظير للشخصية في ستينيات و سبعينيات القرن العشرين قد عوتبوا على هذا الاتجاه . ولكن ضع فى اعتبارك أن روجرز قصد ثق بذاتك الحقيقية trust your real self فأنت الوحيد الذي تعرف ما تقوله ذاتك الحقيقية إذا انفتحت على الخبرة وعشتها على نحو وجودي ! بصيغة أخرى ، الثقة الإنسانية تفترض أنك على اتصال دائم بالنزعة لتحقيق الإمكانات acutalizing tendency .

٤- الحرية الخبراتيةExperiential freedom

ذهب روجرز إلى أنه أمر لا يتّصل بما إذا كان الناس يتمتعون بإرادة حرة أم لا .إننا نشعر بها جيداً بقدر ما نمارسها .وهذا لا يعني القول بأننا أحرار فى أن نفعل أي شيء مهما كان : فنحن محكومين بعالم من حولنا ، لذا فمهما خفقت ذراعيّ بقدر ما أريد ، فلن أستطيع الطيران كسوبرمان . وهذا يعنى أننا نشعر بالحرية حينما تكون الخيارات متحة (ممكنة) available لنا . ويقول روجرز أن الشخص كامل التوظيف fully-functioning person يقر بهذا الشعور بالحرية ، ويتحمل مسئولية اختياره .takes responsibility for his choices

الإبداعية Creativity

إذا شعرت بأنك حر ومسئول ، فسوف تتصرف وفقاً لذلك ، وستشارك فى الدنيا . فالشخص كامل التوظيف ، ومن هو عل صلة بالتحقيق (لإمكاناته) سوف يشعرون بأنهم ملتزمون – بفطرتهم – بواجب الإسهام فى تحقيق الآخرين لامكاناتهم ، وحتى نحو تحقيق الحياة لإمكاناتها . ويتخذ ذلك عدة صور ، منها الإبداع فى الفنون أو العلوم ، ومن خلال الاهتمام الاجتماعي ، والحب الأبوي ، أو ببساطة ، من خلال إتقان المرء لعمله على أحسن وجه . إن الإبداعية كما استخدمها روجرز أقرب ما تكون لإنتاجية إريكسون Erikson's generativity .

العلاج Therapy

اشتهر روجرز بإسهاماته فى العلاج .وقد شاع علاجه باسمين يستخدمان بالتبادل : فقد أسماه بداية العلاج غير الموجه، non-directive لأنه شعر بأنه يتوجب على المعالج ألا يقود العميل ، وإن توجب عليه أن يتواجد من أجل أن يحرز العميل تقدما بالعلاج. وكلما ازدادت خبرته ، تأكد أكثر من أن اللامباشرة"non-directive" التي كان يستخدمها ، ما يزال يؤثر بها على العميل على نحو ممعن فى "اللا مباشره " بمعنى أن العميل ينتظر التوجيه guidance من المعالج، وسوف يحصل على هذا التوجيه حتى لو حاول المعالج عدم توجيه العميل.

وبالرغم من أنه غير اسم أسلوب العلاج إلى العلاج المتمركز على العميل client-centered ظل شاعرا بأن العميل هو من يتوجب عليه أن

يقول ما الخلل what is wrong ، وأن يكتشف طرق التحسن، ويحدد نتيجة العلاج – لقد ظل علاج روجرز شديد التمركز على العميل بالرغم من اعترافه

بتأثير المعالج . ومما يؤسف له ، أن معالجين آخرين شعروا بأن هذا الاسم لأسلوب علاجه كان بمثابة صفعة على وجوههم : إذ أليس معظ العلاجات "متمركزة على العميل ؟"

واليوم ، وبالرغم من أن مصطلحي العلاج غير الموجه ، والعلاج المتمركز على العميل ما يزالا مستخدمين، إلا أن معظم الناس يطلقون عليه العلاج الروجرزي Rogerian therapy . إن واحدة من الجمل التي استخدمها روجرز لوصف علاجه هي " تدعيمي، وليس إعادة للبناء " واستخدم نموذج تعلم ركوب الدراجة للايضاح : فعندما تحاول مساعدة طفل ما على تعلم ركوب الدراجة ، فليس بوسعك أن تقول له- بدقة – كيف . إذ يجب على الأطفال أن يحاولوا فعل ذلك بأنفسهم . كما أنك لاتستطيع أن تمنعهم من ذلك طوال الوقت . حتى تأتى نقطة ما يجب عندها أن تتركهم ينطلقون بها . فإذا سقطوا بها ، فليسقطوا بها ، أما إذا أخذت ذلك على عاتقك فلن يتعلموا شيئاً البتة.

ونفس الشئ يحدث فى العلاج . فلو أن الاستقلالية (الاستقلال، الحرية مع المسئولية) تعنى أنك تساعد العميل على الإنجاز ، فإنه لن ينجزها إذا ظل معتمداً عليك ، كمعالج.إنهم بحاجة لأن يحاولوا التبصر بأنفسهم، فى الحياة الواقعية ، فيما هو أبعد من حجرة المعالج.

إن أسلوب العلاج المعتمد على الخضوع الكامل من قبل المريض قد يبدو عملاً رائعا فى أول الأمر، ولكنه فى نهاية المطاف يفرز شخصاً إعتمادياً .

الانعكاس reflection

ويوجد أسلوب فريد عُرف به روجرز وهو:الانعكاس reflection والانعكاس هو صورة مطابقة للاتصال الوجدانى emotional communication ، فلو أن العميل يقول " أشعر بأني أمر بظروف صعبة " فيتوجب على المعالج أن يعكس ذلك ويرده إلى العميل بأن يقول شيئا مشابهاً"

وبالتالي فإن الحياة تتدهور بك ، وبذا يحقق المعالج تواصلاً مع العميل ، إذ أنه يسمعه ويمنحه اهتماماً كافياً ليفهمه .

كما ينبغي للمعالج أن يدع العميل يعرف ما ايفصح عنه العميل .فغالباً ما يقول الناس وهم مكروبين ، أشياء لا يقصدونها لمجرد أنها تجلب لهم الشعور بالراحة إذا قالوها . مثال على ذلك ، هب أن سيدة جاءتنى وقالت " نا أكره الرجا" فاستجلى قولها واسألها " أتكرهين كل الرجال؟"فقالت : ربما ليسوا كلهم - - فلم تكن تكره أبيها أو أخيها أو حتى أنا .

وحتى بالنسبة للرجال الذين تكرههم ، اكتشفت ان مشاعرها نحو معظمهم لم تكن بتلك القوة التي تدل عليها الكلمة. وفى الحقيقة ، أقرت بأنها لا تثق فى كثير من الرجال، وأنها كانت تخشى من أن تتعرض للأذى منهم على نحو ما من شخص بعينه.

وينبغي أن يُستخدم الانعكاس بكل حذر . فالعديد من المعالجين المبتدئين يستخدمونه دون تفكير (أو شعور)، ويكتفي بمجرد الترديد الحرفي لكل جملة تخرج من فم العميل . فهم يرددون الأصوات كالببغاوات مع درجات علمية سيكولوجية!

ذلك أنهم يعتقدون بأن العميل لا يستطيع الملاحظة ، بينما فى الواقع أنه أصبح صورة نمطية للعلاج الروجرزى بنفس الطريقة التي يصبح بها الجنس sex ، والأم mom تصورات نمطية stereotypes للعلاج الفرويدي . وينبغي أن يأتي الانعكاس من القلب - - ينبغي أن يكون أصيلا ، متوافقاً (متطابقا).

والأمر الذي يحملنا على المتطلبات الضرورية للمعالج. شعر روجرز بأن المعالج ، وحتى يكون فعالاً ، ينبغي أن يتمتع بثلاث خصال:

١- التوافق(التطابق) Congruence: الأصالةgenuineness،الأمانةhonesty مع العميل

٢- التعاطف Empathy - - القدرة على الشعور بأن العميل يشعر .

٣- الاحترام Respect – التقبل، النظرة الإيجابية غير المشروطة تجاه العميل.

ويرى روجرز أن تلك الخصال " ضرورية وكافية" إذا كان المعالج يُظهر تلك الخصائص الثلاثة ، فإن العميل سوف يتحسن ، وحتى لو استُخدمت فنيات أخرى خاصة مستخدمة. وإذا لم يُظهر المعالج تلك الخصائص الثلاثة ، فإن تحسن

العميل سيكون فى حده الأدنى ، حيث لا أهمية للفنيات المستخدمة مهما تعددت. والآن يُعد هذا الأمر مطلوباً من المعالج ! أنهم بشر، وأن كانوا قطاعاً من"البشر" (دعنا نقول غير عاديين) مقارنة بالآخرين . قالها روجرز بإيجاز ،ثم أضاف أن المعالج ينبغي أن يُظهر تلك الأمور الثلاثة فى علاقة العلاج . بمعنى أن المعالج عندما يترك مكتبه ، يصبح إنساناً كأي إنسان (يعنى بسويته أو حتى بعض اضطرابه)٠

إني أميل إلى الاتفاق مع روجرز ،حتى فى أن تلك الخصائص مطلوبة تماماً . وبعض البحوث تشير إلى تلك الفنيات لا تمثل أهمية فى ذاتها بقدر ما تتصل بشخصية المعالج، والتي تشير بدرجة ما إلى أن المعالج يُولد معالجاً ، ولا يُعد .

الفصل الحادى والعشرون

أبراهام ماسلو

ABRAHAM MASLOW

1908-1970

سيرة حياة

وُلد أبراهام ماسلو فى الأول من أبريل عام ١٩٠٨ فى بروكلن ، Brooklyn بنيويورك New York ، وكان ترتيبه الأول بين إخوة سبعة أنجبهما والداه، اللذان كانا يهوديين أميين من المهاجرين الروس. وقد أمّل الوالدان خيراً لأطفالهما فى العالم الجديد، فدفعاه إلى العمل الجاد لإحراز تفوق أكاديمى . فلم يكن من قبيل المفاجأة أن يصبح طفلاً إنعزالياً، إذ كان يتخذ من الكتب ملاذاً له .

ولإرضاء والديه، درس القانون فى أول الأمر فى بكلية مدينة نيويورك. وبعد عام ونصف ، إنتقل إلى كورنل Cornell ، ومن ثم عاد إلى كلية المدينة بنيويورك. فتزوج من إبنة عمه الكبرى Bertha Goodman على غير رغبة واليه. وقد رزقا طفلتين .

انتقل أبراهام وزوجته إلى ولاية ويسكنسين Wisconsin، حيث واظب على دراسته حيث أصبح مهتماً بعلم النفس، وتحسنت أداءاته الدراسية على نحو لافت للنظر. فقضى وقتاً بويسكنسين يعمل مع هارى هارلو Harry Harlow ، والذى اشتهر بتجاربه على القردة الهندية الصغيرة وسلوك التعلق attachment behavior . ثم حصل ماسلو على البكالوريوس ١٩٣٠ ، فالماجستير عام ١٩٣١ ، ثم الدكتوراة عام ١٩٣٤، وجميعها فى علم النفس، وجميعها من جامعة بويسكنسين، وبعد عام من التخرج، ومن ثم عاد إلى نيويورك

الماجستير عام ١٩٣١ ، ثم الدكتوراة عام ١٩٣٤، وجميعها فى علم النفس، وجميعها من جامعة بويسكنسين، وبعد عام من التخرج، عاد إلى نيويورك ليعمل مع ثورنديك E. L. Thorndike ، فى كولومبيا، حيث اهتم ماسلو بدراسة النشاط الجنسى الإنساني. فبدأ فى تدريس لكامل الوقت في كلية بروكلن. وأثناء تلك الفترة من حياته، أصبح على اتصال بالعديد من المفكرين الأوربيين الذين هاجرو إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وإلى بروكلن على وجه التحديد، وفى ذاك الوقت ٠٠ أمثال أدلر، فروم، هورني ، إضافة للعديد من علماء الجستالتيين ، والفرويديين .

وقد تراس ماسلو قسم علم النفس فى براندیس Brandeis فى الفترة بين عامى ١٩٥١ وحتى ١٩٦٩. وأثناء ذلك تقابل مع كورت جولدشتاين Kurt Goldstein ، الذى صاغ لأول مرة فكرة تحقيق الذات self-actualization فى كتابه الشهير الكائن الحى *The Organism* عام ١٩٣٤. فبدأ ماسلو حملته للدعوة إلى علم النفس الإنسانى humanistic psychology والتى أصبحت فيما بعد أكثر أهمية لديه من مجرد التنظير .

ولقد أمضى سنواته الأخيرة من شبه التقاعد فى California ، وحتىالثامن من يونيو عام ١٩٧٠ ، حيث توفى بأزمة قلبية بعد سنوات من اعتلال صحته .

النظرية

إن من أطرف ماذكره ماسلو أنه وأناء عمله مع القردة فى أول مسيرته المهنية، أن بعضاً من الحاجات لها الأولوية على بقية الحاجات. مثال على ذلك، أنك إذا كنت جائعاً وعطشاناً، فإنك تنزع لأن تعطى اهتماماً للعطش أولاً. وعلى كلٍ، يمكنك أن تحيا بدون طعام لمدة أسابيع ، ولكنك لاتستطيع الحياة بدون الماء لمدة يومين!

فالعطش أقوى من الجوع . وبالمثل، إذا كنت عطشاناً للغاية، إلا أن شخصاً ما قام بتطويق رقبتك بحيث أصبحت لاتستطيع التنفس، ترى اي الأمرين أكثر أهمية إذن؟ إنها الحاجة للتنفس بالطبع. ومن جهة أخرى، فإن الجنس أقل قوة

مقارنة بأى من تلكما الحاجتين. ولتوضيح ذلك اسأل نفسك اى من تلك الحاجات أموت إذا لم اشبعها !

ولقد تبنى ماسلو تلك الفكرة ووضع النظرية المعروفة اليوم بهرمية الحاجات hierarchy of needs. وتضم خمس طبقات عريضة هي : الحاجات الفسيولوجية physiological needs ، وحاجات الأمان والأمن safety and security ، والحاجات للحب و للانتماء love and belonging ، وحاجات التقدير esteem ، والحجة لتحقيق الذات actualize the self ، وبهذا الترتيب .

١. الحاجات الفسيولوجية .

وتشمل حاجاتنا للأوكسيجين ن البروتين، السكر، الكالسيوم، والمعادن والفيتامينات الأخرى. وتتضمن كذلك الحاجة للمحافظة على التوازن الضروري للصحة العامة (إذ أن الأحماض الزائدة يمكن ان تودى بحياتك) ودرجة الحرارة (٦. ٩٨فهرنهيت أو ماحولها) . كذلك، توجد الحاجة لأن تكون نشطاً active والحاجة للراحة ،والحاجة للنوم ، والتخلص من الفضلات (العرق، البول ،البراز)، والحاجة لتجنب الألم، والحاجة للإشباع الجنسي .

لقد اعتقد ماسلو وأيدته البحوث، بأن تلك فى الواقع حاجات فردية، وأن نقصاً لفيتامين c مثلاً، سوف يولد حالة من النهم لالتهام المواد المعروف أنها غنية بفيتامين c كعصير البرتقال. وأعتقد أن حالات الوحم لدى الحوامل، والطريقة التي يتناول بها الأطفال طعامهم الذى قد يكون مقززاً، إنما تؤيد فكرة ماسلو .

٢. حاجات الأمان والأمن .

بعدما تحظى الحاجات الفسيولوجية باهتمام كافٍ واشباع مرضٍ، يأتي الدور

على المرتبة التالية من الحاجات. فتصبح مهتماً على نحو متزايد بتوافر ظروف الأمان، والاستقرار والحماية. ولربما طورت حاجة لبناء وترتيب بعض الحدود .

انظر إليها على نحو عكسي، إنك تصبح مهتماً ليس بحاجات من قبيل الجوع أو العطش، وإنما بمخاوفك،صور القلق التي لديك . . وبين الراشدين من الأمريكيين العاديين ، تعبر تلك الحاجات عن نفسها فى صيغة سعينا الحثيث للحصول للعيش ببيت ذو جيرة أمنة، وعمل أمن ...، وخطة جيدة للتقاعد، ووثيقة للتأمين، وما إلى ذلك .

٣. حاجات الحب والانتماء .

بعدما تحظى حاجاتنا الفسيولوجية والحاجة للأمان والأمن بعناية كافية وتتحقق منا مستويات مرضية من الإشباع. تظهر مرتبة تالية من الحاجات. فتبدأ تشعر بحاجة للأصدقاء، للحبيبة، للأطفال، للعلاقات الحنونة بصفة عامة. وحتى الإحساس بالمشاركة. والتي إذا لم تشبعشعطرت بعكسها، تصبح أكثر عرضة للوحدة، ولأنواع شتى من القلق الاجتماعى .

وفى حياتنا اليومية، نعبر عن تلك الحاجات فى رغباتنا للزواج، وتكوين أسرة، وأن نكون جزءً من المجتمع، وأعضاء فى المؤسسة الدينية، كأعضاء فى جماعة دينية، كأعضاء فى فريق رياضى بالنادي . كما يمثل جانباً من بحثنا عن العمل .

٤. حاجات التقدير .

بعد ذلك، نبدأ بالبحث عن قليل من إعتبار الذات .self-esteem . وذكر ماسلو نوعين من حاجات التقدير، حاجة أدنى للتقدير ، وحاجة أعلى للتقدير. الأدنى منها الحاجة لاحترام الأخرين ,respect of others، الحاجة للمكانة status، للشهرة fame، للعظمة glory، للاعتراف recognition، والاهتمام attention، للسمعة reputation، للإعجاب appreciation، للكرامة dignity، وحتى السيطرة dominance .

ويتضمن المستوى الأعلى من حاجات التقدير، الحاجة لاحترام الذات self-respect، والتي تتضمن الحاجة إلى بعض المشاعر، من قبيل الثقة

confidence، الكفـــاءة competence، الانجـــاز achievement، الاتقـــان mastery، الاستقلالية independence ، , والحريـة freedom . تذكر أن تلك الأخيرة تعد الأعلى لأنها ، ليست كالحاجة لاحترام الآخرين ، فلو أن لديك احترام لذاتك ، فإنه ممايشق على نفسك أن تفقده !

والوجـه السلبي لتلك الحاجـات يتمثـل فـى الاعتداد المتـدنى بالـذات، وعقـد النقص inferiority complexes . لقد شعر ماسلو بأن أدلر كان على صـواب إلى حدٍ ما عندما افترض أن تلك الحاجات هي الجذور للعديد أو لمعظم مشكلاتنا النفسية. وفى المجتمعات الحديثـة ، يحصل معظمنـا علـى إشباع مايتصل بحاجاتنـا الفسيولوجية وحاجتنا للأمن . . إلا أننا فى أغلب الأعم لسنا كذلك فيما يتعلق بالحب والانتماء، أن الحصول على قليل من الاحترام بات أمراً صعب المنال للغاية !

ويـسمى ماسـلو المـستويات الأربعـة الـسابقة "حاجـات الـنقص deficit needs"

إذ أنك وإن لم تحصل على قدر كافٍ من أيٍ منها ــ ـ. أى أنـك تعـانى نقصاً deficit ، فتشعر بالحاجة. ولكنك إذا أشبعت كل حاجتك ، فإنـك لـن تـشعر بشيء على الإطلاق ! بمعنى أنها لن تكون محفزة . ..

كما تحدث ماسلو عن تلك المستويات لأربعة بمصطلحات التـوازن الجسمى الداخلى homeostasis والتوازن الجسمي الداخلي هو المبدأ الذى به يعمل منظم الحرارة الألى لفرنك الداخلى : فعندما يكون الجو بارداً جداً يقوم هو بـضبط التدفئـة على وضع تشغيل؛ وعندما يكون الجوساخناً جدا، يضع مفتـاح التدفئـة علـى وضـع إغـلاق. وبنفس الطريقـة، فعنـدما يـشعر جـسمك بـنقص لعنـصر مـا، يتولـد شـعور بالجوع إليه، وحينما يحصل عليه بقدر كافٍ ، يتوقف الشعور بـالجوع . وقد نقل ماسـلو مفهـوم التـوازن الجـسمى الـداخلى إلـى الحاجـات، مثـل الحاجـة للأمـان ، والانتمـاء، والتقدير، والتـي لا نفكـر فيهـا بـصورة تقليديـة علـى هذا النحـو ، وبتلك المصطلحات .

ويرى ماسلو أن تلك الحاجات إنما هى حاجات البقاء . حتى الحب والتقدير هما مما نحتاج إليهما للحفاظ على الصحة. ويرى أننا جميعاً نولد مزودين بتلك الحاجات على نحو وراثى ، مثلها فى ذلك مثل الغرائز .

وبمصطلحات النمو العام ، فإننا ننتقل عبر تلك المستويات بصفها أقرب للمراحل . فنحن حديثو الولادة، يكون تركيزنا (وإن لم يكن نظامنا الداخلى للحاجات) على الحاجات الفسيولوجية. ثم سرعان مانبدأ فى الإعتراف بأننا بحاجة للأمنة. ثم بعدها سرعان ما نتمنى اهتماماً وحباً. وبعد فترة وجيزة ، نبحث عن إحترام الذات. وعليك أن تضع فى ذهنك أن هذا كله يكون خلال العامين الأولين .!

وتحت الظروف الضاغطة، أو عندما يكون بقاؤنا مهدداً، فإننا ننكص إلى مستوى أدنى من الحاجات. فحينما يأفل نجمك المهني، فإنك ستبحث عن أهتمام ولو قليل. وعندما تنفر منك الأسرة وتترك، سيبدو أن الحب أصبح هو ما تحتاجه مرة أخرى . ...

ونفس تلك الحالات تمر بالمجتمعات سواءً بسواء : فعندما تتخبط المجتمعات فجأة ، يبدأ الناس فى المطالبة بقائد قوى ليعيد الأمور إلى نصابها. وإذا بدأت القنابل تتساقط فإنهم يبحثون عن الأمان. وحينما تتوقف الأطعمة عن الوصول إلى المحلات تصبح حاجاتهم أكثر أولية .

واقترح ماسلو أن بوسعنا أن نسأل الناس عن فلسفتهم للمستقبل "philosophy of the future" وما لحياة المثالية التي يودون تحققها ... ونحصل من ذلك على معلومات ذات دلالة عن الحاجات التي أشبعت لديهم ، وتلك الحاجات التى لم تُشبع لديهم .

فإذا كانت لديك مشكلة هامة ملازمة لنموك ... كفترة من عدم الأمن الزائد أو الجوع الزائد كطفل، أو فقدان أحد أفراد الأسرة بالموت أو بالطلاق، أو إهمالاً

زائداً أو أسيئت معاملتك - - فإنك ستكون مُثبتاً على تلك المجموعة من الحاجات فيما تبقى من حياتك .

وهذا هو فهم ماسلو للعصاب neurosis . فلربما ذهبت للحرب وأنت طفل . والآن لديك كل ميتمناه قلبك ••• ولكنك مازالت تستحوز على نفسك بصورة زائدة فكرة امتلاك مزيد من المال وأ تحتفظ بالخزانة ملأى بالمزيد من المقتنيات. أو ربما وقع الطلاق بين والديك بينما كنت صغيراً . والآن لديك شريكة حياة رائعة ••• إلا أنك مازلت غيوراً بجنون أو قلقاً بصورة دائمة من أنهما قد يتركانك ويذهبا لأنك لست جيداً بدرجة كافية بالنسبة لهم .

تحقيق الذات Self-actualization

والمستوى الأخير يختلف بدرجة ما. إذ استخدم ماسلو العديد من المصطلحات للإشارة إلى هذا المستوى : فقد أسماه دافعية النمو growth motivation (في مقابل دافعية النقص deficit motivation ، حاجات الكينونة being needs أو B-needs ، مقابل حاجات النقص أو D-needs)، كما سماها تحقيق الذات .

وهى تلك الحاجات التي لا تدخل ضمن حاجات التوازن الجسمي الداخلي homeostasis . وهي التي تستمر بمجرد أن نشعر بها، وكلما أشبعناها ازدادت قوة ! إنها متعلقة بالرغبة الدائمة لتفعيل الإمكانيات fulfill potentials وبأن يكون الأمر كل ما يستطيعه "be all that you can be." وأن يكون المرء كاملاً قدر الإمكان ، ومن ثم تحقق الذات .

والآن، واتساقاً مع نظرية ماسلو فى هذه النقطة ، إذا كنت تريد أن تكون محققاً لذاتك بالفعل، فإنك بحاجة لأن تكون حاجاتك الأدنى قد حظيت بعنايتك، بقدر مقبول على الأقل. وهذا يعنى أنك إذا كنت جائعاً، فإنك ستسعى للحصول على الطعام؛ وإذا كنت غير آمن ، فسيتوجب عليك أن تكون دائماً على أهبة الاستعداد؛ وإذا كنت معزولاً وغير محبوب ،فسيتوجب عليك أن تشبع تلك الحاجة؛ وإذا كان لديك شعور متدنٍ باعتبار الذات ، فإنه يتوجب عليك أن تكون دفاعياً أو مُعوضاً. فعندما تكون الحاجات الأدنى غير مشبعة ، لن تستطيع تكريس نفسك لتحقيق إمكاناتك .

وليس من قبيل المفاجأة ، وفى ظل الأحوال الصعبة لعالمنا ، أن نجد نسبةً محدودة من سكان المعمورة ، يتمكنون من تحقيق ذواتهم بصورة كاملة . قدرها ماسلو بأنها حوال ٢% فقط !

والسؤال الذي يطرح نفسه، بالطبع، ما الذي يعنيه ماسلو بدقة بتحقيق الذات . وللاجابة على ذلك ، يتوجب علينا أن نلقى نظرة على الأشخاص الذين اعتبرهم محققين لذواتهم self-actualizers ومن حسن حظنا أنه وفر ذلك علينا من خلال اتباعه لمنهج أطلق عليه اسم تحليل سير الحياة biographical analysis.

بدأ ماسلو بانتقاء مجموعة من الأشختص ، بعضهم من الرموز التاريخية ، وبعضهم ممن يعرفهم شخصياً وشعر بأنهم قد حققوا على نحو صريح مستوى من تحقيق الذات . وقد ضمت تلك المجمعة كل من Abraham Lincoln, Thomas Jefferson, Albert Einstein, Eleanor Roosevelt, Jane Adams, William James, Albert Schweitzer, Benedict Spinoza, and Alduous Huxley ، إضافة لإثنى عشرة شخصية لم يسمها ماسلو ، وهم ممن عاصروا إجراء ماسلو لبحثه هذا. بحث فى سيرة حياتهم، وكتاباتهم، وفي أعمال وأقوال هؤلاء الذين يعرفهم شخصياً، وهكذا. ومن خلال لك المصادر أنشأ قائمة بالخصائص التى بدت مميزة لهؤلاء الأشخاص، والتي تبدو مغايرة لما لدى السواد الأعظم منا .

فهؤلاء النفر كانوا متمركزين على الواقع reality-centered، ممايعنى أنهم يميزون الزيف والخداع عما هو واقعي وأصيل . وكانوا متمركزين على المشكلة personal relations ، ممايعنى أنهم يتعاملون مع عوبات الحياة

بوصفها مشكلات تحتاج إلى حلول، وليست بوصفها أوجه للخلل الشخصي لا تستوجب الاستسلام لها. كما أن لديهم إدراك مختلف للوسائل والغايات different perception of means and ends ٠٠٠ فالرحلة أو السفر أهم بكثير عندهم من النهايات .

كما أن لدى المحققين لذواتهم أسلوباً مختلفاً للتعامل مع الآخرين. أولاً، فهم يستمتعون بالعزلة، ويكونوا مرتاحين بالوحدة. ويستمتعون بالعلاقات العميقة مع عدد محدود من الأصدقاء الحميميين، وأفراد الأسرة، مفضلين ذلك على العلاقات السطحية مع العديد من الناس .

وهم يستمتعون بالاستقلالية autonomy ، فهم مستقلون نسبياً فى أمور حاجاتهم المادية والاجتماعية . وهم مقاومين للتثاقف enculturation (التقليد للثقافات الأخرى) ذلك أنهم ليسوا حساسين للضغط الاجتماعى لأن يكونوا متوافقين أو متوائمين مع المجتمع ، وفى الحقيقة هم متمردون بمعنى الكلمة .

ولديهم اتجاه غير ودى للمزاح unhostile sense of humor ، فيفضلون غلقاء النكات على أنفسهم ، أو على أوضاع البشر ، ولايوجه نكاته إطلاقاً على الغير . وهم لديهم خاصية يسميها ماسلو تقبل الذات والغير acceptance of self and others ، والذى قصد منه أن هؤلاء الناس المحققون لذواتهم أميل لأن يقبلوك كما أنت ولايحاولون أن يغيروك لتصبح على النحو الذى يريدونه هم .

ويتمثل هذا الميل للتقبل فى اتجاهاتهم نحو أنفسهم : فإذا كانت لديهم خاصية غير مؤذية ، يبقون عليها ولو بوصفها تميزاً شخصياً. وعلى الجانب الآخر، نجدهم مدفوعين بقوة لأن يغيروا خصائصهم السلبية والتى يتوجب تغييرها. وعلى جانب ماتقدم فهم يتمتعون بالتلقائية spontaneity and simplicity . يفضلون أن يكونوا أنفسهم بدلاً من التباهى والتصنع. وفى الحقيقة ، وبالنسبة لعدم تواؤميتهم، وجد ماسلو أنهم أميل لأن يكونوا تقليديين فى الظاهر ...

يضاف لما تقدم أن لديهم إحساس بالتواضع والاحترام تجاه الآخرين ٠٠٠ وبعض الأشياء التى يسميها ماسلو القيم الديمقراطية ٠٠ مما يعنى أنهم منفتحين على التنوع العرقى والفردى ، حتى لوكانوا لايُبدون ذلك . فلديهم مايطلق عليه ماسلو تعبير النسب (القرابة) الإنسانية human kinship والمتمثلة فى الاهتمام الاجتماعي social interest ، والشفقة compassion ، والإنسانية humanity

. وكل ذلك ملازما بأخلاقيات قوية strong ethics ،والتى تكون روحية وليست مجرد تدين تقليدي بالطبع .

وهؤلاء الناس لديهم انتعاش خاص بالإعجاب، نتيجة قدرتهم على رؤية الأشياء، حتى العادي منها ، بإعجاب . والتى تسير جنباً إلى جنب قدرتهم على أن يكونوا مبدعين creative ، خلاقون inventive ، وسباقون original ، وفى نهاية المطاف فإن هؤلاء الأشخاص هم الأجدر بالمزيد من خبرات القمة peak experiences أكثر من الناس العاديين. إن خبرة القمة تأخذك إلى خارج نطاق نفسك ، وهى التى تجعلك تشعر بأنك صغير جداً، أو كبير جداً، أو كامتداد للحياة أو الطبيعة peak experiences ... إنها تمنحك شعوراً بأنك جزء من المطلق والأبدى. وتلك الخبرات تنزع لأن تترك بصماتها على الأشخاص ، فتغيرهم للأفضل، وتجعل العديد من الأشخاص يسعون إليهم بكل نشاط. وتسمى كذلك الخبرات الروحانية mystical experiences ، وتمثل جزءاً هاماً من تقاليدالمتدينين والفلاسفة .

ولم يعتقد ماسلو، بالطبع، أن المحققين لذواتهم أناس كاملون، حيث توجد لديهم جوانب خلل ، أو عيوب عديدة ، فقد اكتشف إلى جانب ما تقدم :أولا ، أنهم يعانون فى الغالب من قلق anxiety وشعور بالذنب guilt هائلين ، وإن كانا واقعيين وفى محلهما وليسا عصابيين فى طبيعتيهما ، بعضهم يكون شارد الذهن absentminded وشديد الطيبة. وأخيراً ، يمر بعضهم بلحظات مفاجئة من تحجر القلب ruthlessness ، برودة الجراحين، وفقدان روح المرح .

أمران آخران لاحظهما ماسلو على المحققين لذواتهم، أن قيمهم كانت فطرية ، تتدفق بسلاسة من شخصياتهم. وأنهم يتفوقون على الآخرين فى تقبل النقائض، ولا ينكرون الاختلافات بين الروحانيين والماديين، الأنانيين وغير الأنانيين، والذكورة والأنوثة .

الحاجات الراقية والأمراض النفسية الراقية Metaneeds and metapathologies

وأدى الطرق الأخرى التي اقترب من خ لالها ماسلو من مشكلة ما الذي تشير إليه الحاجة لتحقيق الذات بشأن الحاجات الخاصة والمحركة (يعنى حاجات

الكينونة، بالطبع B-needs) لدى المحققين لذواتهم ، إنهم يحتاجون لما يلي حتى يكونوا سعداء في حياتهم :

- الحقيقة وليس الغش Truth, rather than dishonesty.
- الطيبة وليس الشر Goodness, rather than evil.
- الجمال وليس القبح والسوقية Beauty, not ugliness or vulgarity.
- الوحدة والجمال ، وليس الغموض أو التناقض ، لا الستبدادية أو الخيارات القهرية . Unity, wholeness, and transcendence of opposites, not arbitrariness or forced choices
- الحياة النشطة وليس الموات أو ميكنة الحياة . Aliveness, not deadness or the mechanization of life
- التفرد ، وليست المشاكلة المملة .Uniqueness, not bland uniformity.
- الكمال والضرورة ، وليست القذارة ، أو الفوضى ، أو المصادفة . Perfection and necessity, not sloppiness, inconsistency, or accident
- التمامية وليس النقص Completion, rather than incompleteness .
- العدل والنظام وليس الظلم وغياب القانون Justice and order, not injustice and lawlessness
- البساطة وليس التعقيد غير المبرر Simplicity, not unnecessary complexity
- ثراءً بينيا وليس فقرا بينيا Richness, not environmental impoverishment.
- الترفق وليس الإجهاد . Effortlessness, not strain
- المرح وليس لتجهم أو فقدان روح الدعابة أوالإنهلاك Playfulness, not grim, humorless, drudgery .
- الاكتفاء الذاتي وليست الاعتمادية Self-sufficiency, not dependency
- الانفعال بالمعنى وليس فقدان الشعور Meaningfulness, rather than senselessness .

للوهلة الأولى، قد تعتقد بأنه من الواضح أن كل شخص يحتاج لكل ذلك. ولكن فكر فيما لوكنت تعيش في ظل كساد اقتصادى أو في ظل حرب، أو تعيش في ريف فقير، فهل كنت حينئذ مهموماً بتلك الحاجات المشار إليها آنفاً، أم ستكون هتماً باحصول على طعام كافٍ، وبسقف فوق راسك ؟ وفى الحقيقة ، يعتقد ماسلو بأن الكثير من المضار الموجودة بالعالم إنما تنشأ عن حقيقة أن القليل من الناس هم من يكونوا معنيين بتلك القيم - ليس لأنهم سيئون - ولكن لأنهم لايستطيعون حتى سد حاجاتهم الأساسية!

وحينما لا يتمكن محققوا ذواتهم من الحصول على تلك الحاجات المشار إليها ، فإنهم يستجيبون بصور راقية من المرض النفسى metapathologies - وهى قائمة من المشكلات الموازية للحاجات الراقية !

دعني ألخصها بالقول بأنه عندما تُجبر على العيش بدون تلك القيم ، فإن المحقق لذاته يُصاب بالاكتئاب، وباليأس، والاشمئزاز، والاغتراب، وبدرجة من الاستخفاف بالحياة .

لقد كان ماسلو يؤمل أتن تؤدى جهوده في وصف الشخص المحقق لذاته سوف تؤدى بالفعل إلى جدول زمنى دورى periodic table لأنواع الخصائص، والمشكلات، والأمراض، وكذلك الحلول .

لقد عُنى ماسلو أشد العناية بالطابع المميز للمستويات العليا من الامكانات الانسانية ، ليس من أجل نظريته هو، وإنما من أجل علم النفس الأنسانى humanistic psychology وحركة الامكانات الإنسانية human potentials movement .

ومع نهاية حياته بدأ الحديثعماأسماه القوة الرابعة. في علم النفس fourth force in psychology. إذ أن فرويد وعلماء نفس الأعماق الآخرين شكلوا القوة الأولى ؛ وشكل السلوكيون القوة الثانية؛ وإنسانيته التي صاغها والمتضمنة الوجوديون الأوربيون، تمثل القوة الثالثة. أما القوة الرابعة فتتمثل فيما أسماه ماسلو بـ علوم النفس الشخصية (المهتمة بالشخصيةtranspersonal psychologies) والتى تستمد مضمونها من الفلسفات الشرقية، والتي بحثت موضوعات من قبيل التأمل ، meditation ، المستويات العليا من الوعى higher levels of

consciousness، وحتى الظواهر الباراسيكولوجية parapsychological phenomena

ولعل أشهر علماء النفس الشخصي اليوم هو كين ويلبر، والذي ألف العديد من الكتب منها *The Atman Project* and *The History of Everything.*

....
....
....

الفصل الثانى والعشرين
فيكتور فرانكل
١٩٠٥ـ ١٩٩٧
Viktor Emil Frankl



فى سبتمبر من العام ١٩٤٢، أعتقل الطبيب الشاب

وعروسه وأمه وأبيه فى فينا، واقتيدوا جميعاً

إلى معسكر الاعتقال فى بوهيما.Bohemia ،

وقد أدت الأحداث التى دارت فى هذا المعسكر

وفى ثلاثة معسكرات أخرى ، بالطبيب الشاب

أو المسجون رقم ١١٩ ، و١٠٤، لأن يتبين

ويدرك أهمية معنى الحياة.significance of meaningfulness in life ، وإحدى تلك الأحداث المبكرة هي فقدانه للشهادة الخطية لمؤهله للعمل بمهنته، وذلك أثناء ترحيله إلىAuschwitz ،لقد كان محتفظاً بها فى بطانة معطفه، إلا أنه أجبر فى اللحظة الأخيرة أن يتركها وراءه. ولقد أمضى بعدها ليال عديدة وهو يحاولأنيستعيد صياغتها، فى عقله أولاً، ثم على لفافات من الورق المهرب أليه.ولحظة أخرى ذات مغزى كانت أثناء نفير الفجرpredawn march ، ومايعنيه من التوجه للعمل فى تمديد قضبان السكك الحديدية:حيث تساءل بتعجب مسجون أخر عن مصير زوجتيهما.وبدأ الطبيب الشاب يفكر بشأن زوجته هو، وأيقن أنها موجودة بداخله :وقال :

"أن نجاة الإنسان تتحقق من خلال الحب ، وفى الحب. لقد فهمت كيف أن الإنسان الذى لايملك شيئاً يتركه أثراً فى حياته، ربما يظل يشعر ببهجة، ولكنها قد تكون للحظة وجيزة أثناء تفكيره فى محبوبه.".

وطوال فترة محاكمته، لم يكُن متعاوناً، ولكن كان يرى أن من بين هؤلاء الذين مُنحوا فرصة البقاء على قيد الحياة، منهم من يحتفظ بنظرة نحو المستقبل...سواء كان ذلك بمثابة واجب هام موجود لديهم سلفاً، أم يعود الى أحبائهم ...إلا أنهم بذلك يستبقون معاناتهم.

وقد يكون المعنى - فى الحقيقة - الذى ينبغى أن يوجد فى المعاناة ذاتها هو نفسه الذى يؤثر فيه:

(T) ويوجد غرض أخر فى تلك الحياة التى تكون خالية من كل من الابتكار والمتعة ، والتى تسمح ولو بإمكانية وحيدة، هي السلوك الأخلاقي الراقي: أعني، فى اتجاه المرء نحو وجوده والوجود المحكوم(المقيد) بقوى خارجية.فبدون المعاناة والموت لاتكتمل الحياة الانسانية..(1963, p. 106) وهذا الطبيب الشاب هو، بالطبع، .Viktor Emil Frankl.

سيرة حياة

وُلد فيكتور فرانكل فى فيينافى السادس والعشرين من بشهر مارس عام ١٩٠٥. وكان والده Gabriel Frankl رجلاً قوياً منضبطاً من Moravia شق طريقه المهنى من كاتب اختزال بالحكومة حتى أصبح مدير وزارة الخدمة الاجتماعية . وأمه Elsa Frankl (née Lion) كانت امرأة حنونة للغاية ، وورعة ، من Prague .

لقد كان ترتيب فيكتور الأوسط بين إخوته الثلاثة، وكان فضولياً بشدة ومنذ حياته الباكرة. لدرجة أنه فى منتصف الرابعة، كان قد عرف أنه قرر أن يكون طبيباً بشرياً.

أثناء دراسته بالمدرسة العليا كان فيكتور منخرطاًعلى نحو نشط فى المؤسسة المحلية للإخصائيين الاجتماعيين الشبان. وقد أدى به اهتمامه بالناس إلى تحوله إلى دراسة علم النفس. ولقد أنهى دراسته بالمدرسة العليا بمقالة عن الفيلسوف شوبنهورSchopenhauer والتى نشرت بالمجلة الدولية للتحليل النفسى والتى تعد بداية لتوافقه الشديد مع سيجموند فرويد العظيم .

في عام ١٩٢٥ 'وبعد عام من تخرجه بالمدرسة العليا وهو فى سبيله للحصول على درجته الطبية ، قابل فرويد شخصياً. وكانت نظرية ألفريد أدلر أشد

ولعاً لدى فرانكل ، ومع ذلك ، وفى نفس السنة نشر مقالة .. بعنوان "العلاج النفسى والفلسفة الفردية أو العرقية فى تفسير التاريخ Psychotherapy and Weltanschauung" وذلك فى المجلة الدولية لعلم النفسى لأدلر. وفى العام التالي، استخدم فرانكل مصطلح logotherapy -لأول مرة – فى محاضرة عامة، وبدأ في تحديد ملامح نوعه المحدد من علم النفس الفيينى Viennese psychology .

في عامى ١٩٢٨ ، ١٩٢٩، أسس فرانكل مراكز مجانية لإرشاد المراهقين فى فيينا وست مدن أخرى، وبدأ يعمل فى عيادة الطب النفسي بالجامعة. وفى عام ١٩٣٠ مُنح درجة الدكتوراة فى الطب، كما رُقى إلى درجة أستاذ مساعد. وبعد سنوات قليلة تالية واصل فرانكل تدريبه فى علم الأعصاب.فى عام ١٩٣٣ كُلف بالإشراف على جناح النساء المنتحرات بمستشفى الطب النفسي، حيث تعامل مع آلاف المرضى سنوياً .

في العام ١٩٣٧ استهل فرانكل تدريبه الخاص فى الطب النفس وعلم الأعصاب . وبعد عام ، اجتاحت جيوش هتلر النمسا. فحصل فلرانكل على تأشيرة للولايات المتحدة.فى عام ، ١٩٣٩ونظراً لرعايته لوالديه المسنين، انصرف عن التأشيرة حتى انتهت صلاحيتها فى عام ١٩٤٠ تولى فرانكل رئاسة قسم الأعصاب فى مستشفى روزشايلدRothschild Hospital وكانت المستشفى الوحيد بفيينا لليهود أثناء الحكم النازى . ولقد قام بالعديد من التشخيصات الزائفة ليتحايل على السياسات المتبعةحينئذ والتى كانت تتطلب تنفيذ القتل الرحيمeuthanasia بحق المرضى العقليين. وفي تلك الأثناء بدأ فى كتابة مخطوطته المعنونة ب "الطبيب والروح ".

فى عام ١٩٤٠ تزوج فرانكل ولكن فى سبتمبر من نفس السنة أعتقل هو وزوجته وأبيه وأمه وأخيه، وسجنوا بمعسكر الاعتقال فى Theresienstadt in Bohemia حيث مات أبوه من الجوع .وقتلت أمه وأخوه فىAuschwitz عام ١٩٤٤، وتوفيت زوجته عام ١٩٤٥. وبقيت أخته Stella فقط على قيد الحياة إذ تمكنت من الهجرة إلى استراليا قبل وقت قليل من تلك الأحداث. وعندما انتقل إلى Auschwitz أختفت مخطوطته (الطبيب والروح)، وتلفت. وكانت أمنيته بأن يلتأم شمله بزوجته وأسرته يوماً ما، بمثابة وقاية له من فقدان الأمل فى أى موقف يبدو من كل جوانبه ميئوساً منه.

وبعد انتقاله لأكثر من مرتين لأكثر من معسكرين استسلم فرانكل لحمى التيفود. وأخذ على عاتقه إعادة كتابة مخطوطـته الطبيب والروح على قصاصات ورقية ربت إليه. وفى أبريل من العام١٩٤٥، تحرر معسكر فرانكل، وعاد إلى فيينـا، فقط لمجرد التعرف على رفاة أحـبانه من الموتى. وبينما هو كسير القلب وشاعراً بوحدة شديدة فى هذا العـالم وُلى وظيفـة طبـيب بمستوصف فيينا العصبى .تلك الوظيفة التى كان يتقلدها منذ ٢٥ عاماً .

وأخيرا أتم إعادة كتابة كتابه ، وقام بنشره ، الأمر الذى مكنه من الحصول على وظيفة للتدريس بكلية الطب بجامعة فيينا . وخلال تسعة أيام فقط أملى كتاباً أخر عنوانه بحث الإنسان عن المعنى Man's Search for Meaning. وقبل وفاته ، بلغت مبيعات هذا الكتاب مايزيد عن تسعة ملايين نسخة ، منها خمسة ملايين فى الولايات المتحدة وحدها .

وأثناء هذه الفترة قابل مساعدة شابة بغرفة العمليات تُدعى Eleonore "Elly " Schwindt، وشعر بحبه لها من أول نظرة . وبالرغم من أنها تبلغ نصف عمره فقط ، إلا أنه اعتمد عليها فى منحها إياه الشجاعة لأن يستعيد وضعه فى هذه الدنيا. وتزوجا فى عام ١٩٤٧. ورُزقا طفلة،Gabriele فى ديسمبر من نفس العام.

فى عام ١٩٤٨ ، مُنح فرانكل درجة الدكتوراة فى الفلسفوكانت أطروحته بعنوان "الإله اللاشعورى The Unconscious God بمثابة بحث للعلاقة بين علم النفس والدين . وفى نفس العام عمل أستاذاً مشاركاً لعلم الأعصاب والطب النفسى فى جامعة فيينا . فى عام ١٩٥٠ أصبح رئيساً للجمعية الطبية النمساوية للعلاج النفسى .

وبعدما رُقىَ إلى درجة أستاذ ، أصبح معروفاً على نطاق واسع بالعديد من الدوائر خارج فيينا. فكونه أستاذاً زائراً، وشهادات الدكتوراة الفخرية التى مُنحها ،والجوائز التى حازها هى أكثر من أن يحتمل ذكرها المقام هاهنا، ولكنها تتضمن جائزة الأوسكارOskar Pfister Prize من الجمعيةالأمريكية للطب النفسى، كما رُشح لجائزة نوبل للسلام .

لقد واصل فرانكل التدريس بجامعة فيينا حتى عام ١٩٩٠، حيث كان بالخامسة والثمانين من العمر، ومما يجدر ذكره أنه كان متسلقاً نشطاً للجبال، كما حصل على رخصة قيادة لطائرته الخاصة وهو فى السابعة والستين!

فى عام١٩٩٢، أسس أصدقاء وأفراد عائلة فرانكل بتأسيس معهد باسمه. وفى عام ١٩٩٥ ، أنهى كتابة سيرته الذاتية، وفي عام ١٩٩٧، نشر كتابه الأخير بعنوان "بحث الإنسان عن المعنى النهائى Man's Search for Ultimate Meaning وذلك تأسيساً على أطروحته للدكتوراة. وقد ألف ٣٢ كتابا، ترجمت إلى ٢٧ لغة.

لقد تُوفى فيكتور إميل فرانكل فى الثانى من سبتمبر عام 1997 بسبب أزمة قلبية، ولكنه يبقى حياً بزوجته Eleonore ،وابنته ، وحفيدته وبنت حفيدته كذلك. وسيبقى أثره فى مجالى علم النفس والطب النفسى لقرون تالية.

النظرية

لقد انبثقت نظرية فيكتور فرانكل وعلاجه من خبراته فى معسكرات الموت النازية . ورؤيته من يُستبقى على قيد الحياة ، ومن يحكم عليه بالموت (أى مُنح فرصة للحياة) ، وخَلَصَ إلى صواب ماخلص إليه الفيلسوف فردريك نيتشهFriedrich Nietzsche : "إن المرء الذي يدرك لماذا يعيش يكون بمقدوره أن يتحمل كل شئ تقريباً أياً كان " مقتبس عن فردريك نيتشه فى ١٩٣٦ ، ص ١٢١.) وذهب فرانكل الى أن الأشخاص ممن عندهم أمال بالتئام شملهم مع أحبائهم ، أو من لديهم مشروعات يشعرون بحاجتهم لإكمالها ، أو هن لديهم إيمان قوى ، تكون لهم على الأرجح فرصاً أفضل مقارنة بأخرين فاقدين للأمل .

لقد أطلق على أسلوب علاجه إسم" logotherapy نسبة للمصطلح اليونانى logos والذى يعنىدراسة، الكلمة word أوالروح spirit أوالإله God أو المعنى meaning. ، وذاك المعنى الأخير sense هو ماركز عليه فرانكل، وإن كانت بقية المعانى غير مستبعدة تماماً. وبمقارنة نفسه بأطباء النفس الفيينيين الكبار أمثال فرويد وأدلر، ذهب إلى أن فرويد أن فرويض أفترض على نحو أساسي أن اللذة pleasure هى أصل الدافعية الإنسانيةبينما إفترض أدلر أن الرغبة فى القوة، هي أساس الدافعية الإنسانية، بينما يفترض العلاج الروحىlogotherapy بأن الرغبة(البحث) فى المعنى، هى أساس الدافعية الإنسانية .

ويستخدم فرانكل كلمة noös ، والتى تعنى العقل أو الروح . ويرى أننا فى علم النفس التقليدي، نركز على " الديناميات النفسية "psychodynamics, بوصفهم فى محاولة دائمة، لتخفيض التوتر النفسىpsychological tension . وبدلاً من ذلك، أو إضافة لذلك، يقول فرانكل بوجوب أن نوجه إنتباهنا نحو الديناميات الروحيةnoödynamics ، حيث يكون التوتر ضرورياً للصحة، على الأقل عندما ينشأ عن المعنى .فإن الناس يرغبون فى التوتر المُتضمن فى كفاحهم من أجل هدف نبيل.

ولربما كانت القضية التى شُغل بها فرانكل بوصفه طبيباً ، فى مستهل حياته المهنية هى خطورة التدهور .reductionism تماماً كما هو الحال الآن فى تأكيد المدارس الطبية على فكرة أن كل شيء يمكن رده إلى الفسيولوجيا. وعلم النفس كذلك، فالعقل يمكن أن نفهمه على نحو أفضل بوصفه" أثراً جانبياً لميكانيزمات عمل المخ. أما الجانب الروحىspiritual aspect للحياة الإنسانية فقد كان ومايزال يُعتبر مما ينبغى ذكره باحترام بالغ (كأنما يحرم الخوض فيه) كلية. ولقد إعتقد فرانكل بأن أجيال الأطباء جميعها ، وكذلك العلماء متبنون مذهبا يتصل بذاك الشئ الذى من شأنه أن يؤدى بمفرده إلى الاستخفاف معين (خاص) فى دراستهم للوجود الإنساني.

لقد حدد هدفه فى إحداث التوازن بين كل من وجهة النظر الفسيولوجية، والمنظور الروحى spiritual perspective ، ورأى أن هذه الخطوة ضرورية من اجل تطوير علاج أكثر فعالية. وكما قال ،" فإن عصابية الجنس البشرى تتطلب إعادة أنسنة العلاج النفسى." the de-neuroticization of humanity requires a re-humanization of psychotherapy." (1975, p. 104)

الضميرConscience

يُعد الضمير أحد المفاهيم الرئيسية لدى فرانكل. حيث يرى أن الضمير بمثابة نوع من الروحانية اللاشعورية unconscious spirituality ، وأنه يختلف عن اللاشعور الغريزى instinctual unconscious والذى ركز عليه فرويد وآخرون. والضمير ليس مجرد عامل ضمن عوامل عديدة، بل إنه يمثل قلب(جوهر) وجودنا، ومصدر لتكاملنا الشخصى.

لقد عبر عنه بمصطلح غير محدد إذ يقول :" كونك إنساناً يعنى أن تكون مسؤلاً، أى مسؤلاً وجودياً ، أى مسؤلاً عن وجودك الشخصى...(B)eing human is being responsible -- existentially responsible, responsible for one's own existence." (1975, p. 26) ويتصف الضمير بالحدسية وأنه مطبوع بشخصية صاحبة. كما أنه يشير إلى الشخص الحقيقى فى الموقف الفعلي، ولا يمكن أن يُختزل فى قوانين كلية بسيطة ، بل يجب أن يمارس ويُعاش .

ويشير فرانكل إلى الضمير بوصفه انعكاس للفهم الوجودى للذات "pre- reflective ontological self-understanding" أو بوصفه حكمة القلب "the wisdom of the heart," وهو أشد حساسية من أى سبب يمكن الإحساس به على الإطلاق ."(1975, p. 39) إنه الضمير الذى يمكن أن نخلص إلى أنه الذى يُعطى حياتنا معناها .

وكما ذهب إريك فروم ، يذكر فرانكل أن لدى الحيوانات غرائز تهديها، وفى المجتمعات التقليدية، بذلنا كل مابوسعنا من أجل إحلال التقاليد الإجتماعية محل تلك الغرائز . واليوم نحقق ذلك بالكاد بشق الأنفس.(يعنى بعد أن تخلينا عن الفطرة السوية لحساب المعايير الاجتماعية إذ بنا نكاد أن نفقد الإثنين معا بسبب عدم التطابق بين الاجتماعى والفطرى)* فما أكثر المحاولات التى بُذلت من أجل إيجاد توجيه للتلاؤم والمسايرة ، إلا أن هناك صعوبة متزايدة فى تجنب مواجهة حقيقة أننا لدينا الأن الحرية والمسئولية لأن نحدد خياراتنا فى الحياة ، حتى نعثر على المعنى الخاص بنا.

ولكن "... ينبغى أن يُوجد المعنى لاأن يُمنح." (1975, p. 112) فالمعنى كالضحك، وفى ذلك يقول فرانكل: ليس بوسعك أن تجبر شخصاً ما على الضحك، وكل ماتستطيعه هو أن تقول له نكتة ما ! ونفس الشئ ينطبق على الإيمان ، والأمل ، والحب ــ - لايمكن أن تُوجد بفعل تصرف ما أو رغبة ما ، سواء لأنفسنا أو لغيرنا .

" ...والمعنى هو شئ مما يكتشف وليس مما يُخترع "...(M)eaning is something to discover rather than to invent." (1975, p. 113) إنه

---

* المترجم .

حقيقة فى ذاته ، مستقلٌ عن عقولنا. وأشبه مايكون بمنظر فى برواز أو كصورة العين السحرية، إنه شئ موجود يمكن أن يُرى ، وليس شيئاً نوجده بخيالنا . وقد لانستطيع دائماً أن نستحضر الصورة الذهنية دائما، أو المعنى من الآن فصاعداً ، إلا أنه موجود بالفعل . إنه ، وكما يقول فرانكل "...أن المعنى يُعد ظاهرة إدراكية بصفة أساسية(أولية) " (1975, p. 115)

سرعان ماتختفى التقاليد والقيم التقليدية من حياة الكثير من الناس. وبالرغم من أن هذا الشئ يكون صعباً بالنسبة لنا . إلا أن الأمر لايحتاج لأن يؤدى بنا إلى اليأس: فالمعنى ليس مرتبطاً بقيم المجتمع. فمن المؤكد أن كل مجتمع يحاول أن يختزل كل ماله معنى فى رموز التصرف ، ولكن فى النهاية ، تبقى المعانى فريدة لدى كل فرد.

"... والإنسان ينبغى أن يُزود بمقدرة على أن يستمع ويستجيب لعشرة آلاف من الطلبات والأوامر المخبوءة فى عشرة آلاف من المواقف والتى تفرضها علينا الحياة . (1975, p. 120)

وهذا هو واجبنا كأطباء ، ومعالجين ، ومربون لمساعدة الناس على تنمية ضمائرهم وإيجاد وتحقيق معانيهم الفريدة (المميزة) unique meanings .

الخواء الوجودى The existential vacuum

وبالطبع ، فإن هذا السعى وراء المعنى يمكن أن يُحبط ، وهذا الإحباط يمكن أن يؤدى إلى عُصاب روحىnoögenic neurosis ، والذى يسميه أخرون بالعصاب الوجودى أو الروحى spiritual or existential neurosis . فالناس اليوم يبدون كأنهم يشعرون بأن حياتهم كأنها فراغ ، خالية من المعنى، غير مُغرضة، ولاهادفة، وعلى غير هدى، وماإلى ذلك، وتبدو استجاباتهم لتلك الخبرات بسلوكيات غير عادية من شأنها أن ترهقهم هم، والأخرين ، ومجتمعهم ، أو ثلاثتهم معاً.

وأحد أسماء الكناية لهذا الوضع هو الخواء الوجودى existential vacuum. ، فإذا كان المعنى هو ما نريده، إذاً يُعد فقدان المعنى نقيصة، إنه خواء emptiness ، فى حياتنا. فعندما تكون فى خواء ، فإن أشياء ستتسلل لملء هذا الخواء. ويرى فرانكل أن واحداً من أبرز علامات الخواء الوجودى فى مجتمعنا(الأمريكى) يتمثل فى المللboredom . وحدد كيف أن معظم الناس

يجدون أخيراً الوقت لأن يفعلوا مايشاءون وليس مايبدون أن يريدوا أن يفعلوا أى شئ! فالناس ينحدرون عندما يتقاعدون؛ والطلاب يتعاطون الخمور بعطلة نهاية الأسبوع، إننا نغمس أنفسنا فى ترفيه سلبى passive entertainment كل مساء. أو عُصاب الأحد"Sunday neurosis," كما يسميه فرانكل.

وكم نحاول أن نملأ فراغنا الوجودى existential vacuums بأى من تلك المواد، نظراً لأنها توفر لنا بعض الرضا ، ونحن نأمل فى أن توفر الإرادة(المشيئة) رضى نهائياً(غائياً) بصفة تامة : أننا نسعى لملءحياتنا باللذة pleasure ، بالتهام الطعام دون ضرورة ، ممارسة الجنس المختلطpromiscuous sex, ، عيش حياة الترف، أو أن نسعى للقوة ، خاصة القوة المتمثلة فى النجاح المالى ؛ أو ربما ملأنا حياتنا بالإنشغال busy-ness ، الإمتثال conformity ، التقليدية conventionality ، أو ربما نملأ الفراغ بالغضب ، والبغضاء (الضغينة) hatred ونقضى أيامنا

ونحن نحاول أ ن ندمر مانعتقد أنه يؤذينا (يؤلمنا) ، وقد نملأ أيامنا بسلاسل عصابية فاسدة neurotic “vicious cycles كالوسواس المتصل بالجراثيم أو النظافة، أو وسواس خشية الخوف من موضوع رهابى. وإيضاحاً لنوع تلك السلاسل الفاسدة هى أنها، كل مانقوم به ، ليس كافياً .

وتلك السلاسل العصابية الفاسدة تكون ناشئة عن شئ ما يشير إليه فرانكل بوصفه القلق الاستباقىanticipatory anxiety : فقد يكون شخص ما يخشى جداً أن يُصاب بأعراض معينة مرتبطة بالقلق خشية أن تصبح تلك الأعراض حتمية . ويتسبب القلق الاستباقى فيما نخشاه من أشياء كثيرة .(هل هو نوع من التشاؤم !!!!) ويُعدُ قلق الاختبارTest anxiety نموذجاً واضحاً : فإذا كنت تخشى من ان يكون أداؤك رديئاً فى الاختبارات، فإن القلق يمنعك من ان تؤدى بصورة جيدة فى الاختبار، مما سيؤدى إلى أن تصبح خائفاً من الاختبارات ، وهكذا .

وفكرة مماثلة هى العزيمة الزائدةhyperintention وهى حالة من محاولة بذل مزيد من الجهد، هو الشئ نفسه الذى يحول دون نجاحك فى شئ ما . ويُعد الأرق من الأمثلة الشائعة لذلك insomnia :

فالعديد من الأشخاص، عندما لايستطيعون النوم ، يستمرون فى محاولة الخلود إلى النوم ،مستخدمين كافة الطرق الموجودة بالكتاب (يعنى كافة النصائح

ذات الصلة) وبالطبع، فإن محاولة النوم ذاتها تمنعك من النوم، وهكذا تستمر السلسلة. مثال أخر يتمثل فى الطريقة التى يشعر بها معظمنا

باننا ينبغى أن نكون عاشقين استثنائيين: فالرجال يشعرون بأنهم يجب أن يكونوا (الأخرين) بمعنى أخر حبيب طالما كان ذلك ممكناً ، والنساء يشعرن بأنهن مُجبرات ليس فقط على بلوغ الذروة الجنسية، بل لبلوغ تلك الذروة عدة مرات ، وهكذا . إن مزيداً من الإهتمام بتلك النظرية، يؤدي بالطبع إلى عجز عن لاسترخاء والاستمتاع برباطة الجأش !

الوجه الثالث للاختلاف هو الانعكاس الزائد (انشغال الفكر والبال) hyperreflection وفى هذه الحال يقصد به التفكير شديد الإجهاد thinking too hard فأحياناً نتوقع أن شيئاً ما سيقع ، وبالفعل يقع هذا الشيء ، وببساطة ونظراً لأن ظهوره مرتبطة بقوة باعتقادات الشخص واتجاهاته ـ ـ فإنها تصبح نبوءة محققة لذاتها the self-fulfilling prophecy . ويذكر فرانكل أن امرأة ما تعرضت لخبرات جنسية سيئة فى طفولتها ولكنها مع ذلك نمت كشخصية قوية وصحيحة . عندما أصبحت على دراية بالتراث النفسى يخطر على بالها ان مثل تلك الخبرات من شأنها أن تترك اثرها فى الشخص بان تجعله عاجزاً عن الاستمتاع بالعلاقات الجنسية ، عندئذ تبدأ فى معاناة من تلك المشكلات !

إن فهمه للخواء الوجودى يعودإلى خبراته فى معسكرات الموت النازية . فلما كانت أمور الحياة اليومية هى التى تمنح الناس الشعور بالمعنى ـ ـ من قبيل العمل ، الأسرة ، الملذات البسيطةللحياة ـ ـ والتى إذا سُلبت من السجين ، فإن مستقبله يبدو منتهياً .فالانسان ، وكما يقول فرانكل" يمكنه أن يحيا فقط بمجرد إلى المستقبل."

(1963 , p. 115) "فالسجين الذى فقد الإيمان فى المستقبل ـ ـ أعنى مستقبله ـ ـ يكون ملعوناً (مشئوماً) (1963, p. 117) ".doomed

وبالرغم من ان قلة من الناس الذين يطلبون مساعدو نفسية اليوم تعانى من فظائع معسكرات الاعتقال، إلا أن فرانكل يشعر بأن تلك المشكلات التى تنشأ عن الخواء الوجودي ليست شائعة فقط بل إنها تنتشر على نطاق واسع بالمجتمع. ويحدد علة الوجود كله ممثلة فى الشعور بالتفاهةfeeling of futility والتى أشار إليها أيضاً بوصفها السقوط من الهاويةabyss experience

وحتى صور التطرف السياسي والاقتصادي فى عالم اليوم والتى يمكن ان ينظر إليها بوصفها تجليات (انعكاسات) للتفاهة: حيث نبدو وكأننا مُحصورين بين الانصياع الألى للثقافة الاستهلاكية الغربية والدكتاتورية ممثلة فى الشيوعية والفاشية، والأشكال المختلفة من الحكومات الدينية. التوارى فى مجنمع الجمهور mass society أو التوارى فى الفاشية - - وأى من الاتجاهين (النظامين) يوفر الطعام للشخص الذى يريد أن ينكر وجود الخواىء فى حياته.يعنى توفير سبل الحياة للأشخاص المستعدين لتجاهل عدم وجود معنى لحياتهم ومن ثم يوالون تلك النظم

ويطلق فرانكل على الاكتئاب والإدمان والعدوان ا لثلاثى العصابى الشائع (الجماهيرى) mass neurotic triad ويشير إلى البحث الذى يبين علاقة قوية بين فقدان المعنىفى (كما قيست باختبارات الغرض فى الحياة "purpose in life" tests وأن سلوكيات من قبيل الإجرام والإدمان . إنه يُحذرنا من أن العنف ، وتعاطى المخدرات ، وغيرها من السلوكيات السلبية ، والتى تُعرض يومياً على شاشات التلفزيون ، المسلسلات ، وحتى فى الموسيقى ، تقنع فقط المفتقرين للمعنىmeaning-hungry بأن حياتهم يمكن ان تتحسن عن طريق تقليدهم لهؤلاء الأبطال (بالمسلسلات) وحتى الرياضات ، يرى فرانكل انها تحض على العدوان .

علم الأمراض النفسية Psychopathology

يقدم لنا فرانكل تفاصيل عن أصل مختلف الأمراض النفسية.مثال على ذلك ، عصابات القلق المختلفة تبدو ناشئة عن القلق الوجودى - - " لدغة ضمير "the sting of conscience." (1973, p. 179) فالفرد لايفهم أن قلقه ناجم عن احساسه بمسؤلية غير متحققة unfulfilled responsibility وافتقار إلى المعنى lack of meaning فينقل هذا القلق ويركزه على واحد من الجوانب المشكلة فى الحياة . أشبه بالإزاحة . والشخصالمصاب بتوهم المرض ، على سبيل المثال ، hypochondriac يركز قلقه على واحد من الأمراض الكريهة horrible disease ، والشخص الرُهابىphobic يركز على موضوع ما سبق أن سبب له قلقا فى الماضى ؛ ومن أصيبت برُهاب الخلاءagoraphobic ترى أن مصدر قلقها موجود بال عالم خارج بيتها. والمريض بهلع المنصة خوف مواجهة الجمهور stage frightأو قلق التحدثspeech anxiety يركز قلقه على المنصة أو خشبة

المسرح . والشخص المصاب بعصاب القلقهو ذاك الذى يصطنع شعوراً لديه بعدم الراحة فى هذه الحياة .

ويشير فرانكل الى أنه أحياناً وليس دائماً، أن يؤدي العصاب دوره في خدمة أحد أفراد الأسرة ؛ أو أن يُستخدم لالتماس العذر للآخرين أو للنفس ... .1973, p) (181ولكنه يحذر من أن هذا الأمر يكون ملحوظاً بوضوح للآخرين، بوصفها مظهر ثانوي لموضوعات أكثر عمقاً .

ويؤدى الاستحواذ دوراً مشابهاً . فالشخص الحوازى -obsessive compulsive person يكون مفتقراً للشعور بالاكتمال الذى يتوافر لدى معظم الناس . ومعظمنا يكون شاعراً بالرضا كلما اقترب من اليقين ، near certainty يعنىالتأكد، مثال على ذلك مهمة بسيطة مثل إغلاق المرء لباب منزله بالمساء، يتطلب الوسواس القهرى (الحواز) تأكداً تاماً من أنه قد أغلق تماماً، وكم يكون ذلك أمراً بعيد المنال . ونظراً لأن تمامية كل الأمور لدى الشخص الحوازى تعد أمراً مستحيلاً، فإنه يركز انتباهه على موضوع ما من موضوعات الحياة والتى سببت له صعوبات فى الماضى .

ينبغى للمعالج أن يحاول أن يساعد المريض على الاسترخاء، وأن يقاوم نزعات تكرار الأفكار والأفعال . إضافة إلى أن المريض يحتاج إلى أن يدرك نزعاته المزاجية temperamental inclinations نحو التمامية perfection بوصفهاىقدراً ، وأن يتعلم أن يتقبل درجة ولو قليلة من عدم التأكد uncertainty

لكن في نهاية المطاف ينبغى لكل من يعانون الوسواس القهرى ، وعصاب القلق كذلك ، يجب أن يجدوا المعنى .فكلما كانت الحياة ملأى بالمعنى ، كلما أمكن اعادة اكتشافها ... ومن ثم لن يجد القلق العصابى أى شيئ يرتبط به أى أن الخبرات ستكون متجددة ولن يحدث تثبيت على أى منها بصورة عصابية .1973, p) ". 182)

وكشأن بقية علماء النفس الوجوديين ، يقر فرانكل بأهمية العوامل الجينية والفسيولوجية على العلاج النفسى

ويرى أن الاكتئاب ، على سبيل المثال ، ينشا عن قانون حيوى vital low الا وهو تقلص الطاقة البدنية diminishment of physical energy وعلى المستوى النفسى ، يربط الاكتئاب بمشاعر نقص الكفاءة feelings of

inadequacy التى نشعر بها عندما تواجهنا المهام التى تفوق استطاعتنا (قدرتنا) البدنية أو الجسمية. وعلى المستوى الروحى spiritual level يرى فرانكل أن الاكتئاب بوصفه توتربين ماعليه الفرد بالفعل وبين مايجب أن يكون عليه "tension between what the person is and what he ought to be." (1973, p. 202) . فأهداف الشخص تبدو له غير قابلة للتحقق، ويفقد إحساسه بمستقبله هو. وبمرور الوقت، يصبح مشمئزاً من نفسه ويسقط إشمئزازه على الآخرين أو حتى على الإنسانية بأسرها . والفجوة بين ماهو قائم بالفعل ، وبين ماينبغى أن يكون ، تظل هذه الفجوة بمثابة جحيم مفتوح . "gaping abyss. (1973, p. 202)"

الفصام Schizophrenia

وفهمه فرانكل على أنه يعود إلى خلل فسيولوجي وظيفى ، ففى هذه الحالة والتى تؤدى بالشخص لأن يعيش خبرة أنه بمثابة شئ وليس كذات as an object . rather than a subject.

إن معظمنا، عندما تكون لدينا أفكار ونسل بأن تلك الأفكار بأنها صادرة عن عقولنا نحن. فإنا نملكهاعلى نحو خاص بوصفها ناشئة عن لغة جديدة . والشخص الفصامى، ولأسباب غير مفهومة بعد، يكون مجبوراً على تبنى منظور سلبى passive perspective لتلك الأفكار 'ويدركها كأصوات ، وقد ينظر لنفسه ويشك فى نفسه - - التى يخبرها على نحو سلبى ، بوصفه مُراقب ومُضطهد watched and persecuted.

ويعتقد فرانكل بأن تلك (السلبية) البلادة تمتد بجذورها إلى نزعة مبالغ فيها إلى ملاحظة الذات. exaggerated tendency to self-observation . ويتحقق ذلك إذا كان هناك انفصال بين الذات كناظرة والذات كمنظور إليها . فالذات الناظرة ،خلو من السعادة (الرضا) وتبدو بوصفها واقعاً مجرداً، بينما تبدو الذات النظور إليها بوصفها غريبة شخص غريبalien .

وبالرغم من أن العلاج الروحى (بالمعنى) لم يصمم للتعالمل مع الذهانات الصريحة، إلا أن فرانكل يشعر بأنه يمكن أن يساعد فى ذلك: وذلك بتعليم الشخص الفصامى أن يتجاهل الأصوات، وأن يتوقف عن الملاحظة المستمرة للذات ، حيث

يؤدى به التزامن إلى نشاط ذى معنى، مما يجعل المعالج قادرا على كسر تلك الدائرة الفاسدة .

العثور على المعنى Finding meaning

ولكن كيف نعثر على المعنى؟ لقد تناول فرانكل بالنقاش ثلاث مناح . الأول من خلال القيم الخبراتية، وذلك من خلال الخبرة بشئ ما - - أو بشخص ما - - نعطيه قيمة. ويمكن أن تشمل تلك الخبرات خبرات القمة التى أشار إليها ماسلو Maslow's peak experienceوالتذوق الجمالى كمحال في رؤية عمل فنى عظيم أو التأمل فى عجائب الطبيعة .

إن المثال الأكثر أهمية للقيم الخبراتية هو الحب الذى نشعر به تجاه الآخر،فمن خلال حبنا، نمكن محبينا من أن يطوروا المعنى،وبنفس الطريقة، نطور معنى لأنفسنا.فالحب،كما يقول فرانكل،هو الهدف النهائى والأسمى والذي يطمح الإنسان له (1963, 58-59)

ويشير فرانكل إلى وجود خلط شديد للجنس بالحب فى المجتمعات الحديثة. ويقول أن الجنس لايعدوا أن يكون استمناءً والآخر لايعدوا أن يكون أداة للاستعمال(للاستخدام) ، كوسائل لغايات. وأن الجنس يمكن الإستمتاع به على نحو تام فقط بوصفه تعبيراً جسدياً عن الحب.

أن الحب إقرار(اعتراف) بتفردالآخر، بوصفه فرداً ، بتفهم حدسى لكامل امكاناتهما ككائنين إنسانيين ، ويعتقد فرانكل بأن ذلك لايكون ممكناً إلا فى ظل العلاقات الأحادية monogamous relationships ، فكلما كان بوسع الشركاء أن يتغيروا ، كلما ظلوا أشياءً.

والوسيلة الثانية لاكتشاف المعنى تتحقق من خلال القيم الإبداعية creative values، وذلك بفعل مأثرة deed ، كما صاغها فرانكل حرفياً ، وتلك هى الفكرة الوجودية التقليدية لتوفير المرء لنفسه بالمعنى عن طريق أن يصبح منهمكاً فى مشروعاته هو، أو من الأفضل أن يكون منهمكاً فى مشروع حياته هو . إنه يتضمن الإبداعية الموجودة بالفن الموسيقى، الكتابة، الإختراع، ومالإلى ذلك .

ويرى فرانكل أن الإبداعية (شأنها فى ذلك شأن الحب) بوصفها دالة(وظيفة) للاشعور الروحى spiritual unconscious ، والذى هو الضمير

conscience، وأن اللامنطقية فى الانتاج الفنى أشبه ماتكون بالحدس (الإلهام) الذى يمكننا من تمييز الجيد (الشيء الحسن) .

والوسيلة **الثالثة** للعثور على المعنى تتمثل فيما تكلم عنه فرانكل ومجموعة قليلة من الباحثين الآخرين بشأن القيم الاتجاهية Attitudinal values. والتى تتضمن التواضعvirtues والشفقةcompassion ، والشجاعةbravery الإحساس الجيد بالدعابةgood sense of humor وما إلى ذلك، وإن كان فرانكل هو خير مثال للوصول المعنى عن طريق المعاناة .

ويشير فرانكل أيضاً إلى أن الناس المرضى بحق هم من لم تتح لهم الفرصة لمواجهة المعاناة بشجاعة ، والتى تورث المرء الكرام ، أنهلل لهم ابتهاجاً! هل سيكونوا متفائلين! إنهم فى الغالب قد كونوا مشاعرالخجل من ألمهم وتعاستهم (يعنى عدم قدرتهم لا على الإبداع ولا الحب، ووجهة النظر تلك اقرب ما تكون لفرويد، ومن ثم فقدان المعنى) .

وفى كتابه بحث الإنسان عن المعنى ،يقول فرانكل :"...كل شئ يمكن أن يُسلب من الإنسان ، إلا شئٌ واحد هو أصل الحريات الإنسانية - - والمتمثل فى أن يختار المرء اتجاهه فى ظل أية ظروف يمر بها ، ليختار طريقه بنفسه .

وأخيرا، وعلى أية حال ، فإن القيم الخبراتية ، والإبداعية ، والاتجاهاتية ليست سوى تجليات (مظاهر) لشيء أكثرمن أساسي، ويسميه فرانكل المغزى (الدلالة)supra-meaning أو السمو (التفوق) transcendence وهنا نلحظ الميل الدينى لفرانكل : فالمغزى Suprameaning هى الفكرة التى تعنى فى الحقيقة. المعنى النهائى للحياة (كأنما هى سؤال عن علة الخلق) وهذا المعنى لايتوقف على الأخرين أو يتحدد فى ضوء مشاريعنا، أو حتى على مكانتنا. انما هو أمر منسوب لله وللمعنى الروحى .

إن ماتقدم يجعل وجودية فرانكل مميزة عن وجودية أخرين أمثال جان بول سارترJean Paul Sartre ، إذ يعتقد سارتر والوجوديون الإلحاديون atheistic existentialists بأن اللحياة لامعنى نهائى لها. life is ultimately meaningless ، وأنه يتعين علينا أن نجد الشجاعة لمواجهة ذاك العبث meaninglessness (حاشا وكلا) . ويقول سارتر : يجب أن نتعلم لنرسخ اللامعنى النهائى وبدلاً من ذلك يقول فرانكل : أننا بحاجة لأن نتعلم لكى نتحمل عدم

قدرتنا على فهم اللامعنى النهائى (سخرية من سارتر وجمعه بين متناقضين، لامعنى - ونهائى) ذلك لأن "العقل أعمق كثيراً من المنطق."

مرة أخرى تلك كانت خبراته فى معسكرات الموت والتى أدت به إلى هذه الخلاصة: "بالرغم من أن كل الناس مجبورون على ممارسات بدنية وعقلية فى حياة معسكر الاعتقال، فإنه بالإمكان، ومن أجل الحياة الروحية يمكن العيش فى حياة أشد قسوة ...ويكون الأشخاص قادرين على الإنسحاب من بيئاتهم المضطربة إلى حياة مصادر للرضا الداخلى وللحرية الروحية inner riches and spiritual freedom ." (1963, p. q 56) وهذا يتناقض بكل تأكيد مع نظرية فرويد والذى عبر عنه فى مستقبل الوهم Future of an Illusion بقوله "الدين هو العصاب القهرى للبشرية ..." (quoted in 1975 p. 69)

وينبغى أن يكون مفهوماً أن أفكار فرانكل عن الدين والروحانية واسعة إلى أبعد حد. وإله فرانكل ليس إله لعقل ضيق الأفق، وليس إلهاً لطائفة أو لأخرى. ولا حتى إلهاً لدين مؤسسى institutional religion'

الله أكثر ما يكون إلهاً لروح الإنسان، إلهاً للقلب. وحتى الملحد أو الضال atheist or the agnostic فيما يرى فرانكل، قد يقبل فكرة السمو (التفوق) بدون أن يلجأ إلى استخدام لفظ الله "God." الأمر الذى يجعلنا

نترك المجال لفرانكل ليتحدث عن نفسه :

وهذا التدين اللاشعورى unconscious religiousness ، يبوح بتحليلنا الظاهرياتى phenomenological analysis ليصبح مفهوماً بوصفه علاقة مستترة للسمو متأصلة فى الإنسان فإذا كان المرء يفضل ذلك ، فيتصور تلك العلاقة فى حدود العلاقة بين الذات المتأصلة والتطلع إلى ذلك. وعلى أية حال فالفرد الذى يتمنى أن يبلغها ، فنحن نكون مواجهين بما قد نفضل أن نصوغه فى مصطلح " باللاشعور السامى transcendent unconscious . وهذا المفهوم يعنى تقريباً أن الإنسان يكون واقفاً فى علاقة قصدية للتسامى ، حتى وإن كانت على المستوى اللاشعورى . إذا كان شخص ما يسمى الإحالة العمدية لمثل تلك العلاقة على المستوى اللاشعوري ، حيث أن الله God هو الجدير بأن يتحدث مع الإله الشرعى unconscious God(1975, pp. 61-62) ، ومالنبغى أن يكون مفهوماً كذلك ، هوأن الإله اللاشعورى ليس أى شئ من ذاك النموذج البدائى

archetypesالذى تحدث عنه يونج Jung . إنه إله سام بوضوح، وهو شخصى عميق (أى موجود بأعماق الشخصية) . إنه موجود هناك ، تبعاً لرأى فرانكل ، داخل كل منا يتمثل فى مجرد الإعتراف بوجود ذلك يوفر يحقق لنا المغزى supra-meaning. وعلى الجانب الأخر ، والبعد عن الله بمثابة المصدر لكل العلل التى سبق أن تناولناها سلفاً : "...فهب أن الملاك angel الموجود بداخلنا قد قُمع، فإنه يتحول إلى روح شريرة demon ." (1975, p. 70)

العلاج Therapy

لقد اشتهرفرانكل بأنه بقدر قربه من التفاصيل الإكلنيكية لمذهبه بنفس القدر الذى اقترب من تفاصيل نظريته العامة. أول تلك التفاصيل يتمثل فى أسلوب فنى معروف بوصفه النية المضادة paradoxical intention ،والذى يُعد مفيداً لكسر الدائرة العصابية الفاسدة neurotic vicious cycles والذى ينشأ عن القلق التوقعىanticipatory anxiety والنية الصادقةhyperintention

والنية المضادةparadoxical intention (أقرب إلى تكوين رد الفعل العكسى)هى وضع من تمنى شيء ما كثيراً ما تخشاه. فالشاب الذى يتصبب عرقاً عندما يكون بمواقف اجتماعية أمره فرانكل أن يتمنى أن يعرق. "ليقول" لقد سكبت عرقاً يُقدر بربع جالون فقط (ما يساوى لتراً) ولكنى عازم الآن على أن أسكب عشرة لترات عرقاً! "(1973, p. 223) تلك كانت ضمن تعليمات فرانكل. وبالطبع، عندما فشل فى تحقيق ذلك إذ أن الشاب لايستطيع ان يفعل ذلك. أن سخف المهمة يكسر الدائرة الشريرة.

إن قدرة بنىالإنسان على اتخاذ خطوة موضوعية تجاه حياتهم الخاصة . أو أن يخطون خطوات خارج ذواتهم، وتلك هى القاعدة التى يقدمها لنا فرانكل ، للدعابة . وكما دون ملاحظاته فى المعسكر، "الدعابة(الفكاهة) كانت أسلحة أخرى للكفاح من أجل حفظ الذات self-preservation "(1963, p. 68)٠

مثال آخر يتصل بمشكلات النوم sleep problems : إذا كنت تعانى من الأرق ، فوفقاً لرأى فرانكل ، لاتقض الليل تقذف برأسك وتغير من اتجاهها لتحاول النوم . إنهض ! حاول أن تظل هكذا أطول فترة ممكنة ! وبمرور الوقت ، ستجد نفسك عائداً حبواً وممتناً إلى الفراش .

أسلوب ثان أسماه العكسdereflection .إذ يعتقد فرانكل فى أن العديد من المشكلات تنشأ عن التركيز الزائد على النفسoveremphasis on oneself (التمركز حول الذات) وبتحويل المرءلانتباهه بعيداً عن نفسه إلى الآخرين، فإن المشكلات تختفى غالباً . وعلى سبيل المثال ، إذا كانت لديك مشكلات تتصل بالجنس، حاول أن تشبع شريك حياتك دون التماس الإشباع لنفسك . فالهموم المتصلة بالانعكاسات وذروة النشوة الجنسية ستختفى - - وسيعاود الرضا الظهور! أو لاتحاول أن تشبع أى شخص على الإطلاق . ويقترح العديد من معالجى الجنس sex therapists ألا يفعل الزوجان شيئاً ولكن "يداعبون" ويتجنبون بلوغ ذروة النشوة" مهما كان الثمن." وهؤلاء الأزواج سيتمكنون بوقائع بسيطة من بلوغ ماكان يمثل لهم صعوبات فى ليلتهم السابقة .

ويصر فرانكل على أن فى عالم اليوم ، يوجد تركيز زائد على إنعكاس الذات self reflection . فمنذ فرويد، ونحن مستحثون على النظر إلى داخل أنفسنا لننقب عن دوافعنا الأكثر عمقاً . ويشير فرانكل إلى تلك النزعة بوصفها " عصاب قهرى جمعى(collective obsessive neurosis." (1975, p. 95" فالتركيز على ذواتنا يؤدى بنا للإنصراف عن المعنى !

ونظراً لإهمية تلك الأساليب الفنية فإنها مثارة، ويصر فرانكل على أن: فى نهاية الأمر تظل المشكلات التى تواجه الناس إنما تنشأ عن حاجتهم للمعنى. وهكذا ، ومع أن تلك الأ ساليب وغيرها تُعد بداية طيبة للعلاج ، إلا أنها لاتُعد وسائل كافية لبلوغ الهدف .

وربما المهمة الأكثر أهمية للمعالج تتمثل فى مساعدة العميل على اعادة استكشاف التدين الكامن الذى يعتقد فرانكل فى وجوده داخل كل منا . وهذا لايمكن أن يُدفع (يُلغى) ، على أية : فالتدين الجوهرى Genuine religiousness ينبغى أن يظهر فى وقته . ولا يمكن بحال أن يُجبر أى شخص عليه." .1975, p) (72ويجب على المعالج أن يسمح للمريض أن يكتشف المعنى الخاص به هو.

"والوجود الإنسانى – على الأقل، وإلى جانب أنه ليس مضطرباً على نحو عصابى، إلا أنه مُوجه (مُسير) كذلك لشئ من ذلك، أو لشخص ما ، وليس للإضطراب العصابى فى ذاته. لجعله معنى ما للإنجاز ، أو لكائن إنسانى آخر للمواجهة بمودة. (encounter lovingly1975, p. 78).

وهذا ما يسميه فرانكل السمو بالذات self-transcendence وقارن بينها وبين تحقيق الذات self-actualization الذى استخدمه ماسلو. إن تحقيق الذات يكافئ اللذة والسعادة ، وهى تُعد من التأثيرات الجانبية للسمو بالذات وإكتشاف المعنى side-effects of self-transcendence and the discovery of meaning. ، ويقتبس من ألبرت شوارتزر Albert Schweitzer قوله " الشخص الوحيد من بينكم والذى سيكون سعيداً حقاً هو ذاك الذى سعى إلى مساعدة الآخرين وتمكن من ذلك (Quoted in 1975, p.) 85) يعنى السعادة فى معاونة الغير وتلك لاتتحقق إل بالترفععن ماهو ذاتى ، أو مايصفه فرانكل بالسمو بالذات .)

خلاصة conclusion

وحتى إن كنت مثلى ليسبت لديك النزعة الدينية a religious inclination فإنه من الصعب تجاهل رسالة فرانكل : يوجد وراء الغرانز، وجينات الأنانية "selfish genes," ووراء الاشتراط الإجرانى والكلاسيكى ، ووراء أولويات (التأثيرات) البيولوجى ،والثقافية، يوجد شئ خاص، إنسانى مخض uniquely , human شخصى محض uniquely personal , ، وفيما يتعلق بتاريخ علم النفس، حاولنا باسم العلم أن نتخلص من الروح "soul" من مفرداتنا المهنية. ولكن ربما حان الوقت لأن نتبع قياد فرانكل Frankl ونعيد سنوات الاختزال(يعنى سنوات النظرة القاصرة للإنسان)٠

مناقشة Discussion

بالرغم من إعجابى الشديد بفرانكل ونظريته، إلا أن لدّى بعض التحفظات القوية . فبينما يحاول فرانكل إعادة الدين إلى حظيرة علم النفس، وقام بذلك بالفعل بدقة تفصيلية وعلى نحو مغر. إلا أنه يصعب إقناع شخص ما بكل ماقال به فرانكل ، وأن نرى ماقد رأه . ثم أن المعاناة ليست ضمانة لقول الصدق ،(التوصل للحقيقة) وبإقحام االدين فى اللغة الأكثر تسامحاً واللغة الأكثر ليبرالية ، وبالغم من ذلك يطلب منا أن نؤسس فهمنا للوجود الإنسانى على الإخلاص(الولاء) ، على قبول أعمى لوجود الحقيقة المطلقة' بغير برهان سوى "المشاعر" والحدسيات (البديهيات) intuitions وحكايات نادرة عن هؤلاء الذين يعتقدون فيها بالفعل، مما يُعد سابقة خطيرة ، كما أن هناك الكثير من علم النفس الشعبى "pop

psychology" مؤسس على تلك الأفكار. وتنطبق تلك Carl Jung and Abraham Maslow.النزعة على النظريات شبه الدينية لكارل يونج ، وماسل ويشير فرانكل ، كما فعل ماىMay وأخرون ، لنفسه بوصفه وجودى existentialistوهناك نزعات دينية تفعل نفس الشئ. قامت بتهذيب نظرية كيرجاردKierkegaard بشأن الوظيفة التطوعية لمؤسس الوجودية، إلا أن كلمة كيرجارد لم يُسمع لها. ....

الفصل الثالث والعشرون

نظرية مقترحة فى الشخصية

The Ultimate Theory of Personality

بعد انقضاء المقرر الدراسى لنظريات الشخصية – فرويد ويونج وروجرز وفرانكل وباندورا ، وأيزنك وغيرهم وغيرهم – كثيرٌمايسألون مرة أخرى ، ألا توجد نظرية واحدة يمكننا الوثوق بها وأن نستخدمها بثقة ؟ أيمكننا أن نضيق من اتساع النظريات بوضعها الحالى ولو بصورة جزئية ؟ فياترى أىٍ من تلك النظريات صائب وأيها خطأ !

إنه لمما يؤسف له ، أن الشخصية وحتى هذا الوقت ليست علماً بالمعنى الحرفى لكلمة علم ، فهى ليست كالبيولوجى أو الكيمياء . إذ أن فى تلك المجالات ، وبالرغم من وجود عدم اتفاق بشأن التفاصيل وبشأن النتائج الأخيرة ، إلا أنه يوجد كم من المعرفة التى يتناقش بشأنهاعدد محدود من الناس (اشارة للعاملين بمجال التخصص) . والأمر ليس بهذا الوضوح فى مجال الشخصية .

وعلى أية حال فإن هناك أفكاراً تنبثق رويداً رويداً والتى تبدوا وكأنها تعاود الظهور مرات ومرات فى مختلف النظريات ، وغالباً ماتأخذ أسماءً مغايرة ، وهذا لاينفى وجود الأفكار الجديدة وإن كانت قليلة. ففى بعض الأحيان تظهر نظريات مختلفة وإن لم تكن شديدة الاختلاف، أو تمخضت عن منظور مختلف، أو تأتى هذه الأفكار من منظورات مختلفة ، من قبيل المنحى الاكلينكىفى مقابل التجريبى، والتحليل العاملى مقابل علم النفس الظاهرياتى .فلربما يصبح المجال علماً بحق، وعسى ذلك يكون قريباً مستقبلاً !

أعلم أنى مستثار ! وهكذا فإنىأقر بأنى قد عانيت الكثير فى محاولتى جمع شتات أبرز الاسهامات فى المجال،والتى وإن كانت غير عامة أو متفق عليها بصورة تامة ، إلا نها لاتشكل مجعتمعة ملامح نظرية مستقبلية فى الشخصية. ونفصل ذلك فيما يلى :

الوعى واللاوعى: Consciousness and the unconscious

وهذا بالطبع أهم إسهامات فرويد . وإن لم ينحت هو هذين المصطلحين ، إلا أنه مسؤول – بكل تأكيد – عن شيوعهما وانتشارهما ! لقد سلم العديد من النظريات ببعض أنواع من اللاشعور ليست بوصفها المكان الذى يحوى مخاوفنا المختلطة والمتأججة ، ولكن كطريقة لحساب أموراً عديدة من شأنها أن تؤثر فينا بدون وعى كامل منا without our full awareness.

ويمكننا أن نستخلص ثلاثةجوانب للاشعور .

أولا: بيولوجى biological . فنحن نأتى لهذه الحياة مزودين بمايشبه "هى id" فرويد أو مايقابلها من اللاشعور الجمعىcollective unconscious ليونج ' وهما أقرب ماتكون غرائز من نوع ما تظل جزءاً من طبيعتنا البشرية ، إضافة إلى مزاجنا temperament أوشخصيتنا الموروثة(الفطرية) inborn personality ، وربما البرمجة المسبقة preprogrammingلمراحل حياتنا . ويتداخل مفهوم اللاشعور مع المفهوم الوجودى المعروف بـ thrownness .

وكما الحال بالنسبة لأى من الغرائز ، فإنى أقترح (أنتقى) أربعة مركبات معقدة (عقد) "complexes"من كل ماتقدم ، هى :عقدة الرفقة A mating complex ، عقدة توكيدية assertive complex ، عقدة اجتماعية social complex، وعقدة التنشئةnurturant complex .

ثانيا: يوجد لاشعور اجتماعى social unconscious (كما يسميه فروم Fromm)والذى يشابه بالفعل الأنا الأعلى superego فى نظرية فرويد أكثر من مشابهته للهى . وإنه يتضمن لغتنا ، والمحرمات الاجتماعية social taboos ، العادات الثقافية cultural habits ، وماإلى ذلك. إنه يتضمن كل الأمور الثقافية المحيطة بنا فى طفولتنا والمتعلمةعلى نحو متقن لدرجة أصبحت معها بمثابة الطبيعة الثانية"second nature" بالنسبة لنا ! والجوانب السلبية للاشعور الاجتماعى تتداخل مع الفكرة الوجودية المعروفة بـ السقوط fallenness ، وتتداخل كذلك مع فكرة روجرز عن شروط الجدارة والاحترام .

ثالثاً، يوجد لاشعور شخصي personal unconscious (استعارة لمصطلح يونج)، والذى يمكن فهمه بوصفه الجانب اللاشعورى للأنا . أنه يضم عاداتنا الخاصة، والأمورشديدة الخصوصية والتى تعلمناها ونحن أبعد مانكون عن الحاجة إلى الوعى بها ، للتصرف بمقتضاها – - من قبيل معرفة كيفية القيادةللسيارةعلى نحو جيد بينما نستمع ، ونتحدث فى الموبايل، ونشعل السيجارة، ونأخذ بالنا من شخصية جذابة على سطح مرآة السيارة، كل ذلك نقوم به فى آن واحد.

ومن بين تلك الأشياء التى تعلمناها على نحو متقن ، ميكانيزمات الدفاع defense mechanisms .إلى جانب تلك الأشياء التى نتجاهلها، مع كفاءتنا الاعتيادية habitual efficiency ، والحقائق غير المريحة uncomfortable realities وذلك لنحافظ على ذواتنا. ولو لأمد قليل.

ولكن دعنا لانفرط الحماس للاشعور ! إذ أن عدداً محدوداً- اليوم- من علماء النفس ينظرون إليه كما لو كان مركزاً لذواتنا الحقيقية، وكما لوكان بمثابة الإجابة على كل مشكلاتنا، أو بوصفه الجانب الروحى العميق الذى يربطنا بالكون أو بالله! أنه يتجلى عندما فى المعالجات الألية بدرجة أو أخرى للموهبة والقدرة على عمل الأشياء المتعلمة بصورة جيدة.

وكل ماذكرناه يعد على النقيض مما يُعرف بالشعور consciousness أو الوعى awareness ماعدا الغرائز وربما إرتباطات قليلة تم تعلمها بالاشتراط الكلاسيكى، ويبدو أن كل شئ يمر إلى داخل نفوسنا أو يخرج منها إنما يمر عبر الوعى .

ولقد ظل اللاشعور ولفترة طويلة بوصفه موضوعاً مقلقاً لكونه غير قابل للبحث التقليدىعلى الدوام ! ولكن الأن، يمكننا النظر إليه بوصفه القدرة على اختبار الواقع (الخارجى والداخلى) معاً ، ومعناه وتعلقه بنا (بوصفنا كائنات حية . اجتماعية ، وفردية كذلك) ياه ! وددت لو أضيف أنه بمثابة الشعور الذى يزودنا كذلك بحرية الاختيار من بين الخيارات المتاحة لنا – مثال على ذلك الارادة الحرة free will أو على الأقل تقرير المصير .self-determination

ولعل أهم ماينبغى أن نأخذه فى الاعتبار دوماً بشأن الشعور هو أنه شخصى personal أنه لك وخاص بك وحدك..وأن كل مايحويه ذاك الشعور الشخصى هو مايعنى علم النفس به فيك . كل شئ تشعر به ، وتستقبله ، وتفكر فيه ، وتفعله بناءً على وجهة نظرك الذاتية للواقع ، والتى قد تختلف على نحو جوهرى عن وجهة نظرى أنا لهذا الواقع ! لذا فمن أجل أن نفهم الناس ، فإنا بحاجة لأن نفهمهم من الداخل وتلك الحقيقة البسيطة هى التى تجعل علماء النفس يواجهون صعوبات فى بحثهم أكثر مما يواجهه المتخصصون فى العلوم الطبيعية .!

المراحل Stages

وتعد المراحل من الموضوعات التى تجنب منظروا الشخصية الخوض فيها على استحياء . ففرويد وإريكسون Freud and Erikson يعدان إستثناءً ، وكذلك عالم النمو بياجية Piaget . حقاً أن هنالك أسس بيولوجيةلتلك الفكرة (يعنى مراحل النمو) إذ بوسعنا، واعتماداً على البيولوجيا البحتة. أن نميز بين ثلاث مراحل مميزة على الأقل : الجنين fetus، الطفل child ، الراشد adult ، وتلك فى الحقيقة ، توازى المثال الذى درسناه فى فى علم الأحياء بالمدرسة لمراحل النمو المعروفة بـ البيضةegg ، ثم اليرقة (الدودة)caterpillar ، ثم الفراشة butterfly .

يضاف لما تقدم أن بوسعنا التمييز بين ثلاث مراحل إنتقالية : الطفولة infancy ، المراهقةadolescence ، فالهرم .senescence .

الطفولة Infancy مرحلة تكاد لاتوجد لدى الحيوانات شديدة البدائية ،بينما يُبالغ فيها للغاية لدى بنى البشر . وكأننا جميعاً قد وُلدنا قبل الأوان born prematurely ولربما كانت تلك نتيجة طبيعية للمعضلة النمائية القائلة بأن : كيف يمكن لمخلوق أن يولد عمودياً وبرأس كبير دون أن يتسبب فى قتل الأم ؟ إذاً من الصواب أن يُلد قبل أن يُصبح كبيراً جداً ! ولعل ذلك سبب كافٍ لأن نحيا طويلاً حتى نستطيع أن ننجب أجيالاً جديدة . وهذا مايجعل الطفل يتعطش

للمعلومات مبكراً جداً ، وبصور مختلفة . ولعل ذلك يبدو واضحاً خلال الشهور الممتدة من السادس وحتى الثانى عشر من العمر ، بالرغممن أن نمونا العصبى يكون غير مكتمل بعد. ولما تعلمنا ، كلما أنشأنا بالفعل مسارات عصبية جديدة ، فضلاً عن إنشاء الروابط العصبية التى نقوم بها فى حياتنا لاحقاً .إنها أشبه بالغرائز المتعلمة learning instincts .

والمراهقة **Adolescence** أيضاً يمكن إعتبارها مرحلة نوعية ،وأنا أعتقد ، أنها كمرحلة ، بمثابة نقلة من الطفولة إلى الرشد تتضمن تغيرات هرمونية هائلة مصحوباً بنمو هائل لم تشهده منذ أن كان عمرك عامان .! ولعله من الصعب أن يحمل المرء تلك التغيرات دون أن تؤثر فينا على نحو نفسى.

الهرم **Senescence**وهو مايُشار إليه على نحو تعسفى بالسنوات الأخيرة أوبالحياة المكتملة ، وأثناء تلك الفترة يبدأ بنو الانسان فى التدهور والأفول deteriorate and shut down. .ونحن لاننظر لتلك الفترة بوصفها مرحلة ، وفى الحقيقة فإن الكثير من الناس لايبلغون تلك المرحلة (بسبب الحوادث والأمراض التى تحول دون ذلك) .

ولكن باللغة الاجتماعية ، نحن نعد أنفسنا لتلك الفترة النمائية بالذات ، فهى تشكل مرحلة إجتماعية وإن لم تكن مرحلة بيولوجية .وتلك النقطة الأخيرة تتيح لنا وضع إضافات ثقافية على نحو خاص. ففى ثقافتنا ، توجد نقلة حادة من طفل ماقبل المدرسة إلى طفل المدرسة ، ونقلة حادة أخرى من الراشد الأعزب إلى الراشد المتزوج. وإلى جانب تلك القوى البيولوجية ، فإن لكل واحدة من تلك المراحل الاجتماعية قوتها كذلك.

وعلى سبيل المجازفة يمكننا افتراض وجود الجانب النفسى فى تلك المراحل البيولوجية وذلك على النحو التالى:

مرحلة الجنين تركز على النموالبيولوجي ، والذى قد تشكل فى ظل وجود الآخرين فى مرحلة الطفولة إلى نمو الأنا ego development داخل الطفل ،

وبالتالى ، فإن نمو أنا الطفل يتحول بفعل حدوث النشاط الجنسى لدى المراهق إلى التمركز حول الذات trans-ego أو إلى النمو الاجتماعى لدى الراشد.وأنا أنظر بطريقة مختلفة لهذا الأمر :فى المرحلة الجنينية والرضاعة، نضع الأساس ونطور أمزجتنا temperaments (الموجود فى الهرمونات وأجهزة إرسالنا العصبية neurotransmitters)وفى مرحلة الطفولة ، نطور شخصية ما (الموجودة فى العادات habits)والمراهقة، واستمرارا بالرشد ، نطورالشخص(الوعىالمستند إلى قرار من character .

المزاج Temperament

هو ذاك الجزء من شخصياتنا الذى نطلق عليه الجزء الثابت من الشخصية والمحدد جينيا. Temperament is what we call that part of our personalities or characters that is built--in to us genetically. وترتيباً على ما تقدم ، وبالرغم من أنه توجد عادة درجة من المرونة مسموح بها، ، إلا أننا نكون أمزجتنا (أى أن هويتنا الشخصية محكومة أساساً بأمزجتنا) طوال حياتنا ..

ولقد قاد يونج Jung هذا الرأى، وتبناه أيزنك وجعله أكثر مقبولا علمياً، وجاءت العوامل الخمس الكبرى Big Five لتجعله رسمياً (مُعترفٌ به)

وعلى نحو تقريبى يكاد الجميع ممن أعرف يقبلون ببعدين للشخصية حُددا قبل المولد، وعلى نحو تام جينياً :

- الاتزان الوجدانىemotional stability (المعروف باسم العصابية neuroticism)
- الانبساط – الانطواء(المعروف باسم الاجتماعية sociability)

وثلاث عوامل تلقى قبولاً جيداً هى:

يقظة الضميرconscientiousness (المعروف ب التوصل إلى الأحكام judging-perceiving...,).

المجاراة agreeableness .

الانفتاحية openness (المعروفةبالثقافة، والاحساس الواعى culture, intuiting-sensing...) .

كما أن هناك ثلاثة عوامل أخرى نافس بقوة لتحتل هذه المكانة ،وهى:

الذهانية psychoticism (أيزنك Eysenck)

الفعالية activity (بص وبلومين Buss and Plomin)

الاندفاعية impulsivity (بص وبلومين Buss and Plomin)

التعلم Learning

باستثناء سكنر ، وباندورا وكيللى ، وأخرون قليلون ، لم يؤخذ التعلم كأمر موثوق به من قبل معظم منظرى الشخصية. وإن كنت أرى أن هذا الموقف لاينبغى أن يكون . إذ بوسعا أن نسلم على الأقل بوجود ثلاثة أنواع من التعلم : بينى environmental ، اجتماعى social، ولفظى verbal.

التعلم البينى، ويتضمن الاشتراط البافلوفى والسكنرى ، والذى يوفر لك تغذية راجعة من بيئتك بالطبع . وهو يتضمن كذلك التعلم الكامن latent learning والذى أشار إليه تولمان E. C. Tolman بقوله: أننا نتعلم من بيئتنا بمجرد وجودنا بها!

ولقد اشتق جورج كيلى نظريته فى التعلم من أعمال كل من Snygg and Combs والتى هى مشتقة بالأصل من علماء الجستالت Gestalt psychologists : ومؤداها أننا نتعلم تمييز شئ عن شئ أخر إعتماداً على نتائجه. وعلى أية حال فإن السلوكية أ، والجستلتية فكلاهما يذهبان إلى أن التعلم يتطلب قدراً ولو قليلاً من الشعور .consciousness .

كما أن هناك تعلم بينى من نوع لآخر وهو الذى يتدخل فيه أشخاص أخرون . فعندما يفعل الطفل الصغير شيئاً ما لايستحسنه الأب أو الأم ، فإنه يتعرض لعقاب

ما . وعلى نحو مماثل يمكن أن يُكافأ إذا أقدم على سلوك صحيح بدلاً من السلوك الأول . ويُعد ذلك التعلم شرطياً كذلك، ولكنه فى الواقع ، ونظراً لاشتماله على أشخاص أخرين، فإن ذلك يجعله تعلماً اجتماعياً، إذ أنه ملئ بصعوبات إضافية. مثال على ذلك، إذا كنت فى كل مرة تجرى فيها نحو الشجرة ، ترتطم بها راسك ، فإنك ستتوقف عن الجرى نحو الشجرة، ومن جهة أخرى، لو أنك فى كل مرة تقول فيها ياللعنة shit يلطمك والدك على خدك، فإنك ستكف عن هذا القول، أو أنك ستتجنب أباك ، أم أنك ستنطقها على نحو خفيض مع أنفاسك، أو أن تكره أباك وأصحاب السلطة عموماً، وتبدأ فى ضرب الأطفال الصغار بعد انتهاء اليوم المدرسى، وهكذا، وحتى يوقف الحبس – على نحو فعّال – ذاك السلوك . وتلك الأنواع من السلوك لاتحدث إطلاقاً مع الشجرة .

ويتضمن التعلم الاجتماعى التعلم بانيابة (بالتفويض) vicarious learning (أى ملاحظة واستظهار أنواع من التغذية البينية الراجعة والتشريط الاجتماعى الذى حدث للأخرين .) والمحاكاة (التنمذجmodeling من وجهة نظر بندورا) وهذا النوع من التعلم هو بحق الأكثر أهمية فى نمو الشخصية ، ويتحقق هذا التعلم إما بطريقة شعورية ، كما هو الحال عندما ننظر إلى الفنان لنتعلم أسلوبه ، أو بطريقة لاشعورية ، كما هو الحال عندما نشب مزعجين كأبائنا .

كما أن هناك التعلم اللفظى verbal learning – أى التعلم ليس من البيئة أو من الآخرين ، ولكن من الكلماتwords . وعلى الفمستوى الثقافى يُعد هذا التعلم أهم أنواع التعلم ، فمعظم مايتحقق لنا من تعلم خلال سنوات الدراسة هو من التعلم اللفظى ، وإن كنا لانعرف عن هذا النوع من التعلم كافة المعلومات المتصلة به.

الوجدانات Emotions

وتعد الوجدانات أوالمشاعر إحدى محطات الاهتمام البارزة التى عُنيت بها نظريات الشخصية، فعلى أقل تقدير لدينا الألم واللذة ، واللذان يعدان أقرب

للإحساس أكثر من المشاعر. كما أن هناك أيضاً ألم ولذة نفسيتين psychological pain and pleasure واللذان يطلق عليهماالكرب والبهجة distress and delight، ويعدان منشأ كافة الوجدانات الأخرى . فالكرب هو مانشعر به عندما تكون الأحداث من حولنا تفوق قدرتنا على التعامل معها .والبهجة (السرور) هو مانشعر بهعندما نكتشف أن بمقدورنا التعامل مع تلك الأحداث .

ويُعد القلق **Anxiety** موضوعاً مفضلاً ضمن نظريات الشخصية . وبالرغم من تعدد التعريفات التى وُضعت للقلق ، إلا أنها تنزع فى مجملها تدور حول اعتباره خوفاً غير ضرورىوغير ملائم . ويذكر كيلى أنه بالفعل بمثابة توقع موقف مخيف anticipation of a fearful situation سواء كان هذا التوقع دقيقاً أم لا. ومن ثم ، يُفهم الخوف Fear بوصفه متضمناً ادرك الأذى الوشيك imminent harmنفسياً كان أم بدنيا . وقدساهمت تلك التعريفات بدرجة كبيرة على نحو إيجابى فى أحيان كثيرة .

والشعور بالذنب **Guilt** وجدان رئيسى أيضاً . وفى ضوء ارتباطه بالخجل ، يُفهم عادة بوصفه المشاعر المستثارة عندما يخرق المرء القواعد الاجتماعية المستدمجة internalized social rules

ويقدم كيلى Kelly شرحاً وافياً : فيعرفه بأنه ذاك الشعور الذى يعترينا عندما نخرق (ننتهك) ضميرنا الشخصى (والذى قد يتفق أولايتفق مع القواعد الاجتماعية!) وقد أضاف الوجوديون تفصيلاً آخر وذلك بافتراض أن الشعور بالذنب يكون وثيق الصلة بالشعور بالندم regret على الفرص التى لم تُستغل.

الحزن Sadness هو الشعور بأن الدنيا لم تعد كما ينبغى ، إضافة للاعتقاد بأن ليست لدينا القدرة على تغيير الوضع(الموقف) . فضلاً عن ذلك ، الشعور بوجود حاجة لتغيير أنفسنا – حتى فى بعض الجوانب التى فطرنا عليها ! فالأسى

Grief خير مثال على ذلك ، الذىومن يمكن تعريف الاكتئاب بأنه الحزن اللاواقعى والذى يستمر لفترة طويلة بعد الموقف الأصلى .

الغضب Anger

ويشبه الحزن : فالدنيا ليست على مايرام . ولكن الآن توجد فكرةأنه يتوجب علينا أن نشحذ طاقتنا لتغيير الموقف . وعندما نتصرف فى ضوء غضبنا يتحول إلى عدوان. والغضب والعدوان ليسا سيئين باضرورة: فذاك غضبنا بسبب المظالم الاجتماعيةsocial injustices ، والاقدام على تصرف عدوانى لرفع تلك المظالم ، وهذا من شأنه أن يُحدث تغيراً اجتماعياً إيجابياً ! إلا أن الغضب غير الواقعى (غير المبرر) Unrealistic anger والذى نصر عليه رغم مايسببه من معاناة لأنفسنا وللأخرين من حولنا فهذا مايمكن أن نطلق عليه عداوة .hostility .

وبالطبع توجد وجدانات أخرى عديدة وظلال وجدانية نحاول أن نحددها ونعرفها ، ولكن هذا مما ليس مجاله أو وقته الآن. ولكن ممايجدر ذكره أن : يبدو أنه حيثما يتوافر الوعى (الشعور) consciousness يوجد وجدان – وعلى أقل تقدير توجد نبرة وجدانية أو حالة مزاجية وجدانية .

وكما يشير الوجوديون : أننا ببساطة لانستطيع إلا أن نعير اهتمامنا لشئ ما .

الدافعية motivation

والآن نحن بصدد أحد الموضوعات الصعبة : فالدافعية بمثابة الموضوع المركزى فى معظم نظريات الشخصية ، ويبدو أن ذاك الاختلاف مستمر بلا نهاية ! إلا أن قليلاً من التنظيم من شأنه أن يساعد .

أولا، توجد دوافع بيولوجية **biological motivations** ، غريزية على الأرجح (نظراً لأن الإدمانات addictions مكتسبة) . فتلك حاجتنا للهواء ، والماء ، والطعام . وحاجتنا لتجنب الألم pain-avoidance . والحاجة للذة need for pleasure: من قبيل، الملامسة اللطيفة، والراحة، والجنس pleasant touch,

comforting, sex. ولربما أضفنا إلى ذلك المركبات الغريزية instinct complexes مثل : الحاجة للاجتماع mating ، التوكيدية assertiveness ، الحاجة للتنشئة nurturance . ولقد اتفقت كل النظريات على تلك الحاجات وإن اختلفت على نطاق واسع بشأن أهمية كل منها بالنسبة لغيرها من الحاجات، كما اختلفت بشأن الأنواع الأخرى من الدافعية .

ثانياً ، توجد **الدوافع الاجتماعية social motivations** . ولتى ربما كانت مترتبة على الدوافع البيولوجية ، خاصة المركبات الغريزية ، وإن كانت تختلف عنها كثيراً بسبب اعتمادها الأساسى على الثقافة بل وحتى على الأوضاع الاجتماعية للفرد وتعلمه. ونظراً لأننا تعلمناها فى فترة باكرة جداً من حياتنا ، فلنا أن نستعير تعبير ماسلو لنصفها بأنها غريزية instinctoid ، وتشتمل الدافعية الاجتماعية على الحاجة للتقبل، والاهتمام ، والاستحسان acceptance, attention, and approval والتى تقابل النظرة الإيجابية عند روجرز Rogers' positive regard وكذلك كل أشكال الاعتداد بالذات والتى تترتب على مثل ذلك الاستحسان .

ثالثاً ، توجد **الدوافع الأكثر شخصية more personal motivations**، وهى كل مايتوقف على خبرات الفرد ، خاصة عاداتنا (الحسن منها والردئ) وميكانيزمات الدفاع البغيضة nasty defense mechanisms ، وشخصياتنا(أساليبنا) "styles."

وأخيراً، وإن لم يكن الأقل أهمية وشأناً ، توجد **الدوافع الأعلى higher motivations** ، وتلك التى تكون شعورية وندركها بصفها تمد حياتنا بالمعنى . ويبدو أن هناك نوعان واسعان من تلك الحاجات الأعلى :

<u>النوع الأول</u> ،الدافعية للكفاءة (الأهلية والجدارة) **competence motivation** وتشمل تلك الحاجات من قبيل الرغبة فى التعلم **desire <u>learn</u> to**تحقيق الجدارة والإتقان، وحتى الرغبة لأن يكون مبدعاً . وهذا مايسميه أدلر بالكفاح من أجل الكمال**striving for perfection** .

<u>النوع الثانى</u>، الدافعية الإيثارية **altruistic motivation** وتشمل الاهتمام الاجتماعى لأدلر **social concern** ، الشفقة(الرحمة) compassion ،

والحب . ويذكر إريكسون تلكما الدافعين على وجه التحديد فى مراحل الرشد .
وسواء كانتا منبثقتين عن الحاجات الأدنى أو كانتا أكثر من ذلك ، سيظلان مثارا
للنقاش لسنوات عديدة بالمستقبل . !

ويبدو لى أن كل ماقدمته ، وربما قليلاً مما تجنبته ، يمكن النظر إليه بوصفه
من الدوافع. وأن الاعتراضات الأكثر جوهرية ربما كانت مضللة – ولربما اختلفت
من شخص لأخر ! وأن احتمالية أن تكون الدوافع الأعلى منبثقة من الدوافع الأدنى
لايقلل من شأنها بأى حال ..ونظرية روللو ماى Rollo May بشأن وجود عدد
كبير من الحاجات ، الفريدة لدى كل فرد، ربما كانت المنحى الأفضل .

وكل تلك الحاجات امتنوعة والمشار إليها يمكن اختزالها فى كلمة واحدة هى
التحقق **actualization** . فالتحقق مفهوم ورد فى معظم النظريات الكبرى . وقد
استخدمه روجرز بالطبع. واستخدمه يونج وهورنى فى صيغة **self-realization** الأمر الذى يعنى حرفياً تحو الامكانات الكامنة**potentials** إلى
وقائع فعلية **actualities** . إنما تعنى البقاء على الانسان وتحسينه، أى الحياة
والازدهار !Survive and thrive ، أى عش مدة طويلة وانجح ! Live long
and prosper! وتلك هى قوة الحياة The life-force ،وذاك هو السبب الذى
من أجله نأكل ونشرب ، ونمنح الحب ونلربى أطفالنا ، ونبنى مجتمعاتنا ونحميها ،
نبتكر أشياءً جديدة ، ونحب بعضنا بعضاً . وربما كان مصطلح التحقق ، يبدو عاماً
كما لوكان لايضيف جديداً لفهمنا العلمى للشخصية . ولكنى أعتقد أن المفهوم يساعد
فى إيضاح طبيعتنا الأساسية !

العصاب Neurosis

يبدأ الكثير من الصعوبات التى يواجهها الناس مع خبرات مرحلة الطفولة
من سوء معاملة ، وإهمال ، وفقر ، ومرض ، ومرض الوالدين ، أو موتهما ، أو
المشكلات النفسية للوالدين ، كالطلاق ، الهجرة ، الحوادث ، العاهات divorce ,
immigration, accidents, deformities إلخ . وفى بعض الأحيان تكون

لدينا القدرة الكافية أو نتلقى دعماً كافياً لتجاوز تلك العواصف ، وكننا فى أغلب الأعم ، نجد أن تلك الخبرات قد تركت فينا أثاراً طويلة المدى من الترقب apprehension بشأن الحياة . لينتهى بنا الأمر إلى معاناة القلق ، والشعور بالذنب، والحزن ، والغضب ... ليس كنتيجة مباشرة لخبرة بعينها ، ولكن لأننا لانثق بالحياة لفترة طويلة .

والطفل الذى يعيش فى كنف والدين محبين وعلاقات حانية compassionate، ورفاق ومدرسين يكون مؤهلاً لمواجهة مثل تلك المشكلات .وعلى الجانب الآخر ، فإن فقدان الدعم ، أو فقدان مايسميه روجرز النظرة الإيجابية positive regard ، يمكن أن يخلف طفلاً – وإن كان محظوظاً ببيئة مريحة –مصاباً بعدم الثقة بالنفس والشعور بعدم الأمان .

إن العديد من نظرياتنا فى الشخصية إنما وُضعت لمساعدة هؤلاء الأشخاص الذين لايستطيعون المواجهة، وبالنظر فى نظريات أدلر، وهورنى، وروجرز، وباندورا ، وغيرهم، لوجدنا قدراً كبيراً من الاتفاق على مستوى التفاصيل . وكما ذكرت للتو ، أنه لمواجهة صعوبات الحياة، نحتاج إلى نظرة إيجابية ،-- قدراً ولو قليلاً من الحب، والاستحسان، والاحترام، والاهتمام ... إلا أن الآخرين يجعلون ذاك الحب والاستحسان مشروطين بتلبية معايير بعينها ، ليس بوسعنا أن نلبيها جميعها . وبمرور الوقت، نتعلم كيف نقيم أنفسنا بأحكام فى ضوء تلك المعايير . وهذه هى حالة اللاتطابقincongruence التى أشار إليها روجرز بين مانحتاجه وبين مانسمح به لأنفسنا ،مما يسبب لنا اعتدادا منخفضاً بالذات low self-esteem ، أو مايروق للبعض أن يسميهمفهوم ردئ عن النفس poor self-concept أو عقدة نقص inferiority complex

ويوجدتفضيل حقيقى لفكرة النقص على فكرة الاعتداد بقالذات : فنادراً مايكون لدينا شعوراً كاملاً بنقص الاعتداد بالذات . فى حين يوجد لدى معظم الناس إساس بانقص فى بعض الجوانب دون جوانب أخرى . . ويمكننا الاعتراف بخصوصيةالنقص من التركيز على العلاج الممكن ، بينما الاكتفاء بالقول بأن

شخصاً ما يعانى من اعتداد منخفض بالذات يتركنا على حال من الشعور بعدم امكانية تحديد بداية الطريق . ورى هريدى أن الوصف الأخير يمكن أن يكون بمثابة تعقيب على الوصف الأول(النقص) إن كان يشمل أكثر من جانب من الشخصية ، ولاغنى لنا عن كلا الوصفين .

وكون الفرد فى مواجهة صعوبات الحياة ، مفتقراً دعم الآخرين ، وأيضاو لوكنا لانتمتع بثقة فى ذواتنا، سنجد أنه من المتوجب علينا أن نحمى أنفسنا بقدر مانستطيع ، وبوسعنا أن نورد عدداً كبيراً من حيل الدفاع **defense mechanisms** ، كما فعلت ذلك أنا فرويد Anna Freud ، أو كما بسطها روجرز بقوله ، إننا نحمى أنواتنا الحساسة sensitive egos بالإنكار **denial** والكبت **repression**، وبالتحريف **distortion** والتبرير **rationalization**

ويسعى الإنكار والكبت إلى إعاقة الخبرات المؤذية علىنحومباشر ، والتى مصدرها البيئة والذاكرة على الترتيب ، ومن ثم تجنب الإرهاق الوجدانى . وينشط الانكار ضد المعلومات الواردة من خارج ذواتنا ، بينما ينشط الكبت ضد الأمور التى نعرفها بالفعل (لتسلك طريقها ألى أعماق الداخل)

والتحريف والتبرير أكثر تعقيداً وأقل إنهاكاً ، ويتعاملان مع المعلومات بالالتفاف حولها . والتحريف يتعامل مع المعلومات الخارجية ، بينما يتعامل التبرير مع المعلومات التى لدينا بالفعل .

وأياً كان الميكانيزم الدفاعى المستخدم ، فجميعها أكاذيب على أنفسنا وعلى الآخرين غايتها التقليل من أثر التعارض بين حاجتنا للحب والأمن وبين مافرض علينا (مايتاح لنا) ونحن نستخدم تلك الأكاذيب لأنها تساعدنا بالفعل.إلا أنها تعيننا على المدى القريب فقط : وبمرور الوقت ، تقودنا إلى احتمال حدوث سوء فهم خطير للكيفية التى تسير بهاالدنيا(خاصة الناس الآخرون) وكيف يتصرفون ، وإساءة فهم ذواتنا ، ومن نكون !

لذلك فإن الناس الذين هم نحن، ربما كنا أقوياء فى بعض الجوانب ، إلا أننا نظل نعانى على هيئة إغتراب alienation . إذ يتزايد الانفصال بين الذات الأعمق والأكثر حقيقية، والموجودة بداخلنا ، وبين القناعpersona (استعارة من مصطلح يونج) . والتى نبديها للعالم الخارجى فى محاولة للوفاء بشروط الاحترام تلك conditions of worth التى تحدث عنها روجرز . فمن جهة نشعر بزيف حقيقى وبخداع وغش ، ومن جهة أخرى يساء فهمنا ويُقلل من شأننا . وعلى المدى الطويل ، يرجح أن يؤدى ذلك إلى الاكتئاب depression والانسحاب من الحياة الاجتماعية withdrawal from social life . إلا أن الاغتراب قد يقود أحياناً إلى نشوء وجهات نظر جديدة فى الحياة واستبصارات ابتكارية مميزة . ولعلنا مدينين بنصيب وافر من فنونا وموسيقانا وأدبنا لمثل هؤلاء الأشخاص (المغتربين المبدعين) .

وفى النهاية الطرفية للتوزيع نجد هؤلاء الشخاص الذين يعانون نفسياً ، ولديهم مشكلات فسيولوجية . فالفصام Schizophrenia، وبالرغم من أنه تحديدا ناشئٌ عن أسباب اجتماعية ونفسية كثيرة ، يبدو أن به مكونات فسيولوجية هامة. واضطرابات أخرى ، كالاضطراب الثنائى bipolar والاكتئاب الصريح ، واضطراب الوسواس القهرى ، إنما يتحسن كل منها باستخدام الأدوية التى تُحسّن من فعّاليات مرسلاتنا العصبيةneurotransmitters إن الحد الفاصل بين علم النفس وبين الفسيولوجى أصبح باهتاً على نحو متزايد !

استراتيجيات المواجهة Coping strategies

والأشخاص المضطربين بالعصاب سيجدوا أنفسهم منجذبين نحو أساليب بعينها من العيش والتى من شأنها ـ بدرجة أو بأخرى _ أن تجعلهم بمنأى عن المعاناة النفسية :فقد يصبحون مدمني للكحولalcoholics ، أو مدمنين للعمل work-aholics، أو مدمنى للجنس sex addicts أو يصبحون وسواسيون بشأن النظافة أو الصحة ، وما إلى ذلك .ضمن سلوكيات غير عادية unusual behaviors ، وتعلقات عاطفية غير عادية emotional attachments ،

وأفكاراً قهرية obsessive thoughts ، وغير ذلك .وتلك الأساليب هى مايسميها بينسوينجر Binswanger الطباع المميزة themes وهى تشبه الحاجات العصابية neurotic needs عند كارين هورنى Horney ، والاعتقادات اللامنطقية irrational beliefs عند إليس Ellis ، والعادات اللاتكيفية maladaptive habits لدى السلوكيين behaviorists .

وتنظر العديد من النظريات لتلك الطباع المميزة على نحو مختلف ، وتصنفها إلى أربع أو خمس فئات ، والتى تطلق عليها هورنى مصطلح استراتيجيات المواجهة coping strategies . ويسميها إيريك فروم التكيفات (التوجهات) orientations، ويسميا فرويد أنماط الشخصية character types ... ولربما كانت ناتجة عن التفاعل بين مزاج الشخص وبين أنواع بعينها من الضغوط stressors المضطرين للتعامل معها .

وتوجد استراتيجيتان للمواجهة يمكننا اموافقة عليهما دون تردد : الأسلوب الإعتمادى dependent style ، والأسلوب العدوانى aggressive style .

ويتميز الأسلوب الإعتمادى بإحساس بالنقص والضعف weakness وربما اليأس desperate ، وينطوى على استغلال الآخرين . ويشير أيضاً إلى سلبية لفظية oral passive ، يكون مذعناً compliant أوميالاً للخضوع.

ويتميز الأسلوب العدوانى بوضع للوقوف أو للجلوس من شأنه أنيقلل وقتيا من الاحساس بالنقص – ممايعنى وجود عقدة التفوق superiority complex ! فعندما يكون شعورك سيئاً تجاه نفسك ، تقوم بضرب أو إهانة أى شخص أخر . ، ويُعرف ذلك أيضاً بالعدوان اللفظى oral aggressive ، والتحكم أو السيطرة ruling or dominant، أو لاستغلال exploitative .

وبعد استعراض الأسلوبين السابقين تبدو بعض الأمور وقد باتت غير محددة . وبالتالى فإن الأسلوب الثالث الذى يمكن اقتراحه هو الأسلوب المتكامل perfectionist style. والشخص من هذا النمط يحاول أن يبلغ مستويات الصعوبة الفائقة والتى سبق وأن ارتضاها لنفسه – أو على الأقل يتظاهر بأنه يسعى لبلوغها . ويميل هؤلاء الأشخاص للانعزال عن الأخرين ، ويكرهون الاعتماد على غيرهم . ويُعرف هذا انمط بأنه احتباسى شرجى أو بنمط لوحة الإعلانات anal retentive or hoarding type

والأسلوب المقترح الرابع هو الأسلوب الفصامى schizoid style والمعروف اختصاراً بـ AKA بالنمط التجنبى أو الانسحابى . ويحاول الشخص من هذا النمط أن يخلص نفسه من معظم أوكافة صور التفاعل الاجتماعى social interaction وينزع لأن يكون كئيباً،ومنعزلاً نفسياً .غاضب من الدنيا كلها ، ولديه عنف كامن .

والنمط الخامس المقترح هو النمط الطفلى infantile style ، والمعروف اختصاراً بالنمط القضيبى أو النمط التسويقى phallic, or marketing style . والناس من هذا النمط يتجنبون تحمل المسئولية ويتم ذلك بصورة أساسية من خلال مد أمد طفولتهم إلى مرحلة رشدهم . وهم مهوسون بالشباب ، والمرح ، والمغامرة، وبالأنشطة عالية الخطورة . إنهم يميلون لأن يكونوا سطحيينshallow ،باحثين عن المتع والملذات hedonistic .

وللمرءأن يفترض أن أسلوب المواجهة الأكثر شيوعاً نظراً لأنها تعمل بكفاءة – هى الحكمة الدارجة"كلما شغلت نفسك "busy -ness" كلما زادت خسارتك يوماً بعد يوم (يعنى كبر واشترى دماغك) وسنترك هذا الأمر لبحثى المستقبل فى مجال الشخصية ليقرروا أى من تلك الأنماط حقيقية، فإذا قُبلت فكرة وجود أنماط قليلة ، أومإاذا كانت طريقة أكثر فردية لوصف مواجهة الناس .

العلاج Therapy

الأمر المدهش حقاً هو أنه وإبرغم التنوع الهائل فى النظريات ، إلا أنه يوجد إتفاق كبير بشأن العلاج .

الأول يتمثل فى التأكيد على الوعى بالذات self-awareness أو كما صاغها فرويد ن جعل اللاشعور شعوراً making the unconscious conscious . فنحن نشجع عملائنا على لاشعورياتهم البيولوجية ، والاجتماعية ، والشخصية ، والدوافع المرتبطة بها ، وذلك للكشف عن الصراعات بين تلك الحاجات وبين المعايير التى وضعها المجتمع ، ووضعوها هم لأنفسهم ولينظروا إلى ماوراء تصرفاتهم الدفاعية .كما أنا تعلمنا تشجيع عملائنا على اكتشاف الحاجات الأعلى والأكثر شعورية . ممايعنى أن يصبح تطوير الكفاءة (الجدارة)، الابتكارية ، والشفقة من الأمور القيّمة لدى النفس والغير.

وماذا عن وسائل العلاج لقد عُلمنا استخدام الحوار الأمين وأن نوفر الدعم (وليست الممارسة الإدارية أو السيطرة) وذلك لاستهداف استقلالية تامة للعميل فى آخر الأمر .

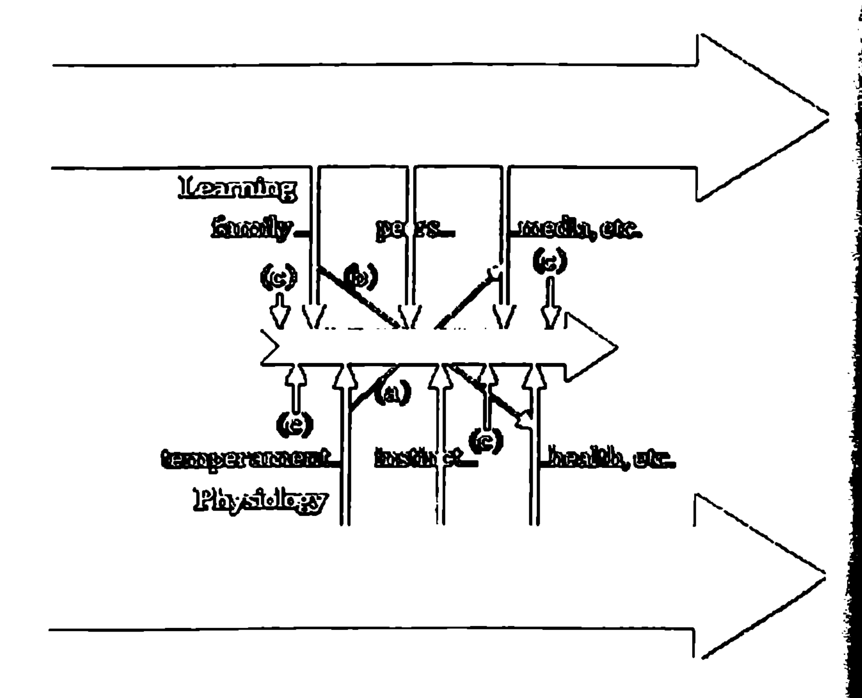
ولكل نظرية مجموعة من الأساليب العلاجية المفضلة . فالاتجاه السلوكى المتطرف يُصر على أن فنيات العلاج ساليب العلاج هى كل ماتحتاجه .وغيرهم ، كما الحال فى منحى روجرز ، يذهب إلى أنك لست بحاجة لفنيات علاجية على الإطلاق ، وإنما تحتاج فحسب إلى حضور شخصى حانى محترم وأمين ، وعلى أية حال فإن غالبية المعالجين يتبعون الطريقة المعتدلة ، ويستخدمون قليلاً من فنيات العلاج التى وجدوها مفيدة والتى تناسب العميل، وتناسب شخصياتهم هم .

إضافة لما تقدم ، فإن لدينا الأن مجموعة من العقاقير التى يمكن الاعتماد عليها والتى يمكن أن تساعد فى العلاج . إن فهمنا للأسس الفسيولوجية للمشكلات النفسية يتزايد على نحوسريع . وإن كان فهمنا هذا لم يصل حد الفهم التام إلا أنه

يمكننا من مساعدة الناس على نحو أكثر فعالية . ومايزال معظم المعالجين يترددون فى الاعتماد كلية على الأدوية ، وهم محقون في ذلك . وإن كانت تلك الأدويـة تقدم المساعدة فى المواقف الطارئة ، وفقط لهؤلاء الذين يعانون ولايستجيبون لعلاجاتنا المعتمدة على الكلام .talk therapies.

خلاصة Conclusions

وحتى من بين قائمة ثوابتنا ، بوسعنا أن نجد بعضاً مما يمكن اعتباره ماهو أبعد من الثوابت " .metaconsistencies " ولصياغتها فى صورة بصرية ، أقترح التخطيط التالى:



مالذى تراه فى هذا الشكل يفقرنى (يعوزنى / يسىء إلى) فى القلب من تلك القوى العديدة . ففى القمة ، لنا تاريخنا ، ومجتمعنا، وثقافاتنا، والتى تؤثر فينا على

نحو مبكر من خلال تعلمنا الذى يتم بواسطة أسرنا، ورفاقنا ، ووسائل الإعلام ، وما إلى ذلك . وفى القاع من الرسم ، كما أننا نمر بمراحل نمو ، ولدينا بنية حيوية ، وتلك جميعها تؤثر فينا من خلال وظائف الأعضاء (بماتتضمنه من ناقلات عصبية، وهرمونات، وغير ذلك) وبعضاً من الجوانب الخاصة ووثيقة الصلة بعلم النفس والتى تتمثل فى الغرائز، المزاج ، والصحة . وكما تشير الأسهم الرقيقة، فمن شأن تلكما القوتين أن تؤثران فينا بقوة وباستمرار ، منذ الحمل conception وحتى الموت ، كما أنها تهددنا بتمزيقنا إرباً أحياناً.

وكافة تلك التأثيرات معقدة . فإذا نظرت إلى السهمين الخفيفين (a) ،(b) . فإنها توضح الطرق الملتوية والتى من خلالها تؤثر العوامل الحيوية فى تعلمنا ، أو يؤثر بها المجتمع فى وظائف أعضائنا . فالسهم (a) ربما يمثل المزاج العدوانى الذى يؤدى إلى الاستجابة العنفية لرسالة إعلامية بعينها والتى تقود إلى سوء فهم لتلك الرسائل . أوالسهم (b) الذى يمثل تزايداً فى تأثير بعض من العادات الغذائية على تراجع وظائف الأعضاء فى الكبر إذن توجد تعقيدات لا نهاية لها .

كما أنى وضعت بعضاً من القليلة ورمزها الأسهم (c) وهى تمثل التأثيرات العارضة الفسيولوجية أو الخبراتية . فليس كل مايحدث فى بيئتنا يمثل جانباً من الحركات التاريخية أو التطورية الكبرى ! وأحياناً تحدث هكذا فحسب . فبوسعك أن تتواجد فى المكان غير المناسب وفى الوقت غير المناسب أو تتواجد فى المكان المناسب والوقت المناسب : واستمع للمتحدث الكبير الذى يستطيع تغيير اتجاه حياتك بعيداً عن المسار التقليدى، أو أن تصيبك إشعاعات ضارة لمجرد مرورك بطريق ما خطأ.

وأخيراً وليس آخراً ، يوجد السهم (d) والذى يمثل خياراتنا الخاصة . حتى وإن كانت الارادة الحرة فى آخر المطاف ليست متوافقة مع التحليل الفلسفى أو النفسى ، فإننا نستطيع أن نتحدث على الأقل عن تقرير المصير self-determination أى الفكرة القائلة بوجود ماهو أكثر من المجتمع، والبيولوجى، والأمور الطارئة ، ففى بعض الأحيان يصدر سلوكى وتجربتى عن كيانى أنا .

ولعل هناك إتفاق كبير أكثر مما اعتقدت أنا ! وهذا مما يبشر بخير لمجالنا . ولربما تمكننا خلال سنوات قليلة قادمة خلال القرن الحادى والعشرين ، من تحقيق العلمية التامة لعلم النفس . وأنا على أمل فى ذلك ، وبالرغم من أنى آمل بأن تستمر الشخصية كموضوع للفن . وقد اخترت الاعتقاد بأن الناس سيصبحون أيضا موضوعاً يصعب التنبؤ بهم والتحكم فيهم ً.

الفصل الرابع والعشرون
وصف الشخصية

من المتصور بعد دراستك لتاريخ دراسة الشخصية، وتعريفاتها، ومحدداتها، ومراحل نموها في ضوء النظريات السيكولوجية المختلفة، ان أصبح لديك تصورا أكثر وضوحا عن ماهية الشخصية، وبالرغم من ذلك كله، ولو طلب منك وصفًا لشخصية ما في محيط علاقاتك المختلفة فإنك على الأرجح ستقف موقف الحائر المضطرب متسائلا: بأي المصطلحات أصف هذه الشخصية ... بمصطلحات التحليل النفسي من هي، أنا، أنا أعلى، أم بمصطلحات المثير والاستجابة لدى السلوكيين. أم بمصطلحات الخيرية . والإيثار، وتحقيق الذات؟! .. إن كل تلك المصطلحات إنما تشير إلى دوافع وحاجات وغرائز وأساليب للدفاع النفسي وحالات من التوفيق اللامرئي بين جوانب النفس. وأن أيا منها لا يصلح لأن يكون وصفا موضوعيا للشخصية، ولا يُعد لغة مناسبة لوصف الشخصية، والأولى من ذلك تلمس مظاهر ونتاجات تلك العمليات النفسية والتي تتبدي لنا في الأداء الظاهري للفرد، لذلك ظهر لدينا نوعان أساسيان من اللغة المناسبة للاستخدام في وصف الشخصية وهما لغة السمات traits ولغة الأنماط types .

لغة السمات

من أبسط الطرق وأقدمها في وصف شخص ما بمصطلحات معينة هي التعرف على أنماط السلوك التي تصفه وتسميتها بأسماء السمات، مفاهيم استعدادية dispositional concepts أعني مفاهيم تشير إلى نزعات للفعل أو الاستجابة بطرق معينة، ومن المفترض أن الشخص ينقل الاستعدادات السيكولوجية من موقف لآخر، وأنها تتضمن قدرًا من احتمال سلوك الشخص بطرق معينة، ويجب أن نميز مفهوم "السمات" عن مفهوم الحالة state التي تشير إلى استجابة تحدث الآن؛ كأن يعاني شخص ما منا حالة قلق في موقف معين، أما أن نصف الشخص بسمة القلق فهذا يعني أنه سوف يستجيب بحالة القلق في ظروف معينة رغم أنه قد لا يعاني الآن من أي قلق .

وإذا نظرنا إلى السمات من ناحية محتوياتها فمن الممكن القول بوجود أنواع كثيرة ممكنة من السمات، وتحت هذا المدى من المحتويات تندرج سمات الدافع

التي تشير إلى أنواع الأهداف التي يتجه نحوها السلوك، وسمات القدرة التي تشير إلى القدرات والمهارات العامة والخاصة، والسمات المزاجية كالنزعة إلى التفاؤل والاكتئاب والنشاط وغيرها، والسمات الأسلوبية stylistic التي تتضمن الإيماءات وأساليب السلوك والتفكير غير المرتبطة وظيفيا بأهداف هذا السلوك .

وعميد "سيكولوجية سمات الشخصية" هو بلا منازع "جوردن البورت" (١٩٣٧ و ١٩٦١) لقد نظر ألبورت إلى السمات باعتبارها الوحدة الطبيعية لوصف الشخصية، وقد حدد ألبورت وألبورت قائمة أسماء السمات في ٤٥٤١ كلمة .

وقد أكد ألبورت فكرة أن السمات هي خصائص متكاملة للشخص ويمكن التعرف عليها فقط من خلال الملاحظة وعن طريق الاستدلال مما هو مركزي وأساسي. ومما هو هامشي وغير هام بالنسبة للشخص كما أكد أيضا وحدة كل شخص ليس فقط في كل سمة فردية. أيضا في تنظيم هذه السمات في كلٍ متكامل. وقد ميز ألبورت بين سمات رئيسية cardinal وسمات مركزية central وسمات ثانوية secondary البعض من الناس تسيطر عليهم بؤرة واحدة للسلوك ويعرفون عادة بهذه السمة البؤرية . وهذه البؤرة عندما توجد تمثل السمة الرئيسية. إما السمات الثانوية فهي صفات أما هامشية أو ضعيفة، ومن ثم فهي قليلة الأهمية نسبيا في تحديد الشخص وأسلوب حياته، والسمات ليست وحدات مستقلة داخل الفرد ولكنها مجموعة متوافقة من الصفات تتجمع لإحداث الآثار السلوكية. فعندما يقص شخص ما قصة في جمع من الناس فإن عددا من السمات تسهم في هذه المجموعة من الأفعال فليست فقط السمات الدافعة – كإقناع الآخرين أو التباهي أو تجنب الهجوم – هي المتضمنة وحدها بل هناك بالإضافة إلى ذلك السمات الأسلوبية التي تتصل بالطريقة التي يحكي بها القصة أي هل يحكيها بخجل أو بضجر أو بتمثيل ظاهر، وعلى ذلك فسمات الشخص تشترك في تكوين تجمع متسق ، وأسلوب مترابط للحياة وكل منظم، وهذا البناء يحتويه المفهوم المفرد للذات أو الذات "الممتدة المتميزة" .

وتتصل الذات الممتدة بجميع الخصائص المميزة المتعلقة بالشخص بما في ذلك صورته الجسمية وإحساسه بهوية الذات وتقدير الذات وامتداد الذات والتفكير العقلي والمعرفة. وهذه الوظائف الفردية تنمو على مدى حياة الفرد، فمفهوم الذات الممتدة المميزة على نحو ما يستخدمه ألبورت ليس وحدة تحكم السلوك، ومستقلة

عن أي شيء آخر وإنما هو مصطلح يعبر عن مجموعة من الوظائف الهامة الأساسية التي تجعل الشخص متميزا عن غيره من الأشخاص .

وإذا كان ألبورت هو عميد واضعي نظريات السمات ، فإن ريموند كاتل هو أحد كبار مخططيها. وذلك لأن الجهد الأساسي لكاتل (١٩٥.) كان موجهًا نحو خفض قائمة سمات الشخصية بطريقة منظمة إلى عدد قليل يمكن معالجته بواسطة الطريقة الإحصائية التي تعرف باسم "التحليل العاملي" وتعتمد هذه الطريقة على تحليل معاملات "الارتباط" بين ألوان السلوك وثيقة الصلة بالشخصية والتي يكشف عنها العديد من طرق الملاحظة والاختبارات .

لقد أوضح كاتل هذا الأسلوب بمجموعة من المقاييس يمكن فهمها بسهولة لنفرض على سبيل المثال أننا نقيس قدرة مجموعة من طلاب الجامعة على عمل أربعة أشياء هي: حساب التفاضل والتكامل، وفهم الموضوع في الطبيعيات. ولعب كرة القدم والتزحلق على الجليد. فمن المتوقع أن نجد عند دراسة الارتباط بين هذه القدرات الأربع أن الذين يحصلون على درجات مرتفعة في حساب التفاضل والتكامل. يحصلون على درجات مرتفعة كذلك في الطبيعيات وأن هؤلاء الذين يحصلون على درجات مرتفعة في كرة القدم يحصلون كذلك على درجات مرتفعة في التزحلق، ولكن الأداء في المواد الأكاديمية يبدو أنه ضعيف الارتباط أو لا يرتبط بالأداء في الرياضيات البدنية وسيكشف التحليل العاملي عن وجود عاملين أو سمتين مصدريتين source traits (مركزيتين) يكمنان بمصفوفة معاملات الارتباط يمكن تسميه أحداهما "بالقدرة الرياضية العلمية" وتسميه الأخرى "بالقدرة على الألعاب الرياضية" ومن الطبيعي في المثال السابق، أن وجود العاملين اللذين يضمان معاملات ارتباط المتغيرات الأربعة أو عناصر السمة هو من الوضوح بحيث لا يصبح معه حساب التحليل العاملي أمرا ضروريا .

وقد وضع كاتل استبيانا لهذا الغرض أسماه "استبيان الشخصية للراشدين" (16 .F) حيث وُضِعَ لقياس ١٦ سمة مركزية يُعتقد أنها تفسر معظم سمات الشخصية الظاهرية الهامة وفيما يلي نورد عشرة من هذه المتغيرات أو عناصر السمات مع أوصاف مختصرة للصفات التي يتضمنها كل منها .

السمات لدى كاتل

١ - المتكيف (مقابل) الجامد:

يقبل تغيير الخطة بسهولة ويرضي بالحلول الوسطي . لا يضطرب أو يفاجأ أو يرتبك أو يستثار إذا سارت الأمور على نحو مخالف لما يتوقعه	يصر على أن تتم الأمور على النحو الذي تعود أن يتمها عليه دائما ، لا يكيف عاداته أو طرق تفكيره مع عادات الجامعة أو طرق تفكيرها يرتبك إذا تغير أسلوبه الروتيني في الحياة

٢- الانفعالي: (مقابل) الهادئ:

سريع القابلية للاستثارة . يصرخ كثيرا (كالأطفال) يضحك بكثرة يبدي الحب والغضب وكل الانفعالات بشكل زائد	متزن يبدي القليل من العلامات التي تكشف عن الاستثارة الانفعالية من أي نوع ، يحتفظ بهدونه ويستجيب بصورة أو في من المطلوب في المناقشة أو مواقف الخطر أو الضغوط الاجتماعية وغيرها .

٣- حي الضمير : (مقابل) عديم الضمير:

أمين يعرف الواجب ويفعله عادة حتى ولو لم يلاحظه إنسان أخر لا يقول الكذب أو يحاول أن يخدع الآخرين ، يحترم ملكية الغير	مجرد إلى حد ما من المبادئ الأخلاقية لا يراعي كثيرا مبادئ الصواب والخطأ عندما تتدخل الرغبات الشخصية يقول الكذب ويخدع الآخرين ولا يحترم ملكية الغير.

٤- متمسك بالعرف : (مقابل) لا يبالي بالعرف :

يتمسك بالقواعد المقبولة وطرق السلوك والتفكير والملبس وغيرها يعمل الشيء المألوف يبدو حزينا إذا وجد أنه يختلف عن الآخرين	غريب الأطوار يسلك بشكل مختلف عن الآخرين لا يهتم أن يلبس نفس الزى أو يفعل نفس الأشياء كالآخرين له اهتمامات واتجاهات وطرق للسلوك غريبة إلى حد ما ويتبع أسلوبه الخاص الغريب إلى حد ما .

٥- الميل إلى الغيرة : (مقابل) غير غيور :

يحسد الآخرين على انجازاتهم بغير إذا ألقى الغير اهتماما ويتطلب المزيد منه لنفسه سريع الامتعاض إذا وجد أن الاهتمام موجه لغيره	يحب حتى من هم أحسن منه لا يصدق عندما يلقي الغير اهتماما بل ويشارك في الثناء

٦- حذر مؤدب: (مقابل) متهور فظ:

يراعي حاجات الغير ويحترم مشاعرهم يسمح لهم بالتقديم عليه في الصف ويمنحهم نصيبا أو هي	متغطرس متحد وقح مع الكبار (إذ كان طفلا) لا يراعي مشاعر الآخرين يعطي انطباعا بأنه يخرج عن صوابه فيصبح فظا

٧- مستسلم : (مقابل) مصمم مثابر :

يتوقف قبل أن ينتهي تماما من العمل على نحو متقطع وغير منتظم سهل التشتت يبتعد عن أهدافه الأساسية بواسطة دوافع شاردة أو صعوبات خارجية	يسير نحو هدفه رغم الصعوبات أو الإغراءات قوى الإرادة مجد مثابر يتمسك بأي شيء حتى يحقق هدفه

٨- رقيق : (مقابل) عنيد جامد :

تسيره المشاعر حدسي ودي عطوف حساس لمشاعر الآخرين لا يعمل شيئا من شأنه أن يكدر عليه مشاعره	يسيره الواقع والضرورة أكثر مما تسيره المشاعر غير ودود لا يهمه أن يكدر الآخرين إذا كان هذا هو ما يجب أن يفعله

٩ - متواضع: (مقابل) مغرور:

يؤنب نفسه أو لا يؤنب أحدا) إذا سارت الأمور على نحو خاطئ يكره أن يمتدح على انجازاته لا يبدو أنه يفكر في نفسه كشيء هام جدا أو جدير بالاهتمام .	يؤنب الآخرين كلما حدث صراع أو سارت الأمور على نحو خاطئ كثير التباهي يسرع إلى الحصول على التقدير عندما تسير الأمور في مجراها الحسن عنده فكرة طيبة جدا عن نفسه

١٠- وَهِنْ: (مقابل) نشط يقظ فعال:

يشعر بالإجهاد بطيء، يفتقر إلى النشاط، غامض وبطء في الكلام، متوان بطيء في القيام بالعمل — سريع قوي فعال حاسم مليء بالحيوية والنشاط والشجاعة

لغة الأنماط

وأسلوب النمط Type يعد امتدادا للتفكير المستخدم في أسلوب السمة فعلي حين يُمكن أن تُعزى عدة سمات إلى شخص واحد ونقول أنه يتصف بهذه السمة أو تلك أو بمجموعة من السمات، فإنه في أسلوب النمط يمكن تبني خطة إجمالية أوسع وأكثر توحدا وهي خطة التصنيف أو الوضع في خانات فالفرد قد يصنف باعتباره ينتمي إلى نمط ما حسب مجموعة السمات التي يكيف عنها. فإذا شارك في مجموعة "سمات النمط" trait pattern مع جماعة كبيرة من الأفراد الآخرين فإنه ينتمي إذن هو وأفراد هذه الجماعة إلى نمط ما . وأحسن نظرية للأنماط عُرفت عند اليونان الأقدمين كانت تلك التي نادى بها ابقراط في القرن الخامس قبل الميلاد، فبعد أن صاغ نظريته التي تذهب إلى أن الجسم يحتوي على سوائل أو أخلاط أربعة هي الصفراء والسوداء والبلغم والدم ذهب ابقراط إلى أن الشخصية تتوقف على أي من هذه الأخلاط يكون له السيادة في الشخص وعلى ذلك فالصفراء صاحبت الشخص ذي المزاج السريع الغضب أو "الغضوب" choleric، والسوداء، صاحبت "الميلانخوليا" melancholy والبغلم صاحب الكسول "المتبلد" phlegmatic بينما صاحب الدم الشخص المرح النشيط أو "الدموي" sanguine .

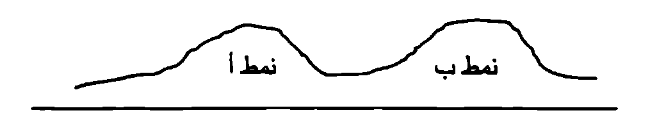
وتعتبر نظرية كارل يونج (١٩٣٣) من بين النظريات الحديثة الواسعة الانتشار في أنماط الشخصية، وتتضمن طوبولوجية يونج قائمتين عريضتين – المنبسط extrvert وهو الذي يتجه أساسا نحو الآخرين والعالم الخارجي والمنطوي Introvert وهو الذي يكون أكثر اهتماما بنفسه وبعالمه الذاتي والانبساط والانطواء يعبر عنهما بعديد من الوظائف هي التفكير والوجدان والحس

وثمة نظرة هامة تذهب إلى أن طوبولجية typology المنبسط – المنطوي ليست نموذجا مثاليا لمفهوم الأنماط لأن المنطويين والمنبسطين ينظر إليهم عادة باعتبارهم مُوزعين على بعد متصل Continum أكثر من كونهم يمثلون تقسيما ثنائيا Dichotomy ففي الفكر الطوبولوجي الحديث (مثلا كاتل ١٩٦٥ وإيزنك ١٩٥٢) أمكن التمييز بين الأنماط بعضها البعض على أساس اختلافها كيفيا أكثر من مجرد الاختلاف في الدرجة وهذا ما يتضح في الشكل التالي التوزيع أ إلى شكل التوزيع الإحصائي الاعتدالي (المنحي الجرسي الشكل) لمجموعة من الناس دوى الدرجات المرتفعة أو المنخفضة في سمة معينة كالذكاء أو ضبط الذات مع تكدس الأغلبية في المدى المتوسط ومن الناحية الأخرى يشير التوزيع ب إلى تجمعين متميزين، أحدهما في الطرف الأدنى والأخر في الطرف الأعلى والتوزيع ب يمثل ما نعنيه بالأنماط أكثر مما يمثله التوزيع أ. ويكون استخدام مفهوم الأنماط أكثر ملاءمة عندما تكون الأنماط منفصلة وتكشف كيفيا عن خصائص مختلفة على نحو ما عليه الحال في سلالات الكلاب وأنماط فضائل الحيوان أو الناس الذين يفضلون استخدام صور مختلفة من الميكانزمات الدفاعية كالإنكار في مقابل الإسقاط.

التوزيع أ (اعتدالي) لا يتناسب
مع الأنماط



التوزيع ب (منفصل) يتناسب جيد
مع الأنماط



التوزيع الاعتدالي أو المتصل والتوزيع المنفصل الذي يقوم عليه التفكير الطوبولوجى ٠

وحدة التحليل في وصف الشخصية

يكون السلوك فيها نتاج التفاعل بين مجموعتين من المتغيرات : خصائص الشخص (حاجاته ودوافعه وعادات إدراكه وتفكيره إلخ) والموقف الذي يوجد فيه أما البديل الثاني فهو النظر إلى "الشخص ذاته" باعتباره الوحدة الأساسية للتحليل مع عدم التركيز على الموقف كحقيقة موضوعية وإنما على إدراكات الفرد للموقف، أعني الموقف كما يراه الفرد ذاتيا ولننظر لكل من وجهتي النظر الفلسطينية، والإسرائيلية لممارسات كل طرف منهما. هاتين مع التركيز في كل حالة منها على دور المثير أو الموقف.

المثير كحقيقة موضوعية :-

أن الأفعال وردود الأفعال تتناغم جيدا مع العالم المثير ، فنحن نستجيب للأصوات والمرئيات واللمس وغيرها بطرق يمكن التنبؤ بها من معرفتنا بالخصائص الطبيعية لهذه المثيرات، ومن وجهة النظر هذه تعتمر مل استجاباتنا السلوكية، استجابات للمثيرات الطبيعية الموضوعية، وهي ترسخ بموجب عمليات التعليم كعادات للتوافق معها وربما كان أحسن مثال معروف لنظرية عامة للسلوك تلك التي نادى بها كلارك هل Clark Hull (١٩٤٣) الذي أثرت أفكاره تأثيرا كبيرا في علم النفس عبر الحقب العديدة الماضية ولكن الامتداد الواضح لهذا النوع من التفكير في الشخصية هو ما يتمثل جيدا في كتابات جون دولارد John Dollard ونيل ميللر Neal Miller (١٩٥.) . فالشخصية في نظرهما تتكون أساسا من عادات الاستجابة التي يكتسبها الفرد من استجابته للمثيرات الطبيعية عن طريق عملية التعليم، والمبدأ الأساسي هنا هو قيام ارتباط أو صلة بين مثل هذه المثيرات والاستجابات التي تستثار في وجودها، ويتركز الاهتمام على المثير

الطبيعي الموضوعي باعتباره الحادثة التي تستثير الاستجابة والتي يمكن تحديدها دون الرجوع إلى الكائن الحي المستجيب أما وصف الشخص فإنه يتم إذن في ضوء الأنظمة المكتسبة أو المتعلمة لعادات الاستجابة ويكون المقوم الأساسي للفروق الفردية في الشخصية هو أنماط العادات المتباينة سواء كانت هذه العادات مهارات بسيطة أو انفعالات، ودوافع، وعقائد ودفاعات معقدة، أو أعراضا عصابية فسلوك الفرد يُفهم إذًا بالإشارة إلى متغيرين مستقلين ولكنهما متفاعلان: الفرد من ناحية والموقف من ناحية أخرى أعني "الفرد في الموقف".

المثير كما يدركه الفرد :

وعلى نقيض النظرة السابقة للشخصية، تُوجد مجموعة من نظريات الشخصية تُعرف باسم النظريات "الظاهراتية" phenomenological وهذه النظريات الأخيرة تعتمد على التركيز على الإدراك والمعرفة أكثر مما تعتمد على التعليم. إن تعريف المثير، طبيعيا وموضوعيا يثير في نظر أصحاب هذه النظريات مشكلة لا يمكن حلها ألا وهي أن إدراكنا للأشياء لا يتماثل بالضرورة مع الأشياء ذاتها. فحواسنا لا تنقل مباشرة الأشياء الطبيعية وإنما نحن نستجيب لتصورات representations الأشياء، أعني الأشياء على نحو ما تنقلها أجهزة إدراكنا كوسائط ، وكذلك تفسيراتنا الذاتية لها. فالظاهراتي يذهب إلى أن الأشياء الطبيعية ذاتها لا تحدد استجاباتنا وإنما التي تحددها هي الأبنية والعمليات الوسيطة داخل الفرد والتي تنقل المثيرات الطبيعية ومن جهة النظر هذه فإن أسباب أفعالنا يجب إعادة تكوينها من خلال استدلالات عن هذه الوسائط أو التصورات السيكولوجية للمثيرات الخارجية .

وعلى ذلك فبدلاً من التركيز على المثير الطبيعي الموضوعي فإن النظريات الظاهراتية للشخصية تركز على العمليات المعرفية الوسيطة كالإدراكات والمفاهيم المتعلقة بالأحداث أعني العالم "الظاهري" للأحداث أكثر من تركيزها على العالم الموضوعي لهذه الأحداث أضف إلى ذلك أنهم يذهبون إلى أن سبب الفعل هو العالم على نحو ما يدركه الفرد ذاتيا وهذا العالم الذاتي يمكن بالطبع أن يكون مختلفا عن الواقع الموضوعي، كما أن أوصافهم للشخصية هي أوصاف للعمليات المعرفية الوسيطة التي تميز فردًا عن آخر والتي يَفترض أنها سبب سلوكه وباختصار فإن وحدة التحليل هي "الفرد" طالما أنه تكمن بداخله المكونات الرئيسية التي يبني

عليها سلوكه، فنحن لا يمكننا معرفة الفرد بالرجوع إلى الموقف، طالما أن هذه المعرفة تتم فقط من خلال العمليات المعرفية الذاتية الكامنة داخل الفرد .

وقد أخذت النظريات الظاهراتية في الشخصية شكلين أساسيين:

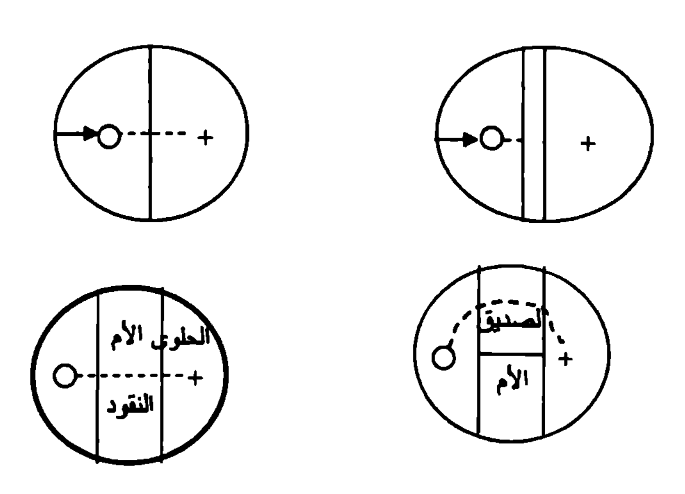
الأول يدور حول مفهوم " الذات " والثاني يشير عموما إلى معارف عن العالم ويشتمل النوع الأول على أنظمة للشخصية لدى علماء لهم تأثيرهم من أمثال كارل روجرز (١٩٤٧ و ١٩٥١) وإبراهام ماسلو (١٩٥٤) وكيرت جولد شتين (١٩٤.)، أما المجموعة الثانية فمن أحسن نماذجها نظرية المجال لكيرت ليفين (١٩٣٥) .

اتجاه ليفين :-

إن التصورات السيكولوجية للعالم عند ليفين والتي يشار إليهما "بحيز الحياة" Life – space تتألف من حاجات الفرد وإمكاناته المتاحة للفعل على نحو ما يدركها . وكل مظهر في البيئة المادية للفرد بشكل مباشر فإنه يمثل الغلاف الخارجي foreign Huil لحيز الحياة ولفهم سلوك شخص ما في أية لحظة يجب إعادة بناء حيز الحياة ووصفه في تلك اللحظة أي علينا أن نفهم القوي السيكولوجية التي تعمل حينذاك . وقد وصف ليفين هذه القوي عن طريق الرسم في أشكال طوبولوجية تتضمن: مناطق الهدف (وتظهر في الرسم كمناطق مغلقة) والتكافؤات Valences الموجبة أو السالبة (ويشار إليها بعلامات + أو –) التي تحدد الجوانب المرغوبة أو غير المرغوبة في حيز الحياة ثم الكميات الموجهة Vectors (الأسهم) التي تشير إلى الاتجاهات التي ينجذب إليها الفرد ثم الحواجز (الخطوط الفاصلة بين الفرد والأهداف الموجبة) التي تعوق أو تقلل من الاقتراب من أية منطقة تكون بمثابة الهدف وقد تؤثر قوي كثيرة في حيز الحياة كما أن سلوك الفرد في أي وقت يكون محصلة لها والشكل يصور شكلاً بيانيًا قدمه ليفين يمكن تفسيره على النحو التالي :-

قد يمر طفل بمحل للحلوى وينظر خلال النافذة ويتمني لو يحصل على بعض منها ، ورؤية الحلوى تستثير الحاجة .. وهذه الحاجة تؤدي إلى حدوث ثلاثة أشياء: أنها تطلق الطاقة ومن ثم تستثير التوتر في منطقة شخصية – داخلية (الجهاز الراغب في الحلوى) وهي تضفي تكافؤ إيجابيا فهي تخلق قوة تدفع الطفل في اتجاه الحلوى .

ولنفرض أن على الطفل أن يدخل المحل وأن يشتري الحلوى هذا الموقف يمكن تمثيله بالشكل (أ) ولكن لنفرض أن الطفل ليس معه نقود فيصبح بذلك الحاجز الفاصل بينه وبين الحلوى لا يمكن اجتيازه أنه سوف يتحرك مقتربا جدا من الحلوى وبقدر ما يمكنه وربما ضغط بأنفه على زجاج المحل دون أن يستطيع الوصول إلى الحلوى . وقد يقول لنفسه : لو كان معي نقود لأمكنني شراء بعض الحلوى ربما تعطيني أمي شيئا من النقود . وبعبارة أخرى تخلق حاجة جديدة أو شبة – حاجة لدى الطفل وهي قصد الحصول على بعض النقود من أمه ويستثير هذا القصد بدور ه توترا أو كمية موجهة وتكافؤ يتمثل في الشكل (ج) ولقد رسم حاجز رفيع بين الطفل وأمه على زعم أن عليه أن يذهب إلى المنزل وأن يجد أمه وان يطلب منها نقودا وكذلك رسم حاجز أخر رفيع بين الأم والحلوى لتمثيل المجهود اللازم للعودة إلى المحل والقيام بشراء الحلوى فالطفل يتحرك في اتجاه الحلوى، ولكن إذا رفضت الأم أن تعطيه نقودا فقد يفكر في اقتراضها من صديق وفي هذه الحالة تحاط المنطقة التي تحتوي الأم بحاجز لا يمكن النفاذ منه، ويرسم ممرًا جديدًا يوصل إلى الحلوى خلال المنطقة التي يوجد بها الصديق على نحو ما تمثل في الشكل د. وهذا التمثيل الطوبولوجي يمكن تعقيده بلا حدود وذلك بإدخال درجات مختلفة من الصلابة وحاجات إضافية وما يلازمها من نظم للتوتر وتكافؤات وقوي وموجهة (انظر هول ولندزي ١٩٥٧ص: ٢٣. – ٢٣١) . تخطيط لفين الذي يمثل التغير في حيز الحياة لدى طفل في تفاعل سيكولوجية معين مع بيئته



والعناصر الهامة في نظام ليفين هي: الأحداث السيكولوجية التي تظهر إليها في ضوء مكون "حيز الحياة" الذي يتضمن التعريفات الذاتية للبينية أما الاستدلالات عن حيز الحياة فإنها تستمد دائما من الملاحظة لسلوك الفرد في البيئة ومع ذلك فإن حدود تحليل السلوك ومجاله ليست هي السمات الثانية والأشياء الساكنة وإنما هو إدراك الفرد الذاتي الشخصي لبيئته وعلاقته بها.

اتجاه روجرز :-

تعتبر نظرية الذات لروجرز ظاهراتية أيضا كما أن مفاهيمها قد صيغت كذبليك في لغة الخبرة الذاتية (مثال ذلك: ماذا نريد وكيف نفكر وتشعر) ومفهوم روجرز الذي يشابه مفهوم حيز الحياة عند لفين هو "المجال الظاهري" phenomenal field ولب هذا المجال (أو الجانب الأكثر أهمية فيه) هو "مفهوم الذات self - concept أعني فكرة الفرد عن من هو في علاقته ببنته وهذا المفهوم للذات هو الذي يحدد سلوكه وبعد هذه الذات الظاهرية بالنسبة للفرد نفسه حقيقة فالشخص لا يستجيب للبينة الموضوعية وإنما لكيفية إدراكه لها بصرف النظر عما تكون عليه هذه الإدراكات من تحريفات أو ذاتية وهذه الحقائق الذاتية هي فروض مؤقتة يضعها الفرد عن المواقف البينية .

وعلى ذلك فقد يدرك شخص ما نفسه "كمصلح" يؤدي رسالة تتمثل في علاج أمراض عالمية معينة ومساعدة الآخرين على "أن يروا النورلا" وقد يدرك شخص آخر نفسه "كشخص واقعي" يقدر على تقبل ضعف الطبيعية البشرية والمؤسسات الاجتماعية للإنساني بلباقة والاستفادة منها أيضا. فمفاهيم الذات معقدة ومتغيرة. كما أنها تحدد كيف يستجيب الفرد للمواقف المختلفة الكثيرة وكيف يتعامل معها وهذه.

التصورات التي يكونها الفرد عن من هو وما هو. لا تتضمن فحسب قيمة المركزية وأنظمة معتقداته، بل وتشتمل أيضا على صورة الفرد الجسمية من حيث القوة أو الضعف والجاذبية أو عدم الجاذبية كونه محبوبا أو غير محبوب إلى غير ذلك والتي تقوم جزئيا على التقديرات التي يعكسها الأخرون الذي يتصل بهم الفرد وهذا الجزء المتمايزة من المجال الظاهري أو مفهوم الذات السلوك كله وبالطبع فإن معظم فإن السلوك ينتظم حول الجهود التي تبذل لحفظ الذات الظاهرية وتعزيزها.

الفصل الخامس والعشر
قياس الشخصية

مقدمة :

لا تقدم علمي بدون قياس وتجريب .. وإلا تظل الأفكار مجرد تأملات فلسفية فحسب. فمن أيام ديمقريطس، واليونانيون يتحدثون عن الذرة، وظل حديثهم من قبيل التأمل الفلسفي حتى أخضعها العلماء في العصر الحديث لأساليب البحث العلمي الدقيق .

وفي مجال الدراسات النفسية، سبق وأن ذكرنا أن حديث الإنسان عن النفس واهتمامه بها قديم قدم عهده وبالوجود، ورغم ذلك لم يتحول هذا الحديث إلى علم بالمعنى الدقيق إلا منذ منتصف هذا القرن تقريبًا.

والقياس في جوهره يعني التعبير الكمي، والوصف الرقمي الدقيق لظاهرة ما أو خاصية ما أو قدرة ما ... إلخ بعيداً عن الوصف اللغوي المطاط وما يتيحه من مساحة كبيرة للتفاوت في الفهم ، والاجتهاد الشخصي في التأويل. وكفانا أن نتأمل وصفًا لاتجاهات شريحة ما من شرائح المجتمع نحو قضية ما بأن نقول (غالبيتهم) لديهم اتجاه مؤيد أو معارض ... ما مدلول لفظ (غالبية) هنا ؟ .أيشير إلى قرابة المجموع العام ؟ أو يشير إلى ما فوق المنتصف بقليل ؟.

وباستخدام القياس العلمي لظاهرة نحصل على مخرجات من قبيل (نسبة المؤيدين من مجموع العينة الممثلة لمجتمع الدراسة، تبلغ ٦.% أو ٧٨% أو ٩٥% ... وهكذا) .

والقياس والتجريب في مختلف مجالات العلوم عامة، وعلم النفس خاصة صنوان، ساهما معًا في تشكيل وصياغة انطلاقه علم النفس المعاصرة، فقد تزامنت جهود كل من فيبير Weber ، وفخنز fechner ، وهيلمهولتز Helmholtz ، وفونت wondt من جهة ،مع جهود كل من جالتون Galton ، وكاتل Cattel من جهة أخرى، ومن بعدهم بينيه ووكسلر .. وغيرهم .

والتجريب في جوهره يعني إمكانية استحداث الظاهرة (موضوع البحث) في ظل شروط معينة ، ومن ثم دراسة ما يعرف بالأثر العِلي للمتغير المستقل Undependent variable على المتغير المعتمد (التابع) dependent Variable وبتكرارها نتثبت من صدق فرض ما أم خطأه .. وبالتالي يمكن

التوصل للقوانين العامة التي من شأنها تدعيم النظريات .. وهنا تصدق مقولة الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانط Emmanual kant ١٧٢٤ – ١٨٠٤ :

{ التجربة بدون نظرية عمياء، والنظرية بدون تجربة عرجاء} .

وغنيّ عن البيان ما للإحصاء من أثر فعّال في تطوير حركة التجريب والقياس، فالمعالجات الإحصائية عامة، والتحليل العاملي خاصة، لها انعكاسها الإيجابي على مجالات البحث السيكولوجي النظري منه والتطبيقي .

وقبل أن نستطرد لنسأل مرة أخرى .. ما علم النفس؟ ما السلوك؟ ما التفكير؟ ما الميول ؟ ما الاتجاهات ؟ ما الانفعالات ؟ ما الشخصية ؟.

ولكن كيف نقيس الشخصية ؟

قياس الشخصية – كأي قياس نفسي – عبارة عن قياس موضوعي مقنن لعينة (لعينات) من السلوك *

والموضوعية Objectivity نقيض الذاتية .. فإذا أراد باحث أن يصمم مقياسا؟ للسمات الانفعالية ضمن أدوات دراسته المقارنة بين الفقراء والأغنياء، بين الأميين والمتعلمين، بين الريفيين والحضريين ... إلخ، فإنه يتعين عليه تحري الحياد، عند تصميم المقياس، واستخدامه، وتفسير نتائجه، وألا يتأثر بانتماءاته الشخصية لأي من تلك الشرائح . والتقنين standardization يشير إلى تمتع المقياس بصدق validity وثبات reliability ومعايير norms ، وتعليمات التطبيق، والتصحيح، وكيفية تفسيره . وهكذا يتوافر قدر من الطمأنينة لدى مستخدمي هذا المقياس في أنه يقيس بحق ما وضع وما استخدم من أجله، وأنه مع تكرار استخدامه يعطي نتائج متشابهة في ظل نفس الشروط ، كما أن درجة أي مفحوص عليه قابلة للمقارنة مع أي درجة لمفحوص . مفحوصين) آخرين على نفس الأداة .

وعينه السلوك Sample of behavior تشير إلى مجموعة من الأنشطة تمثل الجانب المراد قياسه (عقلي – وجداني – سلوكي)، نقيسها عوضًا عن قياس جميع الأنشطة المتصلة بهذا الجانب، وبذلك تتحقق الغاية العملية من القياس مع

---

* السلوك .. مصطلح يشير إلى كل أوجه النشاط التي تصدر عن الإنسان ، سواء كانت ظاهرة يمكن ملاحظتها بطريقة مباشرة ، أو داخلية مستترة نستدل عليها من آثارها الخارجية .

توفير الوقت والجهد، مع إمكانية توظيف نتائج القياس في التنبؤ بالسلوك في المستقبل المنظور .

وإيضاحًا لمفهوم العينة السلوكية نعرض المثال التالي :

لو كنا بصدد دراسة وقياس استجابات شخص ما للإحباط .. فعلينا حينئذ تتبع وقياس جميع استجابات هذا الشخص على مدى سنوات وسنوات.. ولكن ما جدوى مثل هذا العمل ؟.

يستعاض عن هذه المتابعة المستمرة واللحظية لسلوك الشخص خلال شتى حالات تعرضه للإحباط ، بوضعه تجريبيًا في مجموعة مواقف إحباطية، ثم تسجيل ردود أفعاله واستجاباته .. والخروج بالعناصر المشتركة والمميزة لسلوكه خلالها وبذا يمكننا – انطلاقًا من مسلمة أساسية هي (استمرارية السلوك نسبيًا – التنبؤ بما سيكون عليه سلوك هذا الشخص في مواقف احباطية تالية .

وبعد هذه المقدمة ، هل يمكن اعتبار أي مقياس نفسي على: أنه مقياس للشخصية ؟ . نعم ، بصور جزئية ، لماذا ؟

ويمكن إطلاق (مقياس الشخصية) على الاختبار، بصفة خاصة، إذا كان يقيس سمة أو عدة سمات للشخصية . (تذكر الثبات النسبي لسمات الشخصية) .

طرق دراسة الشخصية

تُعرَفُ طرق دراسة الشخصية وفق عدة أبعاد (محكات) على النحو التالي :

١ – وفق النظرية السيكولوجية (تحليلية – سلوكية – معرفية – عاملية ....).
٢ – وفق الجوانب المقاسة (سمات – أفكار – قدرات ...) .
٣ – حسب طبيعة المادة المستخدمة للقياس (ورقة وقلم – أجهزة – مادة واضحة – مادة غامضة).
٤ – وفق نمط الاستجابة المطلوبة (اختيار مقيد – اختيار متعدد – أداء – استجابة طليقة) .
٥ – تبعاً لظروف الإجراء (المعمل – الفصل – المواقف الحياتية العادية – المواقف الضاغطة).
٦ – في ضوء التعليمات : (موحدة مقننة – أم ليست كذلك – شفهية – مطبوعة) .
٧ – حسب طريقة التفسير: (كمية – دينامية – وصفية – مفصلة – غير مفصلة) .

٨ – الغاية من القياس (اختيار دراسي – تشخيص إكلينيكي – استعدادات وميول مهنية ..إلخ).

ويمكن تصنيف أدوات وطرق دراسة الشخصية بصورة أكثر اختزالاً إلى :

١ – طرق موضوعية : بعض القياسات المعملية كالتجارب الفسيولوجية والعصبية، ونتائج الاختبارات المختلفة .
٢ – طرق ذاتية : تقدير الذات ، تاريخ الحياة ، الرسم ، التقريرات في المقابلات الشخصية .
٣ – طرق اسقاطية : تعبيرية حركية إيمائية ، مواد غامضة (بقع الحبر لرورشاخ) . أو تفسيرية لبعض الصور (F.A.T)، تداعي المعاني .

نماذج لبعض اختبارات الشخصية

بدأت جهود الباحثين في قياس الجوانب غير العقلية للشخصية تتضح ابتداء من جهود جالتون، ثم بيرسون (مقاييس التقدير والاستفتاءات)، ثم يونج، وكينت، وروزانوف، وربابورت، هاثاواى، وماكنلي .. وتتطلب اختبارات الشخصية من المفحوص الإجابة عن أسئلة مباشرة تتصل بذاته أو بأرائه وعاداته ومخاوفه وتفصيلاته .. وتصاغ الفقرات في صيغة مثبتة للمتكلم أو المخاطب ، منها مثلا : أشعر أحيانًا بالخوف من الظلام، هل تشعر بالضيق إذا راقبك الناس أثناء عملك ؟

ويقسم فرجسون الاختبارات الخاصة بالشخصية إلى قسمين كبيرين هما :

١ – اختبارات أحادية البعد Unidimensional Tests وهي التي تقيس سمة واحدة من سمات الشخصية كالانطواء أو العصابية أمثلة : اختبار سمة القلق (عبد الرقيب البحيرى) ، اختبار (مقياس الخجل) لحسين عبد العزيز الدريني .
٢ – اختبارات متعددة الأبعاد Multi – dimensional Tests وهي المستخدمة في قياس أكثر من سمة كتلك التي تكشف عن أهم سمات الشخصية التي تميّز الأفراد بعضهم عن بعض .

أمثلة : اختبار الشخصية المتعدد الأوجه (أعداد عطية هنا وآخرون) ، اختبار عوامل الشخصية لكاتل .

أولا : الاختبارات أحادية البعد

<u>**١ – اختبار وودورث للاضطراب الانفعالي ١٩١٧**</u>

هو أقدم الاختبارات المستخدمة عمليًا في قياس الشخصية، وهو عبارة عن قائمة من الأسئلة – بلغت في صورتها النهائية ١١٦ سؤالاً- تتضمن الأعراض الشائعة المرتبطة بالاضطرابات الانفعالية . وكانت الدرجة الكلية عليه تحسب بمجموع الأعراض التي يقرر المفحوص وجودها لديه .

ومن فقرات هذا الاختبار ما يأتي :

- هل تنام نومًا هادئًا .
- هل تتوارد الأفكار بكثرة إلى ذهنك بشكل يعوقك عن النوم .
- هل لديك عادة قضم الأظافر .
- هل كثيرًا ما تتغير اهتماماتك .
- هل تعتاد سريعًا الأماكن الجديدة .

ومر الاختبار في أعداده بالخطوات الموجزة التالية :

١ – وضع وودورث ٢.. عبارة، استمدها من وصف الكتب لأعراض الاضطراب الانفعالي أو من التعليقات الشائعة.
٢ – طبق القائمة على مجموعة صغيرة من طلاب الجامعة (أسوياء).
٣ – استبعد كل فقرة أجاب عنها أكثر من ٢٥% من الطلاب عصابية على اعتبار كونهم أسوياء ، فمن باب أولى أن تميز بين العصابين والعاديين .
٤ – طبق الأسئلة المتبقية على ١...(ألف) شخص من العاديين ، اختيروا بطريقة عشوائية.
٥ – طبق الأسئلة على مجموعة منتقاة من بعض الجنود العصابيين .
٦ – استبعد بعض الفقرات وفق القاعدة السابقة .
٧ – تبقى من الفقرات عدد ١١٦ سؤالاً في صورة الاختبار النهائية .

اعتقد وودورث أن درجة العصابيين على هذا المقياس تتراوح بين ٣. – ٤. اجابة، بينما متوسط عدد إجابات العصابية لدى الأسوياء كان عشر درجات تقريبًا .

وبعد تعديلات عديدة على اختبار وودورث خاصة على يد كورنيل ثبت صدق الاختبار بالمحك الخارجي ، والصدق التنبوي ، حيث أن ٥.% من جميع الرجال الذين حصلوا على أكثر من ١٣ استجابة عصابية على هذا الاختبار ، قد فُصلوا من الخدمة العسكرية حسب التقارير الطبية النفسية.

٢ – اختبار حالة وسمة القلق : ١٩٨٤

وهو من تصميم ووضع شارلز سبيلبرجر وآخرون ، أعده للعربية عبد الرقيب أحمد البحيري ، وقام بتقنينه للتأكد من ثباته وصدقه وما تطلبه ذلك من تعديلات، كما وضع له معايير إحصائية على عينات مصرية من الأسوياء والمرضى في البيئة العصرية .

والاسم الأصلي للاختبار state-Trait Anxiety Inventory ، واختصارًا (STAT) وهو بالتالي يقيس مفهومين منفصلين للقلق : الأول (حالة القلق state Anxiety والثاني سمة القلق Trait Anxiety) .

ويشير المفهوم الأول إلى القلق كحالة انفعالية مؤقتة أو حالة الكائن الإنساني التي يتسم بها داخلياً، وذلك كمشاعر التوتر والخطر المدركة شعورياً والتي تزيد من نشاط الجهاز العصبي الذاتي فتظهر علامات حالة القلق، وتختلف حالات القلق هذه في شدتها وتقلبها معظم الوقت .

بينما يشير المفهوم الثاني (القلق كسمة) إلى الاختلافات الفردية (الثابتة نسبيًا) في قابلية الإصابة بالقلق التي ترجع إلى الاختلافات الموجودة بين الأفراد في استعدادهم للاستجابة للمواقف المدركة كمواقف تهديديه بارتفاع حالة القلق، ومن ثم الميل للاستجابة لها بحالة من القلق .

وعلى ما يبدو فإن العلاقة بين المفهومين أقرب ما تكون للعلاقة بين الاستعداد والقدرة ، أو بين الطاقة الكامنة والطاقة المتحركة (الحركية) .

يتكون مقياس (سمة القلق) من ٢٠ عبارة يطلب فيها من المفحوصين وصف ما يشعرون به بوجه عام generally ، من أمثلتها: (أشعر بالرضا، أشعر بالغم، أنا شخص مستقر، أنا سعيد) .

يتكون مقياس (حالة القلق) من ٢٠ عبارة أيضًا، ولكن تتطلب تعليماته من المفحوصين الاستجابة عما يشعرون به في لحظة معينة من الوقت من أمثلتها : (أشعر بأن أعصابي مشدودة ، اشعر الأن بالانزعاج لاحتمال وقوع كارثة) .

اهمية الاختبار :

يمكن الإفادة منه في العمل الإكلينيكي ، والإرشاد والتوجيه النفسي، وهو أداة بحثية للتمييز بين الأفراد الذين يختلفون في استجاباتهم للضغوط النفسية تحت مستويات مختلفة لشدة حالة القلق ، كذلك يُعَدُ مؤشرًا حساسًا لتحديد مستوى القلق

الوقتي كحالة شعورية يخبرها العملاء والمرضى أثناء مواقف التوجيه والعلاج النفسيين، أو أثناء العلاج السلوكي ... وتشمل الصفات الأساسية المقدرة باستخدام هذا المقياس (حالة القلق) الشعور بالتوتر، التهيج العصبي، الضيق توقع الشر.

التطبيق :

صُمِمَ ليُطَبَقَ بطريقة فردية أو جماعية، أو ذاتيًا، وله تعليمات معيارية، والزمن المستغرق يتراوح في حده الأدنى بين ٧، ١١ دقيقة لأحدى صورتي الاختبار، وبين ١٥ : ٢. دقيقة في حده الأعلى للإجابة على الصورتين معًا .

وعند تطبيق الاختبار كاملاً بصورتيه، يطبق أولاً مقياس حالة القلق، ثم يعقبه تطبيق مقياس سمة القلق ، ويرجع ذلك إلى أن مقياس حالة القلق مصمم ليكون حساسًا فتتأثر درجاته بالجو الانفعالي إذا طبق مقياس سمة القلق أولاً .

يستجيب المفحوص بوضع علامة (×) داخل دائرة أمام واحد فقط من أربعة خيارات متفاوتة في الشدة إلى جوار كل عبارة وهي مطلقًا قليلاً أحيانًا كثيرًا .

التصحيح :

تتراوح درجات كل صورة من صور الاختبار (٢.عبارة) بين ٢. درجة و ٨ درجة . نأخذ ترتيبها وفق مدلولها من حيث ارتفاع مقدار الحالة أو السمة، فكلما كانت العبارة مشيرة إلى توافر الحالة أو السمة كان ترتيب الدرجات على النحو التالي : ١ ، ٢ ، ٣، ٤ . وإن كان العكس تكون على النحو التالي :- ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١

.

التقنين :

- تُرجم الاختبار وطبق على شرائح اجتماعية مختلفة تراوحت أعمارهم بين ٢٤ إلى ٤٧ سنة ، وعلى مرضى مصابين برد فعل حالة القلق .
- حسب الثبات بطريقة Test re Test، ومعامل ألفا ، كذلك بطريقة التجزئة النصفية.
- حسب الصدق المرتبط بمحك، صدق التكوين الفرضي، صدق المفردات وصدق المتغيرات التجريبية، وأجريت للاختبار عملية تحليل عاملي .

المعايير :

المتوسطات والانحرافات المعيارية ، المبئنيات ..

ثانيًا : اختبارات متعدد الأبعاد لقياس الشخصية

وهي اختبارات صممت لقياس عدد من السمات في وقت واحد، وتقديم صفحة نفسية psychological profile أو psychograph ، ولعل أكثر هذه الاختبارات شيوعًا ما يعرف بقائمة مانيسوتا المتعددة الأوجه للشخصية Personality Inventory Minnestoa Mulitiphasic واختصارًا باسم (MMPI) ، وقد وضع هاثاواى Hathaway وماك كينلي Mc kinley ونشراه عام ١٩٤٢، ومنذ ذلك التاريخ والاختبار يتمتع باحترام علمي ومصداقية لا نظير لها في مجال القياس النفسي للشخصية، حتى أن ما يزيد على ٨... (ثمانية آلاف) مرجع قد نشرت حتى تاريخ ١٩٩. متناوله هذا الاختبار * .

- وصمم اختبار مينسونا المتعدد الأوجه أساسًا ليعد السيكولوجي بصورة متكاملة من جميع الجوانب الهامة المتعددة في شخصية الفرد والتي تتمثل في درجات على المقاييس المختلفة التي يحتويها الاختبار ، وهو صالح للاستخدام بالنسبة للأشخاص ابتداء من سن (١٦) عامًا وما بعدها ، من الملمين بالقراءة .
- وبالرغم من الغايات الإكلينيكية للاختبار ممثلة في التشخيص والتصنيف المرضي، وجد أنه صالح أيضًا للتطبيق على العاديين من الناس .

<u>وصف الاختبار :</u>

للاختبار صورتان: فردية ، جمعية : وتتكون الصورة الفردية من (٥٥.) عبارة ، كل واحدة منها مطبوعة على بطاقة مستقلة، وتصنف كل واحدة منها إلى قوائم ثلاثة هي : نعم ، لا، لا أدري حسب ما يتراءى للفرد، وهل هي صادقة أو خاطئة أم من الصعب تحديد رأي فيها . والصورة الأخرى جمعية، متضمنة في كتيب يحتوي على (٥٦٦) فقرة، منها فقرات الصورة الفردية، مضافًا إليها ست عشرة عبارة مكررة في الكتيب وورقة الإجابة. وتغطي العبارات الأساسية في الاختيار مدى واسعًا من الموضوعات تتناول الجوانب المختلفة في الشخصية، مثل الصحة العامة والنواحي الصحية الخاصة بما فيها الجهاز العصبي والحركي والأعراض المرضية النفسية والعقلية والسيكوسوماتية إضافة للتوافق والحساسية،

---

*Anne Anastasi –(1990) . Psychological Testing (Sixth Edition) . Macmillan , New York .

والعادات، والأسرة والحياة الزوجية والمهنة والتعليم، والاتجاهات نحو الجنس والدين والسياسة والقانون والمجتمع، وغيرها.

وقد قام بإعداد الصورة الجمعية باللغة العربية كلٌ من عطية محمود هنا ، محمد عماد الدين إسماعيل، ولويس كامل مليكة ** ، وتنشره مكتبة النهضة المصرية منذ عام ١٩٥٩ .

ويشتمل الاختبار في صورتيه على ستة عشر مقياسًا فرعيًا، منها أربعة مقاييس للصدق رموزها هي :

(؟)	،	(ل)	،	(ف)	، (ك)
لا أدري		الكذب		الخطأ	التصحيح

كذلك يشتمل على عشرة مقاييس إكلينيكية ، نوجزها فيما يلي :

١ – توهم المرض (Hypochondriasis (Hs أو (هي. س.)

ويقيس مقدار الاهتمام الزائد بالوظائف الجسمية، والقلق الذي لا يستند إلى سبب واضح على الصحة، ومن الطبيعي أن يحصل المرضى بأمراض جسمية فعلية على درجة عالية على هذا المقياس قد تصل إلى ٦٥ درجة، إلا أن زيادة الدرجة عن ذلك ، تعد دليلاً على وجود المرض النفسي (التوهم المرضي) حتى مع وجود قليل من المرض العضوي.

أمثلة للفقرات :

(أصاب أحيانًا بنوبات من الغثيان والقيئ – أشعر في معظم الأحيان بضعف عام) .

٢ – الانقباض (الاكتئاب) (Depression (D أو (د)

والدرجة المرتفعة على هذا الاختبار تشير إلى انخفاض في الروح المعنوية ، والشعور باليأس، والنظر للمستقبل نظرة متشائمة .

أمثلة للفقرات:

(أنني أعمل تحت توتر عصبي عنيف – من المؤكد أنني قليل الثقة بنفسي) .

٣ – مقياس الهستيريا (Hysteria (Hy . أو (هـ . ي .)

** للأستاذ الدكتور / لويس ملكية جهود أصيلة ومتواصلة لإعادة تقنين العديد من المقاييس الفرعية منها : الانقباض ، الهستيريا ، الانحراف السيكوباتي ، الفصام ، وغيرها .

ويقيس درجة تشابه المفحوص بالمرضى الذين تظهر عليهم أعراض الهستيريا التحولية .(شكاوى عامة منظمة أو شكاوى أكثر تحديدًا أو تخصيصًا مثل الشلل والتقلصات والإضطرابات المعوية أو الأعراض القلبية)، ومن يحصل على درجة مرتفعة على هذا المقياس يكون معرضًا على وجه الخصوص لنوبات مفاجئة من الضعف والإغماء أو حتى ما يشبه نوبات الصرع .

أمثلة للفقرات :

(أشعر كل أسبوع – أو أقل – بسخونة تعم جسمي فجأة ، وذلك دون ما سبب ظاهر – غالبًا ما ألاحظ أن يداى ترتجفان عندما أحاول أن أقوم بعمل ما) .

٤ – مقياس الانحراف السيكوباتي : Psychopathic Deviation (p. d. أو (ب . د .)

ويقيس درجة تشابه المفحوص بجماعة السيكوباتين الذين يعانون نقصًا في الاستجابة الانفعالية العميقة، وعدم القدرة على الإفادة من الخبرة، وعدم المبالاة بالمعايير الاجتماعية ولأشخاص الذين يحصلون على درجات مرتفعة على هذا المقياس يتصفون بالإقبال على المجتمع والصراحة وكثرة الكلام والمخاطرة وحب الكحول والفردية .

أمثلة للفقرات :

(لا شك أنني مظلوم في هذه الحياة – أعمل أشياء كثيرة أندم عليها فيما بعد) .

٥ – الذكورة – الأنوثة Masculinity – femininity (M.F.) (م.ف)

وتدل الدرجة المرتفعة على انحراف نمط الاهتمام الرئيسي في اتجاه الجنس الأخر. وقد وجد أن الرجال ذوي الدرجات المرتفعة على المقياس م.ف إما أن يكونوا منحرفين جنسيًا بصورة ظاهرة أو مكبوتة ، ويصعب افتراض نفس الدلالة الإكلينيكية بالنسبة للإناث.

أمثلة للفقرات :

(كثيرًا ما وددت أن أكون بنتا أود أن أكون مغنيًا .)

٦ – البارانويا Paranoia (pa) أو (ب . أ)

والأشخاص الذين يحصلون على أكثر من ٧٥ درجة تانية تتوافر لديهم أغراض التشكك والحساسية الزائدة وهواجس الاضطهاد ، أما الحاصلون على ٧٥ درجة تانية فأقل ، يغلب عليهم قدر زائد من الحساسية فيما يتعلق بالعلاقات الشخصية .

أمثلة لفقرات :

(يقول الناس علىّ أشياء مهينة – أشعر أن شخصًا ما يسيطر على عقلي) .

٧ – السيكاثينيا psychathenia (Pr .l) أو (ب . ت)

والأشخاص مرتفعو الدرجة يتشابهون مع المرضى الذين يعانون المخاوف المرضية أو السلوك القهري ، والأفكار المتسلطة .

أمثلة للفقرات :

(لم أعد أفهم ما أقرأ بنفس الدرجة التي كنت أفهم بها سابقا – أجد صعوبة في تركيز تفكيري).

٨ – الفصام : schizophrenia (sc.) أو (س . ك)

ويقيس درجة تشابه استجابات المفحوص مع استجابات مجموعة من الفصاميين ممثلة في التفكير أو السلوك الخلطي الشاذ.

أمثلة لفقرات :

(أشعر بأنني كثيرا ما عوقبت دون سبب – أشعر أن عقلي مختل) .

٩ – الهوس الخفيف Hypomania (Ma.) أو (م.أ)

والأشخاص الذين يتميزون بنشاط زائد في الفكر وفي العمل ويعانون من الهوس الخفيف، يحصلون على درجات مرتفعة على هذا المقياس . أما الذين حصلوا على درجات منخفضة عليه . فقد وصفوا بالاتزان والنضج والتفكير العملي والواضح .

أمثلة لفقرات :

(يهتاج شعوري مرة أو أكثر في الأسبوع – يمكنني بسهولة أن أخيف الناس مني ، وأفعل ذلك أحيانًا للتسلية) .

٠١ – **الانطواء الاجتماعي introversion (S.I.)** أو (س.ى)

ويقيس النزعة للانزواء من الاتصال الاجتماعي بالآخرين .

أمثلة للفقرات :

(أجد صعوبة في التحدث مع الناس إذا كانت معرفتي بهم حديثة – في إمكاني أن أكون سعيدًا لو أقمت بمفردي في كوخ منعزل) .

الدلالات الإكلينيكية لدرجات المفحوص على اختبار (MMPI) :

بالرغم من أهمية درجة المفحوص على كل مقياس فرعي، إلا أن للشكل الكلي للصفحة النفسية paychograph أو (البروفيل السيكولوجي) دلالة ذات أهمية بالغة، إذ بتفسيرها بصورة صحيحة ترتسم لنا صورة متكاملة لشخصية المبحوث وذلك من خلال رصد الملاحظات التالية :

١ – زيادة عدد الدرجات المرتفعة يشير إلى احتمالات أكبر لوجود اضطرابات شديدة .

٢ – تتجمع المقاييس الإكلينيكية في ثلاث مجموعات، ويغلب أن يكون للمنحني أكثر من قمة في الصفحة النفسية هي :

ا – المثلث العصابي : neurotic Triad ويشمل مقياس توهم المرض ، والانقباض . (الاكتئاب)، والهستيريا، وقد ترتبط بها السيكاثينيا .

ب – المثلث الذهاني: psychotic Triad ، ويشمل مقياس الفصام والبارنويا ، والانقباض (الاكتئاب)، والهوس الخفيف .

جـ - المشكلات السلوكية : Behavior Disorders ، وتشمل الانحراف السيكوباتي، والذكورة والأنوثة، والهوس الخفيف، ويرتبط بها مقياس البارانويا بدرجة أقل .

أهمية الاختبار :

من أكثر الاختبارات النفسية انتشارًا سواء في المجال الإكلينيكي أو التجريبي، ونتائجه تُعَدُّ مُؤَشرًا تنبؤيًا لأكثر من ٦.% من حالات الاضطراب، وتحقق صدق الاختبار بالتحليل العملي . أما الثبات بإعادة التطبيق فيتراوح بين

..٧١ ، ..٨٣ وتوجد بالمكتبة السيكولوجية، اختبارات عدة للشخصية، من النوع المتعدد الأوجه ، منها : *

- اختبار الشخصية السوية (كاليفورنيا) .
- اختبار الشخصية للأطفال (كاليفورنيا) .
- اختبار الشخصية (برنرويتر) .

الاختبارات الاسقاطية للشخصية

تعتمد هذه الاختبارات على توظيف الإسقاط بوصفه حيلة دفاعية لا شعورية تلجأ إليها النفس البشرية في حلها للصراح الدائر في الشخصية حول دافع نفسي معين بأن تتلخص من هذا الدافع فترميه، أي تسقطه، على شخص خارجي أو أي شيء خارجي، وبهذا ترى الشخصية في ذلك الشخص أو هذا الشيء الخارجي دوافعها واتجاهاتها هي وخصائصها هي دون أن تفطن إلى أنها دوافعها الخاصة أو اتجاهاتها وميولها وخصائصها الذاتية .

وعلى هذا فإن الاختبار الإسقاطي يمثل بالنسبة للمفحوص موقفًا مثيرًا يتيح الفرصة كي يعكس عليه دون شعور منه حاجاته الخاصة وإدراكه وتفسيراته الذاتية ، وأن المواد المتعددة للأساليب الإسقاطية، مثل الصور، وبقع الحبر، والجمل الناقصة، وتداعي الكلمات، وكتابات الفرد ورسومه، تستخدم منبهات لاستجابات تكشف عن تركيب شخصية الفرد، ومشاعره، وقيمه، ودوافعه، وخصائصه التوافقية، وتعقيداته، وبذلك يكشف لا إراديًا سمات كامنة تحت السطح الظاهري من شخصيته ولا يمكن إظهارها باستخدام اختبارات الشخصية الموضوعية .

ولا ينبغي توقع وضوح صياغة أو مواد الاختبارات الإسقاطية كما الحال في اختبارات الذكاء أو استبيانات الاتجاهات، بل أن الغموض يُعد شرطًا عمليًا لتأتي الاختبارات الاسقاطية بنتائجها، إذ أن العامل الهام في تقديم الاستجابات في الأساليب الإسقاطية هو التفسيرات الذاتية التلقائية للمفحوص وتكويناته الخاصة ، ولا يُقوّم على أنها صواب أو خطأ، فهي ليست مقياس للعوامل المعرفية فحسب، لكن أيضًا مقياس للجوانب الوجدانية. فاختبار تفهم الموضوع .T.A.T وبقع الحبر لرورشاخ Rorshach يعتمدان على إدراك الشكل وإدراك المعنى، وهما عمليتان

* الاختبارات السيكولوجية منشورة بمكتبة النهضة المصرية، دار الفكر العربي، الأنجلو المصرية .

عقليتـان تتـأثران بالعوامـل الوجدانيـة . وكلمـا كـان الموقـف المثيـر فـي الأسـاليب الإسـقاطية أقل وضـوحًا زاد الاخـتلاف بـين الأفـراد فـي إدراكـه وبالتـالي تعـددت استجاباتهم في فئات متعددة . ولا نستنتج من هذا أن لكل فرد بالذات استجابة معينـة لا تتكرر ولا يشاركه فيها غيره بأي وجه من أوجه التشابه، لكن لكل موقـف مثير استجابات معينة تتوافر لدى الأفراد الذين يشاركونه في خصـائص تكوين شخصـيته مع عدم الإخلال بالفردية المميزة للفرد داخل كل فئة من المفحوصين .

ويعبر بـلاك Bellak عن ذلك بقولـه أن الفرد يتكيـف مع الواقـع من خـلال إدراكاتـه وتفسيراته.بمعنـى أنـه يفسر الواقـع بوسـائله المتـأثرة بخبرة معظـم النـاس اللذين يشاركونه تكوينه النفسي .

وتتميز الاختبارات الاسقاطية عن الاختبارات الموضوعية بالنواحي الآتية :

١ ـ غموض المثير وإبهامه مما يقلل من التحكم الشعوري للفرد .
٢ ـ جهل المفحوص بطريقة تقدير استجاباته وبالتالي يستجيب بتلقائية أكثر .
٣ ـ تقدر استجاباتها لا من ناحية الصواب أو الخطأ وإنما في ضوء دلالاتها على شخصية المفحوص .
٤ ـ ترسم صورة كاملة للشخصية وليس لنواحي جزئية منها .
٥ ـ تتغلغل في أعماق التنظيم الدينامى للشخصية .

صدق وثبات الاختبارات الإسقاطية :

مـا دام الغرض من الأسـاليب الاسـقاطية غـرض إكلينيكـي، وقد ثبـت اتفـاق تفسير النتائج والتشخيص الإكلينيكي ، فهذا في حد ذاته أحد أنواع الصدق (الصـدق بمحك خارجي)، خاصـة وأن نتائج الاختبارات الاسـقاطية ليست كميـة، وبالتـالي لا تقبل المعالجة الإحصائية . ولذلك فالأولى أن نتساءل: (هل الصدق والثبات يتعلقـان باستجابات المفحوص ذاتها، أم بإجراءات تفسيرها ؟ أم بكلا الجانبين معًا ؟؟) .

وهناك عدة طرق غير مباشرة للتحقق من صدق الاختبارات الاسقاطية منهـا :

١ ـ صدق المجموعات المتناقضـة (استجابات عينه تجريبيـة "المرضـى"، وأخرى "سوية" ضابطة) .
٢ ـ مضاهاة تفسير نتائج الاختبار الاسقاطي بما يعرفه أحد المقربين من شخصية المفحوص.

٣ ـ صدق المحكمين من خلال تفسير عدة مفسرين خبراء لاستجابة (المفحوص الواحد) .

٤ ـ المزاوجة بين نتائج التطبيق (الاستجابات) لعدة مفحوصين من جهة وبين تفسيراتها مع خلوها من أية بيانات دالة على ارتباطها،أيها بالأخرى وذلك عن طريق الخبراء أيضا .

٥ ـ الصدق التنبوي، كأن يتنبأ المحكم باستجابات مفحوص معين (يعرفه شخصيا) على بعض البطاقات، ثم يقارن تنبؤاته هذه بالاستجابات الفعلية للمفحوص.

نموذج لاختبار اسقاطي

اختبار تفهم الموضوع .T.A.T

- وضعه مورجان Morgan ، ومورارى Murray عام ١٩٣٥ بغرض دراسة التخيل لدى مفحوصين أسوياء ، ثم اتضحت بعد ذلك الإمكانيات الإكلينيكية للاختبار .
- **وصف الاختبار** : ٣١ بطاقة منها رسوم يدوية ، ومنها صور فوتوغرافية وبعضها مأخوذ من كتب ودوريات ، والبطاقات تصنف في مجموعات أربع، اثنتان تطبق على ذكور وإناث أكبر من ١٤ سنة، واثنتان تطبق على ذكر وإناث من ١٤ سنة فأقل.
- **وفي البطاقات إحدى عشرة بطاقة ملائمة لكلا الجنسين**، وغيرها مشتركة بين الراشدين والصغار، وبذلك تتكون البطاقات الخاصة بكل مجموعة من المجموعات الأربع من ١٩ صورة وبطاقة بيضاء من البطاقات الاحدى والثلاثين بترتيبها المقنن، ويفضل كثير من الأخصائيين النفسيين الإكلينيكيين تطبيق عشر بطاقات فقط يختارونها حسب الحالة المدروسة .
- **تطبيق الاختبار:** درج التطبيق المقنن لاختبار تفهم الموضوع على تقسيم مجموعة الصور العشرين إلى قسمين، كل قسم من ١٠صور، ويطبقان في جلستين منفصلتين وتوصف المجموعة الثانية من البطاقات بأنها (غير مألوفة، درامية، وغريبة بدرجة أكبر من المجموعة الأولى).
- ينظر الأخصائيون النفسيون للاختبار بوصفه أداة مرنة، وكثيرا ما يلغون الإجراء المقنن . وأحيانا يتخيرون بعض البطاقات المناسبة للحالة دونما سواها

- ✍ ليس للاختبار زمن محدد، وينبغي للمفحوص الاستمرار في الحديث لمدة خمس دقائق بالنسبة لكل بطاقة من بطاقات الاختبار، ويسجل حديث المفحوص حرفيًا، ويطلب من المفحوص تكوين قصة درامية لكل بطاقة، على أن تكون للقصة بداية ونهاية، كما يؤكد الفاحص على المفحوص أن يوضح مضمون القصة، ومشاعر الشخصيات وتفكيرهم.
- ✍ وفي حالة إمتثال المفحوص لتعليمات الفاحص بأن يحكي قصة، فإن المفحوص ينهمك في المهمة المطلوبة منه حتى أنه ينسى ذاته وضرورة دفاعها في مواجهة محاولة الفاحص سبر أغواره . إذ أن مهمة قص القصة تخلق حالة من الابتعاد النفسي، تسهل التعبير عن الأفكار التي يتجنب المفحوص التعبير عنها في الأحوال العادية .وان كان ذلك لا ينفي وجود قدر من الكبت والمقارمة ضمن القصة .
- ✍ تصحيح الاختبار: وفق طريقة (موراي) يحلل مضمون كل قصة إلى ست نقاط (جوانب أساسية) هي :-

١ ـ **البطل :** وهو الشخص الذي تقصمه المفحوص في الصورة، وقد يوجد أكثر من بطل بالقصة الواحدة، يهتم المفسر بخصائص الأبطال مثل العزلة، أو القيادة، أو الإعلاء، أو الإجراء، وما إليها، وكذلك مشاعرهم ودوافعهم .

٢ ـ **دوافع الأبطال وميولهم ومشاعرهم** : وذلك بتحليل مشاعر كل بطل وأفكاره وأفعاله ، خاصة ما هو معتاد منها وتكرارها وشدتها وضعفها، ويضع موراي قائمة من السمات تقدم على أساس تدرج من ١ ـ ٥ درجات، ومن أمثلة السمات (السيطرة، الإنجاز، الصراع ، الكآبة، التحقير).

٣ ـ **الضغوط التي يتعرض لها البطل في بيئته:** طبيعة الموقف والتفاصيل خاصة ما يتعلق بالنواحي البشرية، مع ذكر الفردية، والشدة، والتكرار، وكذلك الأشياء التي يتخيلها المفحوص والأشخاص، وليس لهم وجود في الصورة، وتصنف الضغوط البيئية تبعًا لتأثيرها على المفحوص إلى واقعية أو متخيلة أو متوقعة . وقد ذكر موراي ما يقرب من ثلاثين من هذه الضغوط وتقدر على تدرج ١ ـ ٥ درجات ومنها (النبذ ـ الإصابة الجسمية ـ السيطرة ـ النقص ـ الفقدان).

٤ ـ **النتائج** : وتتضمن مقارنة القوي الصادرة عن الفرد، والقوي الصادرة من البيئة، ومقدار الإحباط والدرجات النسبية للنجاح والفشل، والنهايات السعيدة وغير السعيدة، وتحدد على أساس تقدير متدرج من ١: + ٢ أو -٢ .

٥ ـ **سياق القصة أو موضوعها** : أن التفاعل بين حاجات البطل والبيئة الخارجية مع حدوث نجاح أو فشل للبطل يعد موضوعًا بسيطًا، أما تتابع هذا التفاعل وتكراره، فإنه يُعدُ موضوعًا مركبًا. والموضوع بسيطًا أو مركبًا ـ يتركب من العناصر الأربعة السابق ذكرها، والغرض من ذلك هو بيان تكرار القوى المؤثرة في علاقاتها، وتحديد المشكلات الأكثر سيطرة، والتي تصدر عن الحاجات الداخلية والقوى الخارجية

٦ ـ **الاهتمامات والمشاعر** : وتتضمن اختيار الموضوعات وطريقة تناولها، والتي تتأثر بالجوانب الموجبة والسلبية في مختلف عناصر الصور (مثلاً : الأمهات كبار السن يتقمصن شخصيات الأمهات، والآباء كبار السن يتقمصون شخصيات الآباء، والتأثر بنفس الجنس أو الجنس الآخر) .

والاختبار ـ كما يراه مواري ـ يعكس بطريقة درامية ما يشعر به المفحوص من إحباط وصراعات ، وكذلك طريقة مواجهته لهذا الموقف والحل الذي يفضله .

وقد تصدر الاستجابات على مستوى شعوري (عدوانية العدواني)، أو على مستوى لا شعوري (عدوانية الشخص الرقيق)، كما أن الموضوع الذي يظهر في القصص الوحدة تلو الأخرى يعبر عن حاجات ملحة ودائمة وقريبة لدى المفحوص على العكس من الموضوع الذي يظهر في قصة واحدة ثم يختفي والتفسير يحتاج لمران وخبرة .

قائمة محتويات الكتاب



مطابع الدار الهندسية
موبايل: ٠١٢٢٢٤١٩٠١١ ، تليفاكس: ٢٩٧٠٣٧٦٦



- ولد بمحافظة الجيزة عام ١٩٥٥
- نشأ فى مدينة القاهرة وتلقى تعليمه بمدارسها.
- تلقى تعليمه الجامعى بكلية الآداب بجامعة عين شمس ، و حصل على ليسانس علم النفس ١٩٧٧،
والماجستير ١٩٨٤، والدكتوراة ١٩٨٨.
- عمل أستاذاً لعلم نفس الشخصية ، فوكيلاً لكلية الآداب للدراسات العليا والبحوث
- له العديد من المؤلفات والبحوث العلمية
- شارك بجهوده الأكاديمية والتدريبية بالعديد من الجامعات والمؤتمرات وورش العمل بالدول العربية الشقيقة ، و الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا.

إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

١٢ شارع حسين كامل سليم - الماظة - مصر الجديدة - القاهرة - ت : ٢٤١٧٣٢٧٤٩٠
فاكس ٢٤١٧٣٢٧٤٩ - ص.ب : ٥٦٦٣٠ هليوبوليس غرب - رمز بريدى : ١١٧٧١
Website : www.etracpublishing.com
E-mail : etraccom@gmail.com